الوقفُ والابتِداءُ وأثَرُهُ

في تفسير القرآن الكريم

نال به الباحث درجة العالِمية (الدكْتُوراه) في التفْسِيرِ وعُلومِ القرآن

بتقدير عام ممتاز مع مرتبة الشرف

إعداد الدكتور

سعيد يوسُف السمنودي

إشراف

أ.د/هبة عوف عبدالرحمن

أستاذة التفسير وعلوم القرآن

بجامعة الأزهر الشريف



1438 هـ-2017 م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــداء

إلى من تُنافس الغيث في العطايا، وتسبق الحياء في السَّجايا ...

إلى زوجتي، وقرة عيني، ورفيقة دربي في رحلة الحياة، أطال الله عمرها.

إلى من هم أقرب إليَّ من روحي، أبنائي خالد وإسحاق وجهاد ومحمد، حفظهم الله.

إلى كل قُرَّاء القرآن الكريم وحفَّاظه ومحبيه وأهله العاملين.

إلى كل هؤلاء أهدى هذا العمل المتواضع سائلًا الله تعالى أن يجعله في زاوية القبول وأن ينفع به أهل القرآن. . .

والآن تفتح الأشرعة، وترفع المرساة، لتنطلق السفينة، ويمضي هذا العمل المتواضع في خدمة القرآن الكريم.

خادم القرآن الكريم

سعيد يوسف

شكر وتقدير

أتوجه بالشكر والحمد والثناء إلى الله تعالى أن يسَّر لي إتمام العمل فى هذه الرسالة.

كما يَطِيبُ لي أن أتقدَّمَ بِخَالِصِ الشُّكرِ الجزيل والثناء الجميل إلى أصْحابِ الفَضْلِ الذين كان لهم العطاءُ الوافرُ:

سعادةَ الأستاذةِ الدكتورةِ / **هبة عوف عبد الرحمن**؛ وذلك لحُسْنِ تَعاوُنِهَا- طِيلَةَ فتْرَةِ الإشْرافِ- مما لا تَقْدِرُ كلماتُ الشَّكْرِ على الوفاءِ به .

والشُّكْرُ مَوْصُولٌ أيضًا إلى السَّادةِ العلماءِ أعضاءِ لجنةِ المناقشةِ الذين تفضَّلُوا بمناقشة هذه الأطْرُوحةِ .

فَضِيلةِ الأستاذِ الدكتور / **محمد أبو هاشم النوري** أستاذ ورئيس قسم التفسير وعلوم القرآن جامعة الأزهر فرع الزقازيق سابقا.

فَضِيلةِ الأستاذِ الدكتور / **الحسنين عبد الفتاح الشافعي** أستاذ ورئيس قسم التفسير وعلوم القرآن جامعة الأزهر فرع دمياط.

فلهم مني جَزِيلُ الشُّكْرِ على تَكَرُّمِهِم بتقوِيمِ البحثِ، وتَسْدِيدِ النَّقْصِ، فجزاهم الله على ذلك الجُهدِ الجزاءَ المَوْفُورَ.

ولئِن نَسِيتُ فلا أنسى خالصَ الشُّكْرِ والتَقديرِ لجامِعتِنا المُبارَكةِ مُمَثلةً في:

- سَماحةِ الأستاذ الدكتور/ **أحمد منصور سبالك** - حَفِظَهُ اللهُ - رئيس الجامعة.
- مَعَالي الأستاذ الدكتور/ **ياسر لمعي عبد المنعم** - حَفِظَهُ اللهُ - مدير الجامعة.

سَدّد اللهُ الخُطَى، ومَنَح الجَمِيعَ التُّقى، وحُسْنَ العَاقبةِ في الدُنْيا والآخِرَةِ.

★ ★ ★

﴾ ملخص الرسالة ﴿

الحمدُ لِلَّه والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ وعلى آلِهِ وأصحابِهِ ومَنْ أهتدى بِهداه.

أما بعد: فهذا البحثُ يَتناولُ موضوعَ الوقفِ والابتداءِ في كتابِ الله عَزَّوَجَلَّ وأثـرَه في تفسير القرآن الكريم فَهْمًا وإفْهَامًا، وبيانَ ما يسْتَتْبِعُهُ ذلك من معانٍ ومقاصـدَ؛ رغبـةً في تحصيل تَمامِ البيان، ودفعًا لما قد يُتوهَّمُ من معانٍ.

ويَهْدِفُ هذا البحثُ إلى إلْقاءِ الضوءِ حول هذا الموضوعِ، والتأكيدِ على أن مـن تمـامِ مَعرفَةِ دلالاتِ القرآنِ وتفسيرِه ومعانِيه معرفةَ الوقفِ والابتداء فيه، لتعلُّقِهِ بأدائِه تِـلاوةً وتَرْتِيلًا، وبمعْناه تَفْسِيرًا وتَأْوِيلًا، وأنه دُرَّةُ العِقْدِ بين عُلومِ التَرْتيلِ والتَأْويلِ، وقد اقتضتْ طبيعةُ البحثِ اعْتمادَ أكثرِ من منهجٍ، فسلكتُ فيه مسْلكَ الجمْـعِ بـين الدِّراسـةِ النَّظرِيـةِ والتَطْبِيقيةِ والدَّلاليةِ، متَّبِعًا في ذلك غيرِ مُبتدعٍ، مُسْترشِدًا بمَنْ سَبَقَ مـن عُلمـاءٍ ربَّـانيِّين أجِلَّاءَ، من غيرِ تقْليدٍ يُفْقِدُ مَوْضُوعي طَبِيعَتُهُ أو يُفْقِدُ كَاتبَهُ هويَّتُهُ، وقد جَمَعْتُ مَادتَهُ مـن كلامِ المُفسِّرِيـن، ودَواوِيـن المحـدِّثين، وكُتُـبِ القـرَّاءِ والنَّحْـويين، واجْتهـدتُ في تمْيـيزِ صَحِيحِهِ، وإيضَاحِ مُشْكلِهِ، وتَقريبِ معانِيهِ، وحَذْفِ حَواشِيه من غيرِ إخـلالٍ لمـا يحْتاجُـه من تفْسِيرٍ مُعْتمدٍ، وحَديثٍ مُسْندٍ، ووجْهِ قِراءةٍ للآيات، ووجْهِ إعرابٍ للكلمـات، وقَسَّـمْتُهُ إلى: مقدمةٍ، وتمْهيدٍ، وثَلاثَةِ أبوابٍ، وخاتمةٍ، وفهارسَ متنوعةٍ.

تَناولَت **المقدمةُ** أهميةَ موضـوعِ الدِّراسـة، والإشـارةَ للدِّراسـات السَّـابقة، وأسْـبابَ اخْتياره، وأهْدافَ البحثِ، وَمنْهجيته.

بيْنما تَطَرَّق **التمهيدُ** إلى الحديثِ عمَّا اسْتطاعَ القلمُ أن يُسَطِّرَهُ من هَـدْي رسـول الله ﷺ مع القرآنِ الكريمِ في جميع أحوالِ قراءتِهِ وتدبُّرِهِ وتجويدِهِ واستماعِهِ، وتوابع ذلك.

أما **البابَ الأولَ** فتَناولَ الحديثَ عن أهمِّ المعالمِ التي ينْبني عليها الوقـفُ والابتـداءُ وبيانَ مدى ارْتباطه في جميعِ أقسامِهِ باعْتبارِ المعاني.

وتناول **البابُ الثـاني** كلّ ما يَهمُّ قارئَ القرآنِ عامةً والأئمةَ خاصةً من قواعدَ ومسائلَ ومهماتٍ، وبيانَ أنَّ فِقْهَ الوقفِ يَتطلَّبُ الْتِفَاتَةً إلى تَدبُّرِ المعاني والسِّياقات.

وتناول **البابُ الثالثُ** دراسةً دَلاليَّة اشْتَملت على نَماذجَ مُنْتقاةٍ مـن القـرآنِ الكـريم لبيانِ أثرِ الوقفِ والابتداءِ في تفْسِير القرآنِ الكريمِ، وماذا أرادَ اللهُ منا بهذا القرآنِ.

أما **الخاتمةَ** فقيَّدتُ فيها أهمَّ النَّتـائجِ والتَوْصِـياتِ الـتي وصَـلْتُ إليهـا مـن خـلالِ الدِّراسةِ، وما تَوفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليهِ أنيبُ.

المقدمة

مقدمة

الحمدُ لِلهِ الذي نَزَّل الفُرقانَ على عبدِهِ ليكونَ للعالمينَ نَذِيرًا، والصَّلاةُ والسَّلامُ على عبدِهِ ورسولِهِ محمدٍ الذي أرْسَله هاديًا ومُبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى اللهِ بإذنِهِ وسراجًا منيرًا، وأشهدُ أن لا إلهٰ إلا الله وحده، لا شريك له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

وبَعْدُ: فإن العلومَ وإنْ تَبايَنتْ أُصُولُها، وغرَّبَتْ وشرَّقَتْ فُصُولُها، واخْتَلفتْ أحْوالُهُا، وتَنوَّعَتْ أبوابُهُا، وتغايرتْ مسائِلُها، وأيْمنتْ وأيْسرتْ وسائِلُها، فهي بأسْرِها مُهِمَّةٌ، ومَعْرِفتِهَا على العِلَّاتِ نِعْمَةٌ، لا سِيَّمَا العُلومُ الدينيَّةُ، فهي شَمسُ العُلومِ وضُحاها، وبدرُها وجلاءُ دجاها، وإنَّ أحقَ ما صُرِفتْ إلى عِلْمِهِ العنايةُ، وبلغتْ في مَعْرفَتِهِ الغايةُ، ما كان للهِ في العلمِ به رِضا، وللعالمِ بِهِ إلى سَبِيل الرُّشْدِ هُدى، وإنَّ أَجْمَعَ ذلك لباغِيه كتابُ اللهِ الذي لا ريب فِيه، الفائِزُ بجزيلِ الذُّخرِ وسَنِي الأجْرِ تالِيهُ، الذي لا يأتيه الباطِلُ من بين يديه ولا من خلفه، تنزيلٌ من حكيمٍ حميد، فما أحقَ الأعمارَ أنْ تُفْنى فيه، والأزمانَ أن تُشْغَل به، وإنَّ من أشْرَفِ علومِ القرآن وأجلِّها قدرًا، وأغْلاها مهرًا، وأسْنَاها مبنىً، وأسْمَاها معنىً، وأدقِها فكرًا، وأرقِها سرًا، وأجْلاها بيانًا، وأوضَحِها سبيلًا، وأصَحِّها دليلًا، وأحْسَنِها أثرًا علمَ التفسير، من حيث دَلالَتِه على مرادِ العليم الخبير، وإنَّ من تمامِ معرفةِ دلالاتِ القرآن وتفسيرِه ومعانِيه معرفةَ الوقفِ والابتداءِ فِيه؛ لتعلُّقِهِ بأدائه تِلاوةً وتَرْتِيلًا، وبمعناه تفسيرًا وتَأْويلًا، فهو دُرةُ العِقد بين عُلوم التَّرْتيلِ والتَّأْويلِ، فالوقفُ منازلُ القرآنِ، ومَنْ لم يعرف الوقفَ لم يعلم القرآنَ؛ لأن الوقفَ فرعٌ عن المعنى، ففهمُ المعنى في أغلبِ الأحيانِ- إن لم يكن جميعُها - منوطٌ بمعرفةِ الوقفِ والابتداءِ، وما يسْتَتْبِعه من معانٍ ومقاصدَ، ومن خلال مُلاحظَاتِي لِمَا تَقدَّم رأيت أنْ يكونَ بحثِي لنيلِ درجة العالِمِيَّةِ بعنوان: «**الوقفُ والابتداءُ وأثرهُ في تفسيرِ القرآنِ الكريم**».

أهمية الموضوع:

للكلامِ بحسب المعنى اتْصالٌ يَقبُحُ معه الوقفُ، وانْفِصَالٌ يَحْسُن معه القطعُ؛ لذا فإنَّ مِن نافِلةِ القولِ التأكيدَ على شرفِ علمِ الوقفِ والابتداءِ، وارتباطَه بتأويلِ كتاب الله تعالى، فَهْمًا وإفْهَامًا، لأن الواقفَ يُفسِّرُ، ثُمَّ يَقِفُ، فهو بِوقْفِه على موضعِ الوقفِ يُبيِّنُ وجهَ المعنى الذي يراه، ومَنِ اختارَ وقفًا فإنَّه فَهِمَ المعنى المقصودَ للكلمةِ أوَّلًا ثُمَّ وقفَ، ومَنْ لم يراعِ

الوقفَ بحسب المعنى فلن يَفْهَمَ المعنى؛ بل ربما فوَّتَ على السامع فهْم المعنى أيضًا.

أسباب اختياره:

وثمَّ أسبابٌ كثِيرةٌ جعلتني أطرقُ بابَ هذا الموضوعِ دون غيره؛ بل وأنْشأتْ عندي الدافعَ القويَ لبحثِه، من أهمها ما أُلاحظه - وقد شَرَّفنِي اللهُ تعالى بتعليم القرآن العظيم - من خُلوِّ قراءةِ كثيرٍ ممَّنْ يقرأُ القرآن وخاصةً أئمَّةَ المساجدِ من الاهتمام بهذا الموضوعِ الشريف؛ بل والزهدِ فيه أكبرُ زهدٍ، فكثيرًا ما تسمعُ القارئَ يَقرأُ ويَقِفُ قَبْلَ تمام المعني، فلا يَفهَمُ هو ما يقرأ، ومَنْ يَسمَعُه كذلك، ويَفُوت بسببِ ذلك ما لأجله يُقْرأُ القرآن؛ بل ربما يُفهم من ذلك غيرَ المعنى المراد؛ حتَّى فقدت التلاوةُ جمالَها، وفارَقَ الأداءُ رونقَه وبهاءَه، وقُطع الكلامُ المتصِلُ، ووُقِف على ما يؤدي معنىً قبيحًا، وابْتُدِأ كذلك، وربما شَعَرَ ببعض ذلك فاعلُه، ولم يَشْعُرْ بأكثرِه، وقد تناسَى هؤلاء - أنَار اللهُ بَصائِرَهُم- أن حال تالي القرآنِ مع السامع كحالِ الدليلِ مع المستدِل، فالمُسْتَدِلُ يتبعُ أثْرَ دليلِه حيثُما توجه، ويقفُ حيثُ وقف، والتالي لكتابِ الله كذلك، فهو بِصوته وأدائِه ووقوفِه يفسِّرُ القرآنَ، ويستخرجُ المعاني، ويُلفتُ النَّظرَ أيَّان اقتضى الأمرُ؛ فإذا كان ذلك كذلك، فأنَّى لنفوسٍ تعطَّشت إلى كتابِ الله عَطَشَ الظمآنِ في يومٍ صائِفٍ إلى الماء البارد، أنَّى لها أن تتدَّبر كتابَ ربِها حق التدبُّر، وتتعقَّلَه حقَّ التعقُّلِ، والقارئُ لا يعينُها على ذلك؛ لذا كان هذا الموضوع «**الوقف والابتداء وأثره في تفسير القرآن الكريم**».

الدراسات السابقة:

لقد كان لموضوعِ الوقف والابتداء وارتباطِه بعلومِ الشريعة ولا سِيَّما عِلْمَ التفسير الحظُّ الأوْفرُ من النَّقْلِ والضَّبْطِ والتَّصْنِيفِ والتَّحْقيقِ قديمًا وحديثًا؛ إذ لا يتأتى لأحدٍ معرفةُ معاني القرآن، و لا اسْتِنباط الأدلَّة الشرعية منه إلا بمعْرفةِ الفواصل، وقد وَقفْتُ على عددٍ من الدِّراسَات التي تُبْرِزُ بعضَ جوانبِ هذا الموضوعِ، فرأيتُ أنه مازال يحتاجُ إلى المزيدِ من الإيضاحِ والتجليةِ والبيانِ، خاصةً فيما يتعلَّق بروحِ المعاني ودلالةِ الألفاظِ، فذاك بحرٌ لا تُدرَكُ سواحلُه ومازال المجالُ فيه واسعًا لإعْمال الفكْر والنظر، وسيظلُّ كذلك ينْبوعًا لا ينضبُ، وموردًا لا يكسدُ، ، ولم لا ؟ وهو المعجزة الخالدة؛ حتى يرث اللهُ الأرْضَ ومَنْ عليها **ومن أهم الدراسات التي وقَفْتُ عليها**:

١- **الوقفُ والابتداءُ عند النحاة والقراء**، خديجة مفتي، رسالة دكتوراه، جامعة أم

القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٦هـ.

٢- **وقوف القرآن وأثرُها في التفسير**، مساعد الطيار، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤١٤هـ.

٣- **الوقفُ والابتداءُ وصلتُهما بالمعنى في القرآن الكريم**، عبد الكريم عوض صالح، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر الشريف، ١٤١٥هـ.

٤- **الاختلافُ في وقوفِ القرآنِ**، عادل بن عبد الرحمن السنيد، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٢هـ

٥- **وقوفُ نافعٍ ويعقوبَ وأثرُها على التفسير**، سمية بنت إبراهيم الناصر، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٤هـ.

أما **الدِّراسَةَ الأولى** فقد ركَّزتْ على الجانب اللغوي والنحوي ، وأما **الدِّراسَةَ الثانية** فقد اقتصرتْ على دراسةِ ثلاثةِ أنواعٍ من الوقوفِ دون غيرها، وهي: الوقفُ اللازم، والوقفُ الممنوع، ووقفُ المعانقةِ، وأما **الدِّراسَةَ الثالثة** فهى مُحاولةٌ جادةٌ لطَرْقِ هذا الموضوع ولَفْتِ الأنظار إلى أهميته، وهي لبنةٌ في هذا البناءِ الشامخِ، غير أن الاصطلاحاتِ اللفْظِيةَ قد غلبت على المعاني الدَّلاليَّة فيها، وأما **الدِّراسَةَ الرابعة** فقد ربطتْ بين وقوفِ المصاحفِ وما تخفيه من مكنوناتٍ بلاغيةٍ وتفسيريةٍ ونحوية، وأما **الدِّراسَةَ الخامسة** فقد اختصت بجمْعِ وقوفِ أشهرِ قارِئيْن عُنِيا بالوقف والابتداء من القُرَّاء العشرة، وإبرازِ منهجيْهِما ودراسة مصطلحاتِهما، والمقارنةِ بين وقوفِهِمَا، وإبرازِ قيمتها العلمية.

الجديدُ الذي ستُقدِّمُه هذه الدِّراسَةُ:

تُعْنَى هذه الدِّراسَةُ ببيانِ أحدِ أوجهِ المعاني الدَّلالِيةِ في القرآن الكريم من خلال الارتباطِ الوثيقِ بين تفسيرِ القرآن الكريم وفَهْمِ مراد الله من جهةٍ، وبين ما ينبغي أن يوقف عنده وما لا يوقفُ، وما يَصِحُّ الابتداء به وما لا يَصِحُّ من جهة أخرى، وهي تحْملُ بين دفَّتَيْهَا إضاءاتٍ للأئمَّةِ في الوقفِ والابتداء، وهي رسالةٌ إلى أهل القرآن عامةً، وإلى أئمَّة المساجدِ خاصة، أَرصُدُ فيها كلَ ما يَهُمُّ الإمامَ عند تلاوةِ القرآن، من مَسائلَ مُهمات، أو قواعدَ جامعات، أو تنْبيهاتٍ نافعات، أو محْذوراتٍ ممنوعات، أكثرَها متفرقٌ في ثَنايا المَوْسُوعاتِ، جَمَعْتُ شَتَاتَهَا، واحْتَويْتُ أطْرافَهَا، وناقَشْتُها بما تَيسَّرَ لي من أدوات البحثِ والاجتهاد، ثم نَظمْتُها في سِلكٍ من التبويبِ والمعالجةِ السهلةِ الميسَّرةِ؛ ليسهُلَ الرجوعُ إليها

دون إطالةٍ أو إمْلال.

منهج البحث:

وسوف أسْلُكُ فيه ـ إن شاء الله ـ مَسْلكَ الجَمْعِ بين الدّراسَةِ النظرية بتتبُّع أقوالِ السابقين وتَفْنيدِها، والدِّراسَةِ التطبيقية باسْتعراض آياتِ الذِّكر الحكيم وتحْليلِها، والدِّراسَة الدَّلاليَّة باستخراج ما في الآيات من الدَّلالاتِ وبيانِها، كُل ذلك مع الْتِزام الإيضاح والتجْليةِ والتبسيطِ والمعالجة السَّهلة الميسَّرة للمسائلِ المَطرُوحة حولَ هذا الموضوع؛ ليَسهُلَ الاستفادةُ به لاحقًا من عموم المسلمين. هذا، ولم أتعرّضْ لتحريرِ مبحثٍ أو مطلبٍ إلا بعد جمع مادته العِلْمية، والرجوع إلى ما أمكنني الاطّلاعُ عليه من الكُتبِ المؤلَّفة فيه كبيرِها وصغيرِها، ولم أكتبْ شيئًا إلا بعد أن أعتقدَ صِحَّتَه، وأطْمَئنَ إليه، وأراجعَه أكثرَ من مرة. وقد جمعتُ مادته من كلامِ المفسِّرين، ودواوين المُحدِّثين، وكُتُبِ القرَّاء والنحْويين، واجتهدتُ في تمييزِ صحيحِه، وإيضاح مُشْكلِه، وتقريب مَعانِيه، وحذْف حواشِيه من غير إخْلالٍ لِمَا يحتاجُه من تَفْسيرٍ مُعْتَمد، وحديثٍ مُسْند، ووجْهِ قراءةٍ للآيات، ووجْهِ إعْرابٍ للكلمات؛ رغبةً في الوصول إلى بيان المعاني والمقاصدِ والدَّلالات، متَّبِعًا في ذلك غيرِ مُبْتَدِعٍ، مسترشدًا بمَنْ سبق من علماءٍ ربانيين أجِلَّاءَ، أفْنَوا زهرةَ عُمْرِهم في خدمةِ كتاب الله، من غير تقليدٍ يُفْقِدُ هذا الموضوع طبيعتُه، أو يُفْقِدُ كاتبَه هويَّتُه، فَفُهُومِ الناس على جلالها يَعْتَرِيها النقص، وكم ترك الأولُ للآخرِ؟

أما بالنسبة للخطواتِ التي على ضوئها سأقومُ بجمْع المادةِ العلميةِ، وطريقةِ عرضِها، ومنهجي في ذِكْرِ الأحاديثِ والآثارِ، وإثباتِ مواضعها، وترجمةِ الأعلامِ فيمكن تلخيصُها في النقاط التالية:

١- ألتزِمُ بتأصيلِ المادةِ العلميةِ بأدِلَّتها الشرعية من الكتابِ والسُّنَّةِ، وبما اشتهر وثبت من أقوال الصحابة والتابعين والأئمةِ الأعلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

٢- كتابةُ الآيات بالرسم العثماني وفقَ رواية حفص عن عاصم مع بيان رقمِ الآيةِ وذِكرِ السورةِ التي وردت بها بين معقوفين عقب الآية مباشرة.

٣- تخريجُ الأحاديثِ الواردة بالبحث، وعَزْوِها لمصادِرها من كُتُبِ السُّنَّة، وبيان أقوالِ العلماءِ في صِحَّة الحديث، فإن كان الحديثُ في الصَّحِيحين أو في أحدهما فإنني أكتفي بتخريجِه مما كان فيه منهما، وإن كان في غيرهما خرَّجته كما تقدم،

مبينًا الحكم عليه من حيث القبولِ وعدمه.

٤- الاعتمادُ على المصادرِ الأصيلةِ في المسائلِ العلميةِ وفقَ التَخصُّصِ الدقيقِ لكل مسألةٍ.

٥- التعريفُ بالمصطلحات العلمية المُتَعلِّقةِ بعلمِ التفسير وعلومِ القرآن، وغيره من العلوم، وذلك بالرجوع إلى مظانِ هذه العلومِ، وكُتُبِ التعريفات.

٦- أقوم بشرح الكلمات الغامضة التي قد تَرِدُ في البحث من المعاجم المختلفة.

٧- التَّرجمة المُوجزةُ لأعلامِ البحث في أول موضع لذِكره باستثناءِ مشاهيرِ الصَّحابة.

٨- إسناد كلِ نَقْلٍ إلى قائلهِ مع ذكرِ المصدرِ، وسأذكر المعلوماتِ اللازمةَ لكل مرجعٍ عند ذكره أولَ مرة، ثم أكتفي بذكر اسم الكتاب فقط عند تكراره.

٩- إثباتُ علاماتِ الترقيم اللَّازمةِ لإيضاحِ النص وتمييزه؛ كالأقواس المُزهَّرة ﴿ ﴾ للآيات، والقوسين الكبيرين ( ) للكلمات، والقوسين الصغيرين المكررين « » للأحاديثِ والآثارِ والنصوصِ المنقولة، وغير ذلك كالنقطتين، وعلامات الاستفهام ونحوهما.

١٠- قد أكَرِّرُ - عن عمد - إيرادَ بعضِ الأمثلة؛ لمناسبةِ الحالِ واقتضاءِ المقام في كلِ مرةٍ.

خطة البحث:

وتشتمل على: مقدمةٍ، وتميهدٍ، وثلاثة أبوابٍ، وخاتمةٍ، وفهارس عامة.

تناولتْ **المقدمةُ**: أهميةَ الموضوعِ، وأسبابَ اختياره، والإشارةَ للدِّراسات السابقة، وأهدافَ البحث ومنهجيته.

أما **التمهيدَ** بين يدي البحثِ: فقد حَلَّيتُ طَلِيعَتَهُ بِقَبسٍ من هدي رسول الله ﷺ مع القرآن الكريم، وفيه إطْلالةٌ على أحوال قراءتهِ، وتدبُّره، وتجويدِه، وسماعهِ، وخشوعه، وبكائه عند قراءته واستماعه، فهديه ﷺ هُدىً تَنْفَتِحُ معه أَقْفَالُ القُلوبِ لتَقْتَبسَ من أنوارِ المعرفةِ وتجني ثمارَ الفهمِ.

البابُ الأول: «معالمُ لقارئ القرآن الكريم».

وفيه تمهيدٌ وخمسةُ فصولٍ وتحت كلِ فصلٍ عددٌ من المباحثِ والمطالب:

أما **التمهيدَ**: ففيه إشارة إلى أهمِ المعالمِ التي ينبني عليها الوقفُ والابتداءُ، ومدى ارتباطِه في جميعِ أقسامِه باعتبار المعاني ودلالتِه عليها، أو دلالتِها عليه؛ إذ لا تنفع القارئَ الرِّوايةُ في القرآن إذا قَصُرت به الدِّرايةُ في الفهم.

الفصل الأول: فضائلُ القرآنِ الكريم وأهلِهِ العاملين.

الفصل الثاني: علمُ الوقف والابتداء تعريفًا ونشأةً وتصنيفًا.

الفصل الثالث: علم التفسير تعريفًا ونشأةً وتصنيفًا.

الفصل الرابع: الوقفُ والابتداء وارتباطه بعلم التفسير.

الفصل الخامس: علامات الوقف والتجزئة المشهورة بالمصاحف.

البابُ الثاني: «**إضاءاتٌ للأئمَّةِ في الوقفِ والابتداء**» وفيه تمهيدٌ وأربعة فصول وتحت كل فصلٍ عدد من المباحث والمطالب أيضًا:

أما **التمهيدَ**: ففيه تَذْكِيرٌ لإمامِ المسجد بأنَّ المكانَ الذي يقفُ فيه - محرابَ المسجد- له مكانتُه وقداستُه؛ ليسْتَحضِرَ تلك العظمة وهو يقفُ بين يدي الله، ويَسْتَشْعِرَ تلك المسؤوليةَ، وقد تصدَّرَ الناسَ ووقف أمامهم؛ ليتلو كلامه، ويترنَّم بآياتِه، فيحرصَ على أن يُفْهِم المسْتَمعِين في الصلاةِ وغيرِها، وأن يكون وقْفُه عند كلامٍ مستغنٍ أو شبيه، وأن يكون ابتداؤه حسنًا.

الفصل الأول: أقسام الوقف والابتداء فيما يخص الإمام.

الفصل الثاني: مواضع يقبح للقارئ الوقف عليها والابتداء بما بعدها.

الفصل الثالث: مواضع يحسن الوقف عليها والابتداء بما بعدها.

الفصل الرابع: مواضع الوقف على أحرف المعاني والابتداء بها.

البابُ الثالث : «**أثر الوقف والابتداء في التفسير .. دِّراسة دَّلاليَّة**» وفيه تمهيد وفصلان.

أما **التمهيدَ**: ففيه تعريفٌ بطبيعةِ الدِّراسةِ وحدودِها، والمنهج المتَّبع فيها.

الفصل الأول: وفيه بيانُ مَفْهُوم الدَّلالَةِ في القرآن الكريم، وما يقتضيه هذا اللفظُ

من الوصول إلى المعنى.

الفصل الثاني: ويشْتمل على دراسة دلاليَّة لعشرين موضعًا من القرآن الكريم- مع الإشارة إلى نظائرها في المواضع الأخرى من السِّور - وكان الانتقاء مبنيًا على استيعاب جميع أنواع الوقوف اللازمة والجائزة والممنوعة ، وما يندرج تحتها من ألقاب الوقوفِ الأخرى، أرجو أن أكون قد وفِّقتُ في هذا الجمعِ، وهي فرصة للتدريب على تعليل أسبابِ الوقفِ وتنمية ملكة الاجتهاد والفهم عن الله.

ويَلِيهُ **الخاتمة** - نسأل الله حسنَها- وفيها أهمُّ النتائجِ والتوصياتِ التي توصَّلْتُ إليها من خلال هذه الدِّراسَة.

ثمَّ الفهارس العامة، وتشتمل على:

[١] فَهرسَ الآيات القرآنية.

[٢] فهرس الأحاديث.

[٣] فهرس الآثار.

[٤] فهرس الأعلام المترجم لهم.

[٥] فهرس المصادر والمراجع.

[٦] فهرس المَوْضُوعات.

وأخيرًا ... فقد بذلْتُ في هذا البحْثِ جُهْدًا أحْتَسِبُه، واصَلتُ فيه الليل بالنَّهار وطالعْتُ من أجل إخْراجِه العَشراتِ من كُتُبِ التفْسِير، وعُلومِ القرآن، والقراءاتِ، وكُتُبِ اللُّغة والمعاجم، والبلاغة، والبيان، ودواوين السُنَّة، ومَرويَّات الأَئمَّة، أداءً مني لجزء من حقِّ كتاب الله العظيم علينا؛ لكنه مع ذلك جُهْدُ المُقِلِّ، فإن أصَبْتُ فذاك ما أردتُّ والفضل لله أولًا وآخرًا ، وإن اعْترى عملي قصورٌ، أو خطأ، أو نسيان فتلك طبيعة الإنسان، ولعل شفيعي في هذا التقصيرِ عِظَمُ الحديثِ في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ واستحالةُ الإحاطة به، والمجتهد يُخْطئُ ويُصِيبُ، فأرجو من ربي عَزَّوَجَلَّ ألا أحرمَ ثوابَ الاجتهادِ، وبالله تعالى التوفيق، وهو المُسْتعانُ سبحانه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

* * *

﴾ تمهيــــــد ﴿

فِي هديه ﷺ فِي قراءةِ القرآنِ، واسْتِمَاعِه، وخُشُوعِه وبُكَائِه عند قراءتِه واسْتِمَاعِه وتَدَبُّره وتَحْسِينِ صَوْتِه به، وتَوابِعِ ذلك

تمهيـــد

كان هديُ رسولِ اللهِ ﷺ في قراءةِ القرآن واسْتماعِه، وخُشوعِه وبُكَائِه عند قِراءتِه واسْتماعِه، وتدبُّره، وتحْسينِ صَوْته به، خيرَ الهَدي، وأطيبَه، وأنفعَه، فهو هُدىً تَنفتحُ معه أقفالُ القلوبِ؛ لتقتبسَ من أنوارِ المعرفةِ، وتجني ثمارَ الفَهمِ[1]:

فكان رسول الله ﷺ إذا همَّ بقراءةِ القرآن الكريم امتثل أمرَ ربِه بالاستعاذة من الشيطان الرجيم.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[النحل: ٩٨] فكان ﷺ يَسْتعيذُ عند بدايةِ القراءةِ، فيقول: «أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم»[2] ومعنى الاستعاذةِ: الالتجاءُ والاعتصامُ بالله من الشَّيطان الرجيم، ووساوسه وخُطواتِه التي يصدُّ بها عن تدبُّرِ القرآن والعمل به، وذلك تمهيدًا للجوِّ الذي يُتلَى فيه كتابُ الله، وتطهيرًا له من الوسوسةِ، واتجاهًا بالمشاعرِ إلى الله خالصةً، لا يشغلُها شاغلٌ من عالم الرِجسِ والشرِ الذي يُمثِّلُه الشَّيطان[3].

---

(١) **ينظر**: زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المشهور بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ): ص١٥٩ وما بعدها، تحقيق/شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، ط/مؤسسة الرسالة، بيروت، الأولى، ٢٠٠٩م، فقه قراءة القرآن الكريم، للشيخ سعيد يوسف مدرس القرآن الكريم وعلومه بالأزهر الشريف: ص٢٤ وما بعدها ط/مكتبة السنة بالقاهرة، الثانية، ٢٠٠٣م .

(٢) **ينظر**: المسند للإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) رقم (٣٨٣٠)، شرحه ووضع فهارسه/أحمد محمد شاكر وحمزة أحمد الزين، ط/دار الحديث بالقاهرة الأولى، ١٩٩٥م، سنن أبي داود للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السِجسْتَاني (ت٢٧٥هـ)، رقم (٧٦٤)، تحقيق الشيخ/محمد ناصر الدين الألباني، ط/مكتبة المعارف للنشر والتوزيع بالرياض، سنن ابن ماجه للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني، (ت ٢٧٣هـ)، رقم (٨٠٧)، تحقيق/عصام موسى هادي، ط/مؤسسة الريان للطباعة والنشر، الأولى، ٢٠١٠م.

(٣) للاستعاذة معانٍ ومباحثُ ومسائلُ عديدة. **ينظر**: تفسير القرطبي المسمى الجامع لأحكام القرآن للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت ٦٧١هـ): ١/١٣٥ وما بعدها، تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة بيروت، الأولى، ٢٠٠٦م، وتفسير ابن كثير =

وكان ﷺ لا يعرفُ انتهاءَ السُّورة حتى تنزلَ عليه «بسم الله الرحمن الرحيم» .

كما في قوله ﷺ «لقد أُنزلتْ عليَّ آنفًا سورةً فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١] حتى ختمها»(١).

ومعنى ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾أي: أبدأُ بسم الله، وبعونه وتوفيقه، وبركته، وهذا تعليمٌ من الله تعالى لعباده ليذكروا اسمه عندَ افتتاحِ القراءةِ وغيرِها، وهي تُسْتَحبُّ في أولِ كل عملٍ وقولٍ تيمنًا وتبركًا واستعانة على الإتمام والقبول فبسم الله إذن يكون كل ابتداء وباسمه إذن تكون كلُّ حركةٍ وكلُّ اتجاهٍ (٢)

وكان له ﷺ حزبٌ يقرؤه ولا يُخِلُّ به، وكان يقرأُ القرآن قائمًا وقاعدًا ومُضَّجِعًا ومتوضًأ ومحدثًا، وفي سَيْرِهِ ورُكُوبِه، وسائِرِ أحواله، ولم يكن يمنعه من القراءة شيء ﷺ إلا الجنابة

قال تعالى: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ [المزمل: ٢٠].

وهكذا ينبغي أن يكون المسلم أو المسلمة، فمع النظر، ومع اعتبار الأعذار لابد لكلِ مسلم ومسلمة من تلاوة في كتاب الله، لابد لكل يومٍ من نظرةٍ في كتاب الله.

وكانت قراءته ﷺ تَرْتيلًا، لا هذًّا كهذِّ الشِّعْرِ، ولا عجلةً بالإسراع في القراءةِ، بل قراءةٌ مُفَصَّلةٌ حرفًا حرفًا، لو أراد السامعُ أن يعد حروف قراءته لعدَّها، قراءةً ليْنةً سهْلةً، وكان يُقطِّع قراءته آيةً آيةً، ويقف على رؤوس الآي، ولا يصلها بما بعدها ويمد بها صوته.

قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ [المزمل: ٤].

= المسمى تفسير القرآن العظيم، للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ): ١ /٥٨، ط/ دار مؤسسة قرطبة بالاشتراك مع مكتبة أولاد الشيخ للتراث بمصر، تفسير الظِّلال المسمى في ظلال القرآن، بقلم/ سيد قطب: ٢١٩٤/٤، ط/دار الشروق، بيروت، الثانية والثلاثون، ٢٠٠٣م.

(١) ينظر: صحيح مسلم للإمام/مسلم بن الحجَّاج القشيري النيسابوري (٢٦١هـ)، بشرح الإمام/ أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (٦٧٦ هـ)، باب حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة: ١١٢/٤، ط/ المطبعة المصرية بالأزهر، الأولى، ١٣٤٧هـ.

(٢) للبسملة مباحث ومسائل عديدة. **ينظر**: تفسير القرطبي: ١٤٢/١ وما بعدها، وتفسير ابن كثير: ٦١/١ وما بعدها.

وعن أم سلمة[1] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها سُئِلت عن قراءة رسول الله ﷺ فقالت: «قراءة رسول الله ﷺ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ① الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ② الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١-٣] يقطِّع قراءته آية آية، وفي رواية: كان إذا قرأ قطَّع آية آية يقول: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ثم يقف، ثم يقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ثم يقف... الحديث»[2].

وهذا كلُّه يدلُّ على أن هناك صفةً معينةً، وكيفيةً ثابتةً لقراءةِ القرآن الكريم، لا بدَّ لكلِ مسلمٍ ومسلمة من تَعلُّمِها والاجتهاد في تحقيقها عند تلاوته، هذه الصفةُ هي التي اصطُلح على تسميتها بعد ذلك بعلم التجويد، وهو وإن كان صناعةً علمية لها قواعدها فإنه لا يُكْتسب بالدِّراسة بقدر ما يُكْتسب بالممارسة والتلقِّي على الأساتذة المتقنين لحروفه المجيدين لكلماته على الصِّفة المُتلقّاة عن أئمَّة القراءةِ المتصل سندهم إلى رسول الله ﷺ[3].

وكان ﷺ يتغنَّى في قراءته بالقرآن - أي يحسِّن به صوته - ويرجِّع في قراءته له أحيانًا، ويترنِّم به، وما سُمع أحسن من صوته بالقرآن.

فعن جُبَيْر بن مطعم[4] قال: «سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥] كاد قلبي أن يطير»[5].

(١) هي أم المؤمنين هند بنت أبي أمية بن عبد الله المخزومية من المهاجرات الأُوَّل، كانت ذات رأي رجيح، وأخذ النبي ﷺ برأيها يوم الحديبية، وقد روت العديد من الأحاديث النبوية، عاشت نحو من تسعين، وتوفيت سَنة (٥٩هـ)، وقيل بعد ذلك بعام أو عامين، وهي آخر من مات من أمهات المؤمنين. **ينظر**: سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي، تحقيق د/بشار عواد معروف: ٢٠١/٢، ط/مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه باب استحباب ترتيل القراءة رقم (١٤٦٦)، وقال الحاكم: صحيح علي شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وقال الدَّارقطني: إسناده صحيح، وكلهم ثقات، ورواه أبو عمرو الدَّاني وقال: ولهذا الحديث طرقٌ كثيرة، وهو أصلٌ في الباب، فالحديث صحيح. **ينظر**: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل للعلامة/محمد ناصر الدين الألباني: ٥٩/٢، رقم (٣٤٣)، ط/ المكتب الإسلامي، دمشق، الأولى، ١٣٩٩هـ.

(٣) **ينظر**: فقه قراءة القرآن الكريم: ص٤١.

(٤) هو جُبَيْر بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي، شيخ قريش في زمانه، وابن عم النبي ﷺ، وهو من الطُلقاء الذين حسُن إسلامهم، وكان موصوفًا بالحلم والنبل كأبيه، وكان شريفًا مطاعًا، وله رواية أحاديث، توفي سنة (٥٩هـ). **ينظر**: سير أعلام النبلاء: ٩٥/٣.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب التفسير: ٦٠٣/٨، رقم (٤٨٥٤). **ينظر**: فتح الباري بشرح صحيح أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، للإمام الحافظ/أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) ط/المكتبة السلفية.

وكان جُبَيْر إذ ذاك مُشْرِكًا، فكان سماعُه هذه الآية من هذه السورة من جملة ما حمله على الدخول في الإسلام بعد ذلك.

وذلك لأن تزْيِين القرآن وترجيع الصوت به والتغني بقراءته أوْقعُ في النفوس، وأدْعى إلى الاستماعِ والإصغاءِ إليه، ففيه نفاذٌ للفظ إلى الأسْماع، ومعانيه إلى القلوب؛ وذلك عونًا على المقصود.

وكان ﷺ إذا شرع في قراءة القرآن الكريم شأنُه التدبُّر، والخشوعُ والتفكُّرُ، والدَّلائلُ على فعله ذلك أكثر من أن تُحْصَر.

فعن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «صَلَّيتُ مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح سورة البقرة فقرأها، ثم النِّساء فقرأها، ثم آل عمران فقرأها، يقرأُ مترسِلًا، إذا مَرَّ بآية فيها تسبيح سبَّح، وإذا مَرَّ بسؤال سأل، وإذا مَرَّ بتعوُّذ تعوَّذ... الحديث»(١).

وهذا من كمال التدبُّر، وفوائدِ التفكُّر، وهكذا ينبغي لتالي القرآن أن يشْغَلَ قلبَه بالتفكير في معنى ما يقرأُ، أو يَسْمَعُ، ويتأمَّلُ كيف لَطَفَ اللهُ بخَلْقِه في إيصال معاني كلامه إلى أفهامهم، ويستحْضِرُ عظمةَ المتكلِّم سبحانه ويتدبَّرُ كلامَه، ويتفهم معانيه، ويتجاوَبُ مع كل آية بمشاعره وعواطفه، ويتأمَّلُ الأوامر والنواهي، فإن كان ممَّن قصر فيها فيما مضى اعتذر واستغفر، وإن كان مِمَّن وُفِّقَ للعمل بها شَكَر وكبَّر، وإن مرَّ بآيةٍ رحمةٍ استبشر وسأل، وإن مرَّ بآية عذابٍ أشْفق وتعوَّذ، إلى غير ذلك من معاني الآيات والسور، وهذا منطقٌ واضحٌ بسيطٌ، يدركه كلُّ إنسان أيًّا كان حظه من العلم، فتُحرِّك قلبه ووجدانه نحو الخالق العظيم سبحانه.

وكان ﷺ يُحبُّ أن يَسْمع القرآن من غيره، وأَمَرَ عبد الله بن مسعود، فقرأ عليه وهو يسمع، وخشع ﷺ لسماع القرآن منه؛ حتى ذرَفت عيناه الدموع.

فعن عبد الله بن مسعود أنه قال: «قال لي رسول الله ﷺ: اقرأ عليَّ القرآن» قلت: يا رسول الله، آقرأ عليك، وعليك أُنزل؟ قال: إني أحب أن أسمعه من غيري، فقرأت عليه سورة النساء حتى إذا جئت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] فقال: «حسبك الآن» فالتفتُّ إليه فإذا عيناه تذرفان»(٢).

(١) أخرجه مسلم، باب استحباب تطويل القراءة: ٨٧/٦، رقم (٢٠٣).
(٢) اخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن: ٩٤/٩ رقم (٥٠٥٠).

وهذه هي الاستجابة الطبيعية حينما يَطْرُقُ القرآن الأسـماع يُحـرِّكُ المـشاعر، ويُزيـل الغشاوةَ، ويسكُبُ النورَ، فيخشع القلب، ويَرِقُّ الفؤاد، ويلين الجلد، فيغلُب البكاء، ولم لا؟ وهو الذِّكْر الإلهي الذي تحيا به القلوب فتنفتح، وتنشرح، وتأنس، وتطمـئنُ، وتلـينُ لذِكْـر الله وما نزل من الحق فتفهمه، وتنقاد له، وتسمع وتطيع، وذلك سر القرآن، فهنـاك لحظـات خاصةً غير مَرْقُوبة تَمسُّ فيها الآية أو السورة موضعَ الاستجابة، فإذا وافقت قلبًا مكشوفًا وحسًّا مرهفًا مفتوحًا نفذت إليه، وفعلت به الذي فعلت، فيكون منها ما يكـون[(١)].

وكان ﷺ إذا قرأ في صلاته يُقطِّع قراءته آية آية، ولا يَصِلَها بما بعدها، وكانـت قراءتـه ﷺ مدًّا، يقف على رؤوس الآي، ويمد بها صوته.

وكان يقول: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)، ثم يقرأ الفاتحة، فيقـرأ ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ يجهر بها تارة، ويخفيها أكثر مما يجهر بها، ثم يقف، ثم يقول: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ثم يقف[(٢)]، وهكذا إلى آخر السورة، فإذا فرغ مـن الفاتحـة، أخـذ في سـورة غيرها، وكان يُطِيلها تارة، ويُخففها لعارضٍ من سـفرٍ أو سُعال أو مـرض أو بكـاء طفـل، ويَتوسَّط فيها غالبًا، وكان ﷺ لا يُعيِّن سورةً في الصلاة بعينها لا يقرأ إلا بهـا إلا في الجمعـة والعيدين، وكان من هديه ﷺ قراءة السُّورة كاملة، وربما قرأها في الركعتين، وربما قـرأ أول السورة وأما قراءة أواخر السور وأواسطِها فلم يُحْفظْ عنه، هذا هو الهدي الذي اسـتمر ﷺ عليه إلى أن لَقِيَ الله عَزَّوَجَلَّ لم ينسخه شيء[(٣)].

وهكذا ... وباعتبار كل ما تقدَّم مما اسـتطاع القلـمُ أن يُـسطِّره كان رسـول الله ﷺ في هديه مع القرآن في كل أحواله؛ حتى بَلغ هذا القرآنُ منـه مبلغًـا عظيمًـا، فأصـبح خلقُـهُ القرآن، وأمسى قرآنًا يمشي على الأرض؛ بل تجاوَزَ تأثيرُ القرآن الكريم عليـه ﷺ مـا هـو أبعد من ذلك أن شِيب شَعْرَ رأسه منه ومن عجائبه وآلائه، وأمره وزجره، ووعده ووعيده.

ففي الحديث «شَيَّبتني هودٌ وأخواتها، وفي رواية: شيبَّتني هود والواقعة والمرسلات وعمَّ يتساءلون وإذا الشَّمْس كورت»[(٤)].

---

(١) **ينظر**: فقه قراءة القرآن: ص٤٩ وما بعدها، نقلًا عن تفسير الظلال: ٣٥٣٢/٦ بتصرف.

(٢) الوقوف على رؤوس الآي سنة أعرض عنها كثير من القراء في هذه الأزمنة، فينبغي أن ينتبـه لذلـك فخير الهدي هدي محمد ﷺ.

(٣) **ينظر**: صفة صلاة النبي ﷺ تأليف/ العلامة محمد ناصر الديـن الألبـاني: ص ٩٧- ١١٦ ط/ مكتبـة المعارف للنشر والتوزيع بالرياض، الخامسة، زاد المعاد في هدي خير العباد: ص٦٧ - ٦٩.

(٤) أخرجه الترمذي: ٣٥٨١/٥ من حديث ابن عباس، وقال: حسن غريـب. **ينظـر**: سـنن الترمـذي، =

فينبغي على كلِّ ذي لبٍ أن يتأسَّى بهذا الهدي النَّبوي، والرَّشادِ المحمَّـدي، وأن يَـسْتقي منه نموذجا لتلقي القرآن الكريم في جميع أحـوال قراءتـه، واسـتماعه، وتـدبره، ويـستعين بذلك علي فهمه، وحسن تلاوته، والعمل به.

وأخيرًا وليس بآخِر، فلا عجب بعدما تقدَّم أن تكون الوصية التي أوصى بها رسول الله ﷺ أمته من بعده هي القرآن خاصة حينما تظهر الفتن. فقد أخبر ﷺ حذيفة بن اليمان بالاختلاف والفُرقة التي ستحدث بعده فقال حذيفة يا رسول الله: بما تَأْمُرني إن أدْركتُ ذلك؟ قال ﷺ: «تعلم كتاب الله واتَّبِعْ ما فِيه قال حذيفة: فأعدتُّ عليه ثلاثًا. فقال ﷺ: تعلم كتاب الله واتَّبِعْ ما فِيه»(١).

سدَّدَ اللهُ الخُطَى، ومنحَ الجميعَ التُّقى، وحسنَ العاقبةِ في الدنيا والآخرةِ.

* * *

= للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت٢٧٩هـ)، تحقيق شعيب الأرنـؤوط، وعبـد اللطيـف حـرز الله، ط/ دار الرسـالة العالميـة، دمـشق، الأولى، ٢٠٠٩م، وهـو في سلـسلة الأحاديـث الصحيحة للعلامة/محمـد نـاصر الديـن الألبـاني: ٦٣٩/٢ رقـم (٩٥٥)، ط/ مكتبـة المعـارف للنـشر والتوزيع بالرياض ١٤١٥هـ، ورواه وهب بن عبد الله السوائي أبو جحيفة بإسناد صحيح. **ينظر**: هدايـة الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة للحافظ/ أحمد بن حجر العـسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تخـريج العلامة محمد ناصر الدين الألباني: ٧٤/٥ رقـم (٥٢٨٣)، ط/ دار ابـن القـيم للنـشر بالدمـام، الأولى، ١٤٢٢هـ.

(١) أخرجه أبو داوود كتاب الفتن والملاحم: ص٧٥٧ رقم (٤٢٤٦)، وحسنه الألباني.

؏ الباب الأول ؎

معالم لقارئ القرآن الكريم

تمهيد :

ولمَّا كان هذا البحثُ خاصًّا بعلم الوقفِ والابتداء وأثره في تفسير القرآن الكريم؛ وجبَ علينا معرفة أهم المعالم التي يَنْبَنِي عليها الوقف والابتداء، ومدى ارتباطه في جميع أقسامه باعتبار المعاني ودلالته عليها، أو دلالَتِها عليه؛ إذ لا تنفَعُ القارئَ الرِّوايةُ في القرآن إذا قصرت به الدِّراية في الفهم، وقد تناولتُ أهم هذه المعالم، وجمعت شَتَاتِها، واحْتَويْتُ أطرافَها دون استطراد فيم انتهى إليه الباحثون تَجافِيًا عن التكرارِ قدْر الإمكانِ؛ لينتظم الحديث عنها وعمَّا يندرِج تحتها من مباحثٍ ومطالبٍ في خمسةِ فصول.

الفصل الأول: فضائلُ القرآنِ الكريم وأهلِهِ العاملين:

وهو بابٌ واسعٌ كبير، ألَّف فيه العلماءُ كتبًا كثيرة، وقد صَحَّ في فضائلِ القرآن الكريم أحاديث باعتبار الجملة، وفي بعضِ السِّورِ على التَّعيين، ووُضِع في فضائلِ القرآن أحاديثٌ كثيرةٌ، أنْتقي مِمَّا صَحَّ نُكَتًا تَدُلُّ على فَضْلِهِ وما أعدَّ اللهُ لأهلِهِ إذا أَخْلَصُوا الطلبَ لوجهه وعَمِلُوا به، إضافةً إلى جملةٍ من الآدابِ والفوائدِ والمقاصدِ التي لا يستغني عن مَعْرِفَتِها كلُّ قارئٍ للقرآنِ الكريمِ، وفيه مبحثان.

المبحث الأول: قُطُوفٌ من فضائلِ القرآن الكريم وأهلِهِ العاملين.

المبحث الثاني: فضائلُ سورٍ وآياتٍ مخصوصةٍ على التَعْيِينِ.

الفصل الثاني: علمُ الوقفِ والابتداء تعريفًا ونشأةً وتصنيفًا:

وفيه تعريفٌ بكلٍّ من الوقفِ والابتداء وأقسامه، وما يُلْحَقُ بهما من القطعِ والسَّكتِ، وبيان لبعض المُصْطلحات التي يكثر استخدامها خلال هذا البحث؛ مثل: القطع والائتناف، والمقاطع والمبادئ، والوصل والوقف، وبيان لأهميته، وتاريخ نشأته، وبدء تدوينه، وكثرة مؤلفات العلماء فيه، وتعريف بأشهر الأئمَّة الذين صَنَّفُوا في هذا العلمِ وبكتبهم، وذكر بعض أقوالهم، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف الوقف والابتداء وبيان أقسامه.

المبحث الثاني: أهمية الوقف والابتداء و نشأته والتصنيف فيه.

الفصل الثالث: علمُ التفسيرِ تعريفًا ونشأةً وتصنيفًا:

وفيه تعريفٌ بعلمِ التفسيرِ، والفرق بينه وبين التأويل، وبيان أوجهِ التفسير، وأقسامه، وحكم كل قسم، وبيان فَضْله، وتاريخ نَشْأته وتطوره، وكثرة مؤلفات العلماء فيه، وتعريف بأشهر المفسِّرين من الصَّحابة والتَّابعين، وأشهر الأئمَّة الذين صَنَّفُوا في هذا العلم وبكتبهم، وذكر بعض أقوالهم، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف علم التفسير وبيان أقسامه

المبحث الثاني: فضل التفسير ونشأته والتصنيف فيه

الفصل الرابع: **الوقفُ والابتداء وارتباطه بعلمِ التفسير**:

وفيه تأكيدٌ على الصِّلةِ الوثِيقةِ بين الوقفِ والابتداءِ والتفسيرِ، وأن كلًّا مِنْهُما مُرْتبطٌ بالآخر؛ إذ الوقف أثرٌ عن فهْمِ المعنى، ومَنْ اختار وقفًا فقد فَسَّر، وليس أَدَلُّ على ذلك مما نجده من اعتناءِ أكثر المفسرين بالوقف والابتداء، والإشارةِ إلى بعضِ مسائله ومواضعه في كثير من الآيات، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: علاقةُ الوقفِ والابتداء بالتفسيرِ وتبيين المعاني.

المبحث الثاني: التكاملُ بين كُتُبِ الوقفِ والابتداء وكُتُبِ التفسير.

الفصل الخامس: **مصطلحاتُ الوقفِ والتجزئةِ وعلاماتِها المشهورةِ بالمصاحفِ**:

وفيه تحليلٌ وبيانٌ لِمُصْطَلحاتِ الوقفِ والوصل والتجزئة وعلاماتِها في أشهرِ طبعاتِ المصحفِ الشريفِ المعتمدَةِ في العالمِ الإسلامي، والتي اسْتقرَّ عليها العمل في العُصُورِ المتأخِرةِ وإلى عصرنا هذا، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مصطلحاتُ الوقف ورموزه.

المبحث الثاني: مصطلحاتُ التجزئةِ ورموزها.

وفيما يلي الكلام بالتفصيل على كلِ معلمٍ من المعالمِ المتقدمةِ، وما توْفيِقي إلا باللهِ عليه توكلتُ وإِلَيْه أُنيب.

﴾ الفصل الأول ﴿

فَضائِلُ القرآنِ الكريمِ وأهلِهِ العاملين

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: قُطُوفٌ من فضائلِ القرآن الكريم وأهلِه العاملين

وفيه تَعرِيفٌ بِفَضْلِ قِرَاءةِ القرآنِ الكريمِ، وتعلُّمِهِ، وتَعْلِيمه، وتَجْويده، وحِفْظِه، وجملة من الفوائدِ المتعلقةِ بذلك، وفيه أربعة مطالب:

- **المطلب الأول**: فضل قراءة القرآن الكريم
- **المطلب الثاني**: فضل تعلُّم القرآن وتَعْلِيمه
- **المطلب الثالث**: فضل تَجْويد القرآن وتَحْسين الصوت به
- **المطلب الرابع**: فضل حِفْظِ القرآن الكريم

المبحث الثاني: فضائلُ سورٍ وآياتٍ مَخْصُوصةٍ على التَّعيين

وفِيهِ نُبْذَةٌ مُنتقاةٌ لبعضِ ما صَحَّ فيه الخبر من فضائلِ الآياتِ والسورِ، وبيان لأهمِ أهدافِ ومقاصدِ القراءة، وفيه خَمْسَةُ مطالب:

- **المطلب الأول**: فضل سورة الفاتحة.
- **المطلب الثاني**: فضل سورة البقرة والآيات منها وفضلها مع آل عمران.
- **المطلب الثالث**: فضل سورة الكهف والآيات منها.
- **المطلب الرابع**: فضل سورة تبارك أو المُلْك.
- **المطلب الخامس**: فضل سورة الإخلاص والمعوِّذتين.

◄ المبحث الأول ►

قُطُوفٌ من فَضَائِلِ القرآنِ الكريمِ وأهْلِهِ العاملين

◄ المطلب الأول ►

فضل قراءة القرآن الكريم

وقد صَحَّ في فَضْلِ قِرَاءتِهِ جُمْلةٌ من الأحاديثِ عن رسولِ الله ﷺ أَذْكُر مِنْهَا:

١- عن أبي أُمَامةَ الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [١] قال: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «اقْرَءُوا القُرآن؛ فإنهُ يأتي يومَ القِيامَةِ شفيعًا لأصْحَابِه»[٢].

لُغَةُ الحَدِيثِ: شفيعًا: أي شافعًا طالبًا المَغفرةَ لأصحابِه، وقوله: «لأصْحَابِهِ»: أي القَارِئين له، والعَامِلين بأحْكامِه وهَدْيِه، والمُتمسكين بأمْرِه ونَهْيِه.

أفادَ الحديثُ: فَضْلُ قِراءةِ القرآنِ، وأن القرآنَ يَشْفَعُ لِقارِئه العامِل بما فيه يومَ القِيامَةِ.

٢- عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حرفًا من كتابِ اللهِ فله حسنة، والحسنةُ بعشْرِ أمثالِها. لا أقول: الم حرف، ولكن: ألفٌ حرف، ولامٌ حرف، وميمٌ حرف»[٣].

لُغَةُ الحديث: كتاب الله: أي القرآن المنزل على رسوله ﷺ.

أفاد الحديث: الحث على تلاوةِ القرآن الكريم، وأن للقارئِ بكل حرفٍ من كلِ كلمةٍ يَتْلُوهَا حَسَنةً مُضَاعَفةً.

---

(١) هو صدي بن عجلان بن وهب الباهلي، من قبيلة باهلة، صحابي فاضل زاهد، روى كثيرًا من العلم، وهو أحد من بايع تحت الشجرة، تُوفِّي سنة (٨٦هـ) في خلافة عبد الملك بن مروان، وقيل: إنه آخر من مات من الصحابة. **ينظر**: تهذيب التهذيب للحافظ أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢ هـ): ٢٠٩/٢، ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٢) أخرجه مسلم في باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة: ٩٠/٦.

(٣) أخرجه الترمذي باب ما جاء في من قرأ حرفًا من القرآن ما له من الأجر: ١٧٥/٥ برقم (٣١٣٥) وقال: حديث صحيح، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته: ١١٠٤/٢ برقم (٦٤٦٩)، ط/المكتب الإسلامي، بيروت، الثالثة، ١٤٠٨هـ.

بعض الآداب والمسائل التي يحتاج إليها قارئ القرآن(١):

* مُراعاةُ الأدبِ مع القرآن بأن يستحْضِرَ القارئُ في نَفْسِهِ أنه يناجي الله تعالى، فيقرأ على حال من يرى الله، فإنه إنْ لم يكن يراه فإنَّ الله يراه، وأنْ يكون ذا سَكِينَةٍ ووقار مُجَانِبًا للذنب مُحَاسِبًا نفسه، يُعْرَفُ القرآن في سَمْته وخُلُقه، ويتأكَّد الأمْرُ باحترام القرآن الكريم، واجتناب الضحك أو اللهو عنده، وتَرْك الحديث في خلال القراءة؛ حتى يفرُغَ منها إلا كلامًا يُضْطَرُ إليه.

* يُسْتَحَبُ للقَارِئِ أن يكون متوضئًا، طاهِرَ الفَمِ باستعمال السِّواك، طاهر البدن بالطيب المستحب تكريمًا لحال التلاوة، لابِسًا من الثياب ما يتجمَّل به بين الناس لكونه بالتلاوة بين يدي المنعم المتفضل، وأن يكون جالسًا في مكان نظيف مختار مستقبل القبلة متخشِّعًا بِسكينةِ ووقار.

* يُسْتحبُ التعوُّذُ قبل القراءة، فإنْ قطعها قطع تَرْك وأراد العَوْدَ جَدَّدَ، وإن قطعها لعذرٍ عازمًا على العودِ كفاه التَعوُّذُ الأوَّل ما لم يُطِلْ الفصل، ولا بُدَّ من قراءة البسملة أول كلِّ سورة سوى سورة (براءة)، وأمَّا في أجزاءِ السور - ولو من الآية الثانية - فالقارئ مخيَّرٌ، إنْ شاء قرأها، وإن شاء اكتفى بالاستعاذة.

* يُسْتَحَبُّ القراءة على ترتيبِ المُصْحف؛ لأن ترتيبه لحكْمة، فتُقرَأُ الفاتحة، ثم البقرة، ثم آل عمران، ثم ما بعدها على الترتيب، ولو خالف الموالاة وقرأ سورة لا تلي الأولى، أو خالف الترتيب، فقرأ سورة، ثم قرأ سورة قبلها؛ جاز ذلك، وهو خلاف الأفضل، وإذا ابتدأ القارئ بسورة، فلا يتحوَّل منها؛ حتى يَخْتمها، ولا يَقرأ من السورة آيتين ثم يَدَعها وينتقل إلى غيرها؛ ليُؤلِّف بين معاني الآيات، فإنَّما يفعله من لا عِلْم له؛ لأن الله لو شاء لأنزله على ذلك.

* يُسْتَحَبُّ لمَنْ قرأ آيةً فيها سجدة أو سمعها أن يُكبِّر ويَسْجد سجدة، والمختار في بيان عدد السجدات أنها أربعَ عشرةَ سجدة مشارٌ إليها بقول (سجدة) في مواضعها من سُورِها بالمُصْحف، وهى في: الأعراف، الرعد، النحل، الإسراء، مريم، الحج وفيه سجدتان،

(١) **ينظر**: البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تحقيق د/ يوسف بن عبد الرحمن المرعشلي وآخرين: ٥٥/٢ وما بعدها، ط/ دار المعرفة، بيروت، الأولى، ١٤١٠هـ، الإتقان في علوم القرآن للإمام خاتمة الحفاظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق الشيخ/ شعيب الأرنؤوط: ص٧١٢، ط/ مؤسسة الرسالة بيروت، الأولى، ١٤٢٩هـ، التبيان في آداب حملة القرآن للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، تحقيق/ محمد الحجَّار: ص١٣ وما بعدها، ط/ دار ابن حزم، بيروت، الرابعة، ١٩٩٦م، زاد المعاد في هدي خير العباد: ص١٥٩ وما بعدها، فقه قراءة القرآن الكريم: ص٢٤ وما بعدها.

الفرقان، النمل، السجدة، النجم، الانشقاق، الأعلى. وزاد البعض عليها: سجدة سورة ص. ويُسبِّحُ في سُجُوده بما يُسَبِّحُ به في سُجود الصَّلاةِ، ويدعو بما شاء.

* ينبغي لتالي القرآن أن يَنْظُرَ كيف لَطَفَ الله بخَلْقه في إيصال مَعاني كلامه إلى أفْهامِهم، وأن يَسْتَحْضرَ عظمةَ المتكلمِ سبحانه، ويَتدبَّر كلامه، ويَتفهَّم معانيه، وما أراد الله مِنَّا بهذا القرآن، ويُطبِّع نفسه على قبول ما جاء به قبولًا ينعكس أثْرُه، ويَظهَرُ في العمل والتنفيذ، وأن يَستوْضِح من كلِّ آيةٍ ما يليق بها، ويَتفهَّم ذلك.

* ينبغي لتالي القرآن أن يُحْضِرَ قلْبه الخُشُوع، وما يحمِلُ على البكاء حال القراءة بأنْ يتأمَّلَ ما في القرآن من التهديد والوعيد، وهو صفة العارفين وشِعار الصالحين، فإنْ لم يَحْضرْه حزن وبكاء فليَبَكِ على فقْد ذلك، فإنه مِنْ أعظم المصائب.

* ينبغي للقارئ إذا ابتدأ من وسْط السورة، أو وقف على غيرِ آخرها أن يبتدِئ من أولِ الكلام المرتبط بعضه ببعض، وأن يقف على الكلام التام، ولا يتقيَّد بالأعشار والأرباع، فإنها قد تكون في وسْط الكلام المتعلّق بما قبله.

* ينبغي لتالي القرآن أن يغتنم من الأوقات الفاضلة التي يُستحبُّ فيها الإكثار من قراءة القرآن كشهرُ رمضان وخاصة العشر الأواخر منه؛ ولذلك كان السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يخصِّصون جزءًا كبيرًا من وقتهم في رمضان لقراءة القرآن، وكان الشافعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ يختِمُ القرآن في كلِّ يوم وليلة من شهر رمضان ختمتين، فهذه المواسم قد خَصَّها الله بمزيدٍ من الفضْل والمثوبة على الطاعات، ولا سبيل لاغتنامها أعظم من قراءة القرآن؛ لِمَا له من الفضيلة على غيره من الأذكار والأعمال.

*** مسألة هل قراءة القرآن من المصحفِ أفضل أم القراءة عن ظَهرِ قلب؟**

فيه تفصيل، والمدار في هذه المسألة على الخشوع، فإنْ كان الخشوع أكثر عند القراءة عن ظهْر قلْبٍ فهو أفضل، وإنْ كان عند النظر في المصحف أكثر فهو أفضل، فإن استويا فالقراءة نَظَرًا أولى - لمن كان قادرًا على ذلك - لأنها أثبت وتمتاز بالنَّظرِ إلى المصحفِ، والنَّظرُ فيه عبادةٌ مطلوبة.

*** مسألة هل الجهر بالقراءةِ أفضل أم الإسرار؟**

فيه تفصيل، وتقديم أَحدُهما على الآخرِ مَدارُه بحسب المصالحِ والمفاسدِ المترتبة عليه، والجمع بين هذه الأقوال أن الإسرار أبعد عن الرياء والتصنُّع، فهو أفضل في حق مَنْ يخاف ذلك على نفسه، فإن لم يخف الرياء فالجهر ورفع الصوت أفضل؛ لأن العمل فيه أكثر، ولأن فائدته تتعدَّى إلى غيره، ولأنه يُوقظُ قلْبَ القارئ، ويزيد في نشاطه.

*** مسألة مقدار القراءة:**

اختلفت فيه عادات السلف، **فمنهم** من كان يَخْتِمُ القرآن كلَّ يومٍ وليلةٍ ختمة، **ومنهم** من كان يَخْتِمُ في كلِّ ثلاثٍ ختمة، **ومنهم** من كان يَخْتم في كلِّ أسبوعٍ، **ومنهم** من كان يَخْتم في كل شهر اشتغالًا بالتدبُّر أو بنشر العلم أو بتعليمه أو بغيره من اكتساب الدنيا، **والمختار** وعليه أكثرُ المحققين أن ذلك يختلف باختلاف حال الشخص في النشاط والضعف والتدبر والغفلة، وأن أَوْلَى الأمور ما لا يمنع الإنسان عن أشْغَاله المهمة، ولا يُؤْذيه في بدنه، ولا يَفُوتُهُ معه الترتيلَ والفهم، المهم أن يكون لكل يومٍ نَظْرةً في كتاب الله، فمع النَّظر ومع اعتبارِ الأعذار، لابد لكُلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ من تلاوةٍ في كتابِ الله لابد لكل يومٍ من نَظْرةٍ في كتاب الله.

*** مسألة القراءة من المصحف في الصلاة:**

فالبعض كَرِهَهَا، **والمختارُ** أنّها جائزة؛ لأن الحاجةَ قد تدعو إليه، فلو قرأ القرآن من المُصْحَف صَحَّتْ صلاته؛ سواء كان يحفظه أم لا، ولو قَلَّبَ أوراقه، وكانت أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يَؤُمُّها عَبْدُها ذكوان من المصحف[1].

*** مسألة قراءة القرآن عند القبور، حال الدفن وبعده :**

لا أصْل لهذه المسألة في السُّنَّة؛ إذ لو كانت مشروعة لفَعَلَها رسول الله ﷺ وعلَّمها أصحابه، ولو أنه ﷺ علَّمهم شيئًا من ذلك لنُقِل إلينا، فإذا لم يُنقلْ بالسَّند الثابت دلَّ على أنه لم يقع، ومن قال إن الميِّت ينتفع بسماع القرآن ويُؤجَرُ على ذلك، فقد أخطأ، فالميت بعد الموت لا يثاب على سماع ولا غيره، إلا ما استثنى من قوله ﷺ: «إذا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطع عَمَلُهُ إلا من ثَلاثةٍ: إلا من صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ يُنتفَعُ به، أو ولدٍ صالحٍ يَدْعُو لَهُ»[2].

مسألة هل يشرع المحافظة على قول: «صدق الله العظيم» عقب تلاوة القرآن؟
لم يرد عن رسول الله ﷺ دليل يفيد ذلك، وخير الهدي هدي **محمد** ﷺ، وسبق الإشارة إلى ذلك في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: أن النبي ﷺ أوقفه بقوله: «حسبك الآن»[3]، فلو كان قول «صدق الله العظيم» عقب انتهاء القراءة مشروعًا؛ لأشار إليه النبي ﷺ بقوله: «قل صدق الله العظيم»، غير أنه لا حرج ولا إثم على من قالها، والله تعالى أعلى وأعلم.

---

(١) أخرجه البخاري، باب إمامة العبد والمولى: ١٨٤/٢.
(٢) أخرجه مسلم، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته: ٨٥/١١.
(٣) الحديث سبق تخريجه في المبحث التمهيدي: ص١٣.

المطلب الثاني

فضل تَعلُّمِ القرآن وتَعْلِيمه

١- عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١] قال: خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصُّفْة فقال: «أَيُّكم يُحِبُّ أن يغدو كل يومٍ إلى بُطْحان، أو إلى العَقِيق، فيأتي منه بناقتين كوْماوين في غير إثمٍ ولا قطع رحم. فقلنا: يا رسول الله: نحب ذلك قال: أفلا يَغْدُو أحدكم إلى المسجد، فَيعْلم أو يَقْرأ آيتين من كتاب الله خيرٌ له من ناقتين، وثلاثٌ خير له من ثلاثٍ، وأربعٌ خير له من أربعٍ، ومن أعْدادهن من الإبل» [٢]

لغة الحديث: **الصُّفة**: موضع مُظلَّل من المسجد النَّبوي كان فقراءُ المهاجرين يَأْوون إليه. **يَغدُو**: أي يذهب في الغدوة وهو أول النهار. **بُطْحان**: بضم الباء وإسكان الطاء، موضع بقرب المدينة . **الكوماء** من الإبل: بفتح الكاف أي العظيمة السَّنام.

أفاد الحديث: الندب والحثّ على قَصْدِ بيوت الله لتَعلُّمِ العلم، وحِفْظ القرآن؛ لما فيها من السكينة مما لا تجده في غيره من الأماكن، ولقطْع علائق القلب عن شواغل الدنيا التي هى من أعظم موانع الحِفْظ والتدبُّر، وليُعلم أن آية واحدة يقرأها المسلم أو يحفظها خيرٌ من الدنيا وما فيها، وقد ضرب ﷺ هذا المثل للترغيب، والحث على حفظ كتاب الله وتعلُّمه.

٢- عن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «خيركم من تعلَّم القرآن وعلمه. وفى رواية: «إن من أفضلكم من تعلَّم القرآن وعلَّمه» [٣].

لغة الحديث: **خيركم**: أي يا مَعْشَر القُرَّاء. **تعلُّم القرآن**: يطلق على بعضه وعلى كله.

أفاد الحديث: أن خير المُتعلِّمين من كان تعلُّمه وتعليمه في القرآن لا في غيره؛ لأن خيرَ الكلامِ كلامُ الله؛ فلذلك كان خيرُ الناس بعد النبيين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ من اشتَغل به.

(١) هو أبو عامر عقبة بن عامر الجهني من أصحاب النبي ﷺ، وكان عالمًا مقرئًا فصيحًا فرضيًّا فقيهًا كبير الشأن، من أحسن الناس صوتًا بالقرآن، شهد فتح مصر، ومات بها سنة (٥٨هـ)، وقبره بالمقطم. **ينظر**: سير أعلام النبلاء: ٤٦٧/٢.

(٢) أخرجه مسلم، باب فضْل قراءة القرآن في الصلاة وتعلُّمه: ٨٩/٦.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن: ٧٤/٩.

من آداب معلم القرآن ومتعلمه(١):

* أول وأهم ما ينبغي لِمُعَلِّم القرآن ومُتَعَلِّمِه أن يقصدًا بذلك رضا الله وإخلاص النية له سبحانه بترك المباهاة، فلا يطلُبًا به الدنيا؛ بل ما عند الله، فإنْ فَقَدَ تعلُّم القرآن وتَعْلِيمه إخلاص النية انتقل من أفضل الطاعات إلى أحطّ المُخالفات، فَآفَةُ العلم الرياء، وقى اللهُ أهلَ القرآن شرَّها.

* التحلي بـ (رونق العلم) من حُسْن السمت والهدي الصالح، مع دوام السَّكينة والوقار، والخشوع، والتواضع، والرفق، والقناعة، والزهادة، والمروءة، والتَّخَلي عن نواقضها، وقانا الله العثرات.

* أَخْذُ القرآن عن أهلِ الإتقان الجامعين بين الدِّرايةِ والرِّوايةِ، والصدقِ والأمانةِ، وقد كان النبي ﷺ يَلْقَى جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ في رمضانَ فيُدارَسُه القرآن.

* تعاهُدُ المحفوظات من وقتٍ لآخر، فإن عدم التعاهُدِ عنوان ذهاب الحفظ مهما كان، فصاحبُ القرآن إنْ داوَم على تعهُّده بالتلاوة قَرَّ، وإن ترَكَ ذلك فَرَّ، ولا يقدِرُ على عَوْدِهِ إلا بعد غايَةِ الكلفة، والمَشَقَّة، فعلى كلٍّ تعهُّد ما عنده؛ حتى لا يَفْقِدُه.

* العَمَلُ بالعِلْمِ؛ إذ المقصود من العِلْمِ العَمَلُ، فإذا تعلَّمتَ آيةً من كتاب الله فاحرِصْ جهدك أن تُعلِّمَها ولدك وأهلك، وأن تُطبِّقَها على نفْسِك، نسأل الله العملَ بالعلمِ والعونَ على ذلك.

* الحذر من القيل والقال وكثرة السؤال، وقَصْر الخُطَى عن جميع المحرَّمات والمَحَارم والإقبال على القرآن على طريقة السلف، والنَّهْلِ من ميراثِ النبوَّة الصافي، سدَّدَ الله الخُطَى، ومَنَحَ الجميعَ التُّقَى، وحُسْنَ العاقِبَةِ في الدنيا والآخرة.

* * *

(١) **ينظر**: التبيان في آداب حملة القرآن: ص٣١ وما بعدها، فقه قراءة القرآن: ص ٦٦.

﴾ المطلب الثالث ﴿

فضل تَجْويد القرآن وتَحْسين الصوت به

١- عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «الذي يَقْرأ القرآن، وهو ماهرٌ به مع السَّفرةِ الكِرَام البَرَرةِ، والذي يقرأ القرآن ويَتَتَعْتَعُ فيه، وهو عليه شاقٌّ له أجْران»(١).

لغة الحديث: **ماهر به**: أي يُجيد تلاوته ويُطبقُ أحكام تجويده. **السفرة**: أي الملائكة الرُسل؛ لأنهم يَسْفرون إلى الناس برسالات ربهم، وقيل: السَّفرة: الملائكة الكتبة الذين يحصون الأعمال؛ لأنهم بكتابتهم سفرة بين الله وخلقه. **الكرام**: لأنهم مُطَهَّرون من دنسِ المعاصي. **البررة**: المطيعون. **يتتعْتع فيه**: يتردد في قراءته، ويثقل عليه.

أفاد الحديث: بيانُ فَضْلِ من يُجيد تلاوة القرآن، ويُتقِن قراءته، وأنه مع الملائكة الكرام السفرة في منازلهم، وأن من تردَّد في قراءته لِثِقَلِهِ عليه له أجران: أَجْرُ القراءةِ، وأَجرُ التَّعْتَعةِ.

٢- عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما أَذِنَ اللهُ لشيءٍ ما أَذِن لنبيٍ حسن الصوت يَتغنَّى بالقرآنِ يَجْهَرُ به»(٢).

لغة الحديث: **ما أذن**: أي ما اسْتمع وفيه إشارة إلى الرضى والقبول. **يتغنَّى بالقرآن**: يُحَسْن قراءته ويرتِّلها، وقيل: الإفصاح بألفاظه.

أفاد الحديث: الحَثَّ على تحسين الصوت عند قراءة القرآن، وترتيله تَرْتيلًا، وأن هذا من أسباب إجزال المثوبة من الله، فإنَّ لكلِّ شيء حلية، وحلية القرآن الصوت الحسن، فإنْ لم يكن القارئ حسن الصوت فليُحَسِنُه ما استطاع، وأنَّ الجهرَ بالقراءة في بعض الأوقات لمقصودٍ صحيحٍ، إما لتثبيت الحفظ، أو ليصرف عن نفسه الكسل والنوم من غير تشويشٍ بالقراءة على الغير من المقاصِدِ الطيبة.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن: ٦٩١/٨، برقم ٤٩٣٧، وأخرجه مسلم في باب فضيلة حافظ القرآن: ٨٤/٦، واللفظ لمسلم.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن: ٦٨/٩، وأخرجه مسلم في كتاب استحباب تحسين الصوت بالقرآن: ٧٩/٦، واللفظ لمسلم.

مَراتِب أو كَيْفِيَّات القِراءة[1]:

للقراءة باعتبار الصِّفة التي سبق الإشارة إليها - التَرْتِيل أو التجويد - مراتبُ أو كيفياتٌ ثلاثةٌ على ما نُقِلَ عن أئمةِ القُرَّاء، ورجَّحه المُحقِّقُون من أهلِ الأداء، وهذه المراتب هى: التَحْقيق، والحَدر، والتّدوير، وهذا بيانُها بالتفصيل:

المرتبة أو الكيفية الأولى «التحقيق»: وهو لغة: مصدر من حقَّقت الشيءَ تَحْقِيقًا: إذا أتى بالشيء على حَقِّه من غير زيادة ولا نقصان، فهو بلوغ حقيقة الشيء، والوقوف على كنهه، والوصول إلى نهاية شأنه[2].

وفي اصطلاح أهل الأداء: إعطاءُ كلِّ حَرْفٍ حَقَّه من إشباع المدِّ، وتحقِيق الهَمْز، وإتمام الحركات، واعتماد الإظهار والتشديدات، وبيان الحروف وتفكيكها، وإخراج بعضها من بعض بالسكت والترتيل والتؤدة، وملاحظة الجائز من الوقوف، بلا قصر ولا اختلاس ولا إسكان مُحَركٍ ولا إدغامه؛ وذلك برياضة الأَلْسُن وتقويم الألفاظ، ويستحب الأخذ به في مقامِ التعليم من غير أن يُتَجاوز فيه إلى حد الإفْراط بتوليد الحروف من الحركات، وتَكْرير الراءات، وتَحْريك السواكن، وتَطْنين النونات بالمبالغة في الغنات، وكذا يُحترَزُ من الفصل بين حروف الكلمة؛ كمن يقف على السِّين من نسْتعين وقفة لطيفة مدعيًا أنه يُرَتِّل، إلى غير ذلك مما تَنْفِرُ منه الطِّباعُ، وتَمُجُّه القلوبُ والأسماع[3].

المرتبة أو الكيفية الثانية: «الحدر»: وهو لغة: مصدر من حَدَرَ بالفتح يَحْدُرُ بالضم إذا أسرع، فهو من الحُدور الذي هو الهبوط، وحَدَرَ في قِراءتِهِ وفي أذانِهِ: أَسْرع، وبابه نَصَرَ[4].

وفي اصطلاح أهل الأداء: إدراج القراءة وسرعتها وتخفيفها بالقصر ونحو ذلك مما

(١) **ينظر**: النشر في القراءات العشر: ١/١٦٣، الإتقان في علم القرآن: ص ٢١٢، جمال القراء وكمال الإقراء، للإمام علم الدين علي بن محمد السخاوي (ت ٦٤٣هـ)، تحقيق د/ علي حسين البواب، ٢/٥٢٥ وما بعدها، مكتبة التراث بمكة المكرمة، الأولى، ١٩٨٧م.

(٢) **ينظر**: لسان العرب لابن منظور، تحقيق الأستاذ/ عبد الله علي الكبير وآخرين: ٢/٩٣٩، ط/ دار المعارف بالقاهرة، مختار الصَّحَّاح للإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: ص٦٢، ط/ مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٦م.

(٣) **ينظر**: المعجم التجويدي لأشهر ألفاظ علم التجويد، د/عمر خليفة الشايجي: ص٧٣، ط/غراس للنشر والتوزيع، الأولى، ٢٠١٠م، معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية، د/عبد العلي المسئول: ص١٢٢، ط/دار السلام للنشر والتوزيع بالقاهرة، الأولى، ٢٠٠٧.

(٤) **ينظر**: لسان العرب: ٢/٨٠٢، مختار الصَّحَّاح: ص٥٤.

صَحَّت به الرواية، مع مراعاة إقامة الإعراب، وتقويم اللفظ، وتمكين الحروف، بدون بتر حروف المد واختلاس أكثر الحركات وذهاب صوت الغنة والتفريط إلى غاية لا تصح بها القراءة ولا توصف بها التلاوة، وهى أنسب المراتب لمراجعة الحفظ أو الاستكثار من القراءة [١].

المرتبة أو الكيفية الثالثة: «التدوير»: لغة: جَعْلُ الشيء على شكل دائرة أو حلقة، وتدوير الشيء جعله مدورًا [٢].

وفي اصطلاح أهل الأداء: عبارة عن التوسط بين مرتبتي التحقيق والحدر، وهو الذي ورد عن أكثر الأئمَّةِ ممَّنْ مَدَّ المنفصل، ولم يبلغ فيه الإشباع، وهو مذهب سائر القراء، وهو المختار عند أكثر أهل الأداء [٣].

وهذه المراتب الثلاثة كلها جائزة لمن أراد أن يقرأ شيئًا من القرآن، وأفضلها ما وافق الطبع، وكان أقرب لفهمِ القرآن والعملِ به، أما عند تساوي ذلك فالتحقيق أولى، وما تقدَّم ذكره من المراتب لا يُضْبَطُ إلا بالأخذ والعرض والتلقي عن الشيوخ، والقراءة على خلاف ذلك تُعَدُّ لحنًا وخطأً في القرآن.

ويراعى هذه الأحوال الثلاثة مع حسن الصوت بلحون العرب فَحِلْيَة القرآن الصوت الحسن، وبه تكون القراءة أشدُّ تأثيرًا في النفس، وخشوعًا في القلب، واعتبارًا في العقل، وذلك في حدود ما اقْتَضته الطبيعة، وسمَحتْ به من غير تَكلُّفٍ، ولا تصنُّع، ولا زيادة في الحروف، وهو التغني المحمود الذي يتأثر به التالي والسامع، والذي كان السَّلَفُ يفعلونه ويسمعونه، حتى يجاوز الحناجر إلى القلوب، فتعِيه وتعمل به، وذلك هو حَقُّ تلاوته، أما ما لا يَحْصُل إلا بتَصنُّعٍ وتكلُّفٍ، وتمرين على إيقاعات مخصوصة، وحركات موزونة، وأوزان مخترعة؛ كَترْجِيع الغِنَاء والنوح، فهذه التي كَرِهَها السلف، وعَابُوهَا، وذَمُّوهَا، ومَنَعُوا القراءة بها [٤].

---

(١) **ينظر**: المعجم التجويدي لأشهر ألفاظ علم التجويد: ص١٠١، معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية: ص١٢٦، النشر في القراءات العشر: ١٦٤/١.

(٢) **ينظر**: لسان العرب: ١٤٥١/٢، مختار الصَّحَّاح: ص٩٠.

(٣) **ينظر**: المعجم التجويدي لأشهر ألفاظ علم التجويد: ص٧٥، معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية: ص١٦٦، النشر في القراءات العشر: ١٦٥/١.

(٤) **ينظر**: زاد المعاد لابن القيم: ص١٥٩ وما بعدها.

قال ابن الجزري رَحِمَهُ ٱللَّهُ [(١)]:

وَيُقْرأُ القُرآنُ بِالتحقيقِ مَعْ ... حَدْرٍ وتدويرٍ وكُلٌّ مُتبعْ

مَعْ حُسْنِ صَوْتٍ بِلُحُونِ العربِ ... مُرَتَّلًا مُجَوَّدًا بالعربي[(٢)]

* * *

(١) هو الإمام الحجَّة الثَّبْتُ إمام المقرئين، وخاتمة الحفاظ المحققين، شيخ الإسلام، العلَّامة أبو الخير شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف، الدمشقي، الشيرازي، الشهير بابن الجزري، شيخ القراء في زمانه، وُلِدَ ونشأ في دمشق، وتفقَّه بها، وبَرَزَ في القراءات، وابتني مدرسة للقُرَّاء، سمَّاها دار القرآن، أقرأ الناس بها، ورحل إلي مصر لطلب العلم مرارًا، ثم رحل في آخر حياته إلى شيراز، ومات بها سنة (٨٣٣هـ). **ينظر**: الأعلام للأستاذ/ خير الدين الزركلي: ٤٥/٧ ، ط/ دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢ م.

(٢) **ينظر**: شرح طيبة النشر في القراءات العشر، للإمام شهاب الدين أبي بكر أحمد بن محمد بن محمد ابن الجزري الدمشقي (ت ٨٣٥ هـ): ص ٣٣ وما بعدها، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠ م.

﴾ المطلب الرابع ﴿

فضل حفظ القرآن الكريم

١- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[١] عن النبي ﷺ قال: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْقَ وَرَتِّلْ، كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا» [٢].

لغة الحديث: **يقال**: أي عند دخول الجنة. **صاحب القرآن**: أي حافظه عن ظهر قلب أو حافظ بعضه، المُلازم لتلاوته مع التدبُّرِ لآياته، والعمل بأحكامه، والتأدُّب بآدابه. **وارق**: أي اصعد درج الجنة بمقدار ما حفظته من آي القرآن. **رَتِّل**: أي لمجرد التلذذ؛ إذ لا عمل ولا تكليف هناك.

أفاد الحديث: الترغيب في حفظ القرآن، وتخصيص الصاحب في الحديث بالحافظ عن ظهر قلْب دون التالي من المصحف، فيا لها من سعادة إذا قيل للعبد: اقرأ وارق ورتل، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤُها.

٢- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ حَلِّهِ، فَيُلْبَسُ تَاجَ الْكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ زِدْهُ، فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الْكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ، فَيَرْضَى عَنْهُ، فَيُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ، وَارْقَ، وَتُزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً » [٣].

لغة الحديث: **حَلِّه**: أمر من التحلية، والمعنى: يا رب زَيّنْه.

أفاد الحديث: بيانًا لكرامة حافظ القرآن بالإنعام عليه بتاج الكرامة وحُلَّةِ الكرامة، ورضا الله عنه، وهو أعظمها، وأن ما ادَّخره الله لحافظ القرآن لم يدَّخِره لغيره إلا للأنبياء والشهداء، وأي نعيم فوق حلول رضوان الله على العبد، فلا يسخط عليه بعد ذلك أبدًا.

---

(١) هو عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن كعب بن لؤي بن غالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، الإمام الحبر العابد صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه، له مناقب وفضائل، ومقام راسخ في العلم والعمل؛ حيث حمل عن النبي ﷺ علمًا جمًّا، وحدَّث عنه خَلْقٌ كثير، اضطربت الروايات حول زمنٍ ومكان وفاته، فقيل: توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٦٣هـ)، وقيل: سنة (٦٥ هـ)، ودفن بمصر. **ينظر**: سير أعلام النبلاء: ٣/٨٠.

(٢) أخرجه أبو داود بسند صحيح في باب كيف يُستحب الترتيل في القراءة، حديث رقم (١٤٦٤)، وأخرجه الترمذي في أبواب فضائل القرآن: ٥/١٧٩، حديث رقم (٣١٤١) .

(٣) أخرجه الترمذي بسند حسن في أبواب فضائل القرآن: ٥/١٧٦ حديث رقم (٣١٣٦).

الأسباب الميسرة لحفظ القرآن الكريم(١):

* **محبَةُ القرآن**: فمن أراد أن يحفظ القرآن فعليه أن يُحِبَّه، ومَن أحب شيئًا داوَمَ على ذِكْرِه وصحبته، ومِن محبة القرآن أن تتعرَّف عليه، وخيرُ ما يتعرَّفُ به الإنسان على القرآن هو من القرآن نفسه، ومن كلام النبي ﷺ.

* **النية الصادقة**: فإنك إنْ نويتَ بحفظك وجه الله عَزَّوَجَلَّ، فإنه سبحانه يُوفِّقك لِمَقصُودك، ويُسْهِله عليك، ويَتقبَّله منك، ويُبارِك لك فيه، ولها علامات تدلُّ على صدْقها؛ حتى لا تكون أماني وظنونًا، ومن علاماتها تفريغ الأوقات للحفْظ، وأعني بذلك أن تستقطع من ثمين وقتك وقتًا لكتاب الله، لا يثنيك عنه أي شاغل، وما قيمة هذا الشاغل؟ فمهما كان مربحًا فرِبْحُك آية من كتاب الله تحفَظَها أعظم وأبقى، أما أن يكون حفظك لكتاب الله بحسب الفضْلة من وقتك، فإنْ بقي وقت بعد قضاء مصالح الدنيا وإلا فلا حفظ، فأنَّى لك أن تكون من أهل القرآن.

* **الدعاء والإلحاح فيه**: وهو من أهم الوسائل المعينة على حفْظ كتاب الله، فهو وحده سبحانه القادر على أن يُيسِّر لك سبيل حفْظ كتابه، ولتتقي موانع الإجابة من المعاصي والآثام، ولتطهِّرَ القلب؛ ليَصلُحُ لقبول القرآن.

* **الصبر والعزيمة القوية**: فلا يُثْنِي من عَزْم من أراد الحفظ فتور أو ملل، أو كوْن الحفظ قد يبدو صعبًا أو شاقًا في بدايته، ولْيُعلم أن التيسيرَ سيكون حليف الحافظ جزءًا بعد جزء، ومَنْ لازَمَ طرْقَ الباب أوشك أن يُفتَحَ له، ومَنْ ثَبَتَ نَبَتَ.

* **تحديد مقدار مناسب للحفظ اليومي**، وقراءته على شيخ متقن - وهذا هو الأصل - للاستظهار عليه، والتعرُّف على قواعد التجويد وأصول الرِّواية، وتَجنُّب اللَّحن في القراءة، وهذا أمرٌ مهم لا عُذْرَ لأحد فيه، والحمد لله الآن أي واحد يستطيع التواصل مع المشايخ والقراءة عليهم عن طريق شبكة الإنترنت ،ثم الشروع بعد ذلك في تكرار هذه الآيات، وإعادتها مع تحسين الصوت بالقراءة بها لدفْعِ السآمة، وتعويد اللسان على حُسْنِ القراءة.

* أنصح لمريدي الحفظ **بقراءة طرف من معانى الآيات التي يحفظها** كأن يكون الحفظ من أحد المصاحف المذيَلة بمعاني الكلمات.

* ينبغي **المحافظة على رسم واحد للمصحف،** فموضع الآية من المصحف ينطبِع في

---

(١) **ينظر**: عون الرحمن في حفظ القرآن لأبي ذر القلموني: ص ١٠ وما بعدها، ط/ مكتبة التراث الإسلامي بالقاهرة، الأولى، ١٩٩٢م، فقه قراءة القرآن: ص٧٣.

الذهن، فيُعِين على الحفظ، ويُستعان على ذلك أيضًا بالكتابة مع ملاحظة صون تلك الأوراق من العبث، ووضعها في مكان لائق. ويُعتنَى بالآيات المتشابهة المطالع.

* **المداومة على المراجعة** وحبذا لو يُقرأ بما تمَّ حفظه أثناء الصلاة، مع تكرار مراجعته أثناء السَّير، وفى الطريق للمدرسة أو العمل، وجعْل يومٍ أو يومين في الأسبوع للمراجعة.

* **العمل به** إذا وفق الله تبارك وتعالى لحفظ كتابه ونَيْل هذه المنزلة العظيمة، فيجب على الحافظ التَخلُّق بآدابه، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه والوقوف عند حدوده، فما الفائدة من الحفظ إذا لم يكن المقصود به العمل؟ إذاً ليكن حفظ القرآن الكريم «حفظ رعاية» بالعمل والتنفيذ، والله أعلى وأعلم.

* * *

﴿ المبحث الثاني ﴾
فضائل سورٍ وآياتٍ مَخْصُوصةٍ على التَّعيين

وقبل أن أتعرض لهذا المبحث المهم أود أن أشير إلى مسألتين:

المسألة الأولى: وهى هل يجوز تفضيل بعض القرآن على بعض؟

اختلف العلماء هل في القرآن شيء أفضل من شيء؟ فذهب بعض الأئمَّة إلى المنع، ورُوِيَ هذا القول عن الإمام مالك، وحُجَّتُهم في ذلك أن الكلَّ كلام الله، ولِئلا يُوهِم التفضيل نقْص المفضل عليه، وذهب آخرون إلى التفضيل لظواهر الأحاديث، ورُوِيَ هذا القول عن الإمام الغزالي، وقال الإمام القرطبي إنَّه الحق، ونَقَلَه عن جماعة من العلماء والمُتكلِّمين، ولهم في ذلك كلام طويل، فبعضهم يقول بأن التفضيل راجع إلى عِظَمِ الأجر ومضاعفة الثواب، والبعض يقول إنما هو بالمعاني العجيبة وكثرتها إلى غير ذلك من الأقوال[1].

قلت: وجواز تفضيل بعض القرآن على بعض هو الرأي الراجح، والذى دَلَّت عليه الأدلة - كما سيأتي ذكره - والله أعلم.

* **أما المسألة الثانية**: وهى التنبيه على أنني سوف أقتصر في هذا الفصل على ذِكْر (بعض) ما صَحَّ في فضْلِهِ الخبر عن رسول الله ﷺ فيما وَقَفْتُ عليه، وأنني سوف أُعْرض عن كثيرٍ مما اشتُهر تناقُله بين الناس؛ وذلك لعدم ثبوت صحته عن رسول الله ﷺ [2].

* * *

(١) **ينظر**: الإتقان في علوم القرآن: النوع الثالث والسبعون في أفضل القرآن وفاضله: ص٧٢٣، البرهان في علوم القرآن: النوع الثامن والعشرون: ٦٧/٢.

(٢) وقفْتُ في بعضِ الكُتب على أحاديث كثيرة لا تَثْبُت في أغلب سور القرآن، وقد ورد حديث طويل في فضائل القرآن سورة سورة، وهو موضوع، لا أصل له. **ينظر**: البرهان في علوم القرآن: النوع السادس والعشرون: ٥٥/٢.

المطلب الأول

فضل فاتحة الكتاب

١- عن أبي سعيد رافع بن المُعَلّى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١] قال: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا أُعلِمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد؟ فأخذ بيدي، فلما أردنا أن نخرج قلت: يا رسول الله، إنك قلت: لأعلمنّك أعظم سورة في القرآن. قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هى السبع المثاني والقرآن العظيم الذى أُوتِيتُه»[٢].

لغة الحديث: **المَثَاني**: أي التي تُثنَّى وتقرأ في كل ركعة من الصلاة، وقيل: سُمِّيت بذلك لاشتمالها على قسمين ثناء ودعاء.

أفاد الحديث: عظيم شأن سورة الفاتحة؛ وذلك لأنها جمعت مقاصد القرآن واشْتَمَلت على مُجْمل ما جاء مفصلًا في باقي السور، فاشتملت على الثناءِ على الله بما هو أهله، وعلى التعبدِ، وعلى الأمرِ والنهى، والوعدِ والوعيد، وآيات القرآن لا تخلو من أحد هذه الأمور.

٢- عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٣] أن رسول الله ﷺ: قال فيها - أي فاتحة الكتاب - «وما يدريك أنها رقية»[٤].

وقد أفرد **الإمام ابن قيم الجوزية** لفاتحة الكتاب فصلًا في كتابه «الطب النَّبوي» وذكر في فضْلها كلامًا طيبًا بليغًا، ومِمَا قال: «إن هذه السورة غنىً عن كثير من الأدوية والرقى، وإنَّ بها مفاتيح الخير ومغاليق الشر»[٥].

---

(١) هو الصحابي رافع بن المعلى بن لوزان بن حارثة الأنصاري الخزرجي، وقيل: اسمه الحارث، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين صفوان بن بيضاء، شهد بدرًا، واستشهد فيها، قتله عكرمة بن أبي جهل. **ينظر**: أُسْدُ الغَابَة في مَعرفةِ الصحابة للإمام عز الدين أبي الحسن علي بن محمد الجذري المعروف بابن الأثير (٦٣٠هـ): ص٣٨٠ رقم (١٦٠٢)، دار ابن حزم، بيروت، الأولى، ٢٠١٢م.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب فضل فاتحة الكتاب: ٥٤/٩.

(٣) هو الإمام المجاهد مفتي المدينة سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن الحرث بن الخزرج، حدث عن النبي ﷺ، فأكثر وأطاب، وكان أحد الفقهاء المجتهدين، مات سنة (٧٤هـ). **ينظر**: سير أعلام النبلاء: ١٦٨/٣.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب فضل فاتحة الكتاب: ٥٤/٩ بلفظ: «وما يدريك أنها رقية».

(٥) **ينظر**: كتاب الطب النبوي لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي الشهير بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تعليق/ عبد الغني عبد الخالق وآخرين : ص ٢٦٨، ط/ دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.

﴿ المطلب الثاني ﴾

فضل سورة البقرة والآيات منها وفضلها مع آل عمران

فضل سورة البقرة:

١- عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفِرُ من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة»(١).

لغة الحديث: ينفر: أي يُعْرِض ويبتعد.

أفاد الحديث: الحث على مداومة ذِكْر الله في البيوت، وقراءة سورة البقرة فيها؛ لأنها تَصُدُّ الشيطان عن أهل هذا البيت، وتجعله ييأس من إغْوائِهم وإضْلالِهِم ببركة قراءتها.

٢- عن أبي أُمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «اقرءوا سورة البقرة، فإنَّ أَخْذَها بركةٌ، وترْكها حسرةٌ، ولا تَسْتَطِيعُها البَطَلة»(٢).

لغة الحديث: **البطلة**: أي السحرة، ومعنى لا تستطيعها البطلة أي: لا يمكنهم حفظها وقيل لا تستطيع النفوذ في قارئها.

أفاد الحديث: عظيم فضل سورة البقرة، وأنها تَحْفَظ قارِئها من شرور السَّحرة.

فضل آية الكرسي: وهى الآية (٢٥٥) من سورة البقرة:

١- عن أُبِيِّ بن كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المنذر، أيُّ آية من كتاب الله معك أعظم؟ قلت: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٦] فضرب في صدري، وقال: والله ليَهْنَكَ العِلْم أبا المنذر» (٣).

لغة الحديث: **الله لا إله إلا هو الحى القيوم**: أي جميع آية الكرسي، **القيوم**: أى القائم بنفسه والمقيم لغيره سبحانه. **ليهنك العلم**: أي ليكن هنيئًا لك ونافعًا لك.

(١) أخرجه مسلم في باب استحباب صلاة النافلة في البيت: ٦/٦٨.
(٢) أخرجه مسلم في فضل قراءة القرآن وسورة البقرة: ٦/٩٠.
(٣) أخرجه مسلم في باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي: ٦/٩٣.

أفاد الحديث: أن آية الكرسي أعظم آية في كتاب الله؛ لما تضمَّنته من عظيم مقتضاها من إثبات الذات والصفات والأفعال.

٢- عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «وَكَّلني رسولُ الله بحفظِ زكاة رمضان، فأتانِي آت فجعل يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: لأرْفَعنَّك إلى رسول الله ﷺ... فقصَّ الحديث، فقال: فإذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها؛ حتى تختم الآية، فلا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطانٌ؛ حتى تُصْبِح. فقال النبي ﷺ: «صَدَقك وهو كذوب، ذاك شيطان»[(١)].

لغة الحديث: **لأرفعنك**: أي لأذهبن بك أشْكُوك، **من الله حافظ**: أي من عند الله أو من بأس الله ونقمته، **ولا يقربك**: بفتح الراء وضم الباء.

أفاد الحديث: عظيم فضل آية الكرسي، وأن مَنْ قرأها حين يأوي إلى فراشه كانت له حَرْزًا من الشيطان؛ حتى يصبح.

٣- عن أبي أُمامة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت» [(٢)].

لغة الحديث: آية الكرسي أي ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ حتى يختمها، دبر كل صلاة أي: عقب كل صلاة.

أفاد الحديث: بيان فضل قراءة آية الكرسي عقب كل صلاة، وأن قارئها يستحق دخول الجنة لا يمنعه من ذلك إلا أن يموت.

قلت: وهي أيضًا من أعظم ما يُسْتشْفَى بِهِ من الأمراض والأسقام، وخاصة ما كان له علاقة بالجان كالسحر والمس... وغيره. فهى تؤثِّر في الجن، وتطردهم بإذن الله، فهي سلاح، والسلاح بضاربه.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب فضل سورة البقرة: ٩/٥٥.

(٢) أخرجه النسائي بسند صحيح بشواهده، ووثق رواته البخاري وابن معين. **ينظر**: عمل اليوم واللَّيلة للإمام/ أحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ)، دراسة وتحقيق الدكتور/ فاروق حمادة: ص١٨٢، باب ثواب من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة، ط/مؤسسة الرسالة، صحيح الجامع الصغير وزيادته: ٢/١١٠٣، وحُكي عن شيخ الإسلام ابن تيمية أنه قال: ما تركتها عقيب كل صلاة. **ينظر**: زاد المعاد: ص٩٧.

فضل الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة وهما (٢٨٥، ٢٨٦) من السورة:

١- عن أبي مسعود البدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[١] عن النبي ﷺ قال: «مَنْ قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»[٢].

لغة الحديث: **كفتاه**: أى كفتاهُ المكروه في تلك الليلة، وقيل: كفتاه عن قيام الليل. **من آخر سورة البقرة**: أي من قوله: «آمن الرسول... إلى آخرها».

أفاد الحديث: بيان ما اختصت به هاتان الآيتان من حظٍ كبيرٍ لاشتمالهما على غاية التَفْويض والتسليم لأوامِر الله، ولأن الدُّعاء بما فيهما متضمَّنٌ لخيري الدنيا والآخرة.

٢- عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: بينما جِبْريلُ قاعدٌ عند النبي ﷺ سَمِع نقيضًا من فوقه، فَرفَع رأسه، فقال «هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قَطُّ إلا اليوم، فنزل منه ملك إلى الأرض لم ينزل إلا اليوم، فَسلَّم، وقال: أَبْشِر بنورين أُوتِيتَهُمَا لم يُؤْتَهُمَا نبيٌّ قبلك: فاتِحَةُ الكتابِ، وخواتيمُ سورة البقرة، لم تَقْرأ بِحَرْفٍ مِنْهُما إلا أُعْطيته»[٣].

لغة الحديث: **نقيضًا**: أي صوتًا كصوت الباب إذا فتح، **أعطيته**: أي ثوابه، وقيل: مقتضاه.

أفاد الحديث: عظيم فضل هاتين الآيتين، وكونهما نورًا لصاحبهما يوم القيامة، يسعى أمامه لإجلاله وتعظيمه، وأنه لا يُقرأ منهما بحرف مستعينًا به على قضاء غرض إلا أُعْطِيَهُ.

فضل سورة البقرة مع آل عمران:

عن النواس بن سمعان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[٤] قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُؤتى بالقرآن يوم القيامة، وأهله الذين كانوا يعملون به تَقْدُمُه سورة البقرة وآل عمران، تُحاجَّان عن

---

(١) وهو عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة بن عسيرة الأنصاري الخزرجي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قيل: إنه لم يشهد بدر، وإنما نزل ماء ببدر فعرف بذلك، مات أبو مسعود سنة (٤٠هـ)، وقيل غير ذلك. **ينظر**: سير أعلام النبلاء: ٤٩٣/٢.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة البقرة: ٥٥/٩، وأخرجه مسلم في فضل الفاتحة وخواتيم البقرة: ٩٢/٦.

(٣) أخرجه مسلم في فضل الفاتحة وخواتيم البقرة: ٩١/٦.

(٤) هو النواس بن سمعان بن خالد بن عبد الله بن أبي بكر الكلابي، وقيل: الأنصاري، وَفَدَ أباه على النبي ﷺ فدعا له، وروى عنه: أبو إدريس الخولاني، وجبير بن نفير الحضرمي. **ينظر**: تهذيب التهذيب: ٢٤٤/٤.

صَاحِبِهما»[(١)].

لغة الحديث: **تقدُمُه**: أي تتقدمه. **تحاجان**: تجادلان وتدفعان.

أفاد الحديث: أن القرآنَ يَأْتِي يومَ القيامَةِ، وقيل: يُصَوَّر بِصُورتِهِ، ويراه الناس، وكذا أصحابه الذين كانوا يعملون به، فَيَأْتمِرُون بما أمر، ويَنْزَجِرُون عما زجر، تتقدمه سورة البقرة وآل عمران، تجادلان وتدفعان عن العامل بما أمَرَتا به، والتارك ما نَهَتا عنه... وبهذا يتضح لنا عظيم الفضل الذي اشتملت عليه هذه السورة المباركة - سورة البقرة - عامة وفي بعض آياتها كآية الكرسي، والآيتين من آخر السورة خاصة، وفضلها مع سورة آل عمران.

* * *

(١) أخرجه مسلم في باب فضل القرآن وسورة البقرة: ٦/٩٠.

﴿ المطلب الثالث ﴾

فضل سورة الكهف والآيات منها

١- عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاءَ له من النور ما بين الجمعتين»[(١)].

لغة الحديث: **سورة الكهف**: أي السورة التي ورد فيها قصة أصحاب الكهف، والمسماة بذلك.

أفاد الحديث: بيان فضل قراءة هذه السورة في يوم الجمعة، وفي ذلك عامل على حفظها بكثرة تكرارها.

٢- عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٢)] أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيات من أول سورة الكهف عُصِم من الدجال»[(٣)].

لغة الحديث: **من حَفِظ**: أي عن ظهْرِ قلبٍ. **عُصِم**: أي حُفِظ، **الدَجَّال**: أي الكذاب.

أفاد الحديث: الحث على حفْظ هذه الآيات العشر من أول سورة الكهف؛ لكون حِفْظها عاصمًا من فتنة المسيح الدجال الذى يَخْرُج آخر الزمان مُدَّعِيًا الأُلوهية، لِخوارق تظهر على يده بإذن الله، وسِرُّ عِصْمة مَنْ حَفِظَ تلك الآيات منه اشتمالها على عجائب وآيات يَمْنع تَدَبُّرها من فتنتِهِ.

* * *

(١) أخرجه الحاكم: ٣٩٩/٢ رقم ٣٣٩٢، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. **ينظر**: المستدرك على الصحيحين، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق/ مصطفى عبد القادر عطا، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، الثانية، ٢٠٠٢م، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ١١٠٤ رقم ٦٤٧١، وأورد ابن كثير الحديث بعدة ألفاظ، ونقل عن البعض وقفه على أبي سعيد الخدري، وأن له حكم الرفع وهذا غير خافٍ، والحمد لله.

(٢) هو الإمام القدوة قاضي دمشق، وصاحب رسول الله ﷺ، أبو الدرداء عويْمر بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي، حكيم هذه الأمة وسيد القراء بدمشق، روى عن النبي ﷺ عدة أحاديث، وهو ممَّنْ جَمَعَ القرآن في حياة النبي ﷺ، وقيل: الذين في حلقة إقراء أبي الدرداء أَزْيَد من ألف رجل، مات سنة (٣٢هـ). **ينظر**: سير أعلام النبلاء: ٣٣٥/٢.

(٣) أخرجه مسلم في باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي: ٩٢/٦.

☙ المطلب الرابع ❧

فضل سورة تبارك أو المُلْك

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال «إن سورة من القرآن ثلاثون آية شَفَعَتْ لرجلٍ حتى غُفر له، وهى: تبارك الذي بيده الملك»[1].

لغة الحديث: **تبارك الذي بيده الملك**: أي السورة المسماة بذلك أو بسورة الملك.

أفاد الحديث: بيان فضل قراءة سورة الملك، وأنها المانعة المنجية لصاحبها من عذاب القبر، وقيل: إنه تُخاصَمَ عن صاحبها؛ حتى تدخله الجنة.

* * *

(١) أخرجه الترمذي بسند حسن، باب ما جاء في سورة الملك: ١٦٠/٥ برقم ٣١١١، وأبو داود في باب تحزيب القرآن: ص ٢٤٢ برقم ١٤٠٠، وهو في صحيح الجامع للألباني: ٦٨٠/١ برقم ٣٦٣٤.

المطلب الخامس

فضل سورة الإخلاص والمعوَّذتين

أولًا: فضل سورة الإخلاص:

١- عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «أَيَعْجزُ أحدكم أن يَقرَأَ في ليلةٍ ثلث القرآن. قالوا: وكيف يُقرَأُ ثلث القرآن. قال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعْدِلُ ثلث القرآن»(١).

لغة الحديث: قوله **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**: أي السورة المسماة بذلك وبسورة الإخلاص، **تعدل**: أي باعتبار ثوابِ قراءتها.

أفاد الحديث: أن اشتمال هذه السورة على توحيد الله تعالى، وتعظيمه، وتقديسه يحمِلُ كُلّ ذي إيمان كامل على أن يستمِدَ بقراءتها ما يُكمِّل بِهِ إيمانه، ويزيدُ إيقانُه؛ ولذلك كان ثواب قراءتها يعدِلُ ثواب قراءة ثلث القرآن في الأجْر، وقراءتها ثلاث مرات يعدِلُ ثواب قراءة القرآن كله.

٢- عن أنس بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢) أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عشر مرات بنى الله له بيتًا في الجنة» (٣).

لغة الحديث: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾: أي السورة المسماة بذلك أو بسورة الإخلاص.

أفاد الحديث: عظيم الثواب المترتب على قراءتها، وهذه من النعم التي أنعم الله بها على هذه الأمة أنْ رتَّب الأجور الكثيرة على الأعمال القليلة.

ثانيا: فضل المعوَّذتين:

١- عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «ألم تر آيات أنزلت الليلة لم

---

(١) أخرجه مسلم في باب فضل قل هو الله أحد: ٩٤/٦.

(٢) هو الصحابي أنس بن معاذ بن أنس بن قيس بن مالك بن النجَّار الأنصاري الخزرجي، واختلف في اسمه فقيل: أنس، وقيل: أنيس، شهد بدرًا مع رسول الله ﷺ، وقيل: شهد بدرًا وأحدًا والخندق، ومات في خلافة عثمان. **ينظر**: أُسْدُ الغابة ٧٦ رقم ٢٦١.

(٣) أخرجه أحمد: ٤٣٧/٣ وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير:١١٠٤ رقم ٦٤٧٢.

ير مثلهن قط ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾، و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾»(١).

لغة الحديث: **ألم تر**: ألم تبصر أو ألم تعلم، **قط**: ظرف لاستغراق ما مضى من الزمان.

أفاد الحديث: الإرشاد إلى فضل المعوَّذتين في التعوذ من شرِّ كل ذي شر، وقد تواتَر هذا الحديث من عدة روايات تُرشِدُ بمجملها إلى نفْس المعنى من فضْل التعوُّذ بهما في الصباح والمساء وعند النوم، ومن شر الجان وعين الإنسان، وفي كل حال، فهما أفضل ما تعوَّذ بهما المُتَعوِّذُون، لاشتمالهما على الجوامع في المستعاذ والمستعاذ منه، والله أعلى وأعلم.

أهداف ومقاصد قراءة القرآن الكريم(٢)

قِراءة القرآن يَجْتمِعُ فيها خمس مقاصد كلها عظيمة، وكل واحدة منها كافية؛ لأن تدفع المسلم؛ ليسارع إلى قراءة القرآن، ويُكثِرُ الاشتغال به وصحبته، متى قرأ المسلم القرآن مستحضرًا المقاصد الخمسة معًا كان انتفاعه بالقرآن أعْظم، وأجره أكبر.

الهدف الأول: قراءة القرآن بقصد الثواب:

وهي قراءة معظم المسلمين ولا سِيِّما العَوام وغيرِ الناطقين باللغة العربية، وقد ورد في ترتيب الثواب على قراءة القرآن نصوص كثيرة أشَرتُ إلى بعضها، وإلى شيء من فقه القراءة وآدابها، وجملة من المسائل التي يحتاج إليها قارئ القرآن في مبحث فضْل قراءة القرآن الكريم.

الهدف الثاني: قراءة القرآن بقصد مناجاة الله:

فالمسلم عند قراءته للقرآن عليه أن يَستحْضِرَ هذا المقصد العظيم؛ لكي يَشْعر بِلذةِ القراءة حينما يَسْتحضر أن الله يراه، ويستمع لقراءته وهو يقرأ، وأن الله يمدحه، ويُثْنِي عليه، ويباهي به ملائكته المقربين، فإذا مَرَّ بآية فيها تسبيحٌ سبَّح، وإذا مَرَّ بآية فيه وعيدٌ استعاذ، وإذا مَرَّ بسؤال سأل، هذا ما أعنيه بالمناجاة...

فعن حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: «صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلت: يركع

(١) أخرجه مسلم في باب فضل قراءة المعوذتين: ٩٦/٦.

(٢) **ينظر**: مفاتح تدبر القرآن والنجاح في الحياة، إعداد د/ خالد بن عبد الكريم اللاحم: ص٣٤ وما بعدها، ط/مطبعة سفير بالرياض، الثانية ١٤٢٨هـ، كيف تقرأ القرآن في رمضان وغيره من شهور العام للدكتور/ سهيل بن محمد قاسم: ص ٧ وما بعدها، ط/ دار الخضيري للنشر بالمدينة المنورة، الأولى، ١٤٣٠هـ.

عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلًا، إذا مَرَّ بآيةٍ فيها تسبيح سبَّح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بِتعوذ تعوَّذ»[1].

هكذا تكون المناجاة بالقرآن، إنها قراءة حَيَّة يَعِي فيها العبْدُ ماذا يقرأ، ولماذا يقرأ، ومن يخاطب بقراءتِهِ، وماذا يحتاج منه، وما يجب له نحوه من التعْظيم والتَقْديس.

الهدف الثالث: قراءة القرآن بقصد الاستشفاء به:

فالقرآن شفاء للقلوب من أمراض الشُبُهَات والشَهَوات، والوَسَاوِس كُلِّها، وشفاء للصُّدور من الهمِّ والحزن والقلق، وشفاء للأبدان من الأسقام، فمتى استحْضر العبد هذا المقصد فإنه يحصل له الشفاءان: الشفاء المعنوي، والشفاء البدني بإذن الله.

قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

الهدف الرابع: قراءة القرآن لأجل العلم:

وهو المقصود الأعْظم من إنزالِ القرآن، والأمرِ بقراءته، بل ومن ترتيبِ الثواب على القراءة، إنه العِلْم بالله تعالى، والعِلْم باليوم الآخر، والعِلْم بالأمر والنهي قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، وعن عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: «لقد عشنا برهة من دهرنا، وإن أحدنا يُؤتى الإيمان قبْلَ القرآن، فتنزل السورة على محمد ﷺ، فنتعلَّم حلالها وحرامها، وآمِرها وزاجِرها وما ينبغي أن يُوقف عنده منها، ثم لقد رأيت رجالًا يُؤتى أحدهم القرآن قبْلَ الإيمان، فيَقرَأُ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمتِهِ لا يدري ما آمره ولا زاجره، وما ينبغي أن يقف عنده منه، ينثِرُه نَثْرَ الدَّقَل»[2].

الهدف الخامس: قراءة القرآن بقصد العمل به:

فيقف القارئ عند آياته، ينظر ماذا تطلب منه، هل أمر يُؤْمر به، أو شيء يُنْهى عنه، أو فضيلة يُدْعى للتحلِّي بها، أو خَطْر يحيق به يحذر منه، فيَسمَعُ ويُطِيع، ويُؤدِّب به نفسه، وهكذا فإن القرآن هو الدليل العملي لإصلاح النفس وصيانتِها، وقد سُئلت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: «ما كان خُلُق رسول الله؟ فقالت: «كان خُلُقه القرآن يغضَبُ لغضبه، ويرضى

(١) الحديث سبق تخريجه: ص١٣.

(٢) أخرجه الحاكم ٨٣/١، وقال صحيح على شرط الشيخين ولا أعرف له علة ولم يخرجاه.

لرضاه»[1].

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان الرجل منا إذا تعلَّم عشْر آيات لم يجاوزهن؛ حتى يعرف معانيهن، والعمل بهن، فتعلمنا القرآن والعمل جميعًا»[2].

وأهداف قراءة القرآن ومقاصده المتقدمة مجموعة في أحرف جملة: (ثمَّ شعَّ).

(الثاء): ثواب، **(الميم)**: مناجاة، **(الشين)**: شفاء، **(العين)**: علم، **(العين)**: عمل.

وقسم البعض أهداف ومقاصد القراءة تقسيمًا آخر باعتبار نوع القراءة كما يلي:

الهدف الأول: قراءة الثواب والختم:

وهدف القارئ منها وغايته قراءة أكبر قدْر من الآيات القرآنية، والنطق بأكبر عدد من الأحرف الهجائية، وإِنْجاز أكثر عدد من الختماتِ للمصحف الشريف بُغْيَة تَحْصِيل الأجرِ والثوابِ، وهذا النوع أوسع الأنواع استيعابًا للمسلمين - كما سبق الإشارة - وقد تواترت الأخبار عن كثيرٍ من سلف هذه الأمة بالإكثار من القراءة التي يمكن أن تَنْدرج تحت هذا النوع دون الاشتغال بغيره، ولا سِيَّما في الأوقات المفضلة كشَهْرِ رمضان، وخصوصًا الليالي التي يُطلب فيها ليلة القدر، أو الأماكن المفضلة كمكَّةَ المكرمة لمَنْ دخلها من غير أهلها، فيستحب الإكثار من تلاوة القرآن اغتنامًا لفضْل الزمان أو المكان، ففي مثل هذه الأحوال سيغلب على القراءةِ قصْد الأجرِ والثوابِ، وقد يُخَالِطُها أحيانًا التدبُّر والتأمُّل، وإنما الحكم للأغْلَب.

الهدف الثاني: قراءة التدبُّر والتأمل:

ويهدف القارئ بهذا النَّوْع إلى إِعمال الفكْرِ في الآيات والكلمات القرآنية، ويَجْتهد في الوقوفِ على معرفة مراد الله - جل ذي علاه - من كلامه، وما فيه من إرشادات ودلالات وعِبَر وحِكَم وإشارات، وهي من أجلِّ وأشرفِ أنواع قراءة القرآن الكريم الذي إنما أنزل لِتَدبُّره والعَملِ به، وأن يكون دستورًا للحياة، وكل قراءةٍ للقرآن يكون فيها إِعْمَال للفِكْرِ والتَدبُّر والتَأمُّل فهي من هذا النوع.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب المسافرين باب قيام الليل ومن نام عنه أو مرض ٢٦/٦ .

(٢) ذكره ابن كثير موقوفًا بسند صحيح عن ابن مسعود: ٨/١، ورواه الطبري عن الأعمش: ٧٤/١ بإسنادٍ صحيح. **ينظر**: تفسير الطبري المُسَمَّى «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، للإمام أبي جعفر محمد ابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق الدكتور/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط/دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، الأولى، ٢٠٠١م.

الهدف الثالث: قراءة الحفظ والمراجعة:

وهي قراءة الحفَّاظ من أهلِ القرآن، وغايتُهم العُظْمى حين يقرؤون بها تثبيت الحفظ في صُدُورهم وضَبطِهْ وتِكْرارِهْ، للمحافظة على هذا الشرف الذي خصَّهم به ربُّ العالمين، وهل هناك شَرَفًا أعظم من ذلك؟ لذا كان أفضل الحُفَّاظِ رُتبةً وإتْقَانًا أكثرهم تَعاهُدًا للقرآنِ.

الهدف الرابع: قراءة الأداء والتجويد:

ويهدف القارئ بهذا النوع إلى تجويد القراءة وتَحْسِينِها والتَمَهُّل فيها عن طريق الاعْتِناء بمخارج الحروف، وتحرير الوقوف، وضبط مَقادِيرالمدود والغنات، بقصد تحسين الأداء والتلاوة؛ لكن لابد لمَنْ أراد شَرَفَ هذا النوع من القراءة أن يُيَمِّمَ وجْه تِلقاء المُتْقنين من أصحابِ السَّنَدِ في القراءة؛ لكي يُثْنِي الركب عندهم، ويصبر على تَصْحِيحاتِهم وتَعْديلاتِهم، ويتدرَّب على موازين الأداء في القراءة لديهم؛ لتكون قراءته صافيةً نقيةً عذبةً، كما أُنْزِلت يوم أُنْزِلت على قلب محمد ﷺ، فالله حين تَكَفَّل بحفْظ القرآن هيَّأ لذلك أسْبابًا مِنْها تلك المجالِسِ القرآنية التي تُعْنَى بهذا النوع من القراءة قراءة الأداء والتجويد.

الهدف الخامس: قراءة التبرك والاستشفاء:

ويكون الهدف من جلْسَةِ القراءة هذه طَلَبُ الاستشفاء بالقرآن، أو طَلَبُ تحصيل بَرَكَةِ قراءته، إضافة إلى الأجرِ الحاصل بعدد حروفه المقروءة، فالقرآن كله بركة وأدلة الانتفاع ببركته في الشفاء، ودفع الحسد والعين، وطرد الشياطين، وفك السحر، وأنواع البلاء كثيرة ومتعددة.

الرأي الذي أراه: أن الجمْعَ بين الطريقتين بحسب الأحوال هو الراجح والمطلوب؛ حيثُ قد تَعْرِضُ بعضُ الحالات والأوقات التي تستدعي تغليب نوعٍ من هذه الأنواع وتقديمه على غيره، فالذي يقرأ في رمضان بقصد الختم والثواب يحتاج للنوع الأول، والذي يقرأ بقصد الحفْظ يُركِّزُ على الألفاظ، والذي يقرأ في مقام التعليم يُركِّز على التجويد والأداء والله أعلى وأعلم.

* * *

الفصل الثاني

علم الوقف والابتداء تعريفًا ونشأةً وتصنيفًا

المبحث الأول: تعريف الوقف والابتداء وبيان أقسامه.

وفيه تعريف بكل من الوقف والابتداء وأقسامه الأساسية، وما يلحق به من القطع والسَّكْت، وبيان لبعض المصطلحات التي يكثر استخدامها خلال هذا البحث مثل القطع والائتناف، والمقاطع والمبادئ، والوصل والوقف، وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول**: تعريف الوقف والابتداء وملحقاته.
- **المطلب الثاني**: أقسام الوقف والابتداء ومتعلقاته.

المبحث الثاني: أهمية الوقف والابتداء ونشأته والتصنيف فيه.

وفيه بحث حول أهمية هذا العلم، وذكر بعض الآثار التي تدل على اعتناء النبي ﷺ وصحابته الكرام وسلفنا الصالح به كعنايتهم بمعرفة معاني القرآن والوقوف على حلاله وحرامه، وبيان لتاريخ نشأته، وبدء تدوينه، وكثرة مؤلفات العلماء فيه، وتعريف بأشهر الأئِمَّة الذين صنفوا في هذا العلم وبكتبهم، وذكر بعض أقوالهم، وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول**: أهمية الوقف والابتداء في القرآن الكريم.
- **المطلب الثاني**: نشأة الوقف والابتداء والتصنيف فيه.

﴿ المبحثُ الأول ﴾

تَعْرِيفَ الوقف والابتداء وبيان أقسامه

﴿ المطلب الأول ﴾

تعريف الوقف والابتداء ومُلْحَقاتُهُ

قَدَّم العلماء الوقف على الابتداء في التعريف، وإن كان مؤخرًا عليه في الرُّتْبَة؛ لأن كلامهم في الوقف الناشئ عن الوصل، والابتداء الناشئ عن الوقف وهو بعده، مع ملاحظة أن البعض أطلق على هذا الفن اسم (القطع والائتناف) كأبي جعفر النحاس[١]، والبعض أطلق عليه (المقاطع والمبادئ) كأبي العلاء الهمذاني[٢]، إلى غير ذلك من الأسماء، وعلى كلٍّ فهي ألفاظٌ متقاربةُ المعاني لعِلْمٍ تُعْرف به المواضع التي يُشْرعُ لقارئِ القرآن أن يقفَ عليها وقفًا جائزًا أو واجبًا، وفيما يلي تعريف كل من الوقف والابتداء ومُلْحَقاتُهُ في القرآن الكريم[٣].

(١) هو العلَّامة أحمد بن محمد بن إسماعيل أبو جعفر، المعروف بابن النحاس مفسر وأديب، رحل إلى بغداد، فأخذ عن المبرد والأخفش والزجاج وغيرهم، مات سنة (٣٣٨هـ)، وسيأتي مزيد من ترجمته في المبحث الثاني من هذا الفصل **ينظر**: معجم الأدباء «إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب»، للعلَّامة ياقوت الحموي الرومي، تحقيق د/ إحسان عباس ٤٦٨/١، ط/ دار الغرب الإسلامي، بيروت، الأولى، ١٩٩٣م.

(٢) هو الإمام أبو العلاء الهمذاني الحسن بن أحمد بن الحسن بن محمد بن سهل، إمام العراقيين في القُرَّاءات، مؤلِّف كتاب الغاية في القِراءات العشْر، وأحد حفاظ العصر، ومن أشهر مؤلفاته كتاب المقاطع والمبادئ، ومن وقف على مؤلفاته عَلِمَ جلالة قدره، قال ابن الجزري عنه: وهو عندي أنه في المشارقة كأبي عمرو الدَّاني في المغاربة، تُوفِّي سنة (٥٦٩هـ). **ينظر**: غاية النهاية في طبقات القُرَّاء للإمام شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن عليّ ابن الجزري الدمشقي (ت ٨٣٣ هـ): ١٨٧/١، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، الأعلام: ١٨١/٢.

(٣) **ينظر**: النَّشر في القِراءات العشْر: ١٧٧/١ وما بعدها، لطائف الإشارات لفنون القُـرَّاءات للإمام أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني (ت ٩٢٣هـ): ٤٩٤/٢ وما بعدها، ط/وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف السعودية، منار الهدى في بيان الوقف والابتدا للشيخ/ أحمد بن محمد بن عبد الكريم الأشموني، تحقيق الشيخ/ عبد الرحيم الطرهوني: ٢٣/١ وما بعدها، ط/ دار الحديث بالقاهرة.

أولًا: تعريف الوقف وتوابعه:

الوقف: **لغة**: الحبس والكف، يُقال: وَقَفَ الأرض أو الدار على المساكين أو للمساكين وَقْفًا؛ أي: حبسها، ويقال: وقَفْتُ الدابة؛ أي: كفَّفتها عن المشي، ومنها السكوت، يقال: وقف القارئ على الكلمة وُقُوفًا؛ أي: سكت، ويقال: وقَّفَه توقيفًا؛ أي: علَّمه مواضع الوقف. والوقف مصدر قولك: وقَفْتُ الدابة، ووقَفْتُ الكلمة وقفًا [(١)].

وفي اصطلاح القُرَّاء: عبارة عن قَطْعِ الصوت على الكلمَةِ القرآنيةِ زمنًا يُتنفَّس فيه عادةً بنية استئناف القُرَّاءة، إما بما يلي الحرف الموقوف عليه، أو بما قبله؛ لا بنية الإعراض عن القُرَّاءة، ويَنْبَغِي معه البسملة في فواتح السور، ويأتي في رؤوس الآي وأواسطِها، ولا يأتي في وَسَطِ الكلمة، ولا فيما اتَّصل رسْمًا [(٢)].

حكم الوقف:

الوقْفُ جائزٌ ما لم يُوجد ما يُوجِبُه أو يَمْنَعُه، وإيضاح ذلك أنه لا يُوجد في القرآنِ الكريم وقفٌ واجبٌ يَأْثَمُ القارئ بِتَرْكه، ولا وقفٌ حرامٌ يَأْثَمُ بفعله، إنَما مدارُ ذلك على ما يترتَّبُ على الوقف من إيضاح المعنى المراد أو إيهام غيره مما ليس مقصودًا، وهذه القاعدة أصلٌ في هذا الباب، وإلى ذلك يشير الامام ابن الجزري بقوله:

وَلَيْس في القُرْآنِ مِن وَقْفٍ يَجِبْ … وَلا حَرامٍ غَيْرَ مَالَهُ سَبَبْ [(٣)]

فإن كانَ الوصلُ يُغَيِّر المَعْنى لَزِم الوقف، وإن كانَ الوقفُ يُغَيِّر المَعْنى لزِم الوصل، وكلُّ ما ثبَتَ شرعًا في هذا الصددِ هو سُنِّيَةِ الوقفِ على رؤوس الآي لحديثِ أم سَلَمَة المتقدم، وجوازه فيما عداها ما لم يُوهم خِلاف المَعْنى المُرَاد.

أقسام الوقف:

اختلفت روايةُ العلماءِ في تقسيمِ مواضع الوقف والابتداء في القرآن الكريم، وبيانِ أنواعه، وفي تَسْمِيةِ هذه الأنواع، وتَحْدِيد كلِّ نوعٍ منها بحدٍّ يَخُصُّه ويُمَيِّزه عن غيره؛ إذ لم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن أحد من أصحابه ولا من التَّابعين تسمية الوقوفِ وتَقْسِيمها إلى أقسامٍ معينة، فلا يتعدى ذلك الخلاف إلا أن يكون خلافًا في الاصطلاح؛ وذلك

(١) **ينظر**: لسان العرب لابن منظور: ٤٨٩٨/٦ وما بعدها، مُختار الصحَّاح: ص ٣٠٥ .
(٢) **ينظر**: النَّشر في القِراءات العشْر: ١٨٩/١، لطائف الإشارات لفنون القُرَّاءات: ٤٩٠/٣
(٣) **ينظر**: شرح طيبة النَّشر في القِراءات العشْر: ص٤١.

شائعٌ، وخاصة أنه - ومع اختلافهم في تَقْسيم مواضع الوقف - نجدهم مُتَّفقين على أقسامِهِ الأساسِيَّة، وهي الوقف (التَّام – الكافي – الحسن – القبيح).

وسأذكر فيما يأتي طرفًا من تَقْسِيماتهم، ثم أُعَرِّج على الراجحِ المشهورِ من الأقوالِ الذي عليه الاختيار.

قال ابن الأَنْبَاري(١): «واعلم أن الوقفَ على ثلاثةِ أوْجه: وقفٌ تام، ووقفٌ حسنٌ ليس بتامٍّ، ووقفٌ قبيحٌ ليس بحسنٍ ولا تامٍّ»(٢).

وقال الإمام الدَّاني(٣) بعد ذكره لعدة أقوال: «والقولُ الأَعْدلُ عِنْدِي، وبه آخذ أن الوقفَ على أربعةِ أقسام: الوقفُ التَّام، والوقفُ الكاف، والوقفُ الحسن، والوقفُ القبيح»(٤).

وقال السَّجَاوِنْدِى(٥): «وهى على خمسَةِ مراتب: لازمٌ، ومطلقٌ، وجائزٌ، ومجوز لوجه، ومرخص ضرورة»(٦).

وقال شيخ الاسلام زكريا الانصاري(٧): «ثم الوقف على مراتب: أعلاها التَّام، ثم

(١) هو الإمام الحافظ محمد بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر ابن الأَنباري، المقرئ، النَّحوي، الأديب، كان آية من آيات الله في الحفظ، تُوفِّي سنة (٣٢٨هـ)، وسيأتي مزيد من ترجمته ضمن المبحث الثاني من هذا الفصل **ينظر**: معجم الأدباء: ٢٦١٤/٦، غاية النهاية: ٢٠٣/٢.

(٢) **ينظر**: إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ للعلَّامة/ محمد بن القاسم بن بشار الأنباري النَّحوي، (ت٣٢٨هـ)، تحقيق الدكتور/ أحمد عيسى المعصراوي: ص ١١١، ط/ دار الإمام الشاطبي بالقاهرة، الأولى.

(٣) هو العلَّامة عثمان بن سعيد بن عمر المكنى بأبي عمرو والمعروف بالدَّاني، من موالي بني أمية ، وهو أحد حفاظ الحديث، ومن الأئِمَّة في علم القرآن ورواياته وتفسيره ، تُوفِّي سنة (٤٤٤هـ)، وسيأتي مزيد من ترجمته ضمن المبحث الثاني من هذا الفصل. **ينظر**: الأعلام ٢٠٦/٤.

(٤) **ينظر**: المكتفى في الوقف والابتدا، للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الدَّاني (ت٤٤٤هـ): ص١٨ وما بعدها بتصرف، ط/ مكتبة أولاد الشيخ للتراث بالقاهرة.

(٥) هو الإمام محمد بن طَيْفور السَّجاوندي، الغزنوي، مفسِّر، وله تفسير حسن للقرآن، عالم بالقُرَّاءات، وله كتاب علل القُرَّاءات في عدة مجلدات، وكتاب الوقف والابتداء الكبير وآخر صغير، وهو يعد من كبار المحققين، تُوفِّي سنة (٥٦٠هـ). **ينظر**: غاية النهاية: ج٢ /١٣٩، الأعلام: ١٧٩/٦.

(٦) **ينظر**: الوقف والابتداء، للعلَّامة محمد بن طيفور السجاوندي (ت٥٦٠هـ)، تحقيق د/ محسن هاشم درويش: ص١٠٤، ط/ دار المناهج للنشر والتوزيع بالأردن، الأولى، ٢٠٠١م.

(٧) هو شيخ الإسلام أبو يحي زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري المصري الشافعي، كان قاضيًا وإمامًا في التفسير، حافظًا للحديث، عالمًا بالفقه والأصول، مقدمًا في علم القُرَّاءات والتجويد، وله مصنفات عديدة، تُوفِّي سنة (٩٢٦هـ)، وسيأتي مزيد من ترجمته في المبحث الثاني من هذا الفصل **ينظر**: الأعلام ٤٦/٣.

الحسن، ثم الكافي، ثم الصالح، ثم المفهوم، ثم الجائز، ثم البيان، ثم القبيح، فأقسامه ثمانية»[(١)].

وقال العلَّامة **الأَشْمُونِي**[(٢)]: «ويتنوع الوقف نظرًا للتعلُّق إلى خمسة أقسام: التَّام، والقبيح، والكافي، والحسن، والخامس متردد بين هذه الأربعة، والراجح أنه يُقصد به الجائز لاسيما وأنه قد استعمله كثيرًا في كتابه، ثم جعل مراتِبه عشرة، فقال: وأشرتُ إلى مراتبه بتامٍّ وأتم، وكافٍ وأكفى، وحَسَنٍ وأحسن، وصالح وأصلح، وقبيح وأقبح»[(٣)]...إلى غير ذلكَ من الأقوالِ.

واختياري: أن جميع ما ذُكِرَ من مسالك العلماء، واصطلاحاتهم في مراتب الوقف غير منضبط ولا منحصر لاختلاف المُفسِّرين والمُعْرِبين؛ وذلك أن الوقف قد تتفاوت مراتبه بتفاوت المعنى ومُتعلقاته، فقد يكون الوقف تامًّا على تفسيرٍ وإعرابٍ وقراءة، غيرُ تام على آخر؛ إذ الوقف تابع للمعنى، وأشهر الأقوال وأعْدلها، وهو المُخْتار، وعليه أكثر القُرَّاء ما ذكره الإمام الدَّاني وتبعه في ذلك الإمام ابن الجزري أنها أربعة أقسام وهي: التَّام، والكافي، والحسن، والقبيح ،وهو ما سوف أعْتَمِدُه من أقسام الوقف خلال هذه الدِّراسة، والله أعلى وأعلم[(٤)].

قال الإمام ابن الجزري في النشر: «وأقرب الأقوال في ضبْطه أن الوقفَ ينقسم إلى اختياري واضطراري؛ لأن الكلام إما أن يَتِمَّ أو لا. فإن تَمَّ كان اختياريًا، وكوْنُه تامًّا لا يخلو إمَّا أن لا يكون له تعلُّق بما بعده البتَّة؛ أي: لا من جهة اللَّفْظ ولا من جهة المعنى، فهو الوقف الذي اصْطَلح عليه الأئِمَّة (بالتَّام) لتمامِه المطلق، فيوقف عليه، ويُبْتَدأ بما بعده، وإن كان له تعلق فلا يخلو هذا التعلُّق إما أن يكون من جهة المعنى فقط؛ وهو الوقف

(١) **ينظر**: المقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء للعلَّامة/ أبي يحيى زكريا الأنصاري: ص٩ وما بعدها، ط/ المكتبة الأزهرية للتراث بالقاهرة.

(٢) هو الشيخ الفقيه المقرئ أحمد بن محمد بن عبد الكريم، الأشموني، الشافعي ، من أكابر علماء القرن الحادي عشر الهجري، وسيأتي مزيد من ترجمته في المبحث الثاني من هذا الفصل . **ينظر**: معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، تأليف/ عمر رضا كحالة، ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت، الأولى، ١٩٩٣م.

(٣) **ينظر**: منار الهدى: ٢٥/١.

(٤) **ينظر**: مرويات الحافظ ابن الجزري في الوقف والابتداء من كتابيِّ التمهيد والنَّشر، دراسة وتحقيق/ فرغلي سيد عرباوي: ص٢٠، ط/ مكتبة أولاد الشيخ للتراث بالقاهرة ، إيضاح الوقف والابتداء: ص٢٥ وما بعدها، منار الهدى: ٢٣/١ وما بعدها.

المُصْطَلح عليه (بالكافي) للاكتفاء به عما بعده، واستغناء ما بعده عنه، وهو كالتَّام في جواز الوقف عليه والابتداء بما بعده، وإن كان التعلُّق من جهة اللَّفْظ فهو الوقف المُصْطَلح عليه (بالحَسن)، فيجوز الوقف عليه، وأما الابتداء بما بعده ففيه تفصيل يأتي في موضعه، وإن لم يَتِم الكلام كان الوقف اضطراريًا، وهو المصطلح عليه (بالقبيح)، فلا يَجُوز تعمُّدُ الوقف عليه لعدم الفائدة أو لفسادِ المعنى»[(١)].

وسوف يأتي تفصيل الكلام على كلِ قسمٍ من هذه الأقسام الأربعة، وأمثلته، وأثَره في التفسير، وعَلَامة الوقفِ المستعملة في المصاحفِ، والتي يرمز بها لكل قسم من هذه الأقسام وتوابعها في المطلب الثاني بحول الله ومشيئته.

السَّكْت والقَطْعُ:

ويُلْحَق بالوقف كلا من (السَّكْت والقَطْع)، وقد كانت جَمِيعها - الوقف والسَّكْت والقطع - تستعمل عند المُتقدمِين بِمَعنى واحد لتقارب مَدْلُولاتِهَا، ولا يريدون بها غير الوقف إلا مقيَّدة، واستقرَّ الأمر في اصْطِلاح المتأخرين وغيرِهم من المُحَقِّقِين على التفريق بينها على ما سيأتي تفصيل الكلام عليه في الأَسْطُرِ التالية:

تعريف السَّكْت:

السَّكْت: **لغةً**: المنع، يقال: سكت الرَّجُلُ عن الكلام أي: امتنع عنه[(٢)].

وفي اصْطِلاحِ القُرَّاء: هو عبارة عن قطعِ الصوت زَمَنًا دون زمن الوقف عادة من غيرِ تنفس، وقد اخْتَلَفَت ألفاظ الأئِمَّة في التَّأْدِيةِ بما يَدُلُ على طُول السَّكْت وقصره، وهم في مقداره بحسب مذاهِبِهِم في التحقيق والحدر والتوسط حَسْبَما تَحْكُم المشافهة، وما أجمع عليه أهل الأداء من المحقِّقين أن السَّكْت لا يكون إلا مع عدمِ التنفس؛ سواء قلَّ زمنه أو كثر، وأنَّه مُقَيَّدٌ بالسَّماعِ والنقل، فلا يجوز إلا فيما صَحَّت بِهِ الرِوايةُ لمعنى مَقصُود بذاته[(٣)].

---

(١) **ينظر**: النَّشر في القِراءات العشْر: ١٧٨/١ بتصرف.

(٢) **ينظر**: مادة: سَكَتَ، السَّكْت والسُّكوتُ خلاف النطق، يقال سَكَتَ الرجل يَسْكُتْ سَكْتًا سُكُوتًا إذا قطع الكلام، والسَّكْت من أصوات الألحان، وهو شبه تنفس بين نغمتين، يراد بذلك فصل ما بينهما. **ينظر**: لسان العرب: ٢٠٤٦/٣، مختار الصحَّاح: ص١٢٩.

(٣) **ينظر**: النَّشر في القِراءات العشْر: ص١٩٠، الإتقان في علوم القرآن: ص١٨٦، معجم علوم القرآن: ص١٦٦.

وقد روى السَّكْت وجوبًا في رواية حفص عن عاصم من طريق الشَّاطِبية في أربعة مواضع - لم يشاركه فيها أحد من القُرَّاء - بمعنى أنه إذا وصل القارئ الكلمة بما بعدها فليس له إلا السَّكْت، وفيما يلي بيان هذه المواضع ودَلالتِها على المعنى.

- **الموضع الأول:**

السَّكْت على الألف المبدلة من التنوين في ﴿عِوَجَا﴾ من قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ [الكهف: ١]، ثم يقول: ﴿قَيِّمًا﴾ وهذا لا يمنع الوقف مع التنفس على ﴿عِوَجَا﴾؛ لأنه رأْسُ آية، فتأمَّل، والحكمة من هذا السَّكْت هو دفع ما قد يُوهمه الوصل بلا سَكْت من كون ﴿قَيِّمًا﴾ صفة لـ ﴿عِوَجَا﴾ وليس كذلك؛ إذ إن العِوج لا يمكن أن يكون قَيِّما، إنما هو منصوب لفعل تقديره: (أنزله قَيِّمًا)، فيكون المعنى: الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قَيِّما، ولم يجعل له عوجًا[(١)].

- **الموضع الثاني:**

السَّكْت على الألف من لفظ ﴿مَّرْقَدِنَا﴾ من قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢]، ثم يقول: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾، ويَحْسُن الوقف على لفظ ﴿مَّرْقَدِنَا﴾ عند من لا سَكتَ له من القُرَّاء، كما في رواية حفص عن عاصم من طريق الطيبة فتأمَّل، والحكمة من هذا السَّكْت بيان أن قول ﴿هَٰذَا﴾ ليس بصفة لـ ﴿مَّرْقَدِنَا﴾ إنما هو مبتدأ، ودفع ما قد يُوهمه الوصل من أن ﴿هَٰذَا﴾ من قول الكفار؛ بل هو مُسْتأنف من قولِ الملائكة، وقيل من قولِ المؤمنين.

قال قتادة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[(٢)]: تَكلَّمَ بأول هذه الآية أهلُ الضلالة، وتَكلَّمَ بآخرها أهلُ الإيمان، قال أهلُ الضلالة: ﴿يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ وقال المؤمنون: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ

---

(١) **ينظر**: معاني القرآن وإعرابه، للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن السري، الزجاج، (ت ٣١٢هـ)، شرح وتحقيق د/ عبد الجليل عبده شلبي ٢٦٧/٣، ط/ عالم الكتب، بيروت، الأولى، ١٤٠٨هـ.

(٢) هو قتادة بن دعامة أبو الخطاب، السدوسي، البصري المُفَسِّر، أحد الأئِمَّة في حروف القرآن، وكان يضرب بحفظه المثل، كان عالمًا بالتفسير وباختلاف المحدثين، رأسًا في العربية، لا يسمَعُ شيئًا إلا حفظه، تُوفِّي سنة (١١٨هـ). **ينظر**: سير أعلام النبلاء: ٢٦٩/٥، الأعلام: ١٨٩/٥، غاية النهاية: ٢٤/٢.

ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾[1].

- **الموضع الثالث:**

السَّكْت على النون من لفظ ﴿مَنْ﴾، ثم يقول: ﴿رَاقٍ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ﴾[القيامة ٢٧] والحكمة من هذا السَّكْت؛ لئلا يُتَوَهَّم أنها كلمة واحدة، تُشْبِه مرَّاق، وهو بائع المرقة، فسكت سكتة لطيفة لبيان أنها كلمتان[2].

- **الموضع الرابع:**

السَّكْت على اللام من لفظ ﴿بَلْ﴾، ثم يقول ﴿رَانَ﴾ من قوله تعالى: ﴿كَلَّاۖ بَلْۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]، والحكمة من هذا السَّكْت أيضًا؛ لئلا يُتوهَّم أنها كلمة واحدة تشبه بِرَّان من تثنية البر، فسكت سكتة لطيفة أيضًا لبيان أنها كلمتان[3].

كما روى السَّكْت جوازًا في موضعين:

- **الموضع الأول:**

السَّكْت ما بين سورتي الأنفال والتوبة، ومَحِلُّهُ على المِيم من لفظ ﴿عَلِيمٌ﴾ آخر الأنفال من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥].

ثم يقول: ﴿بَرَآءَةٌ﴾ من قوله تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١].

والحكمة من هذا السَّكْت ما وقع من الاختلاف بين الصحابة في كونِ الأنفال وبراءة سورة واحدة، فتكون هي السابعة من السَّبْعِ الطوال، أم هما سورتان، ويجوز في هذا الموضع - أي بين الأنفال وبراءة - ثلاثة أوجه هي: القطع، والوصل، والسَّكْت.

١- **القَطْعُ**: أي الوقف على آخرِ الأنفال مع التنفس، ثم الابتداء بأول براءة.

---

(١) **ينظر**: تفسير الألوسي المسمى روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للعلَّامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي، البغدادي، (ت١٢٧٠هـ): ٣٣/٢٣، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، تفسير ابن كثير: ٣٦٨/١١.

(٢) **ينظر**: تفسير الألوسي: ١٤٧/٢٩، تفسير القرطبي: ٤٣٤/٢١.

(٣) **ينظر**: تفسير القرطبي: ١٤٢/٢٢، تفسير ابن كثير: ٢٨٥/١٤.

٢- **السَّكْت**: أي قطْع الصوت لمدة يسيرة بدون تنفُّس، ثم الابتداء ببراءة.

٣- **الوَّصْلُ**: أي وصْل آخر الأنفال بأول براءة، وكل ذلك من غير الإتيان بالبسملة.

- **الموضع الثاني**:

السَّكْت على الهاء من لفظ ﴿مَالِيَهْ﴾ من قوله تعالى: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٨]، ثم يقول: ﴿هَلَكَ﴾ من قوله: ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٩].

فيجوز لحَفْص فيها وجهين: **أولا**: السَّكْت، **ثانيا**: الإدراج مع الإدغام حال الوصل، والوجهان صحيحان مقروءٌ بهما، والسَّكْت هو المقدَّم في الأداء.

ويجوز له أيضًا الوقف مع التنفس على ﴿مَالِيَهْ﴾؛ لأنه رأس آية، فيكون لحَفْص في هذا الموضع **ثلاثة** أوجه أيضًا.

تعريف القطع:

القَطْعُ: **لغةً**: الإبانة والإزالة، تقول: قَطَعْتُ الشجرة: إذا أَبَنْتَها وأَزَلْتها، وانْقَطع الكلام: أي وَقَفَ فلم يمضِ، والمَقْطَع: أي الآخر والخاتمة، ومقاطع القرآن: أي مواضع الوقوف [(١)].

وفي اصطلاح القُرَّاء: هو عبارة عن قطْع القُرَّاءة رأْسًا فهو كالانتهاء، فالقارئ به كالمُعرِض عن القُرَّاءة، والمُنْتقِل منها إلى حالة أخرى، كالذي يقطع على حِزْبٍ أو وِرْدٍ أو عُشْرٍ أو في ركعة، ثم يركع أو نحو ذلك، مما يُؤْذِن بانقضاء القُرَّاءة والانتقال منها إلى حالة أخرى، وهو الذي يُسْتعاذ بعده للقراءة المُسْتأنفة، ولا يكون إلا على رأس آية؛ لأن رؤوس الآي في نَفْسِها مقاطع[(٢)].

وقد ذكر **الإمام ابن الجزري** في النشر بسند متصل إلى عبد الله بن أبي الهذيل[(٣)] أنه

(١) **ينظر**: لسان العرب: ٣٦٧٤/٥ وما بعدها، مختار الصحَّاح: ص ٢٢٨ وما بعدها.

(٢) **ينظر**: النَّشر في القِراءات العشْر: ١٨٨/١، الإتقان في علوم القرآن: ص ١٨٦، معجم علوم القرآن: ص٢٢٤.

(٣) هو عبد الله بن أبي الهذيل العنْزِي أبو المغيرة، الكوفي، تابعي كبير، عالم في الفقه، رَوى عن: أُبَيٍّ، وعمر، وابن مسعود، وغيرهم من الصحابة، وهو من الثقات عند المحدثين، رَوى له مسلم وغيره. **ينظر**: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، (ت٤٣٠هـ): ٣٥٨/٤، ط/ دار الفكر للطباعة وللنشر، بيروت، ١٩٩٦م.

قال: «إذا افْتَتَح أحدكم آية يقرَؤها، فلا يقطعها؛ حتَّى يتمها، وفي رواية أخرى: كانوا يكرهون أن يقرؤوا بعض الآية، ويدعوا بعضها».

قُلْتُ: وفي هذا دليل على أنه لا يجوز قراءة بعض الآية؛ حتَّى يُتِمَّها فيركع حينئذ، وهذا أعم من أن يكون في الصلاة أو خارجها. وقوله: (كانوا) يدل على أن الصحابةَ كانوا يكرهون ذلك؛ لأن ابن أبي الهذيل تابعي كبير، وكان يسمع منهم، ويعرف عنهم، والله تعالى أعلم[1].

الفرق بين الوقفِ والسَّكْت والقَطْعِ:

نَخْلُصُ ممَّا تقدَّم إلى أن الوقف والسَّكْت والقطع عبارات استعْملها المُتقدمون بمعنى واحد مرادًا بها الوقف غالبًا، ولا يُرِيدون بها غير الوقف إلا مُقيَّدة، أما المُتأخِّرون فقد حَرَّروا هذه المصطلحات، وجعلوا لكلِ مُصْطَلحٍ منها ما يدل عليه مما لا يشاركه فيه الآخر، **فالوقف** يُشْترط فيه التنفُّس مع المُهْلَةِ، **والسَّكْت** لا يكون معه تنفُّس وكلاهما بنية استئناف القُرَّاءة، **والقَطْع** هو الانصراف عن القُرَّاءة والانتهاء منها، والله أعلى وأعلم.

ثانيًا: تعريف الابتداء وما يلزم فيه:

الابتداء: **لغة**: فعْل الشيء أَوَّل، يقال: بَدَأَه أي: فعله ابتداءً، وابْتَدَأْتُ بالشيءِ أي: قَدَّمْتُهُ[2].

وفي اصطلاح القُرَّاء: هو الشروع في القُرَّاءة؛ سواء كان بعد قطْعٍ أو وقْفٍ، **فإن كان بعد قطعٍ وانصرافٍ عن القُرَّاءة** فلا بد فيه من الاستعاذةِ ثم البسملةِ إذا كان الابتداء من أوائل السور، **فإن كان الابتداء في أثناء السور** فالقارئ مُخَيَّر بين الإتيان بالبسملة أو ترْكها بعد الاستعاذة، وأما **إذا كان الابتداء بعد وقف** فلا يحتاج القارئ إلى ذلك؛ لأنه في هذا الحالة يعتبر مُسْتمرًّا في قراءَتِهِ، والوقف إنَّمَا هو للاسْتِراحة وأخْذ النَّفس[3].

(١) **ينظر**: النَّشر في القِراءات العشْر: ١/١٨٩.

(٢) **ينظر**: لسان العرب: ١/٢٢٣، مختار الصحَّاح: ص١٨.

(٣) المعجم التجويدي لأشهر ألفاظ علم التجويد: ص٣٣١، تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين، تأليف/ أبي الحسن عليّ بن محمد النوري الصفاقسي (ت ١٤٣٥هـ): ص١٣٨، نشر وتوزيع مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، تونس، هداية القاري إلى تجويد كلام الباري للشيخ/ عبد الفتاح عجمي المرصفي: ١/٣٩٢، ط/ دار الفجر للنشر والتوزيع بالمدينة المنورة، الأولى، ١٤٢١هـ.

قال الإمام ابن الجزري في النشر: «وأما الابتداء فلا يكون إلا اخْتِياريًّا؛ لأنه ليس كالوقف تدعو إليه ضرورة، فلا يجوز إلا بِمُسْتَقِل في المعنى ومُوفٍ بالمقصود، وهو في أقسامه كأقسام الوقفِ الأربعةِ، ويتفاوت تَمامًا وكِفايةً وحُسْنًا وقُبْحًا بحسب التَّمام وعدمه وفساد المعنى وإحالته»[1].

ومما تقدَّم يُمكن تلخيص القول بأن الابتداء نوعان: ابتداء جائز، وابتداء غير جائز.

النوع الأول: الابتداء الجائز:

وهو ما كان بكلامٍ مستقل في المعنى ومُوفٍ بالمقصود، ويتفاوت تَمامًا وكِفايةً وحُسْنا بحسب التَّمام وعدمه، وأمثلة هذا النوع جلية لا تحتاج إلى بيان.

النوع الثاني: الابتداء غير جائز:

وهو الابتداء بكلام غير مستقلٍّ يَخِلُ بالمعنى الذي أراده الله؛ لتعلُّقه بما قبله لفظًا ومعنى؛ **وهو القبيح**، ويتفاوت القُبْح في الابتداء بحسب إخلاله بالمعنى المقصود أو إيهامه خلاف مراد الله.

ومن أمثلة ذلك الوقف ضرورة على ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢].

فإن ابتدأ من لفظ الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾ كان الابتداء قَبيحًا، وإن ابتدأ من ﴿وَعَدَنَا﴾ كان أقبحُ منه، وإن ابتدأ من ﴿مَّا وَعَدَنَا﴾ كان أقبح مِنْهُما [2].

فلْيتأمل القارئُ ذلك، ولْيَحْذر من البدء بمثل هذا ونظائره؛ لما فيه من سوء الأدب مع الله عَزَّوَجَلَّ، وإحالة المعنى إلى معنى آخر لا يمكن التفوُّه بِهِ مطلقًا[3].

* * *

(١) **ينظر**: النَّشر في القِراءات العشْر: ١/١٨١ بتصرف.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) سيأتي مزيد من أمثلة الابتداء القبيح في المطلب التالي بحول الله وقوته.

☙ المطلب الثاني ❧

أقسام الوقف والابتداء ومتعلقاته

وسوف نَتَعرَّف من خِلالِه على كلِّ قِسْمٍ من أقسام الوقف والابتداء - على المذهب المختار - وهي: **(التَّام والكافي والحسن والقبيح)**، وما يندرج تحتها من أَلْقَابٍ للوقوف، وأمثلة كل قسم، وحُكْمُه، وتَطْبِيقاته، ورمْزُه في المصحفِ الشريف، وقبل هذا وبعده دَلالَتُه على المعنى، وأَثَرُهُ في التفْسيرِ، وإن ممَّا يَجْدرُ التأكيد عليه قبل الدخول في هذا الباب أمورًا منها:

١- أن الاختِلافَ في تقسيم الوقف والابتداء ومُسمَّياتِه ورموزَه أمْرٌ اصْطِلاحي، فَقَدْ يختَلفُ رأي العلماء في الوقف الواحد إلى أقوال، كُلٌّ بحسب رُؤْيته واجْتهاده، أو اعتباره لوجهِ تفسيرٍ، أو قراءةٍ، أو إعرابٍ، ويبْقى الأَصْلُ في هذا البابِ أن الوقفَ قرين المعنى، أو إنْ شئت فَقُلْ: إنَّ على المعنى مَدار الوقفِ والابتداءِ.

٢- ضرورة إعْمَال الفِكْر والنْظْر والقِياس الصَّحيح على جميع الأمثلة والنَّظائر في كل موضع يَسُوغ فيه الوقف والابتداء في القرآن الكريم، ولو لمْ توضع عليه علَامة الوقف.

٣- أهمية ألا نَنْشَغِلَ بِمُصْطلحات الوقف ومُسمَّياتِها عن مُرادِنا الأسْمى، ألا وهو دلالات المعاني، فلنُعْمِل فيها العقول، ولنَفْتح لها القلوب؛ حتَّى يَسْتشعِر القلب مقاصد القرآن وغاياته من خلال التَّاملِ في مواضع الوقف والابتداء لسوره وآياتِه، بِإحْساس يُخالِطُ القلب، فيُطمئِنه، ويُحْيِيه، ويُطهِره، ويُزكِيه، نُريدُ أن نُزِيلَ الحَواجزَ التي تَحْجِبُ الروح عن القرآن، أو تحجب القرآن عن الروح؛ حتَّى نَسْتروحَ منه ما لا نسْتَروحه من غيره، نريد ونحن نسْمُوا ونَرْقي في فهم معاني القرآن بوقفه وابتدائه أن نَسْمُوا ونرقى في درجات الجنان بعدد كل آية نُحسِنُ تلِاوتَها، ونَفْهَمُ دلالتها.

وعلى ما تقدَّم الإشارة إليه من معانٍ ما استطعت إلى ذلك سبيلًا، وبقدر ما يَمُنُّ الله عليَّ مِنْ فَضْلِه تَيْسيرًا، أنتقلُ للحديث عن كلِّ قسْمٍ من أقسامِ الوقف والابتداء وأَثَرِه في التفسير، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكَّلْتُ، وإليه أُنِيب.

أولًا: الوقف التَّام

تعريف الوقف التَّام:

في اللغة: يُقال: تَمَّ الشيء يَتِمُّ تمًّا وتَمَامًا: إذا كمُلَتْ أجْزاؤه فهو تـام، وتمـام الـشيء: انْتهاؤه إلى حدٍّ لا يحتاج إلى شيء خارج عنه[1].

وفي اصطلاح القُرَّاء: هو الوقف على كلامٍ تامٍّ في ذاته غير مُتَعَلِّق بما بعـده مطلقًـا؛ لا من جهة اللَّفْظ ولا من جهة المعنى، ويُقصَدُ بالتعلَّق اللَّفْظي: أن يكون ما بعـده مُتعلِّقًـا بما قبله من جهة الإعراب، كأن يكون صفة للمتقدمِ، أو معطوفًـا عليـه، أو نحـو ذلـك، ويُقصَدُ بالتعلُّق المعنوي: أن يتعلَّق المتأخِّر بالمتقدم من جهـة المعـنى فقـط دون شيء مـن متعلقات الإعراب؛ كالإخبار عن حال المؤمنين، أو حال الكافرين، أو تمام القـصة، أو نحـو ذلك[2].

ووجه تسميته تامًّا: لتمامِ الكلام به ،واسـتغْنائِه عمـا بعـده، وقيـل: لِتمامِـه المطلـق، وانقطاع ما بعده عنه[3].

دليل من السنة: ما رواه عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: « أَقْـرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ فَرَاجَعْتُهُ ، فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ وَيَزِيدُنِي حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْـرُفٍ». **وفي رواية لأبي داوود**: قال: « لَيْسَ مِنْهَا إِلاَّ شَافٍ كَافٍ إِنْ قُلْتَ سَمِيعًا عَلِيمًا عَزِيزًا حَكِيمًا مَـا لَمْ تَخْتِمْ آيَةَ عَذَابٍ بِرَحْمَةٍ أَوْ آيَةَ رَحْمَةٍ بِعَذَابٍ»[4].

قال الإمام الدَّاني: «فهذا تعليم التَّمام - وفي رواية- الوقف التَّام من رسول الله ﷺ عن جبريلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ إذ ظاهره دال على أنه ينـبغي أنْ يقطَـعَ على الآيـة الـتي فيهـا ذكـر النـار والعقاب، وتُفْصل عما بعدها إذا كان بعدها ذِكْر الجنة والثواب، وذلـك نحـو قـوله تعـالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقـرة: ٨١] هنـا الوقـف، ولا يجـوز أن يُوصل بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة: ٨٢]، ويقطع على ذلك، ويختـم بــه الآيــة، ومثلــه قــوله تعــالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ

(١) **ينظر**: لسان العرب ٤٤٧/١، مختار الصحَّاح: ص٣٣

(٢) **ينظر**: البرهان في علوم القرآن ٥٠٦/١، معجم مصطلحات علم القُرَّاءات: ص٣٤٢ منار الهدي ٢٥/١.

(٣) **ينظر**: النَّشر في القِراءات العشر١٧٨/١، منار الهدى: ص٢٥.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القـرآن ٢٣/٩ رقـم٤٩٩١، وأبـو داوود في كتـاب الـصلاة: ص٢٥٤ رقم١٤٧٧.

﴿أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [غافر: ٦] هنا وقف التَّمام ولا يجوز أن يوصل ذلك بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ﴾ [غافر: ٧]، ويقطع عليه ويختم به الآية، وكذلك قوله تعالى: ﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦ﴾ [الإنسان: ٣١] هنا الوقف، ولا يجوز أن يُوصل ذلك بقوله: ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ويقطع على ذلك، ويُجعل ذلك تمامًا للآية، وكذلك ما أشبهه [(١)].

أنواع الوقف التَّام:

للوقف التَّام نوعان: **الأول**: (التَّام المُقيَّد)، **الثاني**: (التَّام المُطْلق).

● النوع الأول: التَّام المقيد أو اللَّازم:

تعريفه: لغة: المُلازَمَة للشيء والدَّوام عليه، من لَزِمَ الشيء يَلْزَمُهُ لَزْمًا ولُزُومًا ومُلازَمة أي صار الشيء لازِمًا وثابِتًا [(٢)].

و في اصطلاح القُرَّاء: هو الذي يَلْزَم الوقف عليه والابتداء بما بعده؛ لأنه لو وُصل بما بعده لأَوْهَمَ وصْله معنى غير المعنى المراد؛ لذا يُسَمِّيه بعضهم بالوقف اللَّازم، وذلك لِلزُومه وتَحتُّمه صناعة، بمعنى أنه لازم لجودة التلاوة وإحكام الأداء»[(٣)].

قال الإمام ابن الجزري: «من الأوقافِ ما يتأكد استحبابه لبيان المعنى المقصود، وهو ما لو وُصل طرفاه لأوْهَم معنى غير المراد، وهذا الذي عَبَّرَ عنه السجاوندي باللَّازم، وعَبَّرَ عنه بعضهم بالواجب، وليس معناه الواجب عند الفقهاء الذي يعاقب على ترْكه، كما توهَّمه بعض الناس، ويجيء هذا الوقف في قِسْمي التَّام والكافِي، وربما يجيء في الحَسَنِ»[(٤)].

قلت: وقد وجدْتُ بعض القُرَّاء يُسمِّيه بـ **(وقف البيان)**؛ لأنه يُبَيِّن معنى لا يُفهم بدونه، ولو وُصل لأَوْهَمَ غير المعنى المراد، **وله ثلاث صور**:

١- **البيان التَّام**: وهو ما لا يَتبيَّن المعنى المقصود إلا بالوقف عليه، مع عدم التعلُّق بما بعده لا لفظًا ولا معنى.

---

(١) **ينظر**: المكتفى: ص١٤، ١٥ بتصرف، القطع والائتناف، للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت٣٣٨هـ)، تحقيق د/ عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي: ص١٣، ط/ دار عالم الكتب، السعودية، الأولى، ١٤١٣هـ.

(٢) **ينظر**: لسان العرب: ٤٠٢٧/٥، مختار الصحَّاح: ص ٢٤٩.

(٣) **ينظر**: الوقف والابتداء للسَّجاوندي: ص١٠٤ وما بعدها، معجم مصطلحات علم القُرَّاءات القرآنية: ص٣٤٥.

(٤) **ينظر**: النَّشر في القِراءات العشْر: ١٨٣/١ بتصرف.

٢- **البيان الكافي**: وهو مالا يَتبيَّن المعنى المقصود إلا بالوقف عليه، مع تعلُّقه بما بعده معنىً لا لفظًا.

٣- **البيان الحسن**: وهو مالا يَتبيَّن المعنى المقصود إلا بالوقف عليه مع تعلقه بما بعده لفظًا لا معنىً(١).

وسوف أتجاوز هذا التَّبَايُن الاصْطِلاحي، وأُشِير إلى هذا النوع بجميع صُوره المتقدمة بالوقف اللَّازم (٢).

رَمْزُه في المصحف: ويُرمَزُ له بِوضع ميم أفقية هكذا (مـ) على الكَلِمةِ التي يَلْزم الوقف عليها، غير أن هناك مواضع للوقف اللَّازم ذَكَرها علماءُ الوقفِ وأئمةُ الأداءِ لمْ يُوضعْ عليها علَامة في بعض المصاحفِ؛ وذلك للاختلاف في تقدير نوع الوقف بين اللِّجان المُكلَّفة بوضع علامات الوقف بالمصاحف(٣).

أسباب الوقف اللَّازم وصوره الدَّالة عليه:

فمن خلال تَتَبُّع الوقْف اللَّازم في القرآن الكريم نجد أن أسبابه غالبًا ما تعود إلى عدةِ صور منها: أن يُوهِمُ الوصْل أن ما بعده صِفَةً لما قبله، أو ظَرْفًا له، أو مَعْطُوفًا عليه، أو مُتعلِّقًا به، أو أنه من مَقُولة.

وفيما يلي أمثلة توضيحية لكل صورة من الصور المتقدمة:

١- **قوله تعالى**: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النِّساء: ١٧١].

فالوقف على قولِه: ﴿وَلَدٌ﴾ لازم، ويكون الابتداء بقوله ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ جملة مستأنفة مسوقة لتعليل التنزيه وتقريره؛ لأنه لو وُصل بما بعده لأوْهَم أن ما بعده صفة له، فكأن المنْفي وهو الولد موصوفًا بأنه يملك السماوات والأرض، والمراد نَفْي

---

(١) **ينظر**: الإضاءة في بيان أصول القُرَّاءة للعلَّامة / عليّ بن محمد الضَّباع: ص٤٠، ط/ المكتبة الأزهرية للتراث خلف الجامع الأزهر، حق التلاوة للشيخ/ حسني شيخ عثمان: ص١٠٢، ط/ دار جهينة للنشر والتوزيع، الأردن.

(٢) أقصد بالتَّبايُن الاصْطِلاحي تَسْمِيته بالتَّام المقيد، واللَّازم، والواجب، والبيان التَّام، والبيان الكافي، والبيان الحسن.

(٣) سيأتي مزيد من التفصيل حول علامات الوقف والوصل المشهورة بالمصاحف مع التحليل والبيان، وذلك في الفصل الخامس من أبواب هذا الباب بحولِ الله ومشيئتِه.

الولد مطلقًا، فهو سبحانه مالك لجميع المَوْجودات في السماوات والأرض، ولا يخرج عن ملكوته شيء منها، فكيف يكون المسيحُ ابنًا له، سبحانه وتعالى عما يشركون فتأمَّل[1].

٢- **قوله تعالى:** ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [البقرة: ٢١٢].

فالوقف على قوله ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ لازم، ويكون الابتداء بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ﴾ مُسْتأنف؛ لأن ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ و﴿فَوْقَهُمْ﴾ خَبَره، ولو وُصل لصار ﴿فَوْقَهُمْ﴾ ظرفًا لـ ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ أو حالًا لفاعل ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾، وقُبْحه ظاهر، فيصير المعنى أنهم يسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا، أو يُوهم أن الذين اتقوا فوق الذين آمنوا، وليس كذلك؛ بل هم فوق الذين كفروا، وأن المراد بـ ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ هم المؤمنون الذين سَخِر منهم الذين كفروا، فالذين اتقوا هم الذين آمنوا بعيْنِهم، فلزم الوقف فتدبَّر[2].

٣- **قوله تعالى:** ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَـٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الاسراء: ٨].

فالوقف على قوله: ﴿عُدْنَا﴾ لازم، ويكون الابتداء بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ﴾ جملة لا محل لها من الإعراب؛ لأنه لو وُصل بما بعده لأوْهَم أن قوله: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ معطوفًا على ما قبله وليس كذلك، والمعنى: إن عُدتم إلى المعاصي عُدنا عليكم بالقتل والتعذيب وخراب الديار، وقد عادوا فسلَّط الله عليهم المؤمنين، يقتلونهم، ويأخذون منهم الجزية إلى يوم القيامة، ثم بيّن الله تعالى عقوبتهم في الآخرة بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَـٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ فتَفَكّرْ[3].

٤- **قوله تعالى:** ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤١].

---

(١) **ينظر**: تفسير الطبري: ٢٦/٢ بتصرف، تفسير الألوسي: ٣٧/٦، الوقف والابتداء للسجاوندي: ص١٠٦.

(٢) **ينظر**: تفسير أبي حيَّان المُسَمَّى البحر المحيط للإمام محمد بن يوسف الشهير بأبي حيَّان الأندلسي، المتوفي سنة (٧٤٥هـ)، دراسة وتحقيق الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ/ عليّ محمد معوض وآخرون: ١٣٠/٣، ط/دار الكتب العلمية بيروت، الأولى، ١٤١٣هـ، تفسير الألوسي: ١٠٠/٢.

(٣) **ينظر**: تفسير الطبري: ٣٢٥/١٥، تفسير الألوسي: ٢٢/١٥.

فالوقف على قوله: ﴿أَكۡبَرُ﴾ لازم، ويكون الابتداء بقوله: ﴿لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ مستأنف، فهي جملة شرطية محذوفة الجواب، والتقدير بمعنى: لو كانوا يعلمون لمَا اختاروا الدنيا على الآخرة، ولو وُصِل لصار قوله: ﴿وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُ﴾ معلقًا بشرط ﴿لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾، وهو مُحَال، فالوصل يُوهم أن ما قبل ﴿لَوۡ﴾ مرتبط بعلمهم، والصواب أنه حقيقة ثابتة؛ سواءً أَعَلِمُوا أم جَهِلُوا، فتدبَّرْ(١).

٥- **قوله تعالى:** ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ...﴾ [آل عمران: ١٨١].

فالوقف على قوله: ﴿أَغۡنِيَآءُ﴾ لازم، ويكون الابتداء بقوله: ﴿سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ﴾ جملة مُسْتأنفة؛ لأنه لو وُصِل بما بعده لأَوْهَم الوصل أن قوله: ﴿سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ﴾ من مَقُول اليهود، وليس كذلك؛ بل هو إخْبار من الله عنهم، وفيه دلالة على التشديد في التهديد والمبالغة في الوعيد، لما تحمله هذه المقالة من سوء التصوُّر وسوء الأدب معًا، فتأمَّل(٢).

نماذج للوقفِ اللَّازم وأثَره في التفْسير:

- **الموضع الأول:**

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ ..﴾ [المائدة: ٢].

فالوقف على قوله ﴿أَن تَعۡتَدُواْ﴾ لازم، وهو نَهْي من الله تعالى لعباده عن الاعْتداء من أجل البُغض؛ بل عن الاعْتداء مطلقًا بجميع صوره، ويكون الابتداء بعده بقوله: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾، وهو أمْرٌ مُستأنفٌ من الله تعالى لعباده بالتعاون والمساعدة

(١) **ينظر**: علل الوقوف للإمام أبي عبد الله محمد بن طيفور السجاوندي (ت ٥٦٠هـ)، دراسة وتحقيق د/ محمد بن عبد الله العيدي: ٦٣٨/٢، ط/ مكتبة الرشد، السعودية، الثانية (١٤٢٧هـ)، منار الهدى: ٤٠٦/١، وسيأتي مزيد من التفصيل حول أثَر الابتداء بأحرف المعاني والوقف عليها؛ وذلك في الباب الثاني من أبواب هذا البحث بحول الله ومشيئته.

(٢) **ينظر**: تفسير أبي السعود المُسَمَّى إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لقاضي القضاة أبي السعود بن محمد العمادي الحنفي (ت ٩٨٢هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا: ٢٩٨/١، ط/ مكتبة الرياض الحديثة بالرياض، تفسير الألوسي: ١٤١/٤، علل الوقف: ٤٠٥/٢

والتضافُر على الخير، ولو وَصَل القارئ ولم يقف لتغيرت الدَّلالة، ولأَوْهَم أن الأَمْر بالعداء والتعاون معًا، وهُما لا يجتمعان أبدًا؛ إذ كيف يَجْمع اللهُ بين أمرين متضادين، فإن الله ينهى عباده عن الاعتداء ثم يَأْمُرهم بالتعاون على البرِ والتقوى؛ لذا كانت الدَّلالة تقتضي القطع والفصل بينهما[1].

- **الموضع الثاني:**

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [الانعام: ٣٦].

فالوقف على قوله: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ لازم، وفيه دلالة على أن الذين يستجيبون لداعي الإيمان هم الذين يسْمعون سماع إصغاء وتفهُّم للآيات، وإرادة للحق، ويقبلون ما يسمعون، فينتفعون به ويعملون. ويكون الابتداء بقوله: ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾أي أن الله تعالى هو القادر على أن يبعث الموتى من القبور يوم القيامة، ثم إليه يرجعون للجزاء، وقد جعل الله تعالى الكفار بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون صَوْتًا، ولا يَعْقِلون دعاءً، وهو من باب التَّهكُّم بهم والازدراء لهم، والوصل يخالف المراد من الآية، ويُغيِّر الدَّلالة، ويُوهِمُ أن الموتى شركاء للأحياء في السماع، وهو غير مراد[2].

- **الموضع الثالث:**

قوله تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: ٢٦].

فالوقف على قوله : ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ لازم؛ لأن الله تعالى يحكي لنا كلام سيدنا إبراهيم لقومه إلى أن ذَكَر - سبحانه - أن الذي آمن له وسار على طريقته ومنهجه في

(١) **ينظر**: تفسير الألوسي ٥٦/٦، تفسير أبي حيَّان ٤٣٧/٣، تفسير الزمخشري المُسَمَّى «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل»، للإمام أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق الشيخ/ عادل عبد الموجود، والشيخ/ عليّ محمد، ١٩٣/٢ وما بعدها، ط/ مكتبة العبيكان الرياض، الأولى، ١٩٩٨م.

(٢) **ينظر**: تفسير النيسابوري المُسَمَّى «غرائب القرآن ورغائب الفرقان» للعلَّامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت٨٥٠هـ)، تحقيق الشيخ/ زكريا عميرات: ٧٢/٣، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، الأولي (١٩٩٦م)، تفسير ابن كثير: ٣٠/٦، تفسير الطبري: ٣٤١/١١ وما بعدها .

الدعوة إلى الله هو لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويكون الابتداء بقوله: ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾؛ لأن القائل هو إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ. فالضمير في ﴿وَقَالَ﴾ عائد على إبراهيم، وهو الظاهر؛ ليتناسب مع قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾، وهُما من ولد إبراهيم وهو - كذلك - الذي جعل الله في ذريته النبوة والكتاب، والوصل يخالف الدَّلالة، ويوهم أن الذي قال ذلك هو لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيكون فيه إسناد القول إلى غير قائله، فيؤدي ذلك إلى فساد المعنى(١).

- **النوع الثاني: التَّام المطلق:**

تعريفه: سبق تعريف التَّمام في **اللُّغة**، وأما تعريف التَّام المطلق في **الاصطلاح** فهو الذي يحسن الوقف عليه، ويَحْسُنُ الابتداء بما بعده، ويجوز وصْله بما بعده؛ طَالَمَا أن وصله لا يغير المعنى، والوقف عليه أولى من الوصل(٢).

قال ابن الجزري في النشر: «فالوقف التَّام أكثر ما يكون في رؤوس الآي نحو الوقف على ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥] وهو رأس آية، وهو بيان صفات المؤمنين ونهاية وصفهم والابتداء بـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ...﴾ [البقرة: ٦]، وعند انقضاء القصص نحو: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠] وهو بيان صفات المنافقين ونهاية قصتهم والابتداء بـ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، وقد يكون قبل انقضاء الفاصلة نحو: ﴿وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾ [النمل: ٣٤]، وهذا انقضاء حكاية كلام بلقيس، ثم قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤]، وقد يكون الوقف التَّام وسط الآية نحو: ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي﴾ [الفرقان: ٢٩]، وهو تمام حكاية قول الظالم أبيّ بن خلف، ثم قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٩]، وقد يكون بعد انقضاء الآية بكلمة نحو: ﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ [الكهف: ٩٠] فهذا آخر الآية، وتمام الكلام ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الكهف: ٩١] أي أمر ذي القرنين كذلك؛ أي

(١) **ينظر**: تفسير أبي حيَّان: ٣/١٤٤، تفسير القرطبي: ١١/٣٥٥، تفسير النيسابوري: ٥/٣٨٢.

(٢) **ينظر**: جمال القُرَّاء وكمال الإقراء للإمام علم الدين عليّ بن محمد السخاوي (ت ٦٤٣هـ)، تحقيق د/ عليّ حسين البواب: ٢/٥٦٣، مكتبة التراث بمكة المكرمة، الأولى، ١٤٠٨هـ، معالم الاهتداء إلى معرفة الوقف والابتداء، للشيخ/ محمود خليل الحصري: ص ١٦، ط/ مكتبة السنة بالقاهرة، الأولى، ٢٠٠٢م، معجم مصطلحات علم القُرَّاءات القرآنية: ص٣٤٢.

كما وصفه الله تعظيمًا لأمره، أو كذلك كان خبرهم على اختلاف بين المُفسِّرين في تقديره مع إجماعهم أنه التَّمام، وقد يكون الوقف تامًّا على تفسير أو إعراب، ويكون غير تام على آخر نحو: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران :٧]، فهو وقف تام على أن ما بعده مستأنف؛ وهو قول الجمهور، وهو غير تام عند آخرين، والتَّمام عندهم على ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ [آل عمران :٧] على أنه معطوف... انتهى كلامه بتصرف» (١).

رمْزُه في المصحف الشريف:

يُرْمَزُ له بوضع كلمة (قلى) على الكلمة التي يَحْسُن الوقف عليها، وهي تَعْني أوْلوية الوقف مع جواز الوصل، وأوْلوية الوقف تقتضي نفْي العلاقة اللَّفْظية(٢).

مقتضيات الوقف التَّام وصوره الدَّالة عليه:

وبالتتبع والاستقراء لآيات القرآن الكريم نجد أن مقتضيات الوقف التَّام أو علاماته غالبًا ما تعود إلى عدة صور منها: الابتداء بعده بالاستفهام، أو بياء النداء، أو بفعل الأمر، أو بتناهي الاستثناء، أو بتناهي القول، أو الابتداء بعده بالنهي، أو النفي، أو الشرط، أو العدول عن الإخبار إلى الحكاية، أو الفصل بين آيتي الرحمة والعذاب، أو بين الصفتين المتضادتين(٣).

وفيما يلي أمثلة توضيحية لكل صورة من الصور المتقدمة:

١- قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ۝٦٩ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [الحج: ٦٩- ٧٠].

فالوقف على قوله : ﴿تَخۡتَلِفُونَ﴾ تام؛ لأنه نِهاية الكلام في الفصل بين المؤمنين والكافرين، كُلٌّ بحسب ما يستحقه من الثواب أو العقاب، ويكون الابتداء بعده بالاستفهام من قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ﴾، وهو خطاب للرسول ﷺ بإحاطة الله بعِلْمِ كُلِّ

(١) **ينظر**: النَّشر في القِراءات العشْر: ١/١٧٨بتصرف، البرهان في علوم القرآن: ١/٥٠٦ .

(٢) هناك مواضع للوقف التَّام لم توضع عليها (قلى) في رسم المصحف الشريف؛ حيث اختلف فيها بين العلماء، فبعضهم يرى التَّمام، وبعضهم يرى الكفاية، وقد يري بعضهم أولوية الوصل في نفس الموضع، وسيأتي تفصيل لهذه المسألة في الفصل الخامس من فصول هذا الباب.

(٣) **ينظر**: منار الهدى: ١/٢٥، ٢٦ بتصرف.

شيء؛ إذ الاستفهام هنا للتقرير؛ أي بمعنى: (قد علمت)، ولا تعلُّق لها بما قبلها لا لفظًا ولا معنى[1].

٢- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٠ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢٠-٢١].

فالوقف على قوله: ﴿قَدِيرٌ﴾ تام؛ لأنه نهاية الكلام عن قدرةِ الله في وقوع وعيده بالمنافقين، ويكون الابتداء بعده بياء النداء من قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، وهي مناداة لجميع الناس لعبادة الله، وبذلك تنتفي العلاقة بين الجملتين لفظًا ومعنى، فجملة ﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾ لا تُعْرب شيئًا بالنسبة لما قبلها؛ ولا تعلُّق لها بما قبلها من جهة المعنى أيضًا[2].

٣- قوله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۝١٣١ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣١-١٣٢].

فالوقف على قوله: ﴿وَأَبْقَىٰ﴾ تام؛ لأنه نهاية الكلام عن الدنيا وزهرتها الزائلة، وأن ما عند الله تعالى أدوم؛ لأنه لا انقطاع له ولا نفاد، ويكون الابتداء بعده بفعل الأمر بقوله: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ﴾ مخاطبة للرسول ﷺ وأمره بدعوة أهله للصلاة والصبر على أدائها، والابتداء بفعل الأمر ينفي العلاقة اللَّفْظية بين الجملتين، ولا تعلُّق بينهما أيضًا من جهة المعنى[3].

٤- قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ۝١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ .....﴾ [البقرة: ١٥٩-١٦٠-١٦١].

فالوقف على قوله: ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ تام؛ لأنه نهاية الاستثناء بعد الوعيد الشديد لمَنْ كتم ما جاءت به الرسل من البينات والهدى، بشرط أن يتدارَكَ التائب ما يمكن تدارُكه مما أضاعه بفعله الذي تاب منه، ويكون الابتداء بعده بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾

(١) **ينظر**: تفسير ابن كثير: ٩٥/١٠، ٩٦، تفسير أبي السعود: ٤٣/٤.

(٢) **ينظر**: تفسير ابن عاشور المُسَمَّى «التحرير والتنوير»، تأليف الشيخ العلَّامة/ محمد الطاهر ابن عاشور: ٣٢٢/١، ط/ الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م، تفسير الطبري: ٣٦١/١ وما بعدها.

(٣) **ينظر**: تفسير الطبري: ٢١٤/١٦ وما بعدها.

وهو كلام مستأنف لإفادة حال فريق آخر، هذا الفريق هم المشركون، فالكفر يُطْلق كثيرًا في القرآن، ويرادُ به الشرك(1).

5- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [البقرة: 104].

فالوقف على قوله: ﴿وَٱسۡمَعُواْ﴾ تام، وفيه إفادة النهي من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يتشبهوا باليهود في مقالهم وفعالهم؛ بل عليهم بحُسْن الاستماع والطاعة لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ، ويكون الابتداء بعده بالتهديد والوعيد ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ﴾ بالعذاب الأليم(2).

6- قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ١٩٥ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾ [آل عمران: 195-196].

فالوقف على قوله: ﴿ٱلثَّوَابِ﴾ تام، وفيه بيان أن الله عنده حُسْن الجزاء لمَنْ عَمِلَ صالحًا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن، ويكون الابتداء بعده بالنهي ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ﴾؛ حيث توجه الخطاب لرسول الله ﷺ أن يُعْرض عن هؤلاء الكفار، وألا ينظر إلى ما هم فيه من النعمة أو السرور، فعمَّا قليل يزول، ومأوهم جهنم، وبِئس المهاد(3).

7- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ١٧٦ * لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾ [البقرة: 176-177].

فالوقف على قوله: ﴿بَعِيدٖ﴾ تام لاستحقاق العذاب والنكال لمن كذَّب رسوله، وجحد بآياته، ويكون الابتداء بعده بالنفي في قوله: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ...﴾ في بيان أن التقوى وكمال

(1) **ينظر**: تفسير ابن عاشور: 2/71، 72، تفسير ابن كثير: 2/137، 138، المكتفى: ص45.
(2) **ينظر**: إيضاح الوقف والابتداء: ص 261، المكتفى: ص 39، تفسير الألوسي: 1/349، تفسير ابن كثير: 2/5.
(3) **ينظر**: منار الهدى: 1/169، المكتفى: ص 70، تَفْسِير أبي السعود: 1/633، تفسير ابن كثير: 3/308.

الايمان إنما هي في طاعة الله وامتثال أوامره، والتوجه حيثما وجه، واتباع ما شرع(١).

٨- قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النِّساء: ١٢٣].

فالوقف على قوله: ﴿أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ تام؛ لأنه نهاية الفَصْل بين كلام المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب، والمعنى أنه ليس لكم ولا لهم النجاة بمجرد التمني؛ بل العبرة بطاعة الله واتباع ما شرعه على ألسنة رسله، ويكون الابتداء بعده بالشرط من قوله: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا ...﴾ وهو خطاب عام، وليس محصورًا فيمن سبق ذكرهم، فبالشرط تَنْتَفي العلاقة بين الجملتين لفظًا، ولا تعلُّق بينهما أيضًا من جهة المعنى(٢).

٩- قوله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ [الأعراف: ١٥٩-١٦٠].

فالوقف على قوله: ﴿وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ تام، وفيه إخبار عن بني إسرائيل، وأن منهم طائفة يتبعون الحق ويعدلون به، ويكون الابتداء بعده بقوله: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ﴾ باختلاف الأسلوب، والانتقال من الإخبار إلى الحكاية عما صار إليه أمْرهم؛ حيث صَيَّرهُم الله اثنتي عشرة أمة(٣).

١٠- قوله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا﴾ [الانسان: ٣١].

فالوقف على قوله: ﴿فِي رَحْمَتِهِۦ﴾ تام؛ لأنه نهاية الكلام عن مشيئة الله المطلقة، والتي من إرادتها أن يُدْخِل في رحمته من يشاء ممن يلتجؤون إليه ويطلبون عونه على الطاعة وتوفيقه إلى الهدى، ويكون الابتداء بعده بِذِكْرِ مَآل الظالمين في قوله: ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾

(١) **ينظر**: تفسير ابن كثير: ١٥٤/٢، ١٥٥، منار الهدى: ٩٤/١.
(٢) **ينظر**: تفسير الطبري: ٢٢٨/٩ وما بعدها، تفسير ابن كثير: ٢٨٢/٤ وما بعدها.
(٣) **ينظر**: إيضاح الوقف والابتداء: ص ٣٣٢، والمكتفى: ص ١١٠، تفسير ابن كثير: ٤٢٢/٦، تفسير أبي السعود: ٤١٨/٢.

فقد أملى لهم، وأمْهلهُم؛ لينْتَهوا إلى هذا العذاب الأليم[1].

١١- قوله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿هَٰذَا هُدًىۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ عَذَابٌ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٌ﴾ [الجاثية: ١١].

فالوقف على قوله : ﴿هُدًى﴾ تام، ففيه بيان لحقيقة القرآن وأنه مَنْبع لكلِ هدى، ويكونُ الابتداء بعده بالتهديد والوعيد في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ لهم عذابٌ في غاية الشدة والإيلام[2].

نماذج للوقف التَّام وأثَره في التفسير:

- **الموضع الأول:**

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٤].

فالوقف على قوله: ﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ﴾ تام، وفيه تقرير يقارنه توبيخ للكفار والمعنى: أو لم يَتأمَّلوا ويَتدبَّروا في انتفاء هذا الوصف عن رسول الله ﷺ، فإنه مُنتفٍ عنه لا محالة، ولا يمكن لمَنْ أمْعَن الفِكْر أن ينسبَ ذلك إليه، ويكون الابتداء بقوله: ﴿مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾ نفيًا لما قالوه ،ورَمَوْه به من الجنونِ؛ حتَّى أظهر الله نوره[3].

(١) **ينظر**: تفسير القاسمي المُسَمَّى محاسن التأويل، للعلَّامة محمد جمال الدين القاسمي (ت١٣٣٢هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي: ٦٠١٨/١٧، ط/دار إحياء الكتب العربية، الأولى، ١٩٥٧م، تفسير ابن كثير: ٢١٨/١٤، تفسير الزمخشري: ٢٨٥/٦.

(٢) **ينظر**: تفسير النسفي المُسَمَّى مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد ابن محمود النسفي (ت ٧٠١هـ)، تحقيق سيد زكريا: ١١٠١/٤ وما بعدها، ط/مكتبة نزار مصطفى الباز.

(٣) **ينظر**: تفسير ابن عطية المسمى المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للإمام أبي محمد عبد الحق ابن عطية الأندلسي: ١٠١/٤، ط/ دار الخير بيروت، الثانية، ٢٠٠٧م، تفسير الرازي المسمى التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، للإمام محمد فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر الرازي (ت ٦٠٤ هـ): ٧٩/١٥، ط/ دار الفكر للطباعة والنَّشر، الأولى، ١٩٨١ م، تَفْسِير ابن كثير: ٤٦٦/٦، القطع والائتناف: ص٢٦٧، المكتفى: ص١١٢، منار الهدى: ٢٨٣/١.

- **الموضع الثاني:**

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا﴾ [الاحزاب: ٣٩].

فالوقف على قوله : ﴿وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ تام؛ لأن هذا آخر الثناء على الأنبياء والمرسلين، وسيد الناس في هذا المقام محمد ﷺ فقد كان النبي يُبْعثُ إلى قومه خاصة أما هو ﷺ فقد بعث إلى جميع الخلق عامة، ويكون الابتداء بقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا﴾ مستأنفًا للدلالة على أنه تعالى كافٍ للمخاوف، ومُحَاسِبٌ على الصغيرة والكبيرة، وكفى به حسيبًا لا إله إلا هو(١).

- **الموضع الثالث:**

قوله تعالى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الشورى: ٢٤].

فالوقف على قوله: ﴿يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَ﴾ تام، وقد أفاد المبالغة في تقرير استبعاد صدور الخيانة عنه ﷺ، وأنه لا يَجْتَرِئ على افتراء الكذب على الله تعالى، ويكون الابتداء بقوله: ﴿وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ﴾ وهو ليس معطوفًا على قوله: ﴿يَخۡتِمۡ﴾، فيكون مجزومًا؛ بل هو مستأنف مرفوع على الابتداء لبيان سنة الله في إبطال الباطل وتقرير الحق، فلو كان محمد مبطلًا كذابًا - حاشاه ذلك- لَفضحه الله ولَكشف عن باطله، ولمَّا لم يكن كذلك أيَّده الله بالقوةِ والنصر، وعَلِمْنا أنه ليس من الكاذبين المفترين على الله(٢).

* * *

(١) **ينظر**: تفسير ابن كثير: ١١/١٧٥، تفسير الرازي: ٢٥/٢١٤، تفسير الزمخشري: ٥/٧٥ المكتفى: ص٢٠٥، إيضاح الوقف والابتداء: ص ٤٤١.

(٢) **ينظر**: تفسير الرازي: ٢٧/١٦٩، تفسير ابن كثير: ٢/٢٧٥، منار الهدى: ٢/٢٤٤، القطع والائتناف: ص٦٢٤، المكتفى: ص٢٢٥.

ثانيًا: الوقف الكافي

تعريف الوقف الكافي:

في اللغة: الكافي اسم فاعل من كفى يكفي كفاية إذا قام بالأمر، ويُقال: كفاك هذا الأمر؛ أي: حسبك (١).

وفي اصطلاح القُرَّاء: هو الوقف على كلام تامٍّ في ذاته، أدَّى معنى صحيحًا، مُتعلِّق بما بعده في المعنى دون اللَّفْظ - أي الإعراب- (٢).

وجه تسميته كافيًا: للاكتفاء به عمَّا بعده، واستغناء ما بعده عنه، وهو أكثر الوقوف الجائزة ورودًا في القرآن الكريم.

قال ابن الجزري في النشر: «والوقف الكافي يكثر في الفواصل - أي رؤوس الآي - وغيرها، وقد يَتفاضَلُ في الكفاية كما في قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤]. فالوقف على قوله: ﴿وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾ كافٍ، والوقف على قوله: ﴿يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أكفى منه، والوقف على قوله: ﴿ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ أكفى منهما، وكما في قوله تعالى ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠]. فالوقف على قوله: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾ كاف، والوقف على قوله: ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗا﴾ أكفى منه، والوقف على قوله: ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾ أكفى منهما. وقد يكون الوقف كافيًا على تفسير أو إعراب، ويكون غير كاف على آخر نحو ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡ﴾ [البقرة: ١٠٢]. فهو كاف إذا جعلت (ما) بعده نافية، فإن جعلت موصولة كان حسنا فلا يبتدأ بها... انتهى كلامه بتصرف» (٣).

رمزه في المصحف:

يُرْمَز له بوضع حرف الجيم هكذا (ج) على الكلمة الموقوف عليها، وهو يعني جواز الوقف

(١) **ينظر**: لسان العرب: ٣٩٠٧/٥، مختار الصحَّاح: ص ٢٤٠ .

(٢) **ينظر**: معالم الاهتداء إلى معرفة الوقف والابتداء: ص٢٥، المكتفى: ص ٢٢.

(٣) **ينظر**: النَّشر في القراءات العشر: ١٨٠/١، منار الهدى: ٢٧/١، جمال القُرَّاء: ٥٦٣/٢.

جوازًا مستوى الطرفين؛ أي بدون أفضلية؛ وذلك يقتضي نفْي العلاقة اللَّفْظية مع احتمالية بقاء المعنى، وقد يُرْمَز له أيضًا بوضع كلمة (صلى) على الكلمة الموقوف عليها، وهي تعني أفضلية أو أولوية الوصل مع جواز الوقف، وجواز الوقف يقتضي نفْي العلاقة اللَّفْظية(١).

حكمه: يَحْسُن الوقف عليه والابتداء بما بعده كالوقف التَّام، ويَجُوز وصْلُه بما بعده باعتبار تمام الكلام.

الفرق بين الوقف التَّام والكافي:

إن الفرق بين الوقف التَّام والكافي غير محدد تحديدًا منضبطًا عند جميع القُرَّاء؛ لأن وجه الاختلاف بين التَّام والكافي تعلُّقه بما بعده في المعنى أو عدم تعلُّقه، وهو أمرٌ نسبي يُرجع فيه إلى الاجتهاد في فهْم المعاني؛ ولذا نجد منهم من يَعُدُّ بعض الوقوف كافية على حين أنها في نظر غيره تامة، أو العكس(٢).

دليله من السنة: إن القطع على الكافي - الذي هو دون التَّمام- مستعملٌ جائز، وقد وردت السُّنَّةُ عن رسول الله ﷺ به، وثبت التوقيف عنه باستعماله كما في حديث عبد الله ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقْرأ عليَّ. قلتُ: يا رسول الله، آقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: نعم، إني أحب أن أسمَعَه من غيري. قال: فافتتحت سورة النِّساء، فلما بلغت: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النِّساء: ٤١] قال: «حسبك الآن». فالتفت إليه، فإذا عيناه تذرفان»(٣).

قال الدَّاني في المكتفى: «فهذا جواز القطع على الكافي؛ لأن ﴿شَهِيدًا﴾ليس من التَّام، وهو متعلّقٌ بما بعده معنى؛ لأن المعنى: فكيف يكون حالهم إذا حصل هذا ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾ فما بعده متعلق بما قبله، والتَّمام ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾؛ لأنه انقضاء القصة، وقد أمر النبي ﷺ عبد الله بن مسعود أن يقطَعَ عليه دُونه مع تقارب ما بينهما، فدلَّ ذلك دلالة واضحة على جواز القطع على الكافي»(٤).

---

(١) سيأتي مزيد من الإيضاح حول علَامات الوقف في الفصل الخامس.

(٢) **ينظر**: فتح المجيد شرح كتاب العميد للشيخ /محمود عليّ بسة: ص١٤٨، ط/ المكتبة الأزهرية للتراث، الثانية.

(٣) الحديث سبق تخريجه: ص١٣.

(٤) **ينظر**: المكتفى: ص ١٧ وما بعدها.

ضوابط الوقف الكافي وصوره الدَّالة عليه:

بالتَتَبُّع والاستقراء لآي القرآن الكريم نجد أن ضوابطَ الوقف الكافي أو علاماتِه غالبًا ما تعود إلى عدة صور منها: أن يكون ما بعده مبتدأ، أو فعلًا مستأنفًا، أو مصدرًا، أو مفعولًا لفعل محذوف، أو أن يكون ما بعده نفيًا، أو استفهامًا، أو أن المشددة أو المخففة، أو بل، أو ألا المخففة، أو النداء(١).

قلتُ: ونلاحظ مما تقدَّم اشتراك كل من الوقف التَّام والكافي في بعض العلامات؛ كالاستفهام، أو النفي، أو النداء، أو غير ذلك، ويفرق بينهما بالعلاقة اللَّفْظية والمعنى.

وفيما يلي أمثلة توضيحية لكل صورة من الصور المتقدمة:

١- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ۝١٤ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ [البقرة: ١٤-١٥].

فالوقف على قوله: ﴿مُسۡتَهۡزِءُونَ﴾ كافٍ، ويكون الابتداء بعده بـ ﴿ٱللَّهُ﴾ فلفظ الجلالة مبتدأ، فالعلاقة اللَّفْظية منفية؛ لأنها جملة مستأنفة جديدة لا علاقة لها بما قبلها لفظًا - أي لا تعرب شيئًا لما قبلها- ومن حيث اتصال المعنى فالحديث مازال مستمرًا عن المنافقين وسخريتهم بأصحاب النبي ﷺ، وأن الله فاعل بهم ذلك يوم القيامة مقابلة لصنيعهم(٢).

٢- قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا﴾ [مريم: ٧١].

فالوقف على قوله: ﴿وَارِدُهَا﴾ كاف، ويكون الابتداء بعده بقوله: ﴿كَانَ﴾ فعل ماضي مبني على الفتح، فالعلاقة اللَّفْظية منفية، فهي جملة مستأنفة لا علاقة لها بما قبلها لفظًا - أي لا تعرب شيئًا لما قبلها - أما من حيث المعنى فالكلام ما زال متصلًا في شأن المرور على الصِّراط المنصوب على النار حتمًا قضاه الله ولا مبدل لكلماته(٣).

٣- قوله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ [الزمر: ٢٠].

---

(١) **ينظر**: منار الهدى: ص٢٧.

(٢) **ينظر**: منار الهدى ٦٢/١، المكتفى: ص٣٣، المقصد: ص٣٢، تفسير ابن كثير: ٢٩١/١.

(٣) **ينظر**: المقصد: ص١١٣، منار الهدى: ١٤/٢، تَفْسِير ابن عاشور: ١٤٩/١٦، تفسير الزمخشري: ٤٤/٤.

فالوقف على قوله: ﴿ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ كاف، ويكون الابتداء بعده بقوله: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ مصدر مؤكد، فالعلاقة اللَّفْظية منفية؛ لأنها جملة مستأنفة جديدة، أما من حيث المعنى فالكلام متعلَّق بما سبق من إخبار الله تعالى عن قصور الجنة التي أعدَّها للسعداء من عباده، وأنه وعدٌ من الله، ويستحيل على الله أن يخلف الميعاد(١).

٤- قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنۡ حَرَجٖ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا﴾[الأحزاب: ٣٨].

فالوقف على قوله: ﴿فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾ كافٍ، ويكون الابتداء بعده بقوله: ﴿سُنَّةَ﴾ مفعولًا لفعل محذوف تقديره سَنَّ اللهُ ذلك سُنَّة، وجملة ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ﴾ مستأنفة لا علاقة لها بما قبلها لفظًا، وأما من حيث المعنى فالكلام مُتعلِّقٌ بحكم الله تعالى فيما أحل لنبيه ﷺ وأَمَرَهُ، وأنه لم يكن ليأْمره بشيء وعليه فيه حرج(٢).

٥- قوله تعالى: ﴿وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾[يس: ٣٩-٤٠].

فالوقف على قوله: ﴿ٱلۡقَدِيمِ﴾ كافٍ، ويكون الابتداء بعده بقوله: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ﴾ نفْي لما قد يتوهَّمه البعض من تقارُبٍ بين بروجِ الشمس ومنازلِ القمر؛ إذ لكل منهما سَيْر لا يُلاقي سَيْر الآخر، فجملة ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ﴾ مستأنفة لا علاقة لها بما قبلها لفظًا، والمعنى مازال متصلًا حول نظام سير الشمس والقمر، واستحالة إدراك أحدهما الآخر؛ إذ لكلٍّ منهما حدٌّ لا يعدوه ولا يقصر دونه(٣).

٦- قوله تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾[السجدة: ٤].

فالوقف على قوله: ﴿شَفِيعٍ﴾ كافٍ، ويكون الابتداء بعده بالاستفهام ﴿أَفَلَا

(١) **ينظر**: المكتفى: ص٢١٨، منار الهدى: ٢/٢١٤، المقصد: ص ١٥٢، القطع والائتناف: ص ٦٠٨، تفسير ابن كثير: ١٢/١٢١وما بعدها، تفسير أبي السعود: ٤/٦٠٧، تفسير الشنقيطي المُسَمَّى أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف/ الشيخ العلَّامة محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت١٣٩٣ه)، إشراف العلَّامة بكر بن عبد الله أبو زيد: ٧/٥٦، ط/ دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع بمكة المكرمة، الأولى، ١٤٢٦ه.

(٢) **ينظر**: المكتفى: ص ٢٠٥، منار الهدى: ٢/١٦٥، تفسير ابن كثير: ١١/١٧٤، تفسير القرطبي: ١٩/١١٩.

(٣) **ينظر**: منار الهدى: ٢/١٨٩، المكتفى: ص٢١١، تفسير ابن عاشور : ٢٣/٢٤.

﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾ وهي جملة مستأنفة لا علاقة لها بما قبلها من حيث اللَّفْظ - أي لا تعرب شيئًا بالنسبة لما قبلها - مع وجود تَعلُّق في المعنى لوجود كاف الخطاب في ﴿مَا لَكُم﴾، وتاء الخطاب في ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾ مما يدل على أن الخطاب واحد، وهو تأكيد النفي بمعنى لا وليَّ لكم ينصركم أو يدافع عنكم، ولا شفيع في قضاء حوائجكم غير الله، فلا ولاية للأصنام، ولا شفاعة لها؛ بل لله الواحد القهار[1].

٧- قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢].

فالوقف على قوله: ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ كافٍ، ويكون الابتداء بعده بـ ﴿إِنَّ﴾ المشددة من قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ...﴾، وهي جملة مستأنفة لا علاقة لها من جهة اللَّفْظ - أي الإعراب- والمعنى متصل من حيث الأمر باتباع الوحْي المنزل والزجر عن اتباع مَرَاسِم الجاهِليةِ، وذُيِّلت الآية بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ...﴾ تعليلًا للأمر بالإتباع، وأنه تعالى لا تخفى عليه خافية[2].

٨- قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾ [الملك: ٢٠].

فالوقف على قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ كافٍ، ويكون الابتداء بعده بـ ﴿إِنِ﴾ المخففة مكسورة الهمزة من قوله ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ...﴾، وهي جملة مستأنفة لا علاقة لها بما قبلها لفظًا، والمعنى متصل من إبطال أن أحدًا يستطيع أن يدفع عنهم العذاب الذي توعَّدهم الله به، وتذييل ذلك بأن الكافرين في غرور وغفلة من توقُّع بأْسِ الله حتَّى ينزل بهم، وليس لهم من دونه من ولي ولا واق[3].

٩- قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾

---

(١) **ينظر**: المقصد: ص١٤٠، القطع والائتناف: ص٥٤٢، منار الهدى: ١٥٥/٢، تفسير ابن عاشور: ٢١١/٢١، تفسير ابن كثير: ٩٠/١١.

(٢) **ينظر**: المكتفى: ص٢٠٣، منار الهدى: ١٠٩/٢، تفسير القرطبي: ٥١/١٧، تفسير ابن عاشور: ٢٥٢/٢١، تفسير ابن كثير: ١١٢/١١.

(٣) **ينظر**: المقصد: ص١٧٩، منار الهدى: ٣٥٣/٢، المكتفى: ص ٢٥٧، تفسير ابن عاشور: ٤٠/٢٩ وما بعدها، تفسير الزمخشري: ١٧٦/٦، تفسير ابن كثير: ٧٧/١٤.

[البقرة: ٨٨].

فالوقف على قوله تعالى: ﴿غُلْفُۢ﴾ كافٍ، ويكون الابتداء بعده بقوله: ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾، وهي جملة مستأنفة لا علاقة لها بما قبلها لفظًا، والمعنى مازال متصلًا في رَدِّ الله تعالى على من قالوا قلوبنا في أكنة وأغطية مما تدعونا إليه، يقصدون به إقناط النبي ﷺ عن الإجابة، وقطْع طَمَعِه عنهم بالكُلِّية، فرَدَّ الله عليهم بأنه إنَّما أبْعَدهم منه ومن رحمتِهِ وطَرَدَهُم وأخْزاهُم بما كانوا يفعلون[(١)].

١٠- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٣].

فالوقف على قوله: ﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾ كافٍ، ويكون الابتداء بعده بحرف التنبيه من قوله: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ وهي جملة مستأنفة لا علاقة لها بما قبلها لفظًا، أما المعنى فمازال الكلام موصولًا عن المنافقين الذين يقابلون من يدعوهم إلى الإيمان بالاستهزاء والتسفيه - يقصدون أصحاب محمد ﷺ فتولَّى الله جوابهم وحَصَرَ السفاهة فيهم، وأنَّهم من تمام جهلهم أنهم لا يعلمون بحالهم؛ وذلك أردى لهم وأبلغ في العمى[(٢)].

١١- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

فالوقف على قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيِّ﴾ كافٍ، ويكون الابتداء بعده بالنداء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾، وهي جملة مستأنفة لا علاقة لها بما قبلها لفظًا، والمعنى متصل في وجوب تعظيم النبي ﷺ بكثرة الصلاة عليه، كما صلى عليه ربه وملائكته في الملأ الأعلى؛ ليجتمع الثناء عليه من أهل العَالَمِين العُلوي والسُّفلي جميعًا، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ[(٣)].

---

(١) **ينظر**: منار الهدى: ٧٨/١، المقصد: ص٣٦، تفسير الطبري: ٣٢٤/٢ وما بعدها، تفسير الألوسي: ٣١٨/١ وما بعدها.

(٢) **ينظر**: القطع والائتناف: ص٣٩، المكتفى: ص٣٢، المقصد: ص٣٢، منار الهدى: ٦٢/١، تَفْسِير أبي السعود: ٧٧/١ وما بعدها، تفسير الألوسي: ٤٩/٢ وما بعدها، تفسير ابن كثير: ٢٨٩/١ وما بعدها.

(٣) **ينظر**: المكتفى ص ٢٠٦، القطع والائتناف ص٥٥٥، منار الهدى ١٦٧/٢، تفسير القاسمي ٤٩٠/١٤ وما بعدها، تفسير ابن كثير: ٢٠٩/١١ وما بعدها.

نماذج للوقف الكافي وأثره في التفسير:

▪ **الموضع الأول:**

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ [المائدة: ٩٥].

فالوقف على قوله: ﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ كاف، وقد أفاد النهي عن قتل الصيد حال الإحرام، وتحريم ذلك إلا ما استثني، ويكون الابتداء بقوله: ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم﴾ مستأنفًا، وفيه بيان لحكم من أصابه، وأن العامد والناسي سواء في وجوب الجزاء؛ ولكن المتعمد مأثوم، والمخطئ غير ملوم (١).

▪ **الموضع الثاني:**

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [الانعام: ١٥٩].

فالوقف على قوله: ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ كاف، والآية عامة في كل مَنْ فارَقَ دين الله وكان مخالفًا له؛ كأهل المِلل والنِّحَل، أو الأهواء والبدع ممن تشيَّعوا، أو تفرقوا، لكُلِّ فرقة إمامٌ تتبعه وتقويه وتظهر أمره، ويكون الابتداء بقوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وهو استئنافٌ بيانيٌّ لتعليل النفي المذكور أو للوعيد على ما فعلوا؛ إذ أمْرُهم ورُجُوعهم إلى اللهِ، فيعاقبهم على ما كانوا يفعلون (٢).

▪ **الموضع الثالث:**

قوله تعالى: ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔاۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴾ [الكهف: ٣٣].

---

(١) **ينظر**: تفسير الألوسي: ٢٣/٧، تفسير ابن كثير: ٣٥٥/٥ وما بعدها، منار الهدى: ٢٢٥/١، المقصد: ص٦٧.

(٢) **ينظر**: تفسير ابن عاشور: ١٨٢/٨، تفسير الألوسي: ٦٨/٨، تفسير ابن كثير: ٢٤٠/٦ منار الهدى: ٢٥٨/١، المقصد: ص ٧٤.

فالوقف على قوله: ﴿شَيْئًا﴾ كافٍ، وفيه دلالة على أن كلتا الجنتين آتت ثمرها، وبلغ مبلغا صالحًا للأكل، ولم تنقص من أُكلها شيئًا، ويبتدأ بقوله: ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴾ مستأنفا، لإفادة دَوام شُرْبِهما وزيادة بَهائِهِما [1].

ثالثًا: الوقف الحسن

تعريف الوقف الحسن:

الحسن في اللغة: ضد القبيح ونقيضه، وهو مصدر حَسُنَ يحْسُنُ حُسْنًا، ومنه حَسَّن الشيء تحْسينًا؛ أي: زيَّنه [2].

وفي **الاصطلاح** هو: الوقف على كلام تام في ذاته وتعلَّق بما بعده لفظًا - أي من جهة الإعراب - كأن يكون الكلام الذي بعد الوقف صفة لما قبله، أو حالًا له، أو معطوفًا عليه، أو مستثنى منه، أو نحو ذلك، **وقيل**: تعلَّق بما بعده لفظًا ومعنى؛ لأن المعنى تابع للإعراب؛ إذ يلزم من التعلُّق في اللَّفْظ التعلق في المعنى ولا عكس [3].

وجه تسميته حسنًا: لإفادته معنى يحسن السُّكوت عليه، أو لأنه في نَفْسِه حَسن مفيد [4].

قال ابن الجزري في «النشر»: «والوقف الحسن نحو الوقف على ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وعلى ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾، فالوقف على ذلك وما أشبهه حَسُنٌ؛ لأن المراد من ذلك يُفْهَمُ، ولكن الابتداء بـ ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ لا يحسُنُ لتعلُّقه لفظًا، فإنه تابعٌ لما قبْله إلا ما كان من ذلك رأْس آية، فإنه سُنَّة، وقد يكون الوقف حسنًا على تقدير، وكافيًا على آخر، وتامًّا على غيْرِهما، نحو قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ يجوز أن يكون حسنًا إذا جُعِل ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ نعتًا ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾، وأن يكون كافيًا إذا جعل ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ رفعًا بمعنى: هم الذين يؤمنون بالغيب، أو نصبًا بتقدير أعني الذين، وأن يكون تامًّا إذا

(١) **ينظر**: تفسير الألوسي: ٢٧٤/١٥، تفسير ابن كثير: ١٣٦/٩، المقصد: ص ١١١ المكتفى: ص ١٦٠ .

(٢) **ينظر**: لسان العرب: ٨٧٧/٢، مختار الصحَّاح: ص ٥٨.

(٣) **ينظر**: المكتفى: ص٢٣، لطائف الإشارات لفنون القُرَّاءات: ٤٩٩/٢، مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القُرَّاءات، د/ إبراهيم بن سعيد الدوسري: ص١٣٤، ط/ دار الحضارة للنشر والتوزيع بالرياض، ١٤٢٩هـ، الأولى.

(٤) **ينظر**: النَّشر في القِراءات العشْر: ١/ ١٧٨ وما بعدها.

جُعل ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ .. انتهى كلامه بشيء من التصرف»(١).

رمزه في المصحف: الأصل أنه لا يوجد له علامة من علامات الوقف لوجود التعلق اللَّفْظي.

حكمه: يحسن الوقف عليه، وأما الابتداء بما بعده ففيه تفصيل على حسب نوعه وتحته نوعان:

- **النوع الأول: أن يكون الوقف على رأس الآية:**

حكم هذا النوع: يحسن الوقف عليه، والابتداء بما بعده مطلقًا؛ لأن الوقف على رؤوس الآي سنة توقيفية عن رسول الله ﷺ؛ سواء وُجِدَ تعلق في اللَّفْظ أم لم يوجد، وهذا المشهور عند جمهور العلماء، وهو اختيار أكثر أهل الأداء(٢).

وذلك مثل: الوقف على قوله تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴾ [العلق: ٩] والابتداء بعده بقوله تعالى: ﴿ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴾ [العلق: ١٠]، والوقف على قوله: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٩] والابتداء بعده بقوله: ﴿ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [البقرة:٢٢٠] مع وجود التعلُّق في اللَّفْظ والمعنى.

دليله من السُّنَّة:

وردت السُّنَّة عن رسول الله ﷺ به، وثبت التوقيف عنه باستعماله كما في حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان النبي ﷺ إذا قرأ قطع قراءته آية آية يقول: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ثم يقف، ثم يقول: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ثم يقف، ثم يقول: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ثم يقف، ثم يقول: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ١-٤] وهكذا إلى آخر االسُّورة»(٣).

وهذه نبذة مختصرة من أقوال الأئمَّة والعلماء في التعليق على هذا الحديث:

قال الإمام ابن الجزري: «وكذلك عدَّ بعضهم الوقف على رؤوس الآي سُنَّة، وهو اختيار أكثر أهل الأداء لمجيئه عن النبي ﷺ في حديث أم سلمة المتقدم، وقال أبو عمرو -

---

(١) **ينظر**: النَّشر في القِراءات العشْر: ١/ ١٨٠ وما بعدها.

(٢) كالإمام ابن الجزري، والإمام الدَّاني، وغيرهما، كما سيأتي بيانه، **يراجع**: نفس المصدر السابق، هداية القاري ٣٧٣/١ وما بعدها، نهاية القول المفيد للجريسي: ص ١٦٤ وما بعدها.

(٣) الحديث سبق تخريجه في المبحث التمهيدي: ص ١٢.

أي الدَّاني - وهو أحبُ إليَّ، واختاره البيهقي في شعب الإيمان وغيره من العلماء وقالوا: الأفضل الوقوف على رؤوس الآيات وإن تعلقت بما بعدها، فاتباع هدي رسول الله ﷺ وسنته أولى»[1].

وقال الإمام الدَّاني: «ومما ينبغي له - أي للقارئ - أن يقطع على رؤوس الآي؛ لأنهنَّ في أنفسهن مقاطع، وقد كان جماعة من الأئِمَّة السَّالفين والقُرَّاء الماضين يستحبون القطع عليهن، والحديث المتقدم دليل على جواز القطع على الحسن في الفواصل، ولهذا الحديث طرق كثيرة وهو أصل في هذا الباب»[2].

وقال العلامة الألباني[3] - بعد ذكره لهذا الأثَر لأبي عمرو الدَّاني: «وهذه سُنَّة تركها أكثر قراء هذا الزمان، والله المستعان»[4].

وقال الملا عليّ القاري[5]: «ظاهر هذا الحديث أن رؤوس الآي يُسْتَحب الوقف عليها؛ سواء وُجِدَ تَعلُّق لفظي بما بعده أم لا، وهو الذي اختاره البيهقي، **وقال أبو عمرو الدَّاني**: هو أحب إليَّ»[6].

ونصوص العلماء وأقوالهم في هذا الوقف كثيرة ومشهورة، وكلها تؤيد سُنِّية الوقوف

---

(١) **ينظر**: النَّشر في القِراءات العشْر: ١/ ١٧٨ بشيء من التصرف.

(٢) **ينظر**: المكتفى في الوقف والابتدا: ص٢٣.

(٣) هو الإمام العلَّامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني، ولد عام ١٣٣٣هـ بألبانيا، وهو يعد من أشهر علماء الحديث في العصر الحديث، له عدد كبير من المؤلفات والتحقيقات ربت عن المائة، وترجم كثير منها إلى لغات مختلفة، منح جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية لعام ١٤١٩هـ، وكانت وفاته في شهر جمادي الآخرة عام ١٤٢٠هـ في مدينة عمَّان بالأردن، ينظر: ثَبَتُ مؤلفات الألباني، جمع وإعداد عبد الله بن محمد الشمراني ص ٦ وما بعدها، ط/ دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، السعودية، الأولى ،١٤٢٢هـ.

(٤) **ينظر**: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، تأليف/ العلَّامة محمد ناصر الدين الألباني: ٦٢/٢، ط: المكتب الإسلامي، بيروت، الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٥) هو عليّ بن سلطان محمد نور الدين الملا الهروي القاري، فقيه حنفي، ومن صدور العلم في عصره، صنف كتبًا كثيرة، منها كتابه المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية، توفي سنة ١٠١٤هـ. **ينظر**: الأعلام: ١٢/٥.

(٦) **ينظر**: المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية، تأليف: ملا عليّ بن سلطان محمد القاري وبهامشها شرح شيخ الإسلام زكريا الأنصاري: ص٥٩، ط/ مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الأخيرة ١٣٦٧هـ.

على رؤوس الآي والابتداء بما بعدها مطلقًا، اكتفيت منها بما تقدم ذكره رغبة في الاختصار، وبالوقوف على رؤوس الآي تلقَّينا القرآن الكريم عن مشايخنا بالأسانيد المتصلة إلى رسول الله ﷺ، وهو المشهور عن أكابر القُرَّاء المعاصرين(١).

وقد منع جماعة من العُلماء كالسجاوندي والجعبري(٢) وغيرهما الوقوف على رؤوس الآي عند تعلُّقها بما بعدها، وحملوا ما في حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا على أن ما فعله ﷺ إنما قصد به بيان الفواصل لا التعبُّد؛ وعلى ذلك فلا يكون الوقف على رؤوس الآي سُنَّة عندهم؛ إذ لا يسنُّ إلا ما فعله ﷺ تعبُّدًا(٣)، وردَّ عليهم غير واحد من العلماء؛ منهم العلامة المتولي(٤) بقوله: « إن من المنصوص المقرر أن لفظ (كان إذا) - أي الوارد في حديث أم سلمة - يفيد التكرار، وأن الإعلام يحصل بِمَرَّة، ويبلِّغ الشاهد منهم الغائب، فليكن الباقي تعبُّدًا، وليس كله للإعلام حتَّى يُعْترض على هؤلاءِ الأعلام »(٥).

الراجح عندي:

جواز الوقف على رؤوس الآي والابتداء بما بعدها مطلقًا وإن تَعلَّقت بما بعدها، وأنه أمر تَوْقِيفي لثبوته عن النبي ﷺ، وهو رأي جمهور العلماء وأكثر أهل الأداء، غير أننا لا نَقْطَعُ القُرَّاءة رأسًا، ولا ننصرف عنها على رؤوس هذه الآيات المُتعلِّقة بما بعدها، ولا نركع عندها في الصلاة، أو نَخْتم عندها القُرَّاءة؛ ولكن علينا المواصلة؛ حتَّى يتم المعنى وينتهي هذا التعلُّق؛ لتَكْتمِل المقاطع، وتَتَّضِح المعاني، وتَبْدُو العبارات، وتَتَجلَّى الدَّلالات.

(١) يستثنى من هذا الإطلاق موضع واحد وهو قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ١٥١ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [الصافات:١٥١، ١٥٢]، فيوقف على قوله: ﴿ لَيَقُولُونَ ﴾ ؛ لأنه رأس آية ولكن لا يبتدأ بما بعده لفظاعة الابتداء به وشدة قبحه، وعليه فيعود القارئ؛ ليبتدئ من قوله: ﴿مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ﴾، ويصله بقوله: ﴿ وَلَدَ ٱللَّهُ ﴾ ، ثم يقف أو يتابع حتَّى نهاية الآية.

(٢) هو الإمام المحقق إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبري أبو إسحاق من فقهاء الشافعية، محقق حاذق وعالم بالقُرَّاءات شرح الشاطبية، وألَّف التصانيف الكثيرة في أنواع العلوم، تُوِّفي سنة ٧٣٢هـ. **ينظر**: غاية النهاية: ٢٥/١ ، الأعلام: ١/ ٥٥.

(٣) **ينظر**: لطائف الإشارات لفنون القُرَّاءات: ١٣٧٩/٤ ، المنح الفكرية: ص٥٩.

(٤) هو العلَّامة محمد بن أحمد بن عبد الله الشهير بالمتولي شيخ القُرَّاء والإقراء بالديار المصرية في وقته، كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ واسع الحفظ والاطلاع، شديد الضبط للقراءات، له زهاء الأربعين مصنفًا في القُرَّاءات والتجويد والرسم والضبط والفواصل، أسندت إليه مشيخة الإقراء سنة ١٢٩٣هـ، وكانت وفاته سنة (١٣١٣هـ) ودفن بالقاهرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ. **ينظر**: الأعلام: ٢١/٦ ، هداية القاري: ص٦٩٨.

(٥) **ينظر**: نهاية القول المفيد: ص ١٦٥ وما بعدها، هداية القاري: ١/ ٣٧٥ وما بعدها.

- **النوع الثاني: أن يكون الوقف على غير رأس الآية - أي في أثْنائها -:**

حكم هذا النوع: يَحْسُن الوقف عليه ولا يَحْسُن الابتداء بما بعده اتفاقًا؛ بل قد يَقْبُحُ لشدة تعلقه بما بعده لفظًا ومعنى، أو إيهامه معنى فاسدًا غير مقصود.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة:٢] فالوقف على قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وقف حسن؛ لأنه كلامًا تامًّا بنفسه يؤدي معنى صحيحًا، ولكن الابتداء بما بعده من قوله: ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ لا يحسن لوجود التعلُّق اللَّفْظي، وهو كون ﴿رَبِّ﴾صفة للفظ الجلالة: ﴿ٱللَّهِ﴾ ولا يصح فصل الصفة عن الموصوف، وقوله تعالى: ﴿ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ [الممتحنة:١] فالوقف على كلمة: ﴿ ٱلرَّسُولَ ﴾ وقف حسن؛ لأنه كلامًا تامًّا يؤدي معنى صحيحًا؛ ولكن الابتداء بما بعده لا يحسن؛ بل هو ابتداء قبيح؛ يفسد المعنى؛ إذ يصبح تحذيرًا من الإيمان بالله تعالى، لذا فإن وقف القارئ على مثل هذه الألفاظ فعليه أن يعود للكلمة التي وقف عليها، فيبدأ بها، ويَصِلَها بما بعدها إن صَلُحَ الابتداء بها وإلا فبما قبلها مما يَصْلُح الابتداء به[1].

فائدة: قد يكون الوقف حسنًا على تقدير، وكافيًا على آخر، وتامًّا على غَيْرِهما، نحو قوله تعالى: ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة:٢] فيجوز أن يكون الوقف حسنًا إذا جعل ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة:٣] نعتًا للمتقين، وأن يكون كافيًا إذا جعل ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ خبر لمبتدأ محذوف تقديره: **(هم الذين)** أو مفعولًا لفعل محذوف تقديره: **(أعني الذين)**، وأن يكون تامًّا إذا جعل مبتدأ وخبره ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة:٥][2].

علامات الوقف الحسن وصوره الدَّالة عليه:

فبالتَتَبْع والاستقراء لآي القرآن الكريم نجد أن الوقف الحسن **(على رؤوس الآي)** يأتي على صورتين: **إحداهما**: ألاَّ يُوهم معنى غير المعنى المراد، **والأخرى**: تَعلُّق في المعنى يُوهم في ظاهره معنى غير المراد مع التعلُّق اللَّفْظي في كل منهما، وجواز الابتداء بما بعده في الحالتين، وأن الابتداء بعد الوقف الحسن في **(غير رؤوس الآي)** له صورتان أيضًا:

(١) **ينظر**: النَّشر في القِراءات العشْر: ١/ ١٨٠، نهاية القول المفيد: ص ١٦٨، منار الهدى: ١/ ٢٧.
(٢) **ينظر**: النَّشر في القِراءات العشْر: ١/ ١٨٠ وما بعدها، منار الهدي: ٢٤/١.

إحداهما: أنه لا يحسن لشدة تعلقه بما بعده لفظًا ومعنى، **والأخرى**: أنه قد يَقْبُحُ لفساد المعنى، مع جواز الوقف قبله في الحالتين، فهذه أربع صور للوقف الحسن: ثنتان على رؤوس الآي، وثنتان على غير رؤوس الآي، فتأمَّل.

وفيما يلي أمثلة توضيحية لكل صورة من الصور المتقدمة:

١- قوله تعالى : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ٣٦ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾[النور:٣٦ -٣٧].فالوقف على قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡأٓصَالِ ﴾ حسن لأنه رأس آية ، والآصال جمْع أصيل، وهو آخر النهار، ويكون الابتداء بعده بقوله: ﴿ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ ﴾ وهو حسنٌ مع وجود التعلُّق اللَّفْظي بين الفاعل ﴿ رِجَالٞ ﴾ والفعل قبله ﴿يُسَبِّحُ ﴾ (١) .

٢- قوله تعالى : ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴾ [الماعون: ٤، ٥].

فالوقف على قوله: ﴿ لِّلۡمُصَلِّينَ ﴾ حسنٌ؛ لأنه رأس آية بشرط الاستمرار في القراءة وعدم الانصراف عنها في هذا الموضع - ونظائره - إلا بعد تمام المعنى؛ إذ المصلين اسم ممدوح لا يليق به الويلُ، وهو العذاب الشديد، وإنما خرج عن جملة المَمْدُوحين بنعته المتصل به، فيجوز الوقف - أي بنية استئناف القُرَّاءة - ولا يجوز القطع بنية الإعراض عن القراءة، ويكون الابتداء بعده بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴾؛ أي الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها، أو أنهم غافلون عنها غير مبالغين بها، ويكون الابتداء حسنًا مع وجود التعلُّق في اللَّفْظ بين النعت ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ والمنعوت قبله ﴿لِّلۡمُصَلِّينَ ﴾(٢).

٣- قوله تعالى : ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ﴾ [الإسراء:٦١].

فالوقف على قوله: ﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾ حَسَنٌ؛ لأنه كلام تام أدى معنى صحيح يحسُنُ الوقف

---

(١) **ينظر**: تفسير ابن عاشور: ١٨/ ٢٤٨ وما بعدها ، تفسير ابن كثير: ١٠/ ٢٤٩ وما بعدها.

(٢) **ينظر**: تفسير القاسمي: ١٧/ ١٠٧ ، تفسير أبي السعود: ٥/ ٥٨ .

عليه، ولا يحسُنُ الابتداء بما بعده اتفاقاً لشدة تعلُّقه به؛ لأن قوله: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ قَالَ ...﴾ مستثنى، ولا يَصِحُّ فصله عن المستثنى منه وهو (**الملائكة**)، فإنه تعالى أمَرَ الملائكة بالسجود، فسجدوا كلهم إلا إبليس استكبر وأبَى أن يسجُدَ له افتخارًا عليه واحتقارًا له، فيعود القارئ للكلمة التي وَقَفَ عليها، وهو قوله تعالى: ﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾ ويصِلها بما بعدها حتى نهاية الآية[1].

٤- قوله تعالى : ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾[الانبياء: ٩٧].

فالوقف على قوله: ﴿فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ حسنٌ؛ لأنه كلام تام أدى معنى صحيحًا من وقوع القيامة وشدتها وارتفاع أجفان الكافرين؛ حتى لا تكاد تطرِفُ من هوْل ما هُمْ فيه، ويَقبُحُ الابتداء بما بعده اتفاقاً لفساد المعنى؛ لأن قوله: ﴿يَٰوَيۡلَنَا﴾ من مَقُولِ الكافرين، ولا يصِحُّ فصْل القول عن مقوله، فيعود القارئ إلى أقرب موضع يصلح الابتداء به، وهو قوله تعالى : ﴿فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ﴾، ويصلها بما بعدها حتى نهاية الآية[2].

نماذج للوقف الحسن وأثَره في التفسير:

- **الموضع الأول:**

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا﴾ [النِّساء: ٧٣].

فالوقف على ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ﴾ حسن؛ لأنه كلام تام، أدى معنى صحيحًا من بيان فرط تحسُّر المنافق المبطئ عن الجهاد، وندمه على تثبيطه، وأسفه على فوت الظفر والغنيمة بأن يُضْرب له بسهم معهم، فيتحصَّل عليه، وهذا أكبر قصده وغاية مراده. والابتداء بـ﴿فَأَفُوزَ﴾ قبيح، لمكانة (فاء) التمني التي تربط بين الجملتين، وكذلك يَقْبُحُ

(١) **ينظر**: تفسير القرطبي: ١٣/ ١١٥، تفسير الزمخشري: ٣/ ٥٢٩.

(٢) **ينظر**: تفسير ابن كثير: ٩/ ٤٤٧، تفسير النسفي: ٣/ ٧١٨ .

الابتداء بما قبله من قوله: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ﴾؛ لأنه لا ينسب القول إلا إلى قائله، فيكون الابتداء إذن من قوله تعالى: ﴿لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ...﴾ حتَّى آخر الآية[1].

- **الموضع الثاني:**

قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۖ بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ...﴾ [الحديد:١٢].

فالوقف على قوله: ﴿جَنَّٰتٞ﴾ حسن؛ لأنه كلام تام أدى معنى صحيحًا؛ حيث يخبر الله تعالى عن حال المؤمنين المتصدقين أنهم يوم القيامة يسعى نورهم بين أيديهم؛ ليستضيئوا به على الصراط، وبأيمانهم كتبهم؛ إذ تأتيهم البشارة بالجنة والرضوان.

والابتداء بـ﴿تَجۡرِي﴾ قبيح للفصل بين الصفة، وهي جملة ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ والموصوف ﴿جَنَّٰتٞ﴾، فيعود القارئ للكلمة التي وقف عليها، وهي قوله ﴿جَنَّٰتٞ﴾ ويصلها بما بعدها إلى نهاية الآية أو إلى موضع آخر يصلح الوقف عليه[2].

- **الموضع الثالث:**

قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى ...﴾ [المائدة: ٤٦].

فالوقف على قوله: ﴿فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ﴾ حسن؛ لأنه كلام مفيد في ذاته أدى معنى صحيحًا؛ حيث بيَّن المولى سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مَنْزلة التَّوراة، وما اشتملت عليه من هدايات وتشريعات، ثم أتبع ذلك ببيان مَنْزلة الإنْجِيل، وما اشتمل عليه من مواعظ وأحكام؛ لكن الابتداء بما بعده، وهو قوله: ﴿وَمُصَدِّقٗا﴾ لا يجوز؛ لأنه مُتعلَّق بما قبله في اللَّفْظ؛ إذ إنه معطُوف على قوله: ﴿فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ﴾ فيعود القارئ إلى أقرب موضع يصلح الابتداء به وهو قوله: ﴿فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ﴾، ويصلها بما بعدها حتَّى نهاية الآية[3].

(١) **ينظر**: تفسير القرطبي: ٤٥٦/٦، تفسير الألوسي: ٨٠/٥.
(٢) **ينظر**: تفسير القرطبي: ٢٠/ ٢٤٥ وما بعدها، تفسير الزمخشري: ٦/ ٤٦، تَفْسِير ابن كثير: ١٣/ ٤١٦.
(٣) **ينظر**: تفسير أبي حيَّان: ٥١٠/٣ وما بعدها، تفسير الألوسي: ١٥٠/٦.

رابعا: الوقف القبيح

تعريف الوقف القبيح:

القُبْح لغة: ضدُ الحُسْن، وهو عام في كل شيء، والفعل منه قَبُح يقْبُحُ قُبْحًا، والجمع قَبائِح[1].

وفي اصطلاح القُرَّاء: هو الوقف على كلام لم يتم في ذاته، ولم يؤدِ معنى صحيحًا لشدة تعلقه بما بعده لفظًا ومعنى[2].

وجه تسميته قبيحًا: لقبح الوقف عليه لعدم تمامه، أو إفادته معنى غير مقصود، أو ربما إيهامه معنى فاسدًا[3].

رمزه في المصحف: الأصل أنه لا يوجد له علامة لكثرته، وقد رُمز له في بعض المواضع بحرف (لا) من غير حصر لكل مواضع الوقف القبيح.

حكمه: لا يجوز الوقف عليه إلا لضرورة كضيق نفس، أو عطاس، أو نحو ذلك، ويكون الابتداء بالكلمة التي وقف عليها إن صلح الابتداء بها، وإلا فبما قبلها مما يصلح الابتداء به.

الدليل من السنة في النهي عن الوقف القبيح:

مما يبين ذلك ويوضحه ما رواه عدي بن حاتم الطَّائي[4] قال: جاء رَجُلان إلى النبي ﷺ فتشهد أحدهما فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما، فقال رسول الله ﷺ: «قم أو اذهب بئس الخطيب أنت»[5].

قال الإمام الدَّاني: «وفي هذا الخبر دليل على كراهية القطع على المستبشع من اللَّفْظ

(١) **ينظر**: لسان العرب: ٣٥٠٨/٥، مختار الصحَّاح: ص ٢١٧.

(٢) **ينظر**: النَّشر في القِراءات العشْر: ١٧٨/١ ، المكتفى: ص٢٤ ، معجم علوم القرآن: ص٣٣٤.

(٣) **ينظر**: لطائف الإشارات لفنون القُرَّاءات: ٥٠٣/٢، منار الهدى: ٢٨/١.

(٤) هو عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطَّائي أبو وهب، صحابي جليل ومن الأجواد العقلاء، قام في حرب الردة بأعمالٍ جليلة، وهو ابن حاتم الطَّائي الذي يُضْرب بِجودِه المثل، عاش أكثر من مائة سنة، تُوفِّي سنة (٦٨هـ)، **ينظر**: تهذيب التهذيب: ٣ /٨٦، الأعلام: ٤ /٢٢٠.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الجمعة: ٦ /٢٢٧، أبو داود في كتاب الأدب: ص٩٠١ رقم٤٩٨١ واللفظ لأبي داود.

المتعلِّق، بما يُبين حقيقته، ويدل على المراد منه؛ لأنه ﷺ إنما أقام الخطيب لمَّا قطع على ما يَقْبُحُ؛ إذ جمع بقطعه بين حال من أطاع ومن عصى، ولم يفصل بين ذلك، وإنما كان ينبغي له أن يقطع على قوله: (فقد رشد)، ثم يستأنف ما بعد ذلك، أو يصل كلامه إلى آخره، فيقول: (ومن يعصهما فقد غوى)، وإذا كان مثل هذا مكروهًا مستبشعًا في الكلام الجاري بين المخلوقين، فهو في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ الذي هو كلام رب العالمين أشد كراهة واستبشاعًا، وأحق وأولى أن يُجْتَنب[1].

أنواعه: الوقف القبيح نوعان، وقيل، ثلاثة أنواع وهو المختار:

- **النوع الأول: وهو الوقف على كلام لا يفهم منه معنى لشدة تعلقه بما بعده:**

كالوقف على العامل دون معموله، **ومن ذلك**: الوقف على المضاف دون المضاف إليه نحو: الوقف على كلمة: ﴿بِسْمِ﴾ من قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١].

ومنها: الوقف على المبتدأ دون خبره نحو: الوقف على كلمة: ﴿الْحَمْدُ﴾ من قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

ومنها: الوقف على الفاعل دون فاعله نحو: الوقف على كلمة ﴿يَتَقَبَّلُ﴾ من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

ونحو ذلك من المتعلقات، فكل هذا لا يجوز الوقف عليه، ولا الابتداء بما بعده؛ لأنه لا يتم به كلام، ولا يفهم منه معنى.

- **النوع الثاني: الوقف على كلام يفيد معنى غير مقصود، أو يوهم معنى فاسدًا لتوقف ما بعده عليه ليتم منه المعنى المراد:**

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا﴾ [النِّساء: ٤٣] فالوقف على قوله: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾ قبيح؛ لأن المقصود من الآية الكريمة لا يتم إلا إذا انضم إليه ما بعده من قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ فيوصل بما بعده إلى أن يقف على قوله: ﴿حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا﴾ وهو كاف، وذلك لما كانت الخمر مباحة؛ حيث أتاهم الإرشاد لإخلاص الصلاة

(١) **ينظر**: المكتفى: ص١٦ بتصرف.

التي هي رأس العبادة من شوائب الخمر وكدرها[1].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨] فالوقف على قوله ﴿بِجَنَاحَيْهِ﴾ قبيح، لأن ذلك يوهم نفي ما هو مشاهد من مخلوقات الله، وإنما يكون الوقف على ﴿أَمْثَالُكُم﴾ وهو كاف؛ إذ إن الطير أُمَّة، والإنس أُمَّة، والجن أُمَّة، ولكل أمة منها جنس ونوع له خصائص به قوامه وحياته[2].

- **النوع الثالث: الوقف على ما يفسد المعنى أو يوهم مالا يليق بالله تعالى وبرسله صلوات الله عليهم.**

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦] فالوقف على قوله: ﴿لَا يَسْتَحْيِۦٓ﴾ قبيح؛ لأنه يوهم معنىً فاسدًا ووصفًا لا يليق بالباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ بل ولا يصح التفوه به ففيه من سوء الأدب مع الله ما هو ظاهر، وإنما يكون الوقف على قوله: ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ وهو كاف، فالآية سيقت لبيان أن ما استنكره الجهلة والسُّفهاء وأهل العناد والمِراء من الكفار ليس بِمَوْضِعٍ للاستنكار والاستغراب، فلله أن يضرب أي مثل كان بأي شيء كان صغيرًا أو كبيرًا[3].

وأقبح ما يكون الوقف وأشنع على المنفي الذي بعده الإيجاب.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩] فالوقف على كلمة: ﴿إِلَٰهَ﴾ قبيح؛ لأنه يُوهم معنى فاسدًا؛ بل هو كفر ظاهر لمن قصده عياذًا بالله، وإنما يكون الوقف على كلمة: ﴿وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ وهو تام، ففي الآية أمر بالعلم والعمل أي إذا علمت أن مدار السعادة هو التوحيد والطاعة، ومناط الشقاء هو الإشراك والعصيان، فاثبُت على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية، والعمل بموجبه[4].

ومثله قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النِّساء: ٦٤] فالوقف على كلمة: ﴿رَّسُولٍ﴾ قبيح يُوهم معنىً فاسدًا ينفي إرسال جميع الرسل، وإنما يكون

(١) **ينظر**: تفسير ابن كثير: ٥٩/٤، تفسير الألوسي: ٣٨/٥، منار الهدى: ١٨٢/١ ، المقصد: ص٥٨.
(٢) **ينظر**: تفسير ابن عاشور: ٢١٣/٧، تفسير ابن كثير: ٣١/٧، المكتفى: ص٩٣.
(٣) **ينظر**: تفسير الزمخشري: ٢٣٥/١ ، تفسير ابن كثير: ٣٢٥/١، منار الهدى: ٦٧/١، المكتفى: ص٣٤.
(٤) **ينظر**: تفسير أبي السعود: ١٤٦/٥، تفسير الزمخشري: ٢٣٤/٥، إيضاح الوقف والابتداء: ص٤٧٧.

الوقف على لفظ الجلالة: ﴿ٱللَّهِ﴾ وهو كاف، وفي الآية أمرٌ من الله بطاعة رُسله واتباعهم؛ لأن الرسول مؤدٍ عن الله، فطاعته طاعة لله، ومعصيته معصية لله[(١)].

نماذج للوقف القبيح وأثَره في التفسير:

▪ **الموضع الأول:**

قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

فالوقف على قوله: ﴿بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ قبيح؛ لأنه لم يؤدِّ فائدة يَحْسُنُ الوقف عليها، وأقْبح منه الابتداء بما بعده من قوله: ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾؛ لأن نفْي الولاية والنصرة عن رسول الله ﷺ مُتَعلِّقٌ بشرط اتباع أهوائهم، فهو شرطٍ خُوطب به النبي ﷺ تعظيمًا للأمْر، والمراد أمَّته؛ لأن النبي ﷺ مَعْصُوم من اتباع الأهواء، فالكلام من باب التغْلِيظ والتشْنِيع في اتباع أهل البدع والأهواء، وترْك ما جاء به الكتاب والسُّنَّة مع العِلْم بذلك، واللَّام في قوله: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ تُشْعر بِقَسَمٍ مُقدَّر قبلها، ولا يُفْصَل بين الشَّرط وجوابه بالوقف، فلينتبه لنظائر ذلك في آيات القرآن الكريم[(٢)].

▪ **الموضع الثاني:**

قوله تعالى: ﴿۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠].

فالوقف على قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ﴾ قبيح؛ لأنه لم يؤدِّ فائدة يَحْسُنُ الوقف عليها، والابتداء بما بعده أقْبح منه؛ لأنه قد يوهم أن فرعون آمن حق الإيمان، وليس هذا بصحيح؛ لأن إيمانه كان حين أدْركه الغرق، وتراكمتْ فوقه الأمواج، وغَشِيته السكرات، فقال وهو كذلك ﴿ءَامَنتُ﴾ فآمن حيث لا ينْفعه الإيمان، فالكلام مشروط بما قبله؛ لذا

(١) **ينظر**: تفسير ابن كثير: ١٤٠/٤، تفسير الزمخشري: ٩٩/٢، منار الهدى: ١٨٥/١، المكتفى: ص٧٥.

(٢) **ينظر**: تفسير الرازي: ٣٤/٤، تفسير ابن عطية: ٣٣٧/١، تفسير أبي حيَّان: ٥٣٩/١.

تعيَّن على القارئ وصْل الشرط بجوابه، وهو قوله: ﴿قَالَ ءَامَنتُ﴾ وعدم فصْل متعلقات الجملة الشرطية بعضها عن بعض(١).

- **الموضع الثالث:**

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٨٣].

فالوقف على قوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾ قبيح؛ لأن قوله: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ من جملة مَقُول الكفار، ويُفْصِح عن اعتقادِهم ومذهبِهم والائتناف به يوهم الإقْرار أو الموافقة فلا يجوز فصل بعض المقول عن بعض، كما لا يخفى ما في الابتداء بقوله: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ من فساد في المعنى(٢).

قلت: والوقف على نظائر المواضع المتقدمة شَائِعٌ جِدًّا في الصلوات وخاصة وأن القارئ قد يَسْتسِيغُ الوقف هنا لطول التركيب، فليُنْتبه لنظائر ذلك في آيات القرآن الكريم تَعْظيمًا لكلام الله، وحِفَاظا على مراد الله عَزَّوَجَلَّ(٣).

خامسًا: أَلْقَاب الوُقُوفِ

انْتشر في كتبِ علومِ القرآن، وكتب الوقفِ والابتداءِ أَلْقابٌ كثيرة لأنواع من الوقوف سبق الإشارة إلى بَعضِها ضِمْن فصول هذا البحث، وهي جميعها لا تَخْرج عن أقسام الوقف والابتداء الأربعة المذكورة آنفًا: التَّام، الكافي، الحسن، القبيح؛ بل تندرج تحتها؛ لذا رأيت أن أَضُمَّها جميعًا تحت هذا العنوان، وسوف أكْتفي بِذِكْرِ خمسة أنواع بالإشارة إلى اللقبِ الذي اشْتُهِر بِه، وأثَره في التفسير، **وهي**: وقف الازدواج، وقف المعانقة، وقف السنة، وقف البيان، وقف التعسف، وسأترك الإشارة إلى بعض ألقاب الوقوف الأخرى، إما لغرابتها، أو

---

(١) **ينظر**: تفسير الرازي: ١٦١/١، تفسير ابن عطية: ٥٢٢/٤، تفسير أبي حيَّان: ١٨٨/٥، تفسير ابن كثير: ٣٩٥/٧ وما بعدها، منار الهدى: ٣٣٧/١.

(٢) **ينظر**: تفسير ابن كثير: ١٤٠/١٠، تفسير الرازي: ١١٦/٢٣، تفسير الزمخشري: ٢٤٥/٤.

(٣) ومن هذه النظائر: الآية (٦٨) من سورة النمل، والآية (٣٢) من سورة الأنفال، والآية (٩٧) من سورة الأنبياء، والآية (١٢) من سورة السجدة.

لحـداثتها، أو لغيابهـا عـن أمهـات كتـب الوقـف والابتـداء، وعلـوم القـرآن. وعلى الله المُعْتَمَد[1].

●الأول: وقف الازدواج:

قال ابن الجزريّ: «ربَّما يُراعَى في الوقف الازْدِواجُ، فيُوصِل مـا يُوقـف على نظـيره ممـا يوجد التَّمام عليه، وانقطع تعلُّقه بما بعده لفظًا؛ وذلك من أجل ازدواجه»[2].

شرح ما تقدم:

إنَّه قد يجتمع في الآية جُمْلتان، تكـون كل واحـدة منهمـا مـسْتقلة عـن الأخـرى في المعنى، ولا يكون بينهما ارتباطٌ في اللَّفْظ؛ ولكن يكون بينهما ازدواج ـ وهو التقابل أو التعادل ـ فإذا كانت الجملتان بهذه المثابة فلا يوقف على الأولى منهما؛ بل توصل بالثانيـة، ويكون الوقوف عليها، وإنَّما لمْ يُوقفْ على الأولى مع كوْنها مستوفيةَ الإسنادِ، تامَّةَ المعنى، غير متعلقة بالثانية لفظًا، ويَسوغ الوقف على نظيرها مما تحقـق فيـه صـفاتها ـ لـم يوقـف عليها ـ مع هذه المُسوِّغَات؛ نَظَرًا لمـا بينهـا وبـين الثانيـة مـن الازدواج؛ أي: التقابـل، أو التعادل[3].

[أ] مثال ما يكون بين الجملتين من تقابُلٍ:

١- **قوله تعالى**: ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَا﴾ [فصلت: ٤٦].

فالجملة الأولى: ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦ﴾ مُسْتوفية ركني الإسناد، تامـة المعـنى، غير متعلقة بالجملة الثانية لفظًا، ويُوقف على مثلها؛ ولكـن لا يوقـف عليهـا - في هـذا الموضع - لوجود التقابـل بـين الجملتـين؛ وذلـك أن ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا﴾ في الأولى يُقابِلُـه ﴿وَمَنۡ أَسَآءَ﴾ في الثانية، و﴿فَلِنَفۡسِهِۦ﴾ في الأولى يقابله ﴿فَعَلَيۡهَا﴾ في الثانية.

ومعنى الآية: أنْ يا محمد، خفِّف عن نفسِك إعراضهم، فإنهم إن آمنوا فنَفْعُ إيمـانهم يَعُود عليْهِم، وإن كفروا فَضَرَر كُفْرهم يعود إليْهِم، فكما أن الآية تحمـل نـصيحة بيِّنـة

(١) **ينظـر**: الإتقان في علوم القرآن، النوع الثامن والعشرين: ص١٨٣ وما بعدها، منار الهدى: ٣٧/١ وما بعدها، الاختلاف في وقوف القرآن الكريم، تأليف/ عادل بن عبد الرحمن السنيد، مبحـث غرائـب الوقوف وضوابطها: ص٤٠٩، ط/ جامعة الملك سعود، الأولى، ١٤٣٦هـ.

(٢) **ينظر**: النَّشر في القِراءات العشْر: ١٨٧/١.

(٣) **ينظر**: معالم الاهتداء إلى معرفة الوقف والابتداء: ص١٦٨ بتصرف.

للعالم، فهي تَحمِلُ بالمقابل تَحْذِير وصَدْع، فالله سبحانه يُوصل إلى كل أحدٍ ما يليق بعمله من الجزاء، وما ربك بظلام للعبيد(١).

٢ - قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

فالجملة الأولى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ مُسْتوفية ركني الإسناد، تامة المعنى، غير متعلقة بالجملة الثانية لفظًا، ويُوقف على مثلها، ولكن لا يوقف عليها - في هذا الموضع - لوجود التقابل بين الجملتين؛ وذلك أن ﴿لَهَا﴾ في الأولى يقابلها ﴿وَعَلَيْهَا﴾ في الثانية و﴿كَسَبَتْ﴾ في الأولى يقابله ﴿ٱكْتَسَبَتْ﴾ في الثانية؛ لأن **(كسب)** يستعمل في الخير، و**(اكتسب)** يستعمل في الشر غالبًا.

ومعنى الآية في قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾؛ أي من الحسنات، ﴿وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾؛ أي من السيئات، وجاءت العبارة في الحسنات بـ ﴿لَهَا﴾ من حيث هي مما يُفْرِحُ الإنسان ويُسَرُ به، فتُضاف إلى ملكه، وجاءت في السيئات بـ ﴿وَعَلَيْهَا﴾ من حيث هي أوْزار وأثْقال ومُحْتملات صعبه؛ لذا خصَّ الخير بالكسب، والشر بالاكتساب؛ إذ إن في الاكْتِساب اعْتِمال، فَجُعلت النفس لذلك مكتسبه فيه، ولمَّا لم تكن كذلك في باب الخير وُصِفت بما لا دلالة فيه على الاعْتمال، فَحَسُن في الآية مجيءُ التصْرِيفين إحْرازًا لهذا المعنى(٢).

ب - مثال ما يكون بين الجملتين من تعادُلٍ:

١- قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: ١٤١].

فبين الجملتين من قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾ تعادُلٌ، وفيه دلالة على مطلق عدْل الله، فكلُّ نفسٍ لها ثواب ما كسبت من خير، أو تتحمَّل وحدها تَبِعَة ما اكتسبت من سوء؛ وذلك أن ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ في الأولى تعادل ﴿وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾ في الثانية، وفيه دلالة على أن كل إنسان مسئول عن عمله، ولا عذْر له في ترْك الحق، ولا أن يَتَّكِل على عملِ غيره أو فضْله، فكلُّ واحدٍ

(١) **ينظر**: تفسير الرازي: ١٣٥/٢٧، تَفْسِير ابن عطية: ٤٩٢/٧.
(٢) **ينظر**: تَفْسِير الألوسي: ٦٩/٣، تَفْسِير أبي السعود: ٤٢٨/١.

بعمله، فلا افتخار بالآباء، ولا اتِّكَال على أعمالِهِم، فلهم أعمالهم، ولكم أعمالكم[(١)].

٢ - قوله تعالى: ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾[آل عمران: ٢٧].

فبين الجملتين من قوله تعالى: ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ تعادُلٌ، وفيه دلالة على عظيم قدرة الله تعالى، والمعنى: أي تدخله فيه بتعقيبه إياه، أو بنقْص الأول وزيادة الثاني، وبين الجملتين الأخيرتين من قوله تعالى ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ تعادُل أيضًا، وفيه دلالة على عظيم قدرة الله؛ إذ يُخْرِج المؤمن من الكافر، ويُخْرِج الكافر من المؤمن، ويُخرِج الدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة، وما جرى في هذا المَجْرى في جميع الأشياء[(٢)].

قال العَلَّامة الأَشْمُوني: «ينبغي للقارئ أن يُراعي في الوقف الازدواج والمعادل، والقرائن والنظائر... والأولى الفَصْل والقَطْع بين الفريقين، ولا يُخْلِطُ أحدهما مع الآخر؛ بل يقف على الأول، ثم يبتدئ بالثاني»[(٣)].

ومن الأمثلة التي تؤكد على أوْلَوية الفصْل في بعض المواضع ما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ [النور: ٢٦]، فإذا وَصَل القارئ ﴿لِلْخَبِيثَٰتِ﴾ فقد يضيق نفسه، فيقف على ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ﴾، فيترتب على ذلك فساد المعنى؛ إذ يصير المعنى ﴿وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ﴾، ولا يخفى على أحدٍ فسادُه؛ إذ إن الكلام القبيح أولى بأهل القبح، والكلام الطيب أولى بالطيبين من الناس، فما نسبه أهل النفاق للسيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من كلام هم أوْلى به، وهي أوْلى بالبراءة والنزاهة منهم، فالخبيثاتُ من النِّساء للخبيثين من الرجالِ، والخبيثون من الرجالِ للخبيثاتِ من النِّساء، والطَيِّبات من النِّساء للطَيِّبين من الرجال، والطَيِّبون من الرجال للطَيِّبات من النِّساء، ووجه الدَّلالة في هذه الآية: أنَّ الله تعالى ما كان ليجعل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوجة الرسول ﷺ إلا لأنها طيبة، ولو كانت خبيثة ـ

(١) **ينظر**: تَفْسِير أبي حيَّان: ٥٨٩/١، تَفْسِير الرازي: ٩٩/٤، تَفْسِير ابن كثير: ١٧/٢.

(٢) **ينظر**: تَفْسِير الألوسي: ١١٤/٣ وما بعدها، تَفْسِير أبي السعود: ٤٦١/١، تَفْسِير ابن كثير: ٤٢/٣.

(٣) **ينظر**: منار الهدى: ٣٩/١.

حاشاها ـ لما صَلُحتْ له شرعًا ولا قدرًا[1].

٢ - قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ﴾ [الرعد: ١٨]، فإذا وصل القارئ قوله تعالى: ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ فقد يضيق نفسه، فيقف على ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ﴾، فيفْسد المعنى حينئذ؛ لأنه يصير أن للذين أطاعوا ربهم الحسنى - وهي الجنة ـ والذين لم يطيعوه كذلك؛ أي: لهم الجنة أيضًا، وهو معنى واضح البُطلان، ووجه الدَّلالة في الآية أنه لا تَسْوِية بين الفريقين في الجزاء، فهؤلاء سُعداء، وأولئك أشْقِياء، أمَّا أحوال السُعداء فهي في قوله: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾، وأما أحوال الأشْقِياء فهي في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ﴾، ثم ذكر لهم أنواع من العذاب والعقوبة عياذًا بالله تعالى[2].

الراجح عندي:

الرأي الذي أراهُ وأرَجِّحُهُ: هو الجمع بين القَوْلين باعْتِبار حُسْن الحالتين وقفًا ووصلًا، فإن كانتا الجملتان قصيرتين فيَحْسُن وصْل الأولى بالثانية والوقف على الثانية، أما إن كانتا طويلتين فيَحْسُن الوقف على كل منهما؛ لأن نفس القارئ قد لا يَتَّسع لكلتا الجملتين، فيقف في أثناء الثانية، وقد يُفضي ذلك إلى تغيير المعنى.

• الثاني: وقف المُعانَقَة أو المُراقَبَة:

قال الإمام ابن الجزري: «قد يُجِيزُون الوقف على حَرْفٍ، ويُجِيزُ آخرون الوقف على آخر، ويكون بين الوقْفَيْن مراقبة على التضاد، فإذا وُقِف على أحدِهِما امتنع الوقف على الآخر»[3].

شرح ما تقدم:

أنَّه قد يجتمع في الآية كلمتان، يصحُ الوقف على كلِّ كلمةٍ منهما؛ لكن إذا وَقف القارئ على أحدِهِما امتنع الوقف على الآخر؛ لئلا يتغيَّر المعنى، وتَذْهب دلالتُه، فلا يَصِحُّ

(١) **ينظر**: تَفْسِير ابن كثير: ٢٠٢/١٠، تَفْسِير الرازي: ١٩٥/٢٣، تَفْسِير ابن عطية: ٣٦٦/٦.

(٢) **ينظر**: تَفْسِير الخازن المُسَمَّى لباب التأويل في معاني التنزيل، للإمام علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي الشهير بالخازن، (ت٧٢٥هـ)، ضبط وتصحيح/ عبد السلام محمد علي شاهين: ١٤/٣، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، تَفْسِير الرازي: ٣٨/١٩، تَفْسِير النسفي: ٥٤٤/٢.

(٣) **ينظر**: النَّشر في القِراءات العشْر: ١٨٧/١.

الوقف عليهما من غير وصْلِ أحدهما، ولا يَصِحُّ الوصل فيهما من غير وقفٍ على أحدهما، ويسمَّى هذا الوقف وقْف المعانقة لمعانقة كلِّ من الكلمتين الكلمة الأخرى، واجتماعهما معًا في موضعٍ واحد، ويُسمَّى أيضاً وقْف المراقبة؛ لأن القارئ حين قراءتِه يُراقب الموضع الذي اجتمع فيه هاتان الكلمتان؛ ليقف على أحدهما، ويصل الأخرى[1].

علامة تعانق الوقف: علامة تعانق الوقف في رسم المصحف الشريف هكذا (ۛ ۛ)، وتوضع على الكلمتين اللتين بيْنهما معانقة أو مراقبة على التضاد[2].

وقد عدَّ بعضُ العلماء مواضع تعانق الوقف في القرآن الكريم، فكانت بضعًا وثلاثين موضعًا على خلاف في بعض المواضع، وبالتدقيق يتضح أنها أكثر من ذلك بكثير[3]، وقيل: إن أول من نبَّه على المراقبة في الوقف هو الإمام أبو الفضل الرازي[4].

أمثلة على تعانق الوقف أو وقف المراقبة:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، فهذا الموضع من أشهر مواضع وقف المراقبة في القرآن الكريم، ففي هذه الآية الكريمة تراقُبٌ بين كلمتي ﴿لَا رَيْبَ﴾ و﴿فِيهِ﴾، ويصحُ الوقف على كل واحد منهما؛ ولكن إذا وقف القارئ على قوله: ﴿لَا رَيْبَ﴾امتنع الوقف على ﴿فِيهِ﴾؛ بل توصل بقوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾، فإذا لم يقفْ القارئ على ﴿لَا رَيْبَ﴾ فله أن يقف على ﴿فِيهِ﴾، فالقارئ مُخيَّرٌ في الوقف على إحدى الكلمتين، ولا يسوغ له الوقف عليهما معًا، ولا وصلهما؛ لئلا يختل المعنى، وتذهب دلالته التي انفتح عليهما النص في أحد الوقْفين، وقد رجَّح أكثر المُفسِّرين الوقف على الموضع

---

(١) **ينظر**: معالم الاهتداء في الوقف والابتداء: ص٣٧، نهاية القول المفيد: ص١٧٦ وما بعدها

(٢) لم توضعْ علامة تعانق الوقف في رسم المصحف الشريف على كثيرٍ من مواضعه للاختلاف في تقدير تلك المواضع .

(٣) **ينظر**: وقف التجاذب (المعانقة) في القرآن الكريم د/ عبد العزيز بن علي الحربي: ص١٢ وما بعدها، ط/ مجلة جامعة أم القرى، العدد ٣١، رمضان ١٤٢٥ هـ، الانفتاح الدلالي في وقف المراقبة، د/ مشهور موسى مشاهرة: ص٨٧ وما بعدها، ط/ مجلة المجتمع الأردنية، العدد الخامس والثمانون.

(٤) هو الإمام المقرئ شيخ الإسلام أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد الرازي، مؤلِّف كتاب جامع الوقوف، وهو مقرئ فاضل، كثير التصانيف، حسن السيرة، إمام في القُرَّاءات والروايات، عالمًا بالأدب والنَّحو، أشهر من الشمس، وأضْوأ من القمر، ذو فنون في العِلْم، تُوفِّي سنة (٤٥٤هـ). **ينظر**: غاية النهاية: ١/٣٢٧.

الثاني من تعانق الوقف؛ أي على كلمة ﴿فِيهِ﴾؛ وذلك أن عَوْد الضمير (الهاء) من ﴿فِيهِ﴾ على الكتاب فيه مزيد عناية به، وعلى ذلك فيكون قوله تعالى: ﴿هُدًى﴾ صفة لـ ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ فيكون الكتاب في نفسه ﴿هُدًى﴾، وهو أبلغ من كونه ﴿فِيهِ هُدًى﴾، وعلى هذا الوجه من الدَّلالة يكون المعنى قد تمَّ، فقد نفى الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الريب عن كتابه، ثم أخبر أن هذا الكتاب هدى للمتقين، أما الوقف على الموضع الأول من تعانُق الوقف؛ أي: على قوله: ﴿لَا رَيْبَ﴾، فله دلالة أخرى من التعريض بكلِّ مُرْتابٍ من المشركين وأهل الكتاب، وأن هذا الارتياب إنَّما نشأ عن المكابرة على الرغم من كوْنه الكتاب الكامل، وفي الآية الكريمة يُشير المولى ـ جل ذي علاه ـ إلى القرآن الكريم باسم الإشارة الدَّالة على البعد ﴿ذَٰلِكَ﴾ ؛ لإظهار رفعة القرآن، وعُلُو شأنه، وأنه سامٍ أينما توجهت إليه، فهو معجز للبلغاء، وفوق مدارك الحكماء، وهو أصدق مُحَدثٍ عن الماضين، وأدق محددًا لتاريخ السابقين(1).

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٩٦] ففي الآية المتقدمة تراقُب أو تعانُق بين كلمتي ﴿حَيَوٰةٍ﴾ و﴿أَشْرَكُوا۟﴾، ويصحُّ الوقف على كلِّ واحدة منهما؛ لكن إذا وقف القارئ على قوله: ﴿حَيَوٰةٍ﴾ امتنع الوقف على ﴿أَشْرَكُوا۟﴾ ؛ بل توصل بقوله: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ...﴾، وإذا لم يقفْ عليها فله أن يقف على قوله: ﴿أَشْرَكُوا۟﴾، فالقارئ مُخيَّرٌ في الوقف على إحدى الكلمتين، ولا يسوغ له الوقف عليهما معًا، ولا وصْلهما؛ لئلا يختل المعنى، وتَذْهب دلالته.

وقد ذكر العلامة الأشموني أن الوقف على ﴿أَشْرَكُوا۟﴾ هو رأي الأكثرين، ويبدو ذلك من سياق الآية أنه الراجح بالنظر لما قبلها وما بعدها من الحديث عن اليهود، فَهُمْ حريصون على حياة أي حياة؛ وإن كانت ذليلة، فهي عندهم خير من الآخرة لمعرفتهم بذنوبهم، وأن لا خير لهم عند الله ينتظرهم؛ بل هم يتوقعون سَخَطَ اللهِ وتعذيبه لهم على ما أسلفوا من كُفْرٍ وعصيان، وهم أحرصُ من الذين أشركوا بالله ولم يؤمنوا بالآخرة، ولمَّا

(١) **ينظر**: تفسير الرازي: ٣٧٩/٢، تفسير ابن كثير: ٣٩/١.

كانوا كذلك فالواحد منهم يَوَدُّ لو يُعمَّر ألف سنة ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾، أما الوجه الآخر من التعانُق فهو الوقف على قوله: ﴿حَيَوٰةٍ﴾ ، وله دلالة أخرى؛ إذ يفيد أن اليهود هم أحرصُ الناس على أي ﴿حَيَوٰةٍ﴾، ثم يستأنف حديثًا آخر عن الذين أشركوا- وقيل هم المجوس ـ وأن حرصهم على الحياة لا يستبعد أيضًا، فهي جنَّتُهم؛ إذ لا يؤمنون بعاقبة، ولا يعرفون إلا الحياة الدنيا(١).

٣- **قوله تعالى**: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠]، ففي الآية تراقُب أو تعانُق بين كلمتي ﴿مُّحْضَرًا﴾ و﴿مِن سُوٓءٍ﴾، ويصح الوقف على كل واحدة منهما؛ لكن إذا وَقَفَ القارئ على قوله: ﴿مُّحْضَرًا﴾ امتنع وقْفه على كلمة ﴿سُوٓءٍ﴾؛ بل يصلها بقوله: ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا﴾، وإذا لم يقِفْ القارئ عليها فله أن يقف على كلمة ﴿سُوٓءٍ﴾، فالقارئ مُخيَّرٌ بين الوقفين، ولا يَسُوغ له الوقف عليهما معًا ولا وصْلهما؛ لئلا يختل المعنى وتذهب دلالته.

وقد رجَّح الدَّاني والسّجاوندي الوقف على كلمة ﴿سُوٓءٍ﴾، وتقديره: **(وما عملت من سوء كذلك)**؛ لأن السُّوء يوجد محضرًا كالخير، وتكون جملة ﴿تَوَدُّ﴾ مستأنفة؛ لأن صاحب الخير والشر مُحضران، ولا معنى لحضور أحدِهما دون الآخر، أما الوجه الآخر من التراقُب فهو الوقف على كلمة ﴿مُّحْضَرًا﴾، وله دلالة أخرى من الإشعار بكوْنِ الخير مُرادًا بالذات، وأن الإنسان يتمناه، ويرجو حصوله؛ لما يترتب عليه من ثواب، وأما عَمَلُ السوء فتتمنى كُلُّ نفسٍ اقترفته لو بَعُدَ عنها ولم تَرَهْ بسبب ما يترتب عليه من عقاب، ثم خُتِمت الآية بقوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾، وفيه إشارة إلى أنه عَزَّوَجَلَّ مع هذا التحذير الشديد، والعقاب الصارم رؤوف بعباده، رحيم بهم(٢).

٤ - **قوله تعالى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ

---

(١) **ينظر**: تفسير ابن عطية: ١/٢٨٩ وما بعدها، تفسير الألوسي: ١/٣٢٩ وما بعدها، منار الهدى: ١/٨٠.

(٢) **ينظر**: تفسير الرازي: ٧/١٧١ وما بعدها، لا تفسير الألوسي: ٣/١٢٦ وما بعدها، المكتفى: ص٦٠، علل الوقف: ١/٣٦٨.

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ [المائدة: ٤١]، ففي الآية تراقب بين كلمتي ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ ﴿هَادُواْ﴾ ويصح الوقف على كل واحدةٍ منهما؛ لكن إذا وقف القارئ على قوله: ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ امتنع الوقف على ﴿هَادُواْ﴾؛ بل توصل بقوله: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾، فإذا لم يقف القارئ على ﴿قُلُوبُهُمْ﴾، فله أن يقف على ﴿هَادُواْ﴾، فالقارئ مخير بين الوقفين، ولا يسوغ الوقف عليهما معًا؛ لئلا يختل المعنى وتذهب دلالته.

وقد رجح السَّجاوندي، والدّاني، والأشموني، وغيرهم الوقف على الموضع الأول من تعانُقِ الوقف أي على كلمة ﴿قُلُوبُهُمْ﴾؛ لأن التحريف محكي عنهم، وهو مختص باليهود، ويكون الابتداء بقوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ جملة مستأنفة لبيان وصف من أوصاف اليهود، وتكون الجملة قبلها ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾لفريق المنافقين، والوجه الآخر هو الوقف على الموضع الثاني أي على قوله: ﴿هَادُواْ﴾، وبهذا يكون الابتداء بقوله: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ راجعًا إلى الفريقين المنافقين واليهود معًا، وفي الآية تسْرية لرسول الله ﷺ وتقْوية لنفسه فيما يَفْعَلُه أهل الكفرِ والنفاقِ، وألا يَحْزن لأجل ذلك، فمن يُرِد اللهُ فتنتَه فلن تملك له من الله شيئًا[1].

● الثالث: وقف السنة:

قال العلَّامة الأشموني نقلًا عن الإمام السَّخَاوي[2]: «ينبغي على القارئ أن يتعلَّمَ وقْف جبريل؛ أي: الذي كان جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يقف عنده، وكان ﷺ يتبعه في الوقف...»[3]، ثم

(١) **ينظر**: تفسير ابن عطية: ١٦٤/٣، تفسير الرازي: ٢٣٧/١١، منار الهدى: ٢١٦/١ المكتفى: ص٨٦.

(٢) هو الإمام العلَّامة عَلَمُ الدين أبو الحسن عليّ بن محمد بن عبد الصمد السَّخاوي المقرئ شيخ مشايخ الإقراء بدمشق، كان إمامًا محقّقًا مقرئًا مجودًا بصيرًا بالقُرَّاءات وعِللها، إمامًا في النَّحو واللغة والتفسير والأدب، ألَّف كثيرًا من الكتب، من أجلِّها كتابه «جمال القُرَّاء وكمال الإقراء»، تُوفِّي سنة (٦٤٣ هـ). **ينظر**: غاية النهاية: ٥٠٢/١.

(٣) **ينظر**: منار الهدى: ٢٣/١، غير أني لم أجد ما يؤكد نسبة هذه المواضع للإمام السَّخاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أي كتاب من كتبه، أو كتب علوم القرآن؛ بل هي لأبي عبد الله محمد بن عيسى المغربي، وقد جعلها في مؤلَّف خاص. **ينظر**: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، للعلَّامة/ مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة: ٢٠٢٥/٢، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ذكر عشرة مواضع قال: إن النبي ﷺ كان يتحرَّى الوقف عليها دائمًا، وزاد بعض العلماء عليها سَبْعَةَ مواضع أخرى على خلافٍ في بعض المواضع - تركْتُ ذِكْرها طلبًا للاختصار- فصارتْ سبعة عشر موضعًا، وسُمِّي الوقف في هذه المواضع وَقْفُ السُّنَّة أو وَقْفُ جبريل، وبتدقيق النظر وتحقيق الأثَر حول نِسْبة هذه الوقوف إلى رسول الله ﷺ لم أجدْ من الأحاديث أو الآثار الصحيحة ما يؤكد صحة ثبوت هذه النُقُول أو نِسْبتها إلى رسول الله ﷺ، إنَّما هي مجرد نُقُول عن عُدُول من بعض أئمةِ القُرَّاءات ممَّا أخذوه وتلقوْه عن شيوخهم، لذلك ظهر التفاوت أو الاختلاف في بعض المواضع كل بحسب ما سمع أو أخذ عن شيخه، وهي في جُمْلتها لا تَخْرج عن الوقوف المختارة وهي: التَّام، والكافي، والحسن؛ لذا لم أَرَ بأسًا بِتَحْرِيرها وذِكْرها (١).

وفيما يلي بيان حكم الوقف على هذه المواضع، وأثَره في التفسير:

▪ **الموضع الأول: الوقف على:** ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾

من قوله تعالى: ﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[البقرة: ١٤٨].

فممَّا تُرْشِدُ إليه الآية الكريمة: أن لكلِّ أحدٍ من أهل الملل والأديان وجهة قد اختارها لنفسه، إما بشريعة أو بِهَوى، أما أنتم معاشر المسلمين فقد هداكم الله لقبلتكم التي ارتضاها لكم، فالزموا قبلتكم، فإنكم على خير في الدنيا والآخرة، فعليكم بالمبادرة إلى سبيل النجاة، والوقف على قوله: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ كافٍ، وفيه دلالة وحَثٌّ إلى المسابقة للخيرات، وهو أبلغ من الأمر بالمسارعة؛ لما فيه من الحثِّ على إحراز السبق(٢).

▪ **الموضع الثاني: الوقف على:** ﴿قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾ من قوله تعالى: ﴿قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٩٥].

---

(١) **ينظر**: هداية القاري: ٣٧٦/١ وما بعدها، معالم الاهتداء: ص١٢ وما بعدها، بغية عباد الرحمن لتحقيق تجويد القرآن، تأليف: محمد بن شحادة الغول: ص ٦٦، ط/ دار بن عفان للنشر والتوزيع خلف الجامع الأزهر، الثامنة، ١٤٢٣هـ

(٢) **ينظر**: تفسير أبي السعود: ٢٨٣/١، تفسير الزمخشري: ٣٤٥/١، تفسير ابن عطية: ٣٧٩/١، تفسير ابن كثير: ١٢١/٢، القطع والائتناف: ص٨٣، المكتفى: ص٤٤، المقصد: ص٣٩، منار الهدى: ٩٢/١.

فممَّا تُرْشِدُ إليه الآية الكريمة: بيان أن كل ما أخبر الله به في القرآن الكريم أنه الحق الذي لا شكَّ فيه، ولا مِرْية، وأنها المِلَّة التي لم يأتْ نبي بأكمل منها، ولا أبْين، ولا أوْضح، ولا أتمَّ، ومن جملة ذلك قوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا﴾ [آل عمران: ٦٧]، والوقف على قوله: ﴿صَدَقَ ٱللَّهُ﴾ كاف، وفيه دلالة وتعريف بكذبهم الصريح على الله تعالى، وعلى أنبيائه من بعد ما بيَّن لهم الحجج والبراهين(١).

▪ **الموضع الثالث: الوقف على**: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾

من قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨].

ومما تُرْشِدُ إليه الآية الكريمة: أنَّ لكلِّ أُمَّة من الأمم السابقة جَعَلَ اللهُ لها شرعةً ومنْهاجًا، فسارعوا أنتم ـ أي يا معاشر المسلمين ـ إلى ما هو خير لكم في الدَّارين، من طاعة الله، واتباع شرعه الذي جعله ناسخًا لما قبله، والتصديق بكتابه القرآن الذي هو آخر كتابٍ أُنْزل، والوقفُ على قوله: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ كافٍ، وفيه دلالة للدعوة إلى المسابقة والابْتِدار، وانتهاز الفرصة، وإحراز السبق والفضل، والتحذير من الزيغ فـ ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ وهو تعليل لاستباق الخيرات بما يَحْمِلُ من الوعْد والوعيد(٢).

▪ **الموضع الرابع: الوقف على**: ﴿مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ﴾

من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾ [المائدة: ١١٦].

فممَّا تُرْشِدُ إليه الآية الكريمة: أنه لا ينبغي لنبيٍ آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة أن يَفْتَرِي على الله الكذب، أو أن يقولَ على الله غير الحق، ومعنى ﴿مَا يَكُونُ لِىٓ﴾ أي: لا ينبغي ولا يليق، وهو أبلغ من لمْ أقلْه؛ فلذا أوثر عليه، والاستئناف في الآية مقرِّرٌ للتنزيه، ومبيِّنٌ

(١) **ينظر**: تفسير أبي السعود: ٥١٥/١، تفسير الألوسي: ٤/٤ وما بعدها، تفسير ابن كثير: ١١٣/٣ وما بعدها، المكتفى: ص٦٣، القطع والائتناف ص١٤٢، إيضاح الوقف والابتداء: ص٢٨٩، منار الهدى: ١٥١/١.

(٢) **ينظر**: تَفْسِيرالألوسي: ١٥٤/٦، تفسير أبي السعود: ٧٠/٢، تفسير ابن كثير: ٢٤٧/٥ وما بعدها، المكتفى: ص٨٨، القطع والائتناف: ص٢٠٥.

للمنزَّه منه، والوقف على قوله: ﴿مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ كافٍ، وفيه دلالة على تنزيه الله تنزيهًا لائقًا به من أن يقال في حقِهِ ذلك، وتوفيق للتأدُّب في الجواب الكامل(١).

▪ **الموضع الخامس: الوقف على:** ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾

من قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[يوسف: ١٠٨].

فممَّا تُرْشِدُ إليه الآية الكريمة: قول يوسف ﷺ بأن الدعوة التي أدعو إليها، والطريقة التي أنا عليها هي سبيلي، ومنهاجي، وسنتي، وهي الدعوة إلى شهادة ألا إله إلا الله على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان، **والسبيل في اللغة:** الطريق، وسُمِّيَ الدين سبيلًا؛ لأن الإنسان يَمُرُّ عليه إلى الجنة، والوقف على قوله: ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ كافٍ، وقيل: تامٌّ، وفيه دلالة على أن كل من ذكر الحُجَّة، أو أجاب عن الشبهة فقد دعا بمقدار وِسْعِه إلى الله(٢).

▪ **الموضع السادس: الوقف على:** ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾

من قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧].

فممَّا تُرْشِدُ إليه الآية الكريمة: التنبيه على قدرة الله تعالى، وإقَامة الحجة على الكافرين بِمَثَلَيْن ضَرَبَهما اللهُ للحق في ثباته وبقائِه، والباطل في اضْمِحلالِه وفنائِه، والوقف على قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ تام، وفيه دلالة على أنَّه لا ثباتَ للباطل، ولا دوامَ له، كما أن الزبد لا يَثْبُت مع الماء ولا مع الذَّهَب، بل يَذْهَب ويَضْمحِل(٣).

▪ **الموضع السابع: الوقف على:** ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا﴾

من قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل: ٥].

---

(١) **ينظر:** تفسير الألوسي: ٦٦/٧، تفسير أبي السعود: ١٥٦/٢، تفسير الرازي: ١٤٣/١٢ وما بعدها، المقصد: ص٦٨، المكتفى ص٩٠.

(٢) **ينظر:** تفسير ابن عطية: ١٥٩/٥، تفسير ابن كثير: ٩١/٨ وما بعدها، القطع والائتناف: ص٣٣٦، المكتفى: ص١٤١.

(٣) **ينظر:** تفسير ابن عطية: ١٩٦/٥، تفسير الرازي: ٣٥/٩، تفسير ابن كثير: ١٣٠/٨ وما بعدها، القطع والائتناف: ص٣٤١، إيضاح الوقف والابتداء: ص٣٦٨، المكتفى: ١٤٢ المقصد: ص٩٩، منار الهدى: ٣٧٩/١.

فممَّا تُرْشِدُ إليه الآية الكريمة: بيان فضل الله تعالى ومِنَّتِه على عباده بما خلق لهم من صُنُوف الأنعام، وبما جعل لهم فيها من المنافع والمصالح، فمن أصْوافِها وأوْبارِها وأشْعارِها يَلْبَسُون ويَفْتَرُشُون، ومن ألْبانِها يشْرَبون، ومن لحومها يأْكُلُون، ويستخدمونها كذلك في الركوب والتحميل، مع ما لهم فيها من الجمال والزينة، والوقف على قوله: ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَا﴾ كافٍ، وفيه دلالة على سعة رحمة الله، وعظيم فضله، أن قيَّض للإنسان هذه الأنعام وسَخَّرها له ـ إن ربكم لرؤوف رحيم ـ وهو تعليل لجملة ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَا﴾ أي خلقها لهذه المنافع؛ لأنه رؤوف رحيم بكم(١).

▪ **الموضع الثامن: الوقف على**: ﴿كَمَن كَانَ فَاسِقٗا﴾

من قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ﴾ [السجدة: ١٨].

فممَّا تُرْشِدُ إليه الآية الكريمة: بيان مطلق عدل الله تعالى؛ إذ إنه لا يساوي في حكمه يوم القيامة بين من كان مؤمنًا بآياته، متبعًا لرسله، بمَنْ كان فاسقًا، خارجًا عن طاعة ربه، مكذبًا برسله، والوقف على قوله: ﴿كَمَن كَانَ فَاسِقٗا﴾ كافٍ، وفيه دلالة على إنكار المساواة بين المؤمن والكافِر، وهو إنكار بتنزيل السامع منزلة المتعجب من البون الشاسع بين جزاء الفريقين، وجملة ﴿لَّا يَسۡتَوُۥنَ﴾ عطف بيان للمقصود من الاستفهام(٢).

▪ **الموضع التاسع: الوقف على**: ﴿فَحَشَرَ﴾

من قوله تعالى: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾ [النازعات: ٢٣].

فممَّا تُرْشِدُ إليه الآية الكريمة: بيان مدى تحمل نبي الله موسى المشَاق والعنت من قومه، فحينما دعا موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ فرعون بِأمر ربه، وأراه الآية الكبرى فلم يتردد، ولم يتمهل، ولم ينتظر؛ بل بادر إلى التكذيب والعِصيان، ثم ارْتقى إلى ما هو أشد وهو الإدْبار والسعي، وانتهى مشهد اللقاء والتبليغ عند التكذيب والمعصية في اختصار وجمال؛ ليتسارع السياق لمشهدٍ آخر من سعيه وحشره في الكيد والمحاولة، والوقف على قوله

---

(١) **ينظر**: تفسير ابن عاشور: ١٠٣/١٤، تفسير ابن كثير: ٢١٩/٨ وما بعدها، القطع والائتناف: ص٣٦٠، المكتفى: ص١٤٩، منار الهدى: ٤٠٠/١.

(٢) **ينظر**: تفسير ابن عاشور: ٢٣١/١ وما بعدها، تفسير ابن عطية: ٧٨/٧ وما بعدها، تفسير ابن كثير: ١٠٢/١١، إيضاح الوقف والابتداء: ص٤٣٩، المكتفى: ص٢٠٣.

﴿فَحَشَرَ﴾ جائز، وفيه دلالة على جَمْعِ الناس والسحرة والجنود من أهل مدينته ومن كلِّ صوب[(١)].

▪ **الموضع العاشر: الوقف على:** ﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾

من قوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣].

فممَّا تُرْشِدُ إليه الآية الكريمة: أن العبادة في هذه الليلة المباركة ﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ ليس فيها هذه الليلة، وإنَّما كان شَأْنها كذلك لما يزيد الله فيها من المنافع والأرْزاق، وسائرِ أنواعِ الخيرِ، والوقف على قوله: ﴿شَهْرٍ﴾ كافٍ، وفيه دلالة على سُمُوِ هذه الليلة، وعُلُوِ قَدرِها، وأن من أحْياها فكأنَّما عَبَدَ اللهَ نيفًا وثمانين سَنة، وعليه فمَنْ أحياها في كلِّ عام فكأنما رُزِق فوق عمره أعمارًا كثيرة[(٢)].

▪ **الموضع الحادي عشر: الوقف على:** ﴿أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ﴾

من قوله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [يونس: ٢].

فممَّا تُرْشِدُ إليه الآية الكريمة: بيان موقف كفار قريش وتعجُّبهم من تخصيص الله تعالى محمدًا ﷺ بالرسالة والوحي مع كوْنه يتيمًا فقيرًا، ولمَّا عطف على الأمْرِ بالإنذار الأمر بالتبشير للذين آمنوا بقى ﴿النَّاسَ﴾ المتعلِّق بهم الإنذار مخصوصًا بغير المؤمنين، فجاء الفصل بالوقْف على الناس، وحَذَفَ المنذر به للتهويل، فالوقف على قوله: ﴿أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ﴾ حَسَنٌ، وفيه دلالة على أن الإنذار للكُفَّار والفُجَّار؛ ليرتدِعوا به عن فعل ما لا ينبغي، وأنه قدَّم الإنذار على التبشير؛ لأن التخلية مُقدمةٌ على التحلية، وإزالة ما لا ينبغي مُقدَّمٌ في الرُتبَةِ عن فعْلِ ما ينبغي[(٣)].

---

(١) **ينظر**: تفسير الزمخشري: ٣٠٧/٦ وما بعدها، تفسير ابن عاشور: ٧٨/٣ وما بعدها، تفسير أبي السعود: ٤٦٩/٥ وما بعدها، تفسير الظِّلال: ٣٨١٤/٦، منار الهدى: ٣٩٢/٢.

(٢) **ينظر**: تفسير ابن عاشور: ٤٥٩/٣٠، تفسير الزمخشري: ٤٠٨/٦ وما بعدها، منار الهدى: ٤٢٣/٢، المكتفى: ص٢٧٦.

(٣) **ينظر**: تفسير ابن عاشور: ٨٣/١١، تفسير الألوسي: ٦٠/١١، تفسير الزمخشري: ١١٣/٣ وما بعدها، منار الهدى: ٣٢٢/١.

▪ **الموضع الثاني عشر: الوقف على:** ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾

من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يونس: ٦٥].

فممَّا تُرْشِدُ إليه الآية الكريمة: التَسْرِيةُ عن رسول الله ﷺ بألاَّ يَحـزَنَ مـن تكـذيب المشركين واستهزائهم، وتشاوُرهم في تدبير هلاكه وإبطال أمْره، وسـائر مـا يتكلَّمـون بـه في شأنه، والوقف على كلمة ﴿قَوْلُهُمْ﴾ لازم؛ لكي لا يَتوهَّم بعضُ مَنْ يَسْمَعُ جملـة ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ﴾ أنها من مقُول المشركين، وليس كذلك، وفي الآية دلالة على زوال أسباب الحزن عـن رسول الله ﷺ؛ إذ ثبت أنَّ العزة والقهر والغلبة ليست إلا لله ولأنبيائه وأوليائه، إذن فقـد حصل الأمن، وزال الخوف(١).

▪ **الموضع الثالث عشر: الوقف على:** ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾

من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

فممَّا تُرْشِدُ إليه الآية الكريمة: بيان شبهة أخرى من شبهات مُنكِري نبوة محمـد ﷺ، وتلبيس آخر مِمّا يُلَبّسُون به على عامتِهم، ولقد كشف القرآن هذا اللبس وردَّ هذه الشبهة بأوضح برهان؛ إذ قال قولًا فصلًا دون طول جـدال ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾؛ أي كيف يعلِّمُهُ أعجمي لا يكاد يُبِين، وهذا القرآن فـصيح عربي مُبين، والوقف على قـوله: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ كافٍ، وفيـه دلالـة على إرادة الميـل بكلامٍ مبهم توسعةً على أنفسهم في اختلاف المعاذِير، فإذا وجدوا ساذجًا يسأل عن المعـنى بالبشر قالوا له: هو جبر أو بلعام ـ وهما غلامان بمكـة أعجميـان اللـسان ـ وإذا توسَّـموا نباهةَ السائل قالو: هو بشر من الناس(٢).

(١) **ينظر**: تفـسير الزمخـشري: ١٥٨/٣، تفـسير ابـن عاشـور: ٢٢١/١١، تفـسير الـرازي: ١٣٦/١٧، القطـع والائتناف: ص٣٠٦، منار الهدى: ٣٣٣/١، المقصد: ص٩١، المكتفى: ص١٢٩.

(٢) **ينظر**: تفسير الرازي: ١١٩/٢، تفـسير ابـن عاشـور: ٢٨٦/١٤، المكـتفى: ص١٥٤، القطـع والائتنـاف: ص٣٧١، المقصد: ص١٠٦.

▪ **الموضع الرابع عشر: الوقف على:** ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ﴾

من قوله تعالى ﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣].

فممَّا تُرْشِدُ إليه الآية الكريمة: النهي عن الشرك بالله؛ لأن صَلاح الاعتقاد أصلٌ لصلاحِ العمل، فجاء قوله: ﴿لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ﴾ إثبات لوجود إله، وإبطال أن يكون له شريك في أُلُوهيَّته، والوقف على قوله: ﴿لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ﴾ كافٍ، وفيه دلالة على أن أولَ وأعظمَ وأبلغَ وصية هي الأمْرُ بتوحيد الله، وعَدَمُ الإشراكِ به(١).

▪ **الموضع الخامس عشر: الوقف على:** ﴿أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾

من قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [غافر: ٦].

فممَّا تُرْشِدُ إليه الآية الكريمة: أنه وكما توجَّب هلاك الكفار في الدنيا بالعذاب المُسْتأْصِل، كذلك وَجَبَ هلاكهم بعذاب النار في الآخرة؛ لأن عِلَّة واحده تجمعهم أنهم أصحاب النار، والوقف على قوله: ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ تام، ولا يليق وصله بما بعده؛ لأنه لو وُصِلَ به لصار ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ﴾ صفة لـ ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾؛ وذلك خطأ ظاهر، وفي الآية دلالة على استحقاقهم لأشد العقوبات وأفظعها التي هي ـ عذاب النار ـ وأنهم ملازموها أبدًا لكفرهم وعنادهم(٢).

▪ **الموضع السادس عشر: الوقف على:** ﴿مِّن كُلِّ أَمۡرٖ﴾

من قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ﴾ [القدر: ٤].

فممَّا تُرْشِدُ إليه الآية الكريمة: أن هذه الليلة ليلةٌ مباركة تُقْضَى فيها الأمور، وتُقدَّر فيها الآجال والأرْزاق، وأن الملائكة في تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى،

---

(١) **ينظر**: التحرير والتنوير: ١٥٤/٢١ وما بعدها، تفسير أبي السعود: ٣٧٦/٤ وما بعدها، تفسير ابن كثير: ٥٢/١١، منار الهدى: ١٥١/٢.

(٢) **ينظر**: الكشاف للزمخشري: ٣٣٠/٥، تفسير أبي السعود: ٥/٥، تفسير النسفي: ١٠٣٩/٣، منار الهدى: ٢٢٤/٢، القطع والائتناف: ص٦١٥، المقصد: ص١٥٣، المكتفى: ص٢٢١.

يتنزَّلُون مع تنزُّل البركة والرحمة، والوقف على قوله: ﴿مِّن كُلِّ أَمۡرٍ﴾ كافٍ، ودلالته أنه يَعُمُّ كل أمر في تلك الليلة من خيرٍ وشر(١).

▪ **الموضع السابع عشر: الوقف على:** ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ﴾

من قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾ [النصر: ٣].

فممَّا تُرْشِدُ إليه الآية الكريمة: البِشارَةُ بفتح مكة، وهو خبرٌ وُجِدَ مُخْبره بعد حين مطابقًا له، والنَّصر هو إكمال الدين وإظهاره، والفَتْح هو الإقبال الذي هو تمام النعمة، والوقف على قوله: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ﴾ كافٍ، وفيه دَلالة على اقتراب أجل النبي ﷺ ولُحُوقه بالرفيق الأعلى، وعلى الوعد بحُسْنِ القبول له من الله تعالى؛ ولذا قدَّم الأمر بالتسبيح والحمد على الأمر بالاستغفار تمهيدًا لإجابة استغفاره على عادة العرب في تقديم الثَّناء قبل سؤال الحاجة، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ تذييل للكلام السابق، وتعليل للأمرِ بالاستغفار(٢).

فتمَّ بذلك سبعة عشر موضعًا، والله تعالى أعلى وأعلم.

●الرابع: وقف البيان أو التمْييز:

قال العلامة الأشْمُوني: «وأما وقف البيان وهو أن يُبيِّن معنى لا يُفْهَمُ بدونه، كالوقف على قوله تعالى: ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٩]، فَرَّق بين الضميرين، فالضمير في ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ للنبي ﷺ وفي ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ لله تعالى، والوقف أظهر هذا المعنى المراد، وكالوقف على قوله: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ﴾ [يوسف: ٩٢]، ثم يبتدئ ﴿ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾...»(٣).

قال العلامة الهُذَلِي: «واعلم أنه يقع التمْييز في الوقف، وإنْ كان في الإعراب لا يجوز كقوله تعالى: ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ يقف؛ ليُفَرِّقَ بين ما يجب للرسول، وبين ما يجب لله؛ إذ التسبيح لا يجب إلا لله، وهكذا قوله: ﴿يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦١]، ويبتدئ ﴿وَيُؤۡمِنُ

---

(١) **ينظر**: تفسير ابن كثير: ٧٠٧/١٤، التحرير والتنوير: ٤٦١/٣٠، منار الهدى: ٤٢٣/٢، القطع والائتناف: ص٨١٢، المكتفى: ص ٢٧٧، المقصد: ص١٩١.

(٢) **ينظر**: تفسير الرازي: ١٤٩/٣٢ وما بعدها، تفسير ابن عاشور: ٥٩٤/٣٠، تفسير الخازن: ٤٩٢/٤، القطع والائتناف: ص٨٢٥، المقصد: ص١٩٤، منار الهدى: ٤٣٤/٢.

(٣) **ينظر**: منار الهدى: ٢٥/١، الإتقان في علوم القرآن: ص١٨٣.

﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، ... وشبيه ذلك كثير»[1].

شرح ما تقدم:

أنَّ في القرآن الكريم كلمات، تعلَّقَ ما بعدها بها أو بما قبلها تعلُّقًا لفظيًا ومعنويًا، وهذا يقتضي منْع الوقف عليها، بمعنى أنها ليست محلًّا صالحًا للوقف إلا إذا وُجِدَ سببٌ يقتضي الوقف عليها ـ كأن يكون ضربًا من البيان ـ فيُعْمل به بيانًا للمعنى المعتبر الذي ربما لا يظْهَر إلا بالوقف، وأنه يُعرف كذلك بوقف التمْييز؛ لأنه يُمَيِّز وجْهًا من الوجوه التي يحتملها الكلام، فيُظْهِرها ويُجلِّيها[2].

وفيما يلي بعض الأمثلة على وقف البيان:

١- **قوله تعالى:** ﴿لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُۚ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٩]، وهي أكثر الآيات استخدامًا في التمثيل لهذا الوقف.

فقوله: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ معطوفًا على ﴿لِّتُؤْمِنُواْ﴾، وقد حذفت نونه للنصب، فبينهما ارتباط لفظي ومعنوي، وهذا يقتضي منع الوقف على ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ وأنه يجب وصْلها بما بعدها، لكن لَمَا كان وصْلها بما بعدها يُوهِم خلاف المراد، وهو رجوع الضمير في ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ إلى النبي ﷺ، وهو في الحقيقة راجعٌ لله تعالى؛ إذ التسبيح لا يجب إلا لله عَزَّوَجَلَّ.

فيُوقف على ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ دفعا للإيهام وتنْبيها على أن الضمير في ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ للرسول ﷺ وفي ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ لله عَزَّوَجَلَّ؛ وذلك أن صرْفَ التعْزِير والتَوْقِير إلى النبي ﷺ ألْيق، وصرْفَ التسبيح إلى الله عَزَّوَجَلَّ مُتَعيِّن ولا يجوز غيره، ومعنى قوله: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ أي تُعِينوه وتَنْصُروه، ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾؛ أي: تُعظِّمُوه وتُفخموه، وهذه الكنايات راجعة إلى النبي ﷺ، وقد جَعَلَ بعض العلماء- كالإمام الزمخشري - مرجع الضمائر كلها

(١) **ينظر**: الكامل في القِراءات العشْر والأربعين الزائدة عليها، للإمام أبي القاسم يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل الهذلي، (ت ٤٦٥هـ)، تحقيق/ جمال السيد رفاعي: ص١٣٢، ط/مؤسسة سما للنشر والتوزيع، الأولى، ١٤٢٨هـ.

(٢) **ينظر**: شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جُزي، شرحها/ د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيَّار: ص٢٥٢، ط/ دار ابن الجوزي بالدمَّام، الأولى، ١٤٣١هـ، معالم الاهتداء: ص٤٦ وما بعدها، مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القُرَّاءات: ص ١٣٢ وما بعدها.

لله عَزَّوَجَلَّ، وأن المراد بتعزير الله تعزير دينه ورسوله ﷺ(١).

قال الإمام الدَّاني: الوقف على قوله: ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ كافٍ، وهو للنبيِّ ﷺ وما بعده لله تعالى؛ إذ التسبيح لا يكون إلا لله عَزَّوَجَلَّ، وتَبعَه في هذا الرأي من بعده من علماء الوقف والابتداء(٢).

قلت: وهو الذي أرجِّحه، فالوقف على قوله: ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ وقف بيان كافٍ، وفيه دلالة على مرجع الضمير فيه للرسول ﷺ، وهذه من المعاني الدَّلالية الجمالية لوقف البيان.

٢ ـ **قوله تعالى**: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الاحزاب: ٣٧]

فقوله: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ معطوف على ﴿تَقُولُ﴾ داخل معه في حيِّز الظَّرف، وهو ﴿وَإِذْ﴾، فحينئذ يكون بين هذه الجملة وبين ما قبلها علاقة وثيقة وارتباط في اللَّفْظ والمعنى، وهذا يقتضي منْع الوقف على ﴿وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾، ويُحتِّم وصْله بما بعده؛ ولكن لما كان وصْله بما بعده قد يُوهِم خلاف المعنى المقصود؛ إذ بالوصل يصير قوله: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ خطابًا من النبي ﷺ لزيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو في الحقيقة خطابًا من الله تعالى لنبيه ﷺ.

فيوقف على قوله: ﴿وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ دفْعًا للإيهام، وتقريرًا للحقيقة، وتنبيهًا على أن الخطاب من الله تعالى لرسوله ﷺ لا من رسول الله لمولاه زيد بن حارثة؛ حيث إن الله أعْلمه أن زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ستكون من أزْواجه، وأن زَيدًا سيُطلِّقها، وقد جعل الله طَلاقها وتزْويج النبي ﷺ إيَّاها لإزالة حرمة التَّبنِي وإبْطالها، - فالذي يترجَّح عندي - أن الوقف على قوله: ﴿وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ وقف بيان حسن، وفيه دلالة على المعنى المقصود من الآية والذي لا يصح غيره، ودفعًا للبس، ورفعًا للتوهُّم، وهذه من المعاني الدَّلالية الجمالية

(١) **ينظر**: تفسير البغَوي المسمى معالم التنزيل، للإمام محيي السنة/ أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ): ٧/٢٩٩، ط/ دار طيبة للنشر والتوزيع بالرياض، ١٤٠٩هـ، تفسير الطبري: ٢١/٢٥٠ وما بعدها، تفسير الزمخشري: ٥/٥٣٧.

(٢) **ينظر**: المكتفى: ص٢٣٦، المقصد: ص١٦٤، منار الهدى: ٢/٢٨٠.

لوقف البيان[١].

٣- قـــوله تعـــالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

فقوله: ﴿وَأَسْلَمْتُ﴾ معطوف على ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ فبينهُما ارتباط لفظي وانفصال في المعنى، وهذا يقتضي منْع الوقف على ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ وأنه يجب وصْلها بما بعدها؛ ولكن لما كان وصْلها بما بعدها قد يُوهِمُ خلاف المعنى المقصود؛ إذ بالوصل يصير قوله: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ﴾ تابع لقوله: ﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾، وليس الأمر كذلك، فجملة ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ﴾ مستأنفة، **والمعنى**: رب إنِّي ظلمت نفسي في عبادتي للشمس وسجودي لما دونك ـ تعني بذلك كفرها فيما تقدم ـ وقد انقدتُّ من الآن مع سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ مذعنة بالتوحيد، مفرِدة لله بالألوهية والربوبية دون كُلِّ مَنْ سواه[٢].

فالوقف على قوله: ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ وقف بيان حَسَن، وفيه دلالة على الانفصال في حيِّز مَقُول القول ـ بمعنى أن تتصل جملة مقول القول لفظًا، وتنفصل معنى ـ وهذه من المعاني الدَّلالية الجمالية لوقف البيان.

قلت: فبالجملة ففي وقْف البيان الحثُّ على معرفة مراد الله من كلامه؛ وذلك من باب التدبُّر المأمور به من الله تعالى، وفيه إِظْهار وجْه من وجوه الإعجاز البياني في القرآن الكريم؛ ولكن هذا لا يحول دون وضع شرطين إجْمَاليين لاعتبار وقف البيان، **الأول**: وجود التعلُّق اللَّفْظي بين طرفي الوقف، **الثاني**: أن يكون المعنى المراد بالوقف معنى مُعتبرًا؛ وذلك لعدم الانجرار للوقف التعسُّفي الذي سيأتي بيانه في البحث التالي، والله تعالى أعلى

(١) **ينظر**: تفسير الخازن: ٤٢٧/٣ وما بعدها، تفسير ابن كثير: ١٧٠/١١، منار الهدى: ١٦٤/٢، وقال الأشموني: الوقف حَسَنٌ فصلًا بين الكلامَيْن؛ لأن قوله: ﴿وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ من كلام النبي ﷺ لزيد بن حارثة، وقوله: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ﴾ من كلام الله للنبي ﷺ.

(٢) **ينظر**: تفسير القرطبي: ١٨٠/١٦، تفسير السمين الحلبي المُسَمَّى الدُّر المصُون في علوم الكتاب المكنون، تأليف/ أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ)، تحقيق د/ أحمد محمد الخراط: ٢٦١/٨، ط/ دار القلم، دمشق.

وأعلم[1].

•الخامس: وقف التعسُّف :

قال الإمام ابن الجزري: «ليس كل ما يتعسَّفه بعض المعربين، أو يتكلَّفه بعض القُـرَّاء، أو يتأوَّله بعض أهل الأهْواء مما يقتضي وقفًا أو ابتداء ينبغي أن يُتَعمَّـد الوقـف عليـه؛ بـل ينبغي تحري المعنى الأتمّ، والوقف الأوجه، وذلك نحو تَعمُّد البعض للوقف على قـوله تعـالى: ﴿وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، ثم يبتدئ ﴿مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا﴾ على معنى النداء، وكأن يتعمَّـد الوقـف على نحـو ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا﴾ [الـروم :٤٧]، ثـم يبتـدئ ﴿عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، بمعنى لازم أو واجب، ولا يخفى ما فيه، فإن ذلـك ومـا أشـبهه تَمحُّل وتحريف للكَلِمِ عن مواضعه»[2].

شرح ما تقدم:

فيما تقدَّم تحذير من الالتفات إلى بعض الأوقاف الشاذة الـتي لا مـبرر لهـا إلا مجـرد الإغراب على السامعين، وهي ليست محلًّا للوقف ولا للابتداء لمنافاتِها، إما لـسبب نـزول الآية، أو لقواعد اللغة العربية، أو لأساليب القرآن وما فيها من دقة وروعة، ومعانيـه ومـا فيها من سمو ورفعة، وأنه ينبغي تحري المعنى الأتم الذي يبيِّن معـاني التنزيـل، ويَكْـشِفُ عن مقاصده، ويرتضيه المتقنون من أهل اللغة، ويعتمده المحقِّقون من أهل الأداء.

وهذه بعض الأمثلة على وقف التعسُّف وأثَره على دلالة المعنى:

١- **قـــــوله تعـــــالى**: ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨].

فقد يتعمَّد بعض الناس الوقف على قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ والابتـداء بقـوله: ﴿عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾؛ وذلك للدَّلالة على أن الآية الكريمة موجبة للسعْي بين الصفا والمروة، وهذا معنى متكلَّف فيه، ومردود؛ لما صحَّ من سبب نزول الآية والأحاديث الواردة فيها، فبالنسبة لما ورد من سبب نزول الآية أنه كان على الصفا والمروة صنمان يقال لهمـا: إيـساف ونائلـة،

(١) لاستقصاء جميع ما يتعلَّق بوقـف البيـان يراجـع بحـث وقـف البيـان في القـرآن الكـريم، دراسـة مصطلحية، د/محمود عبد الجليل روزون: ص٢١٣ وما بعدها، ط/ مجلة البحوث والدراسات القرآنية، العدد الثالث عشر.

(٢) **ينظر**: النَّشر في القِراءات العشْر: ١٨٢/١ بتصرف، لطائف الاشارات لفنون القُرَّاءات: ٥١٧/٢.

فكان إيساف على الصفا ونائلة على المروة، وكان أهل الجاهلية يطوفون بين الصفا والمروة تعظيمًا للصَّنميْن، فلما جاء الإسلام وكسرت الأصنام تحرَّج المسلمون من السعي بين الصفا والمروة، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأذن في السعي بينهما، وأخبر أنه من شعائر الاسلام(١).

فحينئذ يكون المقصود من نزول الآية هو رفْع الحرج عن السعي بين الصفا والمروة، وإباحة فعْله، وأنه وإن كان المشركون قد فعلوا ذلك تعظيمًا للأصنام فاسْعوا أنتم تعظيمًا لربِّ الأنام.

وأما وجوب السعي بين الصفا والمروة فقد ثَبَتَ من فعله ﷺ وقوله لأصحابه: «يا أيها الناس اسعوا فإن الله قد كتب عليكم السعي»(٢).

يضاف إلى ذلك أن الوقف على قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ فيه حَذْفُ خبر (لا) من غير دليل يدل عليه ولو تقديرًا، فيتضِّحُ مما تقدَّم أن الوقف على ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ وقْفًا تعسُّفيًا لمنافاته لسبب نزول الآية، ولقواعد اللغة العربية، ولأساليب القرآن الكريم الرفيعة، ودلالته على المعنى.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥].

فقد يتكلَّف البعض الوقوف على قوله: ﴿تَمْشِي﴾، ثم يبتدئ بقوله: ﴿عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ﴾، يريدُ بذلك وصْف المرأة بالحياء عند كلامها لموسى ﵇ وقولها له: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾، وهذا الوقف يتناقض مع ما ورد من آثار حول هذه الآية وفي شأن هذه المرأة، فعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «جاءت مستترة بكم درعها على وجهها... وفي رواية: واضعة ثوبها على وجهها»(٣)، وهذا الأثَر يدل بصراحة وجلاء على أن وصْفها بالحياء إنما كان عند مجيئها لا في حال قولها؛ إذ ما الذي يسْتفيده السامع من

(١) **ينظر**: تفسير ابن كثير: ١٣٢/٢ وما بعدها، تفسير الزمخشري: ٣٤٩/١ وما بعدها، منار الهدى: ٩٤/١.
(٢) أخرجه أحمد: ٤٢١/٦، الحاكم: ٧٩/٤ كتاب معرفة الصحابة من حديث حبيبة بنت أبي تِجْراة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
(٣) اخرجه الحاكم في كتاب التفسير: ٤٧٩/٢ رقم ٣٥٨٧ وقال: صحيح علي شرط الشيخين ولم يخرجاه، **وينظر**: تفسير ابن كثير: ٤٥١/١٠ عن ابن أبي حاتم وقال: إسناده صحيح.

إحاطَتِه خبرًا بحال المرأة عند مجيئها من كونها ماشية أو راكبة، إن الذي يعنيه معرفته ما عليه المرأة حين إقبالها من حياء وحشمة ووقار، يُضاف إلى ذلك أن الوقف على قوله: ﴿تَمۡشِي﴾ خلاف المتبادر من أسلوب القرآن الكريم، فقد جَعَلَ الجار والمجرور، وهو ﴿عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾ متعلقًا بمحذوف تقديره: (قالت على استحياء)، وهو يفيد وصْفها بالحياء عند قولها فقط لا عند مجيئها ولا عند مشيها. فيتضح مما تقدَّم أن الوقف على ﴿تَمۡشِي﴾ وقفًا تعسُّفيًا لا يصح لمنافاته؛ لما ورد من الآثار، ولمقتضى فحوى الآية ودلالتها على المعنى(١).

٣- **قوله تعالى:** ﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣].

فقد يتقصد البعض الوقف على قوله: ﴿لَا تُشۡرِكۡ﴾ والابتداء بقوله: ﴿بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾، وهو وقْفٌ مجانب للصواب؛ إذ إن لقمان حينما توجه لابنه بالنصيحة تقدَّمها بأهمِّها وهو نهيُه عن الشرك بالله تعالى، لا عن مطلق الشرك، ولا عن الشرك بغير الله سبحانه، وهو أمرٌ بديهي؛ لأن صلاح الاعتقاد أصل لصلاح العمل، ولأن الشرك فيه تسوية بين مَنْ لا نِعمة إلا وهي منه، ومَنْ لا نعمة له أصلًا، ويُضاف إلى ذلك أن الأقسام في القرآن المحذوفة الفعل لا تكون إلا بالواو، فإذا ذكرت بالباء فلا بدَّ من وجود الفعل، وذلك كما في قوله: ﴿وَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾ [التوبة :٥٦] فلا توجد الباء مع حذف الفعل، ومن ثَمَّ أخطأ مَنْ جَعَلَ ﴿بِٱللَّهِ﴾ هنا قسمًا(٢).

فيتضح مما تقدَّم أن الوقف على ﴿لَا تُشۡرِكۡ﴾ وقفًا تعسُّفيًا لمنافاته لأهداف الوصية من وضوح الغرض، وتحديد الهدف، خاصة من لقمان الذي مَنَحَه الله الحكمة والرشاد، وهو منافٍ أيضًا لقواعد اللغة العربية، ولأساليب القرآن التي بلغت الذروة في البلاغة والبيان،

---

(١) **ينظر**: تفسير ابن عاشور: ١٠٣/٢٠، تفسير الزمخشري: ٤٩٢/٤، المكتفى: ص١٩٤ وقال: لا يوقف على ﴿تَمۡشِي﴾ ولا يبتدئ بـ ﴿عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾، منار الهدى: ١٢٣/٢ وقال: وقد أغرب بعضهم، ووقف على ﴿تَمۡشِي﴾ ثم ابتدأ ﴿عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾.

(٢) **ينظر**: تفسير ابن عاشور: ١٥٥/٢١ وما بعدها، تفسير النسفي: ٩٠٧/٢.

ودلالاتها على معاني الآيات التي وصلت إلى الغاية في القوة والإعجاز[(١)].

فجدير بالقارئ أن يتجنب هذه الوقوف التعسفية ونظائرها لما فيها من التعسف والتكلف الذي قد يفضي إلى تحريف الكلم عن مواضعه ـ عياذًا بالله ـ مع ذهابه بحلية التلاوة، وزينة الأداء والقُرَّاءة.

* * *

(١) **ينظر**: منار الهدى: ٢/١٥١ وقال: وقد أغرب من وقف على ﴿لَا تُشْرِكْ﴾ وجعل ﴿بِٱللَّهِ﴾ قسمًا، وربما يتعمَّد الوقف عليه بعض المتعنتين. انتهى كلامه باختصار وتصرُّف.

؈ المبحث الثاني ؇

أهمية الوقف والابتداء ونشأته والتصنيف فيه

وفيه بحثٌ حَوْلَ أهميةِ هذا العلمِ، وذكر بعض الآثار التي تَـدُلُّ على اعتنـاء النـبي ﷺ وصحابته الكرام وسلفنا الصالح به، وعنايتِهم بمعرفته كعنـايتِهم بمعرفـة معـاني القـرآن والوقوف على حلاله وحرامه، وبيان لتاريخ نشأته، وبدْء تدوينـه، وكـثرة مؤلفـات العلمـاء فيه، وتعريف بأشهر الأئِمَّة الذين صَنَّفُوا في هذا العلم وبكتبهم، وذكر بعض أقوالهم، وفيه مطلبان.

؈ المطلب الأول ؇

أهمية الوقف والابتداء في القرآن الكريم

فممَّا لا شكَّ فيه أن بابَ الوقف والابتداء وتوابعه من أهـمِّ أبـواب ومباحـث علـوم القرآن، وأنه من أهمِّ الموضوعات التي لا بـدَّ للقـارئ مـن معرفتِهـا ومراعاتِهـا في قراءتـه تطبيقًا وامتثالًا للتدبُّر الذي أُمرنا بِه في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

فهو السبيل الذي يؤدي إلى فهْم معاني آيات الله على الوجه الذي وُضِعت له، وبتعلُّمـه وإِعْمَال الفكر فيه يَنْفَـتِحُ على التـالي لكتـاب الله مـن مقاصـد القـرآن الـشيء الكثـير، وبإهماله وعدم الالتفات إليه يَضِيعُ عليه من ذلك أيضًا الشيء الكثير.

وتبدو هذه الأهمية واضحة؛ حيث لا يستطيع التالي للقرآن أن يَقرَأَ االسُّورة أو الآيـة أحيانًا في نفس واحد، علمًا بأنه من غير المقبول؛ بل من غير الجائز التنفُّس أثناء الكلمة أو بين كلمتين إحداهما متصلة بالأخرى؛ لذا كان لِزامًا عليه أنْ يختارَ مواضع يَحْسُنُ الوقـف عليها للتنفُّس والاستراحة، ويَحْسُنُ الابتداء بما بعدها، وأنْ يكونَ ذلـك ممَّـا يتفـق مـع وجوه التفْسِيرِ الصحيح، واستقامةِ المعنى، وصـحةِ اللغـة، وممَّـا لا يحيـلُ المعـنى ولا يَخِـلُّ بالفهْم، وبهذا يتحقَّقُ الغرض الذي من أجله يُقْرأُ القرآن، ألا وهو الفهْم والإدراك، وتَظْهَرُ للسامع المُتأمِّل والقارئ المُتدبِّر المعاني على أكمل وجه.

وقد حَكَى ابن النحاس والدَّاني وابن الجزري وغَيْرِهم إجماع العلماء على أهمية مراعاة

الوقف والابتداء، واستدلوا على ذلك بما رُوي عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فيما يحدِّث به من حرْصِ صحابة رسول الله ﷺ على القرآن الكريم وعُلُومِه، ومنها - علم الوقف والابتداء - قال: «لقد عِشْنا برهةً من دهرنا، وإن أحدنا ليؤتي الإيمان قبل القرآن، وتنزَّل السُّورة على محمد ﷺ، فنتعلَّم حلالها وحرامها وما ينبغي أن يوقف عنده منها، كما تتعلمون أنتم اليوم القرآن، ولقد رأيتُ رجالًا يُؤْتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحتِهِ إلى خاتمتِهِ ما يدري ما أمره ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يُوقف عنده منه، يَنْثِرُهُ نَثْرَ الدقل»(١).

قال ابن النحاس: «فهذا الحديث يدلُّ على أنَّهم كانوا يتعلمون التَّمام كما يتعلمون القرآن، وقول ابن عمر: لقد عشنا برهةً من الدَّهر «يدل على أن ذلك إجماع من الصحابة»(٢).

وقال الإمام الدَّاني: «ففي قول ابن عمر دليل على أن تعليم ذلك توقيف من رسول الله ﷺ وأنه إجماع من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» (٣).

واستدلوا أيضًا بما رُوي عن الإمام عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سُئِل عن معنى الترتيل في قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤] قال: «الترتيل: تجويد الحروف، ومعرفة الوقوف» (٤)

قال ابن الجزري: «ففي كلام عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دليلٌ على وجوب تعلُّمِه ومَعْرِفَتِه، وصحَّ بل تواتر عندنا تعلُّمه والاعتناء به من السلف الصالح، وكلامهم في ذلك معروف، ونصوصهم عليه مشهورة في الكتب، ومن ثَمَّ اشترط كثيرٌ من أئمة الخلف على المجيز أن لا يُجِيزَ أحدًا إلا بعد معرفته الوقف والابتداء»(٥).

هذا ولم يقتصر عناية الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بالوقف والابتداء في القرآن الكريم فحسب؛ بل إن الأمر تعدَّاه؛ ليشمل سائر الكلام العربي، فتَنقِل لنا النصوص مدى الحرص

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين: ٨٣/١ وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولا أعرف له عِلَّة، ولم يخرجاه.

(٢) **ينظر**: القطع والائتناف: ص١٢، وقوله: «كانوا يتعلمون التَّمام»؛ أي الوقف على ما تمَّ معناه، وصلُح الابتداء بما بعده، كما سنوضحه لاحقًا.

(٣) **ينظر**: المكتفى: ص١٦.

(٤) **ينظر**: النَّشر في القِراءات العشْر: ١٧٧/١، منار الهدى: ١٣/١، الإتقان في علوم القرآن: ٢٢/١.

(٥) **ينظر**: مرويات الحافظ ابن الجزري ص١١.

على الوقف السليم، ورعاية حُسْنِ الابتداء ودلالة ذلك على المعنى، ومن ذلك ما رُوي عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال لرَّجُل معه ناقة: «أتبيعها؟ فقال: لا، عافاك الله، فقال: لا تقل هكذا، ولكن قل: لا، وعافاك الله»(1).

فقد صَحَّحَ له أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عبارته؛ لأن الكلام الأول فيه دعاء عليه، بينما الكلام الثاني - الذي صَحَّحَهُ - فيه دعاء له، وسيأتي المزيد من الأقوال والآثار الدَّالة على أهمية معرفة الوقف والابتداء ودلالته على المعنى من كلام الأئِمَّة الذين صَنَّفوا في عِلْمِ الوقف والابتداء في المطلب التالي، وبالله تعالى التوفيق.

* * *

(1) **ينظر**: القطع والائتناف: ص ١٦، الوقف والابتداء للسجاوندي: ص٣٥.

المطلب الثاني

نَشْأَة الوقفِ والابتداءِ والتصنيف فيه

اتضح لنا مما تقدَّم مدى أهمية علم الوقف والابتداء في القرآن الكريم عند رسول الله ﷺ، والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والتابعين، والأئِمَّة المحقِّقين، وأنه من أهم أسباب فهْم معاني القرآن، وتدبُّر آياته، والخشوع بتلاوته وسماعه، وكيف ظهرت بوادِر هذا العلم مبكرًا في عصر الصحابة والتابعين، فكانوا يتناقلون مسائله مشافهة؛ حتَّى جاء عصْرُ التدوين في المائة الأولى من الهجرة، فبدأ القُرَّاء والعُلماء الأجلاء بالتأليف والتصنيف فيه، وجاءت كُتُبهم تَتْرًا، وكان أكثر من صنَّف فيه هُمْ القُرَّاء والنُّحَاة، وانقسم تصنيفُ العلماء فيه إلى قسمين، **فمنهم** مَنْ ضَمَّنه كتابه كفصْل أو باب من أبوابه، **ومنهم** مَنْ خَصَّه بكتابٍ مستقل، وسأذكر فيما يلي أمثلة على كل قسْم منها من الأقدم إلى الأحدث، حسب تسلسل وفيات أصحابها، وبالله التوفيق.

القسم الأول: العلماء الذين ضمَّنوا كتبهم علم الوقف والابتداء:

١- **الإمام ابن الجوزي** (ت ٥٩٧هـ)(١) في كتابه «فنون الأفنان»؛ حيث رتَّبَ فصولًا في الوقف والابتداء، وعَقَدَ له بابًا طويلًا، فذَكَرَ قواعد كثيرة فيما لا يجوزُ الوقفُ عليه في القرآن، ثم عَقَدَ فصلًا للمواضِع التي يَحْسُنُ الوقف عليها، ثم عَقَدَ ثلاثة فصول قصيرة لفوائد أخرى(٢).

٢- **الإمام السخاوي**(٣) **(ت ٦٤٣هـ)** في كتابه «جمال القُرَّاء وكمال الإقْرَاء»؛ حيث

(١) هو الإمام العلَّامة الحافظ شيخ الإسلام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ بن محمد بن عليّ ابن عبيد الله القرشي، التيمي، البغدادي، صاحب التصانيف رَحِمَهُ اللَّهُ، كان بحرًا في التفسير، علَّامة في السِّير والتاريخ، مَوْصُوفًا بحُسْنِ الحديث ومعرفة فنونه، فقيهًا عليمًا بالإجماع والاختلاف، ذا تفنُّنٍ وفهْم وذكاء وحفظ واستحضار وإكْباب علي الجمع والتصنيف؛ حتى بلغت تواليفه مائتين وخمسين مؤلَّفًا. **ينظر**: سير أعلام النبلاء: ٣٦٥/٢١، الأعلام: ٣١٦/٣.

(٢) **ينظر**: فنون الأفنان في عُيون علوم القرآن، للإمام/ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (٥٩٧هـ)، تحقيق د/ حسن ضياء الدين عتر: ص٣٥٣، ط/ دار البشائر الإسلامية، بيروت، الأولى، ١٤٠٨ هـ.

(٣) هو الإمام العلَّامة علم الدين أبو الحسن عليّ بن محمد بن عبد الصمد السخاوي، المقرئ، شيخ مشايخ الإقراء بدمشق، كان إمامًا مُحقِّقًا مُقْرِئًا مجودًا بصيرًا بالقُرَّاءات وعللها، إمامًا في النَّحو واللغة والتفسير والأدب، ألَّف كثيرًا من الكتب، من أجلِّها كتابه «جمال القُرَّاء وكمال الإقراء»، تُوفِّي سنة (٦٤٣ هـ). **ينظر**: غاية النهاية: ٥٠٢/١.

خصَّص الجزء الثاني من الكتاب تحت عنوان «علم الاهتداء في معرفة الوقف والابتـداء»، مُسْهِبًا فيه، ومن أشهر أقواله رَحِمَهُٱللَّهُ: «ففي معرفة الوقـف والابتـداء الذي دوَّنـه العلمـاء تبيين معاني القرآن العظيم، وتعريف مقاصده، وإظهار فوائده، وبه يتهيَّأ الغـوْص على درره وفرائده»(١).

٣ - **الإمام الزركشي** (ت ٧٩٤هـ)(٢) في كتابه «البرهان في علـوم القـرآن»، وقـد جَعَـلَ النوع الرابع والعشرين من أنواع علوم القـرآن في الوقـف والابتـداء، فـذكر عـددًا مـن المباحث في تعريفه، وأقسامه، وأهميته، وشروطه، وقواعده(٣).

٤- **الإمام ابن الجزري** (ت ٨٣٣هـ) في كتابه «النشر في القُرَّاءات العشر»؛ حيـث ذَكَـرَ فصلًا كاملًا في تعريف الوقف والابتداء، وما يَلْحَقُ بهما مـن الـسَّكْت والقطـع، وعَـرَضَ لاصطلاحات الأئِمَّة في أنواع الوقـف والابتـداء، وذَكَـرَ الـراجح منهـا، وأقـواله في ذلـك مشهورة(٤).

٥- **الحافظ جلال الدين السيوطي** (ت ٩٩١هـ)(٥) في كتابه «الإتقـان في علـوم القـرآن» ذَكَرَه في النوع الثامن والعشرين من أنواع علوم القرآن، فَعَقَدَ بعضَ المباحـث في أنواعـه وأهميته، وضوابطه، وأشهر من صنَّف فيه(٦).

٦- **الإمــام الصفاقــسي** (ت ١١١٨هـ)(٧) وذلــك في كتابــه «تنبيــه الغــافلين وإرشــاد الجاهلين»، ومن أشهر أقواله: «ومعرفة الوقف والابتداء متأكدٌ غايـة التأكيـد؛ إذ لا يتبـيَّن

---

(١) **ينظر**: جمال القُرَّاء وكمال الإقراء: ٢/٥٥٣.

(٢) هو الإمام العلَّامة بدر الدين محمد بن بهادُر بن عبد الله الزركشي، أحد العلماء الأثبـات ،وجهبـذ من جهابذة أهل النظر والاجتهاد، وعلم من أعلام القرآن، له تصانيف كثيرة في عـدة فنـون، تُـوفِّي سنة (٧٩٤هـ). **ينظر**: الأعلام: ٦/٦٠.

(٣) **ينظر**: البرهان في علوم القرآن: ١/٣٤٢.

(٤) **ينظر**: النَّشْر في القِراءات العشر: ١/١٧٧ وما بعدها.

(٥) هو الإمام الحافظ المؤرخ الأديب جلال الديـن عبـد الـرحمن بـن أبي بكـر بـن محمـد بـن سـابق الخضيري، السيوطي، له نحو ٦٠٠ مصنَّفٍ، وكان يُلقَّبُ بابن الكتب؛ لأن أباه طَلَبَ مـن أمـه أن تأتيـه بكتاب، ففاجأها المخاض، فولدته بين الكتب، تُوفِّي سنة ٩٩١هـ. **ينظر**: الأعلام: ٣/٣٠١.

(٦) **ينظر**: الإتقان في علوم القرآن: ص١٧٧.

(٧) هو عليّ بن محمد بن سالم أبو الحسن النُّوري، الصَّفاقسي، من فقهاء المالكيـة، مـن أهـل صـفاقس، رَحَلَ إلى تونس، ومنها إلى المشرق، فأخذ عن علماء كثيرين، وصـنف كتبًـا، منهـا: غيـث النفـع في القُرَّاءات السبع، وتنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين، تُوفِّي سنة ١١١٨هـ. **ينظر**: الأعلام: ٥/١٤.

معنى كلام الله، ويتم على أكمل وجه إلا بذلك»(١).

إضافة إلى الكثير من المُفسِّرين والمُعْربين من أئمة التفْسير واللغة الذين علَّقوا على بعض مواضعِ الوقف في كثير من الآياتِ الكريماتِ، مما سيأتي ذِكْرُه مُفصَّلًا في الفصل الرابع بحول الله وقوته(٢).

وبالطبع فلم تخلو كتب التجويد من هذا المبحث الهام؛ سواءً في كُتب المتأخرين أو المعاصرين(٣).

القسم الثاني: العلماء الذين خَصُّوا الوقف والابتداء بمؤلفات مستقلة:

خصَّه بالتصنيف أئِمَةٌ وعُلماء أجلاء، وكان أول من ألَّف في عِلْم الوقف والابتداء الإمام شيبة بن نصاح المَخْزومي المدني القارئ (ت١٣٠هـ)، وله في هذا الفن كتاب الوقوف، قال ابن الجزري: «وهو أول من ألَّف في الوقوف، وكتابه مشهور»(٤).

هذا وقد بلغت مُصنَّفات الأئِمَّة المتقدمين في عِلْمِ الوقف والابتداء بضعًا وسبعين مصنَّفًا أو تزيد، أكثرها مفقود، وبعضها لم يَزَلْ مخطوط، والقليل منها مطبوع(٥).

هذا ومن أقدم ما وصلنا من هذه الكتب المطبوعة ومن أكثرها شهرة خمسة كتب لأشهر الأئِمَّة الذين صنَّفوا في هذا الفنِّ وهم: ابن الأَنباري صاحب كتاب «إيضاح الوقف

(١) **ينظر**: تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين: ص١٢٨.

(٢) **ينظر**: تفسير الطبري: ١٨٢/٣، وتفسير القرطبي: ١٤٧/١١ وما بعدها، تفسير الزمخشري: ١٧٥/١، وتفسير الفخر الرازي: ٥/٢، وهذا كله على سبيل المثال لا للحصر.

(٣) **ينظر**: نهاية القول المفيد في تجويد القرآن المجيد: الباب السادس ص ١٥ -١٩٠، هداية القاري إلى تجويد كلام الباري: ٣/١ ٦٣ وما بعدها، غاية المريد في علم، تأليف الشيخ/ عطية قابل نصر: ص٢٠٣ -٢١٩، ط/ دار التقوى للنشر والتوزيع خلف الجامع الأزهر بالقاهرة، وغيرها من الكتب.

(٤) هو شيبة بن نصاح بن سرجس بن يعقوب، إمام ثقة ومقرئ المدينة مع أبي جعفر، وهو من قرَّاء التابعين الذين أدركوا أصحاب النبي ﷺ كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ مولى أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا ،أوتي به إليها وهو صغير، فمسحت رأسه، ودعت له بالخير، وقد وثَّقه النَّسائي وغيره. **ينظر**: غاية النهاية: ٢٩٨/١.

(٥) **ينظر**: المكتفى في الوقف والابتداء، للإمام الدَّاني، تحقيق د/ يوسف المرعشلي: ص٦٠ وما بعدها، حيث ذكر أشهر الكتب المُسْتقلة في علم الوقف والابتداء منذ بدأ التأليف فيه وحتى أيامنا هذه، مع الإشارة للموجود منها ومكان وجوده، والمطبوع منها ومكان طبعه وتاريخه، مرتبة على التسلسل الزمني لوفيات أصحابها، وزاد عليها د/ محسن هاشم درويش في تحقيقه لكتاب «الوقف والابتداء» للسجاوندي ثلاثة كتب أخرى: ص ٣٨ وما بعدها، وذكرها وزاد عليه د/مساعد الطيار في كتابه «وقوف القرآن» فتجاوزت المائة كتاب، وإعادة ذِكْرها لا فائدة منه، فهي مبسوطة في مواضعها المُشار إليْها، منعًا للتكرار لمجرد النقل.

والابتداء»، وهو أقدم مُصَنَّف مطبوع في هذا العلم، **وابن النحاس** صاحب كتاب «القطع والائتناف»، **والدَّاني** صاحب كتاب «المكتفى»، وهم من علماء القرن الرابع الهجري، **وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري** صاحب كتاب «المقصد»، وهو من علماء القرن العاشر الهجري **والأشموني** صاحب كتاب «منار الهدى»، وهو من علماء القرن الحادي عشر الهجري، وفيما يلي نُبْذَة لطيفة نَتعرَّف من خلالِها بهؤلاء الأئِمَّة وبكتبهم وبشيءٍ من أقوالهم.

١ - أبو بكر بن الأَنباري:

وهو الإمام الحافظ اللغوي محمد بن القاسم بن بشار أبو بكر بن الأَنباري البغدادي **(ت٣٢٨هـ)** أحد أئمة الكوفة في النَّحو واللغة والأدب وعلوم القرآن، وهو عَلَمٌ لا يُجْهَلُ، له عددًا كبيرًا من المصنَّفات في مختلف علوم القرآن والحديث واللغة وغيرها، وقد صَنَّف في علم الوقف والابتداء كتاب «**إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ**»، ويُعْتبَرُ كتابه «الإيضاح» من أشهر الكتب في هذا الفن، فقد نَهَجَ فيه منهجًا مُتميزًا، أَصَّلَ فيه لهذا العِلْم، وَوَضَعَ قواعده وضوابطه ومستلزماته وما يتعلَّق به من قريب أو بعيد، وجَمَعَ فيه أقوال السابقين وَرَدَّ واحتجَّ بالأدلة والبراهين، أستطيع أن أقول أنه قد استوعب كل ما له صِلة بالوقف والابتداء، ووضع له أصْلًا مُؤصَّلًا لمَنْ بعده؛ حيث تظْهَرُ من خلال هذا الكتاب شَخْصِيَّة العَالِم المتمكِّن بأنواع العلوم، فمِنْ عِلْم القُرَّاءات إلى عِلْم التفْسِير، ومن عِلْم المعاني والنَّحو والعربية إلى علم الرسم والإملاء، **قال الإمام الدَّاني عنه**: «إمام في صِناعتِهِ مع براعة فهْمِه، وسعة علمه، وصدق لهجته.. سمعت بعض أصحابنا يقول عن شيخ له أن ابن الأَنباري لمَّا صنَّف كتابه في الوقف والابتداء جيء به إلى ابن مجاهد، فنظر فيه، وقال: لقد كان في نفسي أن أعمل في هذا الفن كتابًا، وما ترك هذا الشاب لمصنِّف ما يُصنِّف»، **وقال الإمام ابن الجزري**: «كتاب ابن الأَنباري في الوقف أول ما أُلِّف فيه وأحسن»، ويعني بقوله: «أول ما أَلَّف فيه» أي أفضل ما ألف فيه [1].

ومن أشهر أقواله في الوقف والابتداء قوله: «من تمام معرفة إعراب القرآن ومعانيه وغريبه معرفة الوقف والابتداء فيه، فينبغي للقارئ أن يَعْرِفَ الوقف التَّام، والوقف الكافي الذي ليس بتام، والوقف القبيح الذي ليس بتام ولا كاف»[2].

---

(١) **ينظر**: غاية النهاية: ٢/٢٠٣ بتصرف، سير أعلام النبلاء: ١٥/٢٧٤، مرويات الحافظ ابن الجزري: ص١٤.

(٢) **ينظر**: مقدمة إيضاح الوقف والابتداء: ص١١.

٢- أبو جعفر النحاس:

ويأتي بعد ابن الأَنباري الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المعروف **بابن النحاس**، وهو من أهل مصر، رَحَلَ إلى بغداد، فأَخَذَ عن المبرِّد والأخفش والزجَّاج وغيرهم من الأعلام، ثم عاد إلى مصر، وأقام بها حتَّى مات عام (٣٣٨هـ)، ومؤلَّفاته المتنوعة التي زادت عن الخمسين تَشْهَدُ بفضْله وغزارة عِلْمِه وسعة ثقافته، وله في علم الوقف والابتداء كتاب «**القطع والائتناف**»، وهذا الكتاب يُعتبَرُ موسوعة في علم الوقف والابتداء، جمع ابن النحاس فيه كل ما قيل من آراء وناقَشَها، واجتهد في اختيار الأصوب منها، فهو سِجلٌ حافل لأقوال العلماء قبله، يستعرض آراء كل مَنْ له رأيٌ في المسائل، فحَفَظَ لنا بذلك أقوال العلماء الذين فُقِدت كُتبهم ولم تصلنا، وقدَّم لمن بعده مادة وافرة غنية، **وقد وَصَفَه الزُبيدي في طبقاته بقوله**: «كان واسع العِلْمِ، غزير الرواية، لم تكن له مشاهدة، فإذا خلا بقلمه جَوَّد وأحْسَن»(١).

ومن أشهر أقواله في الوقف والابتداء قوله: «فقد صار في معرفة الوقف والائتناف التفريق بين المعاني، فينبغي لمَنْ قرأ القرآن أن يتفهَّم ما يقْرَأه، ويَشْغَلُ قلْبه به، ويتفقَّد القطع والائتناف، ويحْرِص على أن يُفْهِم المستمعين في الصلاة وغيرها، وأن يكون وقْفه عند كلام مستغنٍ أو شبيه، وأن يكون ابتداءه حَسَنًا»(٢).

٣- أبو عمرو الدَّاني:

هو العلَّامة عثمان بن سعيد بن عمر المُكنَّى بأبي عمرو المعروف بالدَّاني نسبة إلى دانية بالأندلس، دَخَلَ المشرق، فحجَّ وزار مصر، وعاد فتُوفِّي في بلاده سنة (٤٤٤هـ)، وهو أحد حُفَّاظ الحديث، ومن الأئِمَّة في عِلْم القرآن، وتفسيره، ورواياته، وطُرُقِه، وإعرابه، وعَمَدٌ من أعْمِدة عِلْمِ القُرَّاءات، فلم يكن في عصْره ولا بعد عصْره أحدٌ يُضاهِيه في حفْظه وتحقيقه، له تصانيف عديدة تقارب مائة وعشرون مصنَّفًا، وهذا العدد الضخم من التَآليف يَدُلنا على غَزارة عِلْم الدَّاني خاصة في علوم القرآن وقراءاته ممَّا بوَّأه المكانة العالية بين سائر الأئِمَّة، فهو يُعدُّ أوَّل مَنْ جَمَعَ تراجم القُرَّاء في كتاب واحد وهو كتابه «طبقات القُرَّاء»، فكان مصدرًا لمَنْ جاء بعده، وقد صنَّف في عِلْمِ الوقف والابتداء كتابه الموسوم بـ«**المكتفى في الوقف والابتدا**»، وهو الكتاب الثالث حسب التسلسل الزمني بعد

---

(١) **ينظر**: معجم الأدباء: ٤٦٨/١، الأعلام: ٢٠٨/١.

(٢) **ينظر**: القطع والائتناف: ص٢١.

كتابيِّ ابن الأَنباري وابن النحاس، وكتاب المُكْتفى هو استعراض لكتب السابقين وأقوالهم وموازنة بينها، حقَّقَ فيه الأقوال، ودقَّقَ فيه النظر، ورجَّحَ بين المسائل مستدلًا بالأحاديث المُسندة والقُرَّاءات المُتَواترة والأقوال المنسوبة، فجاء صحيحًا مُوَثَّقًا، قال عنه الإمام الذَّهبي[١]: «إلى أبي عمرو الدَّاني المُنْتهي في تحريرِ القُرَّاءات وعِلْم المصاحف، والقُرَّاء خاضعُون لتصانيفه، واثقُون بنقْله في القُرَّاءات والرسم والتجويد والوقف والابتداء، مع البراعة في علم الحديث والتفسير والنَّحو وغير ذلك، وله مائة وعشرون مصنَّف»[٢].

ومن أشهر أقواله في الوقف والابتداء قوله: «معرفة ما يتم الوقف عليه، وما يَحْسُنُ، وما يَقْبُحُ، من أجل أدوات القُرَّاء المحقِّقين، والأئِمَّة المتصدِّرين؛ وذلك ممَّا تَلْزَمُ معرفته الطَّالبين وسائر التَّالين؛ إذ هو قُطْبُ التجويد، وبه يوصل إلى نهاية التحْقِيق»[٣].

٤- شيخ الإسلام زكريا الانصاري:

وهو العلَّامة الفقيه المُفسِّر المُقرئ اللُّغوي قاضي القضاة أبو يحي زكريا بن محمد الأنْصاري، الشافعي، المصري، دَرَس صُنوف وفنون العلم - بعد حفْظه للقرآن - كالفقه وأصوله، والحديث رواية ودراية، والقُرَّاءات، واللغة، والنَّحو، والمعاني، وغيرها؛ حتَّى صار عُمْدة العلماءِ الأعلامِ، كَتَبَ اللهُ له القبول بين الناس، وأَمَدَّ في عُمره حتَّى جاوز المائة عام، فتفرَّد بعُلُوِ الأسانيد، وأصْبح مَطْمحَ الأنفس، فأقبل عليه الدَّارِسون، وعمَّر حتَّى رأى تلاميذه وتلاميذ تلاميذِه شيوخًا للإسلام، تُوفِّي سنة (٩٢٦هـ)، وتَرَكَ العديد من المؤلَّفات في شتى العلوم، وشروح ومختصرات في كل فَنٍّ من الفنون، وجملة مؤلفاته واحد وأربعون مُؤلَّفًا أو تزيد، وكتابه في علم الوقف والابتداء موسوم بـ «**المَقصد لتلخيص ما في المُرشد في الوقف والابتداء**» بيَّن من خلاله مقصُود ما في المُرشد مع زيادة محل النزول وفوائد أخرى، نقل أغلبها عن الإمام أبي عمرو الدَّاني، أما كتاب «المرشد» الذي اختصره شيخ

(١) هو الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذَّهبي، مُحدِّث العصر، شيخ الجرح والتعديل، ورَجُل الرجال في كل سبيل، له تصانيف كثيرة ومفيدة، فهو ذَهب العصْر معنى ولفظًا (ت ٧٤٨هـ). **ينظر**: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد عبد الحي بن أحمد العكري الحنبلي الدمشقي، (ت١٠٨٩هـ)، تحقِيق/ عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرنؤوط: ٢٦٤/٨، ط/ دار ابن كثير، دمشق، الأولى، ١٤٠٦هـ، مقدمة عن حياة الذهبي، ومنزلته العلمية في سير أعلام النبلاء: ص١٢ وما بعدها.

(٢) **ينظر**: الأعلام: ٢٠٦/٤، غاية النهاية: ٤٤٧/١، سير أعلام النبلاء: ٧٧/١٨ بتصرف.

(٣) **ينظر**: مرويات الحافظ ابن الجزري: ص١٢.

الإسلام أبو يحيى فهو كتــاب لم يصلْنا من مخطوطاتــه شيء- فيمــا أعلــم - وهــو تــأليف العلَّامة أبي محمد الحسن بن عليّ بن سعيد العُماني، المتوفَّى سنة (٥٠٠ هـ) تقريبـــًا ، وقِيمــة هذا الكتاب من قيمة مُؤلِّفَيْه؛ إذ الأصل وهو «المرشد» للعُماني، وتلخيصه وهــو «المقـصد» لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وهما عالِمَــيْن من الأعلام الفارقة على طريــق القُــرَّاءات وعلومها، ومن هنـــا فقد أتى «المقصد» وعلى اختصاره قيِّمـا مُتـضمِّنًا لكثـير مــن المــسائل والتحْرِيرات، وإنْ كان في غايته مختصرًا فهو أنْسب لطلاب العلم اليــوم؛ لما يطلبونــه مــن البسيط المختصر(١).

ومن أشهر أقواله في الوقف والابتداء قوله: «والقارئ كالمسافر، والمقــاطع الــتي ينْـتهي إليها القارئ كالمنازِل التي ينْزِلها المسافر، وهي مختلفــة بالتَّــام، والحــسن وغيرهــا ممــا يــأتي، كاختلاف المنـــازل في الخصب، ووجود الماء، وما يُتظلَّل به»(٢).

٥- العَلَّامة الأَشْمُونِي:

هو الشيخ الفقيه المقرئ أحمد بن محمد بن عبدالكريم الأشْمُوني الشافعي، مــن أكــابر علماء القرن الحادي عشر الهجري، وقد صنَّف في عِلْــم الوقــف والابتــداء كتابــه «**منــار الهدى في بيان الوقف والابتدا**»، وقد نال هذا الكتاب شهرة واسعة حتَّى صار أشْهر الكُتب عند المتأخرين، وطريقة المؤلف فيه أنَّه بدأ كتابه بمقدمة بها جملة من الفوائد عن أهميــة هذا العِلْم، وتعريفه، وأقسامه، وذَكَرَ بعضَ التنبيهات الواجب اتْباعها، ثم بدأ بتطبيق هذه القواعد على سور القرآن من بداية الفاتحة إلى آخر القرآن مُتبِعًا نَهْـجَ مَــنْ سَــلَفَ ببيــان حُـكْم كلِّ موْقفٍ ودرجتِــهِ مــن التَّــام، والـكافي، والحــسن، والقبــيح، مــع مناقــشة الآراء، والترْجِيح في المسائل الخِلافية، فهو كتاب قيِّم يشهد لمؤلفه بـسعةِ علمــه، لا يــستغني عنــه الطالب لعلم الوقف والابتداء، وهو من الكُتب التي تُغْــنِي عــن غَيْرِهــا، ولا يُغْــني عنهــا غَيْرَها(٣).

ومن أشهر أقواله في الوقف والابتداء قوله: «وينبغي للقارئ أن يَقْطَع الآيــة الــتي فيهــا ذِكْرُ النار أو العقاب عما بعدها إن كان بعدها ذِكْرُ الجنة، ويَقْطَعَها أيــضًا عمَّــا بعــدها إن

(١) **ينظر**: الأعلام: ٤٦/٣، معجم المؤلفين: ٧٣٣/١.
(٢) **ينظر**: المقصد: ص ٩.
(٣) **ينظر**: معجم المؤلفين: ٢٩٩/١.

كان بعدها ذِكْرُ النار، وكذا كُلّ ما هو خارج عن حُكْمِ الأول فإنه يَقْطَعُ»[1].

قلت: نَخْلُص مما تقدَّم إلى أن مُؤلِّفِي هذه الكتب الخمسة قد اتخذوا طريقة واحدة في الكتابة بداية بابن الأَنباري، وانتهاء بالأشموني، فبعد المقدمة، وما يُذْكر بها من فوائد وتنبيهات يَبْدَأُ ببيان حُكْمِ كُلِّ موقفٍ، وبيان درجته سورة سورة مبتدئين بسورة الفاتحة، فالبقرة، إلى نهاية القرآن، وأنه يُشْرَعُ للقادر عن شيء من الوقوف أن يُقَدِّمَ منها الأعلى مرتبة، وأن مدارَ الوقف والابتداء وفي كل أنْواعه ومراتِبه مرْتبطٌ بمدى دلالته على المَعْنى، والله أعلى وأعلم.

* * *

(١) **ينظر**: منار الهدى: ٢٢/١ بتصرف.

الفصل الثالث

عِلْم التَفْسِير تَعْرِيفًا ونشأةً وتَصْنيفًا

المبحث الأول: تعريف عِلْم التَفْسِير وبيان أقسامه.

وفيه تعريف بعلم التَفْسِير، والفرق بينه وبين التأويل، والنسبة بينهما، وبيان ما هي أوجه التَفْسِير، وأقسامه، وحكم كُلّ قسم، وماذا كان يحكم المُفَسِّرين حين يعمدون إلى التَفْسِير، أو ما هي مذاهبهم ومناحيهم في ذلك، وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول**: معنى التَفْسِير والتأويل والفرق بينهما.
- **المطلب الثاني**: أوجه التَفْسِير وأقسامه ومناهجه.

المبحث الثاني: فضل التَفْسِير ونشأته والتصنيف فيه.

وفيه تأكيد على مكانةِ عِلْم التَفْسِير، وبيان لتاريخ نشأته، وبدْء تدوينه، وكثرة مؤلفات العلماء فيه، وتعريف بأشهر الأئِمَّة الذين صنَّفوا في هذا العِلْم وبكتبهم، وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول**: فضْل التَفْسِير وعظيم شرفه والحاجة إليه.
- **المطلب الثاني**: نشأة التَفْسِير وتطوُّره والتصنيف فيه.

۞ المبحث الأول ۞
تعريف عِلْم التَفْسِير وبيان أقسامه

۞ المطلب الأول ۞
معنى التَفْسِير والتأويل والفرق بينهما

أولا: التَفْسِير لغةً واصطلاحًا:

التَفْسِير في اللُّغة: تفعيل من الفَسْرِ بمعنى الإبانة والكشف وإظْهار المعنى المعقول، يقال: فسَّرَ الشيء يفسِّره بالكسر ويفسُّره بالضم فسرًا، وفَسَّره: أبانه، والتَفْسِير والفَسْر: الإبانة وكشْف المُغَطى، واسْتَفْسَرْتُهُ كذا أي: سألته أن يُفسِّره لي، وفي القرآن: ﴿وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣] أي بيانًا وتفصيلًا وإيضاحًا [(١)].

التَفْسِير في الاصطلاح: عْلِمٌ يُبْحَثُ فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالتِهِ على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية، وعرفه الزَرْكشي بأنه: عِلْم يُفْهَمُ به كتاب الله المنزَّل على نبيه محمدﷺ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه[(٢)].

لكن **التَفْسِير على نوعين بالإجمال**: **أحدهما**: تفسير جاف، لا يتجاوز حَلّ الألفاظ، وإعْراب الجمل، وبيان ما يحتويه نَظْم القرآن الكريم من نِكات بلاغية، وإشارات فنِّية، وهذا النوع أقرب إلى التطبيقات العربية منه إلى التَفْسِير وبيان مراد الله من هداياته.

الثاني: تفسير يُجاوِزُ هذه الحدود، ويجْعَل هدفه الأعلى تَجْلية هدايات القرآن، وتعاليم القرآن، وحكمة اللهِ فيما شَرَعَ للناس في هذا القرآن، على وجْهٍ يَجْتذب الأرواح، ويفتَحُ القلوب، ويدفَعُ النفوس إلى الاهتداء بهُدى الله، وهذا هو الخَليق باسم التَفْسِير[(٣)].

(١) **ينظر**: لسان العرب: ٣٤١٢/٥، مختار الصحَّاح: ص٢١١.

(٢) **ينظر**: الإتقان في علوم القرآن: ص٧٦٠، التَفْسِير والمفسرون، تأليف الدكتور/ محمد حسين الذهبي ١٢/١ وما بعدها، ط/ مكتبة وهبة، القاهرة

(٣) **ينظر**: مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ/ محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق/ فوَّاز أحمد زمرلي ٨/٢، ط/ دار الكتاب العربي، بيروت، الأولى، ١٩٩٥م.

ثانيًا: التأويل لغةً واصطلاحًا:

التأويل في اللُّغة: فأصله في اللُّغة من الأَوْل، قال في لسان العرب: «أَوَّل الكلام وتأَوَّله: أي دبَّره وقدَّره وفسَّره، وهو من آل الشيء يَؤُول تَأْوِيلًا إلى كذا؛ أي رجع وصار إليه»، قال الجوهري: «التأويل تَفْسير ما يَؤُول إليه الشيء»(١).

التأويل في الاصطلاح: له عدة معاني فبعضهم يرى أنه مُرادِف للتفسير - أي أنّهُما بمعنى واحد - ويَشِيع هذا المعنى عند المتقدمين، ومنه قول ابن جرير في تفسيره: «القول في تأويل قوله تعالى: كذا وكذا»، وقوله: «واختلف أهل التأويل في هذه الآية»، ونحو ذلك فإنَّ مراده التَفْسِير، وبعضهم يرى أنه بيان مدلول اللَّفظ بغير المتبادر منه لدليل، أو ترجيح أحد المحتملات بدون قطع، أو بيان اللَّفظ عن طريق الدراية، أو هو بيان المعاني التي تُستفاد بطريق الإشارة، ومنه صرْفُ اللَّفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المَرْجُوح لدليل يَقْتَرِنُ به، ومنه الذي يُتنازَع فيه من مسائل الصفات، ونحو ذلك، وقد اشتهر هذا عند المتأخرين»(٢).

الفرق بين التَفْسِير والتأويل والنسبة بينهما:

اختلف العُلماء في بيان الفرق بين التَفْسِير والتأويل، وفي تحديد النسبة بيْنهما اختلافًا نتج عنه أقوالًا كثيرة، يُمْكِنُ بَسْطُها في النقاط التالية:

١- القول بأن التَفْسِير والتأويل بمعنى واحد، وأنهما مترادفان، وهذا هو الشائع عند المتقدمين من علماء التَفْسِير.

٢- القول بأن التَفْسِير أعمُّ من التأويل، وأكثر ما يستعمل التَفْسِير في الألفاظ، والتأويل في المعاني.

٣- القول بأن التَفْسِير القطْع على المراد من اللَّفظ، وأن الله قد عنيَ باللَّفظ هذا كذا وكذا، والتأويل ترجيح أحد المُحْتملات بدون القطع والشهادة على الله، وعلى هذا فالنسبة بينهما التباين، أي: التغاير والاختلاف.

٤- القول بأن التَفْسِير بيان وضع اللَّفظ حقيقة أو مجازًا، والتأويل تفسير باطن اللَّفظ، والإخبار عن حقيقة المراد منه، وعلى هذا فالنسبة بينهما التباين.

٥- القول بأن التَفْسِير هو الكلام في سبب نزول الآية، وشَأْنها، وقِصَّتِها، والتأويل

(١) **ينظر**: لسان العرب: ١٧٢/١، مختار الصحَّاح: ص١٢.

(٢) **ينظر**: الإتقان في علوم القرآن: ص٧٥٨ وما بعدها، مناهل العرفان: ٧/٢ وما بعدها.

صرف الآية إلى معنى محتمل يوافق ما قبلها وما بعدها باعتبار الكتاب والسنة بطريق الاستنباط، وعلى هذا فالنسبة بينهما التباين. ي

٦- القول بأن التَفْسِير ما يتعلق بالرِّواية، والتأويل ما يتعلق بالدِّراية، وعلى هذا فالنسبة بينهما التباين.

٧- القول بأن التَفْسِير هو بيان المعاني التي تُستفاد من العبارة، والتأويل هو بيان المعاني التي تُستفاد من الإشارة، فالنسبة بينهما التباين(١).

الراجح مما تقدم - والذي يُعَبِّر عن رَأْيِي -: هو أن التَفْسِير والتأويل في عموم اللَّفظ بمعنى واحد، وفي خصوصه فالتَفْسِير ما كان راجعا إلى الرواية، لأننا لا نجزِمُ به إلا إذا ورد عن رسول الله ﷺ أو عن بعض أصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ممن شَهَدَ نزول الوحي، والتأويل ما كان راجعًا إلى الدراية لاعتماده على الاجتهاد، واستنباط المعاني، والله أعلم.

* * *

(١) **ينظر**: نفس المصدر السابق، التَفْسِير والمفسرون: ١٦/١ وما بعدها.

المطلب الثاني

أوجه التَفْسِير وأقسامه ومناهجه

أولا: أوجه التَفْسِير:

التَفْسِير بالنّظر إلى ما يحتاجُه نصُّ القرآن من البيان أربعة أوجه: **وجهٌ** تعرفه العربُ من كلامِها، **وتَفْسير** لا يُعْذَر أحدٌ بجهالته، **وتَفْسير** يعلمه العلماء، **وتفسير** لا يعلمه إلّا الله تعالى ذِكْرُه(١).

الوجه الأول: التَفْسِير الّذي تعرِفُه العرب من كلامِها:

وهو ما يَرْجِعُ إلى لسانِهِم من اللُّغة والإعراب، إمّا بالشّواهِد من أشعارِهم، وإمّا من منطقِهم ولغاتهم المستفيضة المعروفة، وهو مشروط بأن لا يكون خارجًا عن أقوال السَّلَف من الصَّحَابَة والأئِمَّة، والخلف من التَّابِعين وعلماء الأمّة.

الوجه الثاني: التَفْسِير الذي لا يعذر أحد بجهالته:

فهو ما تَبَادر إلى الأفهامِ معرفة معناه، والمراد به ما هو بيّنٌ بنفسه، يَفْهَمُه التَّالي دون الحاجة إلى تفسير، وهذا هو الأصل؛ لأنّ أكثر القرآن يعود إليه.

الوجه الثالث: التَفْسِير الذي يعْلمه العلماء:

وهو ما يتعدَّى فهمه ومعرفته الدَّلالة القريبة من الألفاظ ممَّا يشترك فيه الخاصّة والعامّة، ويتوقّف على تحصيل مقدِّمات من الدِّراية والعِلْم والآلة، ممَّا سنأْتِي على بيانِهِ إن شاء الله.

الوجه الرابع: التَفْسِير الذي لا يعلمه إلّا الله:

وهو ما يَجْري مجرى الغيوب كالآيات التي تُذْكَرُ فيها الساعة، والروح، والحروف المقطعة أوائل السور، ونحو ذلك.

---

(١) هذا الأثر أخرجه ابن جرير عن ابن عبّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من طريق أبي الزِّناد. قلت: وإسناده منقطع، أبو الزّناد عبد الله بن ذكوان، تابعيّ صغير لم يدرك ابن عبّاس؛ لكن هذه القِسْمَة حسنة في نفسها، وإن لم نجزم بصحّتها عن ابن عبّاس. **ينظر**: تفسير الطبري: ٧٥/١، الإتقان في علوم القرآن: ص٧٧٣، مناهل العرفان في علوم القرآن: ١١/٢، تفسير أبي حيَّان: ١٤/١ وما بعدها

ثانيا: أقسام التَفْسِير:

التَفْسِير باعتبار طرقه ومناهجه أقسام كثيرة، ترْجع في جُمْلَتِها إلي قسمين أساسيَّين، وهما **التَفْسِير بالرِّواية**؛ ويسمى التَفْسِير بالمأثور، **والتَفْسِير بالدِّراية**؛ ويسمى التَفْسِير بالرأي، وزاد بعضهم أقسامًا أخرى أشير إليها إجمالًا فيما يلي إن شاء الله تعالى.

القسم الأول: التَفْسِير بالرِّواية أو التَفْسِير المأثُور:

وهو تفسير القرآن الكريم بما جاء في القرآن أو السُنَّة أو كلام الصَّحابَة والتَّابِعين على رأي، بيانًا لمراد الله تعالى من كتابِه، على حسب التفصيل التالي:

١- **تفسير القرآن بالقرآن**: وهو أحْسَن طرقِ التَفْسِير وأصَحَّها، فما أُجْمِل في موضع فإنه قد فُسِّر في موضع آخر، وما اخْتُصر في موضع فقد بُسِط في موضع آخر، ومن أمثلة ما جاء في القرآن مُفَسِّرًا لما جاء بعده، أو جاء في موضع آخر ما يلي:

أ - **قوله تعالى**: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧] فإن كلمة ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ بيان وشرح للذي قبلها مِن أنه بياض النهار وسواد الليل.

ب- **قوله تعالى**: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ...﴾[المائدة: ٣] فإنها بيان لِلَفظ ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَـٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [الحج: ٣٠].

ج - **قوله تعالى**: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ [الطارق: ٢-٣] فإن كلمة ﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ بيان لكلمة الطارق التي قبلها، وغير ذلك كثيرٌ يُعلَمُ بالتدُّبر لكتاب الله تعالى.

٢- **تفسير القرآن بالسُنَّة**: فالسُنَّة شارحةٌ للقرآن الكريم، ومبيِّنةٌ وموضحةٌ له، وكلُّ ما حكم به الرسول ﷺ فهو ممَّا فَهِمه من القرآن؛ بل من القرآن ما لا يُعْلم تأويله إلا بِبَيان الرسول ﷺ، كتفصِيل وجوه أمره ونهيه، ومقادير ما فَرَضَه الله من أحكام، ومن أمثلة ما جاء في السُنَّة مفسِّرًا للقرآن ما يلي:

أ - **قوله تعالى**: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[الأنعام: ٨٢]؛ حيث فسَّر النبي ﷺ الظلمَ بالشركِ.

فعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ شقَّ ذلك على الناس، فقالوا: يا رسول الله ،وأيّنا لا يَظْلم نفسه؟ قال: «إنه ليس الذي تَعْنُون، ألمْ تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣] إنما هو الشرك» (١).

ب - **قوله تعالى**: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧-٨]؛ حيث فسَّر النبي ﷺ الحساب اليسير بالعَرْض.

فعن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «ليس أحد يُحاسب إلا هلك». قالت: قلت: يا رسول الله، جعلني الله فداك، أليس يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ قال: ذاك العرض يعرضون، ومَنْ نُوقِشَ الحساب عُذِّب» (٢).

ج - **قوله تعالى**: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]؛ حيث فسَّر النبي ﷺ القوة بالرَّمي.

فعن عقبة بن عامر قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول - وهو على المنبر -: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ ألا وإن القوة الرَّمي، ألا وإن القوة الرَّمي، ألا وإن القوة الرَّمي» (٣).

٣ - **تفسير القرآن بقول الصَّحَابَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**: وهو في المرتبة الثَّالثة بعد تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنَّة؛ لأن الصَّحَابَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قد سَمِعُوا من رسول الله ﷺ، ونَهَلُوا من معينه الصافي، وكانوا على قدْرٍ من الإيمان، وسلامَةِ الفطرة، والبيان المشرق، لا يُضاهِيهم أحدٌ في شيء من ذلك كُلِّه، فَهُمْ أدْرَى الناس بذلك لمصاحبتِهم لرسول الله ﷺ، وتعلُّمِهم على يديه، وتلقيهِم القرآن وتفسيرِه منه ﷺ؛ لذا ذَهَبَ بعض العلماء إلى أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل له حُكْم المرفوع، وقيَّدهُ بعضهم بما كان في بيان النزول ونحوه مما لا مجال للرأي فيه.

ولقد كان الصَّحَابَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يُفَسِّرون القرآن، ويُبيِّنون للناس ما يشْكُل عليهم، ويُجِيبُون أسئلة السائلين عن مسائل التَفْسِير، ويُنبِّهُون على ما يَشِيع من الخطأ في فَهْم

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التَفْسِير رقم ٤٧٧٦ سورة لقمان ٥١٣/٨.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التَفْسِير رقم ٤٩٣٩ سورة الانشقاق ٦٩٧/٨.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه ٦٤/١٢.

بعض الآيات، كما نبَّه أبو بكرٍ الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو على المنبر على خطأ مَنْ تأوّلَ قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥] على ترْكِ إنكار المنكر؛ لئلا يُتوهَّم من هذه الآية أنها رخصةٌ للمسلمين في ترْكِ الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن جميع ذلك واجبٌ بأدلته، فكان ذلك داخلًا في شرْط ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾(١).

وكما ردَّ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من تأوَّل قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ [المائدة: ٩٣] على جواز شُرْب الخمر؛ لئلا يُتوهَّم من هذه الآية أن فيها رخصةً على شرْبِها، وبيَّن خطأ مَنْ تأوَّلوا التحريم، وأن تقوى الله هي اجتناب ما حرَّم الله(٢).

وقد اشتهر بالتَفْسِير من الصَّحَابَة عشرة: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأُبيُّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير. أما الخلفاء فأكثر مَنْ رُوي عنه منهم عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والرواية عن الثلاثة قليلة جدًّا، وكأن السبب في ذلك تقدُّم وفاتُهم، وقد كثُرت الروايات أيضًا عن عَلمِ القرآن والسنة عبدِ الله ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتُرجُمان القرآن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وكاتِبِ الوحي أُبيُّ بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأما الباقي من العشرة وهم: زيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري وعبد الله ابن الزبير، فمع شهرتِهِم في التَفْسِير كانوا أقل من الأربعة الذين قبلهم، وقد وَرَدَ عن جماعة من الصَّحَابَة غير هؤلاء العشرة شيءٌ من التَفْسِير بيْد أنه قليل، منهم: أنس، وأبو هريرة، وابن عمر، وجابر، وعمرو بن العاص، وعائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين(٣).

أما تفسير القرآن بقول التَّابِعين: ففيه خِلاف بين العلماء، **فمنهم** مَنْ اعْتبره مِن المأثور؛ لأنهم تَلقَّوه من الصَّحَابَة غالبًا، وتعلَّموا القرآن ومعانيه على أيدِيهِم، **ومنهم** من قال إنه من التَفْسِير بالرأي الذي سيأتي بيانه لاحقًا، وكما اشتهر بعضُ أعلامِ الصَّحَابَة بالتَفْسِير والرجوع إليهم في استجلاءِ بعض ما خَفِيَ من كتاب الله، اشتهر أيضًا بالتَفْسِير أعلام من التَّابِعين ممن تلقَّوا غالب أقوالهم عن الصَّحَابَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، تكلَّموا في التَفْسِير،

(١) **ينظر**: تفسير ابن عاشور: ٧/٧٨ بتصرف.

(٢) **ينظر**: تفسير ابن عاشور: ٧/٢٩ بتصرف.

(٣) الإتقان في علوم القرآن، النوع الثمانون في طبقات المُفَسِّرين: ص٧٨٣، مناهل العرفان في علوم القرآن: ٢/١٤، مباحث في علوم القرآن، د/مناع خليل القطان: ص٣٥٤، ط/ مكتبة وهبة بالقاهرة، السادسة.

ووضَّحوا لمعاصرِيهم ما خَفِيَ معانيه.

وبيان أقوال التَّابِعين وفُهُومِهِم للقرآن الكريم هو رابع طرق تفسير القرآن الكريم، ونماذجه كثيرة في تفسير كتاب الله ومن أمثلة ذلك:

أ- قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الطور: ٢١] قال سعيد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي إن الله ليرفعَ ذرية المؤمن في درجتِهِ، وإن كانوا دُونه في العمل لتقرَّ بهم عينُه، تكريمًا للآباء وفضلًا منه سبحانه[1].

ب- قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤] قال مجاهد بن جبر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي من مُنتهى أمْرِهِ أسفل الأراضين إلى مُنْتهى أمْرِهِ فوق السماوات مقدار خمسين ألف سنة؛ لأن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام»[2].

وقد اشتهر بالتَفْسِير من التَّابِعين تلامذة ابن عباس، وأُبَيُّ بن كعب، وعبد الله بن مسعود، فقامت مدرسة للتفسير بمكة، وأخرى بالمدينة، وثالثة بالعراق، وهذه المدارس الثلاث هي أشهر مدارس التَفْسِير في هذا العهد.

فمن أشْهَر التَّابِعين بمدرسة التَفْسِير بمكة: مجاهد بن جبر[3]، وعطاء بن أبي رباح [4]،

(١) هذا الفهم استفاده ممَّا رواه عن ابن عباس مرفوعا وموقوفا في معنى هذه الآية. **ينظر**: تفسير ابن كثير ١٣/٢٣٢.

(٢) ورد في تفسيرها أربعة أقوال. **ينظر**: تفسير الطبري: ٢٣/٢٥٢، تفسير ابن كثير: ١٤/١٢٦.

(٣) هو مجاهد بن جبر المكي المقرئ، شيخ القراء والمُفَسِّرين، أبو الحجاج المخْزُومي، مولى السائب بن أبي السائب، كان أحد الأعلام الأثبات، وُلِد سنة (٢١هـ) في خلافة عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، كان ثقة فقيهًا عالمًا كثير الحديث، ورعًا عابدًا متقنًا، روى عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا فأكثر وأطاب، أخرج ابن جرير في تفسيره عن أبي بكر الحنفي قال: سمعت سفيان الثوري يقول: إذا جاءك التَفْسِير عن مجاهد فحسبُك به، وقد أجمعت الأُمة على إمامة مجاهد والاحتجاج به، وكانت وفاته بمكة وهو ساجد سنة (١٠٤هـ) على الأشهر، وعمرُه ثلاث وثمانون سنة. **ينظر**: تهذيب التهذيب: ٤/٢٥، سير أعلام النبلاء: ٤/٤٤٩.

(٤) هو أبو محمد عطاء بن أبي رباح المكي القرشي، وُلِد سنة (٢٧هـ)، كان من سادات التَّابِعين فقهًا وعلمًا وَوَرعًا وفضلًا، كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ أسود أعور أفطس أشل أعرج، ثم عمى بعد ذلك، روى عن: ابن عباس، وابن عمر، وابن عمرو بن العاص، وغيرهم، وحدَّث عن نفسه أنه أدرك مائتين من الصَّحَابَة، وانتهت إليه فتوى أهل مكة، وكان ابن عباس يقول لأهل مكة إذا جلسوا إليه: تجتمعون إليَّ يا أهل مكة وعندكم عطاء، وتُوفِّي سنة (١١٤هـ) على أرْجَح الأقوال. **ينظر**: سير أعلام النبلاء ٥/٧٨، تهذيب التهذيب: ٣/١٠١.

وعكرمة مولى ابن عباس(١)، وسعيد بن جبير(٢)، وطاووس(٣)، فقد كانوا أعلم الناس بالتَفْسِير؛ لأنهم تلامذة حبر الأمة، وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، **ومن أشهر التَّابِعين بمدرسة التَفْسِير بالمدينة**: زيد بن أسلم(٤)، وأبو العالية(٥)، ومحمد بن كعب

(١) هو أبو عبد الله عِكرمة البربري المدني مولى ابن عباس، أصْلُه من البربر بالمغرب، روى عن: مولاه، وعن عليّ بن أبي طالب، وأبي هريرة، وغيرهم، وبتتبع أقوال المُنْصِفين، الذين عرفوا حقيقة هذا التابعي الجليل، فهو رجلًا ثبْتًا، لا يُتَّهم في عدالته أجمع عامة أهل العلم بالحديث على الاحتجاج بحديث عِكرمة، قال إسحاق بن راهويه: عِكرمة عندنا إمام الدنيا وجملة القول: فإن عكرمة أمين في روايته، مُقدَّم في علمه، مبرزٌ في فهمه لكتاب الله، تُوفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (١٠٤هـ)، فرضي الله عنه وأرضاه. **ينظر**: سير أعلام النبلاء: ١٢/٥، تهذيب التهذيب: ١٣٤/٣.

(٢) هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدي، كان حبشي الأصل، أسود اللون، أبيض الخصال، سمع عن جماعة من أئمة الصَّحَابَة، وروى عن: ابن عباس، وابن مسعود، وغيرهما، كان رَحِمَهُ اللَّهُ فقيهًا عابدًا، ثقة حُجَّة، من كبار التَّابِعين في التَفْسِير والحديث والفقه، أَخَذَ القراءة عن ابن عباس عرضًا، وسمع منه التَفْسِير، وأكثر روايته عنه، وهو مُجْمَع عليه من أصحاب الكتب السِّتة، وقد قُتل في شعبان سنة (٩٥ هـ)، وهو ابن تسع وأربعين سنة، قال أبو الشيخ: قتله الحجَّاج صبرًا، وله مناظرة قبل قتله مع الحجَّاج تدل على قوة يقينه وثبات إيمانه وثقته بالله، فرضى الله عنه وأرضاه. **ينظر**: تهذيب التهذيب: ٩/٢، سير أعلام النبلاء: ٣٢١/٤.

(٣) هو أبو عبد الرحمن طاووس بن كيسان اليماني الحميري الجندي مولى بحير بن ريسان، وقيل مولى همدان، روى عن العبادلة الأربعة وغيرهم، ورُوِى عنه أنه قال: جالستُ خمسين من الصَّحَابَة، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ عالمًا متقِنًا، خبيرًا بمعاني كتاب الله تعالى، ويرجع ذلك إلى مجالسته لكثير من الصَّحَابَة، يأخذ عنهم، ويروي لهم؛ ولكن كان يجلس إلى ابن عباس أكثر من جلوسه لغيره من الصَّحَابَة، ويأخذ عنه في التَفْسِير أكثر مما يأخذ عن غيره منهم؛ ولهذا عدَّه العلماء من تلاميذ ابن عباس، وذكروه في رجال مدرسته بمكة، ولقد كان طاووس على جانب عظيم من الورع والأمانة؛ حتَّى شهد له بذلك أستاذه ابن عباس، فقال فيه: إني لأظن طاووسًا من أهل الجنة، وقال فيه عمرو بن دينار: ما رأيت أحدًا مثل طاووس، وقد أخرج له أصحاب الكتب السِّتة، وقال ابن معين: إنه ثقة، وقال الذهبي: كان طاووس شيخ أهل اليمن، وكان كثير الحج، فاتفق موته بمكة سنة (١٠٦هـ). **ينظر**: تهذيب التهذيب: ٢٣٥/٢، سير أعلام النبلاء: ٣٨/٥.

(٤) هو زيد بن أسلم العدوي المدني الفقيه المفسِّر مولى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كان من كبار التَّابِعين الذين عُرفوا بالقول في التَفْسِير والثقة فيما يروونه، وأشهر مَن أَخَذَ التَفْسِير عن زيد بن أسلم من علماء المدينة ابنه عبد الرحمن بن زيد، ومالك بن أنس إمام دار الهجرة، وكانت وفاته سنة (١٣٦ هـ)، وقيل غير ذلك. **ينظر**: تهذيب التهذيب: ٦٥٦/١، سِير أعلام النبلاء: ٣١٦/٥.

(٥) هو أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي، أدرك الجاهلية، وأسلم بعد وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسنتين، رَوى عن: عليّ، وابن مسعود، وابن عباس، وابن عمر، وأُبَيّ بن كعب، وغيرهم، وهو من ثقات التَّابِعين المشْهورين بالتَفْسِير، وقد أجمع عليه أصحاب الكتب السِّتة، وكانت وفاته سنة (٩٠ هـ) على أرْجَح الأقوال في ذلك. **ينظر**: سير أعلام النبلاء: ٢٠٧/٤، تهذيب التهذيب: ٦١٠/١.

القُرظي[1]، وقد تتلمذ هؤلاء وغيرهم على أُبيٍّ بن كعب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فمنهم من أخذ عنه مباشرة، ومنهم من أخذ عنه بالواسطة.

ومن أشهر التَّابِعين بمدرسة التَفْسِير بالعراق: علقمة بن قيس[2]، ومسروق بن الأجدع[3]، والشعبي[4]، والحسن البصري[5]، وقد تتلمذ هؤلاء وغيرهم على عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ إذ يعتبر المعلم الأول لهذه المدرسة .. هؤلاء هم أعلام المُفَسِّرين من التَّابِعين استمدوا آرائهم وعلومهم مما تلقوْه من الصَّحَابَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وعنهم أَخَذَ تابعو التَّابِعين، وهكذا حتَّى وصل إلينا دين الله وكتابه وعلومه ومعارفه سليمة كاملة عن طريق

(١) هو محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظي المدني، من حلفاء الأوس، ومن أفاضل أهل المدينة علمًا وفقهًا، رَوى عن: عليّ، وابن مسعود، وابن عباس، وغيرهم، وروى عن أُبَيّ بن كعب بالواسطة، وقد اشتهر بالثقة والعدالة والورع وكثرة الحديث وتأويل القرآن، وهو عند أصحاب الكتب السِّتة، وكان يقُصُّ في المسجد، فسقط عليه وعلى أصحابه سقف، فمات هو وجماعة معه تحت الهدم سنة (١١٨ هـ)، وهو ابن ثمان وسبعين سنة، وقيل غير ذلك. **ينظر**: غاية النهاية: ٢/٢٠٥، سير أعلام النبلاء: ٥/٦٥.

(٢) هو علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك النخعي الكوفي، وُلِد في حياة رسول الله ﷺ، روى عن: عمر،وعثمان، وعليّ، وابن مسعود، وغيرهم، وهو من أشْهر رواة عبد الله بن مسعود وأعرفهم به وأعلمهم بعلمه وأشبههم به، وكان رَحِمَهُٱللَّهُ ثقة مأمونًا، على جانب عظيم من الورع والصلاح، ومن أحسن الناس صوتًا بالقرآن، وهو عند أصحاب الكتب السِّتة، مات سنة (٦١ هـ)، وعمره تسعون سنة. **ينظر**: غاية النهاية: ١/٤٥٧، سير أعلام النبلاء: ٤/٥٣.

(٣) هو أبو عائشة مسروق بن الأجدع بن مالك بن أُمية الهمداني الكوفي العابد، عُرِف بورعه وعلمِه وثقتِه وعدالته، رَوى عن الخلفاء الأربعة وابن مسعود وأُبَيّ بن كعب وغيرهم، وكان أعلم أصحاب ابن مسعود، إمامًا في التَفْسِير، وعالمًا خبيرًا بمعاني القرآن، وقد أخرج له السِّتة، وكانت وفاته سنة (٦٣هـ) على الأشْهر. **ينظر**: غاية النهاية: ٢/٢٥٧، سِيَر أعلام النبلاء: ٤/٦٣.

(٤) هو أبو عمرو عامر بن شراحيل الشعبي الحميري الكوفي الجليل قاضى الكوفة، وُلِد سنة (٢٠ هـ)، رَوى عن: عمر، وعليّ، وابن مسعود، ولم يسمع منهم، ورَوى عن: أبي هريرة، وعائشة، وابن عباس، وأبي موسى الأشعري، وغيرهم، قال الشعبي: أدركت خمسمائة من الصَّحَابَة، كان ذا أدبٍ وفقهٍ وعِلْمٍ، وهو عند أصحاب الكتب السِّتة، تُوفِّي سنة (١٠٩ هـ). **ينظر**: سير أعلام النبلاء: ٤/٢٩٤، تهذيب التهذيب: ٢/٢٦٤.

(٥) هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصرى، مولى الأنصار، وأُمه خيرة مولاة أُم سلمة، قال ابن سعد: ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر، وكان فصيحًا ورعًا زاهدًا مأمونًا، عابدًا ناسكًا، لا يُسبق في وعظه، ولا يُدانَى في مبلغ تأثيره على قلوب سامعيه، روى عن: عليّ، وابن عمر، وأنس، وخلق كثير من الصَّحَابَة والتَّابِعين، وحديثه عند أصحاب الكتب السِّتة، تُوفِّي سنة (١١٠هـ) وهو ابن ثمان وثمانين سنة. **ينظر**: سير أعلام النبلاء: ٤/٥٦٣، تهذيب التهذيب: ١/٣٨٨.

التَلَقِّي والتَلْقِين جيلًا عن جيل مصداقًا لقوله سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

أنواع التَفْسِير بالمأثور(١):

عَلِمْنَا - مما تقدَّم ذكره - أن الرِّواية بالمأثور تتناول ما كان تفسيرًا للقرآن بالقرآن، وما كان تفسيرًا للقرآن بالسُنَّةِ، وما كان تفسيرًا للقرآن بالموقوف على الصَّحَابَة أو التَّابِعين على رأيٍ، ومن هنا نستطيع أن نُقسِّم التَفْسِير بالمأثور من حيث الرد أو القبول إلى نوعين:

الأول: ما توافرت الأدلَّة على صِحَّته وقَبُوله كتفسير بعض القرآن ببعض، وتفسير القرآن بالسنَّةِ الصحيحة المرفوعة إلى النبي ﷺ، وهذا لا خلافَ في وجاهتِهِ وقَبُولِه، ولا يليق بأحدٍ ردّه، ولا يَجُوز إهْماله أو إغْفاله، ولا يَجْمُلُ أن نعتبرَه من الصَّوارِف عن هَدْي القرآن؛ بل هو على العكس عاملٌ من أقوى العوامل على الاهتداء بالقرآن.

الثاني: ما قد يتطرَّق إليه الضعف كتفسير القرآن بما يُعْزَى إلى الصَّحَابَة أو التَّابِعين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ ممَّا لا يصح نسبته إليهم أو ثبوته عنهم، مما دسَّه أعداء الدين، أو بعض الغُلاة والمتطرفين تملُّقًا واسْتدْرارًا لما يعتقدون، أو مما نُقِل من الإسرائيليات والتي بها كثير من الروايات؛ بل والخرافات التي لا قيمة لها سندًا ولا موضوعًا، والتي يقوم الدليل على بطلانها، وهذا يجب ردَّه لا يجوز قَبُوله، ولا الاشتغال به، اللّٰهُمَّ إلا لتمحِيصه والتنبيه إلى ضلالِه وخطئِه؛ حتَّى لا يغْتَر به أحدٌ، ولا يزال كثيرٌ من أيقاظ المُفَسِّرين كالإمام ابن كثير وغيره يتحرَّوْن الصِّحة فيما ينقُلُون ويبيِّنون ما لم تتوافرْ أدلة صِحَّته.

أشهر كتب التَفْسِير بالمأثور(٢):

تَضُمُّ قائمة التَفْسِير بالمأثور مَوْسُوعاتً كبيرة، وما سأَذْكُره قد لا يَتَعدَّى الإشارة إلى بعض ما اشتهر منها ممَّا وقفتُ عليه.

١- **تفسير الطبري المُسَمَّى جامع البيان في تفسير القرآن**، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري (ت ٣١٠هـ) فريد عصْره ووحيد دهْره، وهو من أجلِّ التفاسير بالمأثور وأصحِّها وأجمعِها، يَرْوِيه بسندِه مع توجيه الأَقْوال والترْجِيح بينها.

٢- **تفسير السمرقندي المُسَمَّى بحر العلوم**، للإمام أبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم

---

(١) **ينظر**: مناهل العرفان في علوم القرآن: ٢/٢٠ بتصرف.

(٢) **ينظر**: التَفْسِير والمفسرون: ١/١٤٧ وما بعدها بتصرف.

السَمرْقنْدِي المعروف بإمام الهدى (ت ٣٧٣هـ)، وهو تفسير قيِّمٌ في ذاته، فَسَّر القرآن بالمأثور عن السَّلَف من الصَّحَابَة والتَّابِعين ومن بعدهم، من غيرِ ذِكْرِ الإسناد ولا الترجِيح بين الأقوال.

٣- **تفسير البغوي المُسَمَّى معالم التنزيل،** للإمام أبي محمد حسين بن مسعود بن محمد البغوي المُلقَّب بمحيي السُّنَّة (ت ٥١٦هـ)، وهو من أجلِّ المُصَنَّفاتِ في التَفْسِير، نَقَلَ فيه عن مفسري الصَّحَابَة والتَّابِعين، وهو سهلٌ موجزٌ مختصرٌ، يَنْقِلُ عن السَّلَف، ويتحرى الصحة من غير إسناد.

٤- **تفسير ابن كثير المُسَمَّى تفسير القرآن العظيم،** للإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، وهو من أشهر ما دُوِّن في التَفْسِير المأثور بعد تفسير ابن جرير، فَسَّر القرآن بالأحاديث والآثار مسندة إلى أصحابها، مع الترجِيح بين الأقوال والكلام عليها جرحًا وتعديلًا.

٥- **تفسير السُّيوطي المُسَمَّى الدرُّ المنثور في التَفْسِير بالمأثور،** للإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي (ت ٩١١هـ)، وهو تفسير جامعٌ لما يُروَى عن السَّلَف، من غير إسنادٍ، مع عَزْوِ كُلّ رواية إلى موضعها[1].

القسم الثاني: التَفْسِير بالدِّراية أو التَفْسِير بالرأي:

هو تفسير القرآن الكريم بالاجْتِهاد والاسْتِنباط، فإنْ كان الاجتهادُ مُستَنِدًا إلى الأصول الشرعية واللُّغوية، بعيدًا عن الجهالةِ والضَّلالةِ، فالتَفْسِير به جائزٌ محمُودٌ وإلا فغير جائزٍ مذموم؛ وذلك حسب التفصيل التالي[2].

١ - ما يَجُوز من التَفْسِير بالرأي:

ما كان مُوافقًا لكلامِ العرب ومناحِيهم في القول، مُسْتَنِدًا إلي الأمور التي يجبُ استناد الرأي إليها من النقل عن رسول الله ﷺ والأخذ بقول الصَّحابي، ومطلق اللُّغة وما يَقتَضِيه الكلام، ويدلُّ عليه الشرع، بعيدًا عن الجهالةِ والضَّلالةِ، فمَنْ فسَّرَ القرآن برأيه واجتهاده

---

(١) سيأتي لاحقًا ذِكْر المزيد من التَفْصِيل حول أشهر الأئِمَّة الذين صنَّفوا في هذا العلم وبكتبهم، ضمن المبحث الثاني من هذا الفصل إن شاء الله تعالى.

(٢) **ينظر**: الإتقان في علوم القرآن: ص٧٧٥، مناهل العرفان في علوم القرآن: ٤٢/٢ وما بعدها، التَفْسِير والمفسرون: ١٨٣/١ وما بعدها، بحوث منهجية في علوم القرآن الكريم، تأليف/ موسى إبراهيم الإبراهيم: ص ١٠٠ وما بعدها، ط/ دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن، الثانية، ١٩٩٦م.

مُلْتزِمًا الوقوف عند هذه المآخذ، معتمدًا عليها فيما يرى من معاني كتاب الله كان تفسيره سائغًا جائزًا.

ومن أدلةِ المُجِيزين للتفسير بالرأي:

أ- قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩].

ووجه الاسْتِدلال أن الله تعالى حثَّ على تدبُّر القرآن، والاعتبار بآياته، والاتِّعاظ بمواعظه؛ إذ التدبُّر والاتِّعاظ فرْعُ الفهم والتفقُّه في كتاب الله خاصة أولي الألباب بما لهم من العقلِ السَّليم واللُّبِّ الصَّافي.

ب- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾[النساء: ٨٣].

والآية الكريمة تَدُلُّ على أن في القرآن ما يَسْتنْبِطَهُ ويَسْتخرِجُهُ أولو الألبابِ والفهم الثاقب، وأنه لا حرجَ عليهم أن يَتأوَّلُوا ما لم يستأثِرِ الله بعلمه، فإنَّ فهْم مقاصد القرآن ودلالاتِه مجالًا رحْبًا، ومُتسَعًا بالغًا، والمنقُول من ظاهرِ التَفْسِير ليس مُنْتهى الإدراك.

ج - أن رسول الله ﷺ دعا لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بقوله: «اللَّهُمَّ فقِّههُ في الدين وعلِّمْهُ التأويل» (١) فلو كان التأويل مقصورًا على السماع والنقل لِلفظِ التنزيل لما كان هناك فائدة لتخْصِيصه، فدلَّ على أن التأويل خلاف النقل، وهو التَفْسِير بالاجتهاد والرأي.

د - لو كان التَفْسِير بالرأي غير جائز لتعطَّل كثير من الأحكام؛ لأن النبي ﷺ لم يذْكُر تفسير كُلّ آية، والمُجتهدُ مأْجورٌ وإن أخطأ ما دام أنه قد استفرغ وسعه، ولم يهمل الوسائل الواجبة في الاجتهاد، وكان غرضُه الوصول إلى الحق والصواب.

هـ- أن العلماء قد دَرَجُوا على تفسير كتاب الله تعالى بالاجْتهاد والنَّظر، وقد تَواتَر ذلك عن الصَّحَابَة والتَّابِعين مُرورًا بِعصورِ التدوين إلى أيامنا هذه، ولن تجتمع الأمة على ضلالة.

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم ١٦٩/١، ومسلم في كتاب فضائل الصَّحَابَة ٣٧/١٦.

٢- ما لا يجوز من التَفْسِير بالرأي:

وهو ما كان غير جارٍ على قوانين اللُّغة العربية، ولا مُوافقًا للأدلةِ الشرعية، ولا مُستوفيًا لشروطِ التَفْسِير التي ذكرها المفسرون، والمشار إليها آنفًا، فمَنْ حاد عن هذه الأصول وفَسَّر القرآن غير مُعتمدٍ عليها، مُتهجمًا على تبيين مرادِ الله من كلامِه على جهالةٍ أو ضلالة، كان تَفسيرهُ ساقِطًا مَرْذُولًا غير جائز.

ومن أدلةِ المانعين للتفسير بالرأي:

أ- قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

ووجه الاستدلال أن التَفْسِير بالرأي من القولِ على اللهِ بغير عِلْمٍ؛ لأن المُفسِّر بالرأي ليس مُتيقنًا أنه مُصيبٌ، وقُصارى أمرِه أنه يظنُّ، والقائل بالظنِّ قائلٌ على الله بغير عِلْمٍ، وقد حرَّم الله القول عليه بغير علمٍ، فالتَفْسِير بالرأي منهي عنه.

ب - نهيُ النبي ﷺ عن تفسير القرآن بالرأي، ففي الحديث أنه ﷺ قال: «ومن قال في القرآن برأيه - أو بما لا يعلم - فليتبوأ مقعده من النار»[(١)]، فتفسير القرآن بهذا الرأي تقحمٌ للنارِ على بصيرة.

ج - ما وَرَدَ عن الصَّحَابَة والتَّابِعين من أنهم كانوا يتحرَّجون عن القول في القرآن بآرائهم، ومن ذلك ما روي عن الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال: «أي سماءٍ تُظِلُّني وأي أرض تُقِلُّني إذا قلتُ في القرآن برأيي أو بما لا أعلم»[(٢)].

د - خروج القول بالرأي عن جادة التَفْسِير، من التزام النقل الصحيح عن رسول الله ﷺ، أو عن أصحابه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وعدم اعتباره لأسباب النزول والناسخ والمنسوخ وغير ذلك.

---

(١) الحديث أخرجه ابن جرير الطبري: ٧١/١ بألفاظ مختلفة من حديث عبد الأعلى بن عامر الثعلبي، وقد تكلموا فيه، ونقل عن الإمام أحمد تضعيفه. **ينظر**: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، تأليف/ محمد ناصر الدين الألباني: ٢٦٥/٤ رقم ١٧٨٣، ط/ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع بالرياض، الأولى، ١٤١٢هـ.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري، فصل الأخبار التي رُويت بالنهي عن القول في تأويل القرآن بالرأي: ٧٢/١.

الراجح مما تقدم - والذي يُعَبِّر عن رأيي -:

هو أن يُحْمَل كلام المُجِيزين للتفسير بالرأي على التَفْسِير بالرأيِ السديد المستوفي لشروطه الماضية، ويُحْمَل كلام المانِعين للتفسير بالرأي على التَفْسِير بالرأي الفاسد المجانب لشروطه الماضية، وأن الخلاف لا يتعدى خلافا في اللَّفظ، والله أعلى وأعلم.

أشهر كتب التَفْسِير بالرأي[1]:

تَضُمُّ قائمة التَفْسِير بالرأي أيضًا مَوْسوعات كبيرة، يغلب على كُلّ منها منهج خاص من مناهج التَفْسِير واتجاهاته، وما سأذكره هو بعض ما اشتهر منها ممَّا وقفْتُ عليه.

١- **تفسير الفخر الرَّازي المُسَمَّى مفاتيح الغيب،** للإمام أبو عبد الله محمد بن عمر ابن الحسين، التميمي، البكري، الرَّازي، الملقب بفخر الدين (٦٠٦هـ)، فريد عصْره ومُتكلم زمانه، ويَحْظى هذا التَفْسِير بشهرة واسعة بين العلماء؛ لما يمتاز به من الأبحاث الفياضة، فهو أشبه ما يكون بموسوعة علمية في علوم الكون والرياضة والطبيعة والأصول والنحو والبلاغة، أضفْ إلى ذلك دفاعه عن العقيدة ضد أهل الزيغ والانحراف[2].

٢- **تفسير النيسابوري المُسَمَّى غرائب القرآن ورغائب الفرقان،** للإمام الشهير نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين، القِمِّي، النيسابوري (ت ٧٢٨هـ)، ويمتاز هذا التَفْسِير بسهولة عبارته، مع العناية بالكلام على القراءات والأوْقُف في أول كُلّ مرحلة من مراحل التَفْسِير، وكثيرًا ما يتكلم عن التَفْسِيرات الإشارية، كذا ينقل عن الزمخشري والفخر الرَّازي.

٣- **تفسير أبي حيَّان المُسَمَّى البحر المحيط،** للإمام أبي عبد الله محمد بن يوسف بن عليّ بن يوسف بن حيَّان، الأندلسي، الشهير بأبي حيَّان (٧٤٥هـ)، وقد رتَّبهُ بالكلام على مفردات الآية فيما يحتاج إليه من اللُّغة والنحو، وهي الناحية الغالبة على تفسيره، ثم أسباب النزول والقراءات، ناقلًا أقوال السَّلَف والخلف في فهْم معانيها.

٤- **تفسير أبي السُّعود المُسَمَّى إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم،** للإمام

---

(١) **ينظر**: التَفْسِير والمفسرون: ٢٠٥/١ وما بعدها بتصرف، مناهل العرفان في علوم القرآن: ص ٥٥ وما بعدها بتصرف.

(٢) سأذكر لاحقًا مزيد من التفصيل حول هذا التَفْسِير وترجمة مُصَنِّفه، وذلك ضمن المبحث الثاني من هذا الفصل إن شاء الله تعالى.

أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى الحنفي (٩٨٢هـ)، وهو تفسير رائع، حسن التعبير، بديع الأسلوب، كشف من أسرار البلاغة القرآنية بما لم يسبقه أحد إليه، بعيدًا عن الحشو والتطويل، وهو مرجعٌ لِمَنْ جاء بعده من المُفَسِّرين.

٥- تفسير الألوسي المُسَمَّى روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لخاتمة المحققين العلَّامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود، الألوسي، البغدادي، (ت ١٢٧٠هـ)، وهذا التَفْسِير من أجلِّ التفاسير وأوسعِها وأجمعِها، نَظَمَ فيه روايات السَّلَف بجانب آراء الخلف، وألَّف فيه بين ما يفهم بطريق العبارة وما يفهم بطريق الإشارة، فهو جامعٌ لكل ما سبقه من التفاسير.

القسم الثالث: من أقسام التفاسير الأخرى:

لقد احْتوت كتب التفاسير على فُنونًا وألوانًا ومناهج شتى ممَّا أوْدع الله في كتابِهِ من حِكَمٍ وأحْكَام، ومَعَارِف وأسْرار، منها تفاسير ظواهر العبارة، وتفاسير غوامض الإشارة، **ومنها** تفاسير يغْلُب عليها صنعة الكلام، **وأخرى يغْلُب** عليها صنعة البلاغة، **وثالثة يغْلُب** عليها النحو والإعراب، **ورابعة يغْلُب** عليها تفاريع الأحكام، **وخامسة يغْلُب** عليها علوم الكون، إلى غير ذلك، تَنطبِع فيها صور المُفَسِّرين لها على اختلاف مشارِبهم، وتبايُنِ منازِعهم، وسوف أُشير إلى ثلاثةٍ من أقسام ومناهج التَفْسِير على سبيل الاختصار، وأُعْرِض عن كثير من أنواع ومناهج التَفْسِير الأُخْرى؛ لما فيها من المَثالبِ وما عليها من المَآخذ(١).

الأول: التَفْسِير الإشاري:

هو تَأْويل القرآن الكريم بغيرِ ظَاهِرِه لإشارة خَفيَّة تَظْهَر لأربابِ السُّلوكِ والتَّصوُّفِ، أو استخرج معاني كامنة وراء الظاهر، ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر والمراد أيضًا، وهو ما يسميه الصُّوفيَّة بالعِلْم اللَّدُني أخْذًا من قول الله عَزَّوَجَلَّ - في شأن الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ - ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[الكهف: ٦٥].

فمن هؤلاء المتصوِفة من يدَّعِي أن الرياضة الرُّوحية التي يأخُذُ بها الصُّوفي نفسه تصلُ بهِ إلى درجة ينكشفُ له فيها ما وراء العبارات القرآنية من إشارات قدسية، وتَنْهَلُ على قلْبه من سُحُب الغيب ما تَحْمِلُه الآيات من المعارف السبحانية، فللآية عندهم ظاهر وباطن، **فالظاهر** هو الذي ينساق إليه الذهن قبل غيره، **والباطن** هو ما وراء ذلك من

(١) **ينظر**: مناهل العرفان في علوم القرآن، تفاسير الفرق المختلفة: ٥٩/٢، بحوث منهجية في علوم القرآن: ص١١٧ وما بعدها، مباحث في علوم القرآن: ص٣٦٧.

إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك، وهذا التَفْسِير الإشاري إذا أوْغل صاحبهُ في الإشارات الخفية صار ضربًا من التجهيل؛ ولكنه إذا كان استنباطًا حسنًا يُوافق مقتضى ظاهر العربية، وله شاهد يشهد لصحته من غير معارض، فإنه يكون مقبولًا.

ومن ذلك ما رُوِي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: «كان عمر يُدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه، فقال: لِمَ تُدخِل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه مَن حيث عَلِمْتُم، فدعاه ذات يوم، فأدخله معهم، فما رُئيت أنه دعاني يومئذ إلا ليُرِيهم، قال: ما تقولون في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر:١]؟ فقال بعضهم: أُمْرِنا أن نحمد الله، ونستغفره إذا نَصَرَنا وفتح علينا، وسكت بعضهم، فلم يقل شيئًا، فقال لي: أكذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجَلُ رسول الله ﷺ أعْلمه له، قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ وذلك علَامة أجلك، ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول»(١).

وقد اختلف العلماء في التَفْسِير المذكور، فمنهم من أجازه، ومنهم من منعه، **وقد ذكر الإمام السِيُّوطي لقبوله واعتباره شُرُوطٍ منها**: أن لا يتنافى مع ما يَظْهر من معنى الآية، أن يكون له شاهد شرعي يؤيده، أن لا يكون له معارض شرعي أو عقلي، وألا يدعي أنه المراد وحده دون الظاهر، فمَنْ فسَّر الصلاة والزكاة بمعناهُما الشرعي، ثم قال: الصلاة صلة بين العبد وربه، والزكاة تَطْهير للنفس من أدران الذنوب فتفسيره مُعتبرٌ، يوافقُ مقتضى ظاهر العربية، وله شاهدٌ يشهد لصحته من غير معارض، وقد جاء على تحقيق الشروط المذكورة، ومن أوْغل في الإشارات الخفية صار تفسيره ضربًا من التجهيل؛ كقول بعضهم في تفسير البسملة ما نصه: الباء: بهاء الله عَزَّوَجَلَّ، والسين: سناء الله، والميم مجد الله، ولفظ الجلالة الله: هو الاسم الأعظم الذي حوى الأسماء كلها، إلى آخر هذه الأقوال التي لا يقوم عليها دليل، ولا تستند إلى نقلٍ صحيحٍ(٢).

وأهم كتب التَفْسِير الإشاري أربعة كتب، **وهى**: تفسير النيسابوري، وتفسير الألوسي، وتفسير التستري، وتفسير محيي الدين بن عربي، مع التفاوت فيما بيْنهم، **فمنهم** مَنْ جَعَلَ غالب همَّه في التَفْسِير الظاهر، وتعرَّض للتفسير الإشاري بقدرٍ، كما فَعَلَ النيسابوري والألوسي، **ومنهم** مَنْ غلبت عليه ناحية التَفْسِير الإشاري، ومع ذلك فهو يتعرض أحيانًا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن: ٧٣٤/٨ رقم ٤٩٧٠.

(٢) مناهل العرفان: ٧٢/٢، التَفْسِير والمفسرون: ٢٦٩/٢، مباحث في علوم القرآن: ص٣٦٧.

للتفسير الظاهر، كما فعل التَسْتري، **ومنهم** مَنْ وجَّه هِمَّته للتفسير الصُّوفي الإشاري، وأعرض عن المعنى الظاهر، كما فعل ابن العربي.

والذي ترجَّح لي بعد النظر في هذا النوع من التَفْسِير:

أنَّ مَنْ أتى من المُفَسِّرين على تحقيق الشروط المذكورة آنفًا فتفسيرُه مُعْتبرٌ، ومَنْ أوْغل في الإشارات الخفية التي لا يقوم على دليل، ولا تستند إلى نقل صحيح فتفسيرُه غيرُ معتبرٍ؛ بل هو مزالق وشَطَحات، وأوهام وشُبُهات، وفي الكتاب والسُّنَّة وشروحِهما على قوانين الشريعة واللُّغة غنى ورياض وجنات، والله أعلى أعلم.

الثاني: التَفْسِير الأدبي:

القرآنُ كتابُ هدايةٍ وإعجازٍ، وهدايته وإعجازه يصوِّرُهما المُفَسِّر ويشرحُهما في تفسيره على قدْر ما فيه من استعداد ومقدرة، وعلى قدْر ما عند الناس من علوم ومعارف وأفكار، ولقد مرَّت على القرآن الكريم منذ نزوله إلى الآن عصور وقرون، وأمم وأجيال، والقرآن كما كان وسيظلُّ كتابُ يَنْشُرُ نور الهداية، ويرفَعُ لواء الإعجاز، وكان الذين شُوفِهُوا به لأول مرة عربًا اكتملت فيهم خصائص العروبة، وإن كانوا مع ذلك أمِّيين لا إلمام لهم بالقراءة والكتابة، ولا شأن لهم بعلومٍ تُدْرَسُ ولا بكتبٍ تُقْرَأُ؛ لهذا وذاك كان فَهْمُهم لهداية هذا الكتاب وإعجازه وتصويرهم لهما بالتَفْسِير والبيان من الأمور الهَيِّنة السَّهلة الجارية على الفطرة والبساطة، لا يحتاجون في ذلك إلى اصطلاحات فنية، ولا إلى قواعد نحوية وبلاغية، ولا إلى نظريات علمية، أما إعجازه فكان معروفًا لهم بمحض السَّليقة العربية السليمة والذوق البلاغي الرقيق، وأما هدايته فكانوا يَفْهَمُونها كذلك بعقولهم الصافية، وذكائهم الموهوب، ولغتهم العربية الفصحى التي نزل بها القرآن، وإذا استعانوا فبالنظر في كتاب الكون، وآيات الله في الآفاق، وبما خَلَقَ الله فيهم وحولهم من عجائب السماوات والأرض، ثم بما يسْمَعُون من بيان رسول الله ﷺ، ومضى الأمر على ذلك مدة، ثم بدأت العلوم الأدبية والعلوم الكونية تتدخل في تفسير القرآن، وتمتزج به على اعتبار أن هدايته وإعجازه لا يُفْهمان فهمًا صحيحًا كاملًا بالنسبة إليهم إلا عن طريق هذه العلوم والمعارف.

ومعلوم أن المفسِّر لا يُفسِّرُ لنفسه إنما يُفسِّر للناس، فكان من الواجب أن يُسايرَ أفكارهم، ويَشْرَحُ ألفاظ القرآن في الظواهر الطبيعية والعلمية، وسنن الله الكونية. هذه هي الأسباب التي جعلت التَفْسِير يمتزج بالعلوم الأدبية والكونية وغيرها، وجعلت العلوم

الأدبية والكونية تحتَلُ مكانها في كتب التَفْسِير، وإن كان هذا الامتزاج يختَلِفُ ضعفًا وقوة، وقلة وكثرة، وتوفيقًا وخذْلانًا، باختلاف مواهب المُفَسِّرين، ونماذج تلك الكتب كثيرة، فتفاسير الزَجَّاج، وأبي حيَّان وأمْثَالِهِمَا مليئة بالمباحث النحوية، وتفاسير الزمخشري وأبي السعود وأشباهِهِما مليئة بالمباحث البلاغية، وتفسير الخازن ومن لفَّ لفَّه مليئة بالأخبار والقصص؛ لكن ينبغي أن يُراعَى في هذا النوع من التَفْسِير عدة أمور منها:

أ- ألا تطغى تلك المباحث عن المقصود الأول من القرآن، وهو الهداية والإعجاز.

ب - أن يُلاحظَ في امتزاج التَفْسِير بتلك العلوم ما يلائم العصر ويوائم فئات الناس.

ج - أن تُذكَرُ تلك الأبحاث على وجْه يدفَعُ المسلمين إلى النهضة، ويلفتهم إلى جلال القرآن ،ويحركهم إلى الانتفاع بقوى هذا الكون العظيم الذي سخَّره الله لنا انتفاعًا يُعيد لأمَّة الإسلامِ نهضتها ومجدها[1].

والذي ترجَّح لي بعد النظر في هذا النوع من التَفْسِير:

أن هذا فنٌّ جديد أيضًا من فنون إعجاز القرآن؛ حيث أقام الله كتابه آيات بينات للناس في معارفه ومعانيه، كما أقامه آيات بينات لهم في ألفاظه ومبانيه، بشرطِ ألا تطغى تلك العلوم عن المقصود الأول من القرآن، وهو الهداية والإعجاز، والله أعلم.

الثالث: التفاسير المعاصرة:

لقد أعطى المفسرون الأوائل كُتُبَ التَفْسِير حظَّها من المنقول والمعقول، وتوافرُوا على المباحث اللُّغوية والبلاغية والنحوية والفقهية والكونية - كما تقدم بيانه - وفي عصرنا الحاضر قام بعض العلماء بتفسير القرآن الكريم، لهم كذلك مناهج مختلفة، **فمنهم** مَنْ اهتم بالقضايا العلمية ومدى موافقتها للقرآن، **ومنهم** مَنْ اهتم بما أُثير حول الإسلام من شبهات ومشكلات، فجعل لها حيِّزًا في تفسيره، **ومنهم** من استشعر مدى شقاء الأمة بإعراضها عن هدي القرآن وبعدها عن تحكيمه في شئون حياتها، فأشبع هذه المعاني بحثًا وتفصيلًا من خلال تفسيره، وهذه بعض الأمثلة.

فمن التفاسير المعاصرة: تفسير الجواهر للشيخ/ طنطاوي جوهري، وقد عَنِيَ في هذا التَفْسِير عناية فائقة بالعلوم الكونية، وعجائب الخلق، غير أن عليه الكثير من المآخذ من أهمها التعسُّف في حمْلِ الآيات على غير معناها، ناهيك عن الخلط بين التَفْسِير والفلسفة

(١) **ينظر**: مناهل العرفان في علوم القرآن: ٨٠/٢ وما بعدها، التَفْسِير والمفسرون: ٣٦٣/٢ وما بعدها.

والرياضيات والتجارب العلمية؛ لذا لم يجد هذا التَفْسِير قبولًا عند الكثيرين.

ومن التفاسير المعاصرة: **تفسير المنار** للشيخ / محمد رشيد رضا، وهو تفسير غني بالمأثور عن سالف الأمة من الصَّحَابَة والتَّابِعين، وبأساليب اللُّغة العربية، وبسنن الله الاجتماعية، يشرَحُ الآيات بأسلوب رائع، وعبارة سهلة، يوضِّحُ كثيرًا من المشكلات، ويردُّ على كثير من الشبهات، ويُعالِجُ أمراض المجتمعات بهدي القرآن.

ومن التفاسير المعاصرة: **تفسير بنت الشاطئ** للدكتورة /عائشة عبد الرحمن، تناولت من خلاله تفسير بعض سور القرآن القصار، وهي تُعْنَى فيه بالجانب البياني في القرآن الكريم، وهو محاولة لا بأْسَ بها للعناية بوجوه البلاغة القرآنية، من غير إغْفال لجوانب الإعجاز الأخرى.

ومن التفاسير المعاصرة: **تفسير في ظِلال القرآن** للأستاذ / سيد قطب، والذي عاش فيه مؤلِّفه مُطوِّفًا في ظلال القرآن، فكان تفسيره أصدق تعبير عن إحساسه القلبي والوجداني لعظمة القرآن، وأنه الطريق الوحيد لخلاص البشرية من حمأة الجاهلية وشقائِها ونكدِها، ويُميِّز هذا التَفْسِير براعة صاحبه الأدبية وقلمه الذي يسيل عذوبة وبيان، وعليه بعض المآخذ التي لا تُقلِّل من قَدْرِه ونَفْعِه[1].

وأخيرًا وليس بآخر فإن ما حوته تلك الموسوعات التَفْسِيرية على كثرتها لم تأْخُذْ من القرآن إلا كما يأخُذُ المَخِيط إذا أُدْخِل البحر، وإن العلوم والمعارف والأفكار والحوادث والتجارب التي تَجِدُّ في الحياة عوامل مهمة في بيان ما أودعه الله في كتابه من حكم وأحكام ومعارف وأسرار، وكلُّ حقبة من حقب الزمان تَكْشِفُ عن بعض مخبوءات أسراره التي لم تَكُ معروفة من قبل، والله أعلى وأعلم.

* * *

(١) **ينظر**: مباحث في علوم القرآن: ص ٣٨٢ وما بعدها، بحوث منهجية في علوم القرآن: ص ١١١ وما بعدها.

﴿ المبحث الثاني ﴾
فضل التَفْسِير ونشأته والتصنيف فيه

﴿ المطلب الأول ﴾
فضل التَفْسِير وعظيم شرفِه والحاجة إليه

عِلْمُ التَفْسِير من أشرفِ العلوم، وأَجَلِّها، وأعْظَمِها بركةً، إن لم يكن أشرفها جميعًا؛ وذلك لسمُوِ موضوعه، وعظيم فائدته، وسُمِّي عِلْمُ التَفْسِير؛ لما فيه من الكشف والتبيين، واخْتص بهذا الاسم دون بقية العلوم مع أنها كلها مشتملة على الكشف والتبيين؛ لأنه لجلالة قدرِه وقصدِه إلى تبيين مراد الله من كلامه، كأنه هو التَفْسِير وحده دون ما عداه؛ ولذا فإن أشرف عِلْمٍ يتعلَّمه الإنسان عِلْمُ تفسير القرآن، ذلك أن شَرَفَ العلوم إما بشرفِ موْضُوعها، وإما بشرفِ غرضِها، وإما بشدة الحاجة إليها، وعِلْمُ التَفْسِير قد حاز الشرفَ من الجهات الثلاث، **أمَّا من جهة الموضوع**؛ فلأن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو يَنْبُوعُ كُلّ حكمة ومعدن كُلّ فضيلة، **وأما من جهة الغرض**؛ فلأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تَفْنى، **وأما من جهة شدة الحاجة**؛ فلأن كُلّ كمال ديني أو دنيوي عاجلي أو آجلي مُفْتقرٌ على العلم بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وفي الأسطر التالية تفصيلُ ما أُجْمِل من فَضائلِ التَفْسِير وعظيمِ شرفِه وشدةِ الحاجةِ إليه(١).

أولا: فضل عِلْم التَفْسِير وعظيم شرفه:

١- أصلُ فضائِل التَفْسِير وأعظمِها أنه مُعينٌ على فَهْمِ كلام الله عَزَّوَجَلَّ الذي هو رسالة الله تعالى إلينا، ومعرفة مراده، فمَنْ أُوتِي فهْم القرآن فقد أُوتي خيرًا كثيرًا، والناس يتفاوتون في فهْم القرآن تفاوتًا كبيرًا؛ فَيَقْرَأُ الرجلان من أهل العِلْمِ الآية الواحدة؛ فيظهُرُ لأحدِهِما من العلم بها وبما تَضمَّنته من المعاني واللطائف البديعة أضعاف ما قد يظْهَرُ لصاحبه، وهذا أمرٌ معروفٌ مُشْتهرٌ بين أهل العِلْم، وقد عَلِمَ الناس أن الرسائل على قدرِ مُرْسِلها، فمَنْ أُرْسِلت له رسالة من ملكٍ أو مُعَظَّم من الناس كانت قراءته لرسالته وتمعُّنِهِ فيها، وحرْصه على فهْمها، وفرحه بها أعظم مما يجده لرسالة من هو دونه؛ فكيف ينبغي أن

(١) **ينظر**: الإتقان في علوم القرآن: ص٧٥٨ وما بعدها، مناهل العرفان في علوم القرآن: ٢/٨.

يكون حال المؤمن وهو يقرأُ الكتاب الذي أرسل الله به خير رسلِه، بواسطة خير ملائكته، في أشرف ليلة، وخير بلد؛ وقد تَضَمَّن خير هَدْيٍ أرسل إلى خير أمّة، وكيف ينبغي أن يكون حرْصُه على تفهُّمه ومعرفة تفسيره، وتبيُّن هداه، وتفصيل أحكامه، وكيف ينبغي أن يكون فرحُه بالقرآن واعتزازه برسالة ربّه إليه.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٧ - ٥٨].

٢ - من فضائل عِلْمِ التَفْسِير تعلُّقه بأشرف الكلامِ وأحسنِه وأصدقِه وأحكمِه، وأعظمِه بركة، وأجلّه قدرًا، وهو كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفِه تنزيل من حكيم حميد، وفضلُ كلام الله على سائر الكلام كفضلِ الله على خلقِه، فالاشتغالُ بالتَفْسِير اشْتِغالٌ بأفضل الكلام، وأحسنه تعلُّمًا وتفهُّمًا، ومدارسةً وتعليمًا، فيكتسبُ المشْتغِل بالتَفْسِير من علومِ القرآن وكُنوزِه، ويقتبسُ من نوره وهداياته، ما يجد حُسْنَ أَثَرِه، وعظيم بركته عليه، ولا يزال العبد يَنْهَلُ من هذا العِلْمِ ويستزيدُ منه؛ حتَّى يجد بركته في نفسه وأهله وماله.

قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[ص: ٢٩].

٣ - ومن فضائل عِلْمِ التَفْسِير أنّ مُتعلِّمَه من أعظم الناس حظًّا، وأوفرهم نصيبًا من فضائل العِلْمِ؛ لأنَّ العِلْمَ بالقرآن هو أفضلُ العلوم وأحسنها، وأشرفها وأجمعها؛ إذ إن فيه عِلْمَ الأوَّلين والآخرين، وهذا أمرٌ معلوم لمَنْ اشتغل بتفسير القرآن، فإنه يجده جامعًا لأنواع العلوم النافعة، ومبيِّنًا لأصولها، ومعرِّفًا بمقاصدها، ودالًّا على سبيل الهُدى فيها، فأصولُ الإيمان والاعتقاد الصحيح والتعريف بالله تعالى وبأسمائه وصفاته وأفعاله وسننه في خلقِه مبينةٌ في القرآن الكريم، أحسن بيان وأتمّه، وأصولُ الأحكام الفقهية في مسائل العبادات والمعاملات والمواريث وأحكام الأسرة والجنايات كلها مبينةٌ في القرآن بيانًا حَسَنًا شاملًا، وأصولُ المواعظ والسُّلوك والتزكية كلها مبينةٌ في القرآن الكريم بيانًا شافيًا كافيًا وافيًا بما تحتاجه النفوس، وسننُ الابتلاء والتمكين وأنواع الفتن وسبيل النجاة منها والوصايا النافعة كلها مبيّنةٌ في كتاب الله تعالى بما يشْفِي ويَكْفي، وأصولُ الآداب الشرعية، والأخلاق الكريمة، والخصال الحميدة؛ قد تضمَّن القرآن بيانها بما لا يجتمع في غيره بمثل بيانه وحُسْن تفصيله، أضفْ إلى ذلك من قصص الأنبياء وأخبار الأمم السابقة،

إلى غير ذلك من العلوم الجليلة النافعة التي يَنتفع بها أحسنَ الانتفاع مَنْ فَهِمَ مراد الله تعالى فَهْمَ المؤمنِ المسترشدِ الصادقِ في اتباع الهدى، فالقرآنُ جامعٌ لأنواع العلوم النافعة، والهدايات الجليلة، والوصايا الحكيمة، والبصائر والبشارات، والتنبيهات والتحذيرات، وفيه تفصيلُ كُلّ شيءٍ، ويجمَعُ ذلك كله قول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

فحذفُ المتعلق هنا لإرادة العلوم؛ فهو يهدي للتي هي أقوم في كُلِّ شيء، في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق والسلوك، وسائر ما يحتاج المسلم فيه إلى الهداية، فمَنْ أراد الهداية فعليه بفهْم القرآن.

٤- ومن فضائل عِلْمِ التَفْسِير أنه يدلُّ صاحبه على ما يعتصم به من الضلالة، وقد بيَّن الله تعالى في كتابه كيف يكون الاعتصام به، والمفسِّر من أحسن الناس عِلْمًا بما يكون به الاعتصام بالله، ولا يتحقق ذلك إلا بفهمِ ما أنزل الله في كتابه، واتباع ما فيه من الهدى والرشاد.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

٥- ومن فضائل عِلْمِ التَفْسِير أنه من أعظم الأسباب المُعِينة على صلاح القلب والعمل لمَنْ حَسُنَتْ نيّتُه في طلبِهِ؛ فإنّه يُبْصِرُ به ما بيَّنه الله في الكتاب من البصائر والهدى، ويُكْثِرُ من تلاوة القرآن وتدبُّره والتفكُّر فيه؛ فيتبصَّرُ ويتذكَّرُ، ويخشَعُ وينيبُ، ويعرِفُ علل قلْبه ونفسه، وكيف يطهّرُ قلْبه، ويُزكّي نفسه بما يعرف من هَدْيِ القرآن، وهذه الهداية تزداد بازدياد العلم بمعاني القرآن والبصيرة في الدين، وتصديق القول بالعمل، وكلما كان المرء أكثر علمًا بتفسير القرآن كانت تلاوته له أحسن؛ لأنه يظْهَرُ له من المعاني والفوائد واللطائف في كُلّ مرة يقرأه ما يزداد به إيمانًا وتوفيقًا لمزيد من العلم، ويجد في نفسه من حلاوة القرآن وحسنه وبهجته ما يحمله على الاستكثار من تلاوته.

قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ...﴾ [المائدة ١٥- ١٦].

٦- ومن فضائل عِلْمِ التَفْسِير أنَّ المفسِّرَ وارثٌ للنبي ﷺ في أعظم إرْثه، وهو بيان معاني القرآن الكريم، ومن أَحْسَنَ تحمُّلَ أمانةِ عِلْمِ التَفْسِير وأحسنَ أداءَها كان من أخصِّ ورثة النبي ﷺ، فالمفسِّرُ مبلِّغٌ ومبيّنٌ؛ والبلاغ المبين هو أخصّ وظائف الرسل، والمفسِّرُ

الحقّ وارثٌ لدعوة الرسول ﷺ، متّبعٌ له، سائر على منهاجه؛ يدعو بما دعا به، ويذكِّرُ بما ذَكَّرَ به، ويبشِّرُ بما بشَّر به.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

٧- ومن فضائل عِلْمِ التَفْسِير أن المفسّر كثير الاشتغال بتلاوة القرآن والتفكُّر فيه، وتدبُّر معانيه، واستخراج كنوزه وفوائده وبدائعه؛ بل يكاد يكون أكثر وقته في مصاحبة القرآن تلاوةً وتدبرًا ودراسةً، فيُعلِّمُ بذلك علمًا كثيرًا مباركًا، وينال أجرًا كبيرًا مضاعفًا.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩/ ٣٠].

ومَنْ أدركَ عِلْمَ أحكام الله في كتابه نصًّا واستدلالًا، ووفَّقَه الله للقول والعمل بما عَلِم منه، فاز بالفضيلة في دينه ودنياه، وانتفتْ عنه الرِّيَب، ونَوَّرت في قلْبه الحكمة، واستوجب في الدين موضع الإمامة.

ثانيًا: حاجة الأمة إلى عِلْم التَفْسِير:

١- فمن ذلك حاجة الأمّة إلى الاهتداء بهدي القرآن في الفتن التي تصيبُها على كثرتها وتنوُّعها وتتابعها، فإنَّ الفتنَ إذا وردتْ على الأمَّةِ ،ولم تتَّبعْ الهدى الذي بيّنه الله لها في كتابه كانت على خطرٍ من الضَّلال، وحلول العقوبات والنقمات والعذاب الأليم، وكم أصاب الأمّة من البلايا والمحن بسبب مخالفة هدي الله تعالى؛ لما ابتلوا بالفتن. أمَّا إذا كثرت الفتن في الأمّة وعظمت؛ فإنَّ الحاجةَ تزدادُ إلى تدبُّر القرآن والاهتداء به، ويكون أسعدُ الناس بالحق أحسنهم استنباطًا؛ لما يهتدي به في تلك الفتنة.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ النساء: ٨٣]، وهذا فيه وعدٌ من الله بأن يخصَّ بعض عباده بعِلْمِ ما تهتدي به الأمة.

٢- حاجة الأمة إلى الاهتداء بهدي القرآن في معاملة أعدائها من اليهود والنصارى والذين أشركوا، على اختلاف مِلَلِهِم، وتنوُّع عداواتهم لأهل الإسلام، وأن يحذروا مما

حذرهم الله منه، وتوعَّد عليه المخالفين بالعذاب الأليم والعقوبات الشديدة، وكم من فتنة ابتليت بها الأمة، وكم من عذابٍ عُذِّبَت به طوائف من هذه الأمة بسبب مخالفتهم عن أمر الله.

فحاجة الأمة إلى مجاهدة الكفار بالقرآن حاجة عظيمة؛ لما يترتَّب على هذه المجاهدة من دفعِ شرور كثيرة، ووقاية من فتن عظيمة.

قال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢].

٣ - حاجة الأمة إلى معرفة صفات المنافقين وعلاماتهم وحِيَلِهم وطرائقهم في المكر والخديعة، وكيف يتّقي المؤمنون شرورهم، ويَحْتَرِزُون من كَيْدِهم وتضليلهم، وكيف يعاملونهم وهم بين ظهرانيِّ المسلمين، ومن بني جلدتهم، ويقولون بظاهر قولهم؛ إذ إن المنافقين أخطرُ أعداء الأمّة وأشدُّهم ضررًا؛ لأنهم يكيدون للمسلمين من حيث لا يشعرون، ويعرفون مواطن الضعف والقوّة، وأسباب التنازع والاختلاف، ويُفْضون بعورات المسلمين إلى الكفار المحاربين، ويُغْرَونهم بأذية المؤمنين، ويُناصَرونهم على حرْبهم بخبْثٍ وخفاءٍ، ويُضِلُّون من يَسْمَعُ لهم من المسلمين، ويعجبه ما يظْهُرون من كلامهم، وهم يَبْطُنُون من المقاصد السيئة والأغراض الخبيثة ما لا يتفطَّن غالبًا له إلا من نوَّر الله قلْبه بنور الإيمان، واهتدى بهدى القرآن، وقد حذَّر الله نبيَّه ﷺ منهم، فقال: ﴿۞وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤].

* * *

؏ المطلب الثاني ؎

نشأة التَفْسِير وتطوُّره والتصنيف فيه

أولا: نشأة التَفْسِير وتطوُّره:

جَرت سُنَّة الله أن يُرْسلَ كُلَّ رسول بلسان قومه؛ ليتمَّ تخاطبُه معهم، وأن يكون الكتاب الذي أُنْزل عليه بلسانه ولسانهم، وإذا كان لسانُ محمدٍ ﷺ عربيًّا فإن الكتاب الذي أنزل عليه يكون بلسان عربي، وبذلك نطق محكم التنزيل قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ [يوسف: ٢].

ولقد نشأ عِلْم التَفْسِير مع نزول القرآن الكريم، ومرَّ بمراحل عديدةٍ منذُ نشأته إلى أيامنا هذه، أستطيع أن أُجملها في المراحلِ التالية:

المرحلة الأولى للتفسير: التَفْسِير في عهد النبي ﷺ وأصحابه:

تكفَّل الله تعالى لرسولِه ﷺ بحفظِ القرآن وبيانه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ١٧ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ﴾ [القيامة: ١٧- ١٩]، فكان النبي ﷺ يفهَمُ القرآن جملةً وتفصيلًا، وكان عليه أن يُبيِّنَهُ لأصحابه، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤].

وكان الصَّحَابَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يفهَمُون القرآن كذلك؛ فإنهم من خُلَّصِ العرب، يعرِفون العربية، ويُحْسِنُون فهْمها، ويَعْرِفُون وجوهَ البلاغة فيها؛ ولكنَّهم مع هذا كانوا يتفاوتون في الفهْم، فقد يغيبُ عن واحدٍ منهم ما لا يغيبُ عن الآخر؛ لذا كان الاعتماد في التَفْسِير في هذا العصر على النحو التالي:

أولًا: القرآن الكريم: فما جاء مُجْملًا في موضعٍ جاء مبينًا في موضع آخر، تأتي الآية مطلقة أو عامة، ثم يَنْزِلُ ما يقيِّدها أو يُخَصِّصُها.

ثانيًا: النبي ﷺ: فهو المبيِّن للقرآن، وكان الصَّحَابَة يَرجِعون إليه إذا أُشْكِل عليهم فهْم آية من الآيات، كما كان الرسول ﷺ يُبيِّن لهم ما يسأَلون عنه عند الحاجة، كتفصيلِ وجوه

أمرِه ونهيه، ومقادير ما فَرَضَه اللهُ من أحكام، إلي غير ذلك فيُفسِّرُه النبيّ ﷺ بما أُوحِيَ إليه من البيان.

ثالثًا: الفهم والاجتهاد: فكان الصَّحَابَة إذا لم يجدوا التَفْسِير في كتابِ الله تعالى، ولم يَجِدُوا شيئًا في ذلك عن رسول الله ﷺ اجتهدوا في الأمرِ ففسَّرُوه بما يوفِّقهم الله تعالى إليه من اجتهادٍ وفهمٍ، وما يعرِفُونه من بيانِ العرب، وتنتهي المرحلة الأولى للتفسير بانتهاءِ عصر الصَّحَابَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

ملامح التَفْسِير في هذه المرحلة:

للتفسير في هذه المرحلة ملامح كثيرة منها:

١- لم يفسَّرْ القرآن جَمِيعه في هذه المرحلة، وإنما فُسِّر ما غمُضَ فهْمُه.

٢- قِلَّة الاختلاف بينهم في فهمِ معانيه، والاكْتفاء بالمعنى الإجمالي دون التفاصيل، والاقْتصار في تفسيره على المعنى اللُّغوي.

٣- ندرة الاستنباط العلمي للأحكام الفقهية، وعدم وجود الاختلاف المذْهبي.

٤- عدم اتخاذ التَفْسِير في هذه المرحلة شكلًا منظَّمًا؛ بل كانت التَفْسِيرات لآيات متفرقة كفرعٍ من فروع الحديث.

٥- لم يُدوَّنْ شيء من التَفْسِير في هذا العصر ماعدا ما أثبته بعض الصَّحَابَة في مصاحفهم.

المرحلة الثانية للتفسير: التَفْسِير في عصْر التَّابِعين:

كانت بداية المرحلة الثانية من مراحل التَفْسِير في عهْد التَّابِعين الذين تَتَلمذُوا على الصَّحَابَة وتلقوا عنهم، وحاجة المسلمين في هذا العهْد أشدُّ من حاجة الصَّحَابَة إلى معرفة أحكام القرآن الكريم وحِكَمِه ومراميه وأغراضه وألفاظه وجمله، فقام بعض التَّابِعين يُفسِّرون من القرآن ما يحتاج إليه المسلمون بالقرآن الكريم، ثم بالسُّنة، وببيان أسباب النزول، وبيان العرب، وفهْم الصَّحَابَة، وإذا احتاج الأمر فَسَّروه بما يُوفّقهم الله إليه من اجتهادٍ وفهمٍ، والتَفْسِير في كُلِّ ذلك عِلْمٌ يُلْقَى على الناس شَفَاهًا، ويَتلَقّاه الناسُ آذانًا، ويُبلِّغونه إلى مَنْ سواهم؛ حتَّى جاء دور التدوين، ودُوِّنت فيه العلوم، فَدُوِّن عِلْمُ التَفْسِير على ما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

ملامح التَفْسِير في هذه المرحلة:

للتفسير في هذه المرحلة ملامح كثيرة منها:

١- دُخول كثيرٍ من الإسرائيليات فيه؛ وذلك لكثرة من دخل في الإسلام من أهلِ الكتاب، وهو مَأْخذٌ على التَّابِعين، كما هو مَأْخذٌ على مَنْ جاء بعدهم.

٢- ظلَّ التَفْسِير في هذا العصر مُحْتَفِظًا بطابع التَلَقِّي والرِّواية؛ لكن مع غلبة طابع الاختصاص كُلٍّ عن مَنْ تلقَّى عنه.

٣- بداية ظهور نواة الخلافِ المذهبي، فظهَرت تَفْسِيرات تحمِلُ في طيَّاتها هذه المذاهب.

المرحلة الثالثة للتفسير: التَفْسِير في عصور التدوين:

تبدأ المرحلة الثالثة للتفسير من مبدأ ظهور التدوين؛ وذلك في أواخِر عهدِ بني أمية، وأوائِل عهْد العباسيين، وقد خَطَى التَفْسِير في هذه المرحلة عدة خطوات نحو التدوين، أستطيع أن أُجْملها على النحو التالي:

- **الخطوة الأولى للتفسير:**

حيث بدأ التدوين لحديث رسول الله ﷺ، وشمل تدوين الحديث أبوابًا متنوعة، وكان التَفْسِير بابًا من هذه الأبواب، فلم يُفْرَد له تأليفٌ خاصٌّ يُفسِّر القرآن سورة سورة، وآية آية، من مبدئه إلى مُنْتهاه؛ بل وُجِد من العلماء من طَوَّف في الأمصار المختلفة ليجمَعَ الحديث، فجُمِع بجوارِ ذلك التَفْسِير المنسوب إلى النبي ﷺ أو إلى الصَّحَابَة، أو إلى التَّابِعين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

- **الخطوة الثانية للتفسير:**

حيث بدأ إفْراد التَفْسِير بالتأليف، وجَعْله عِلْمًا قائمًا بنفسه منفصلًا عن الحديث، ووُضع التَفْسِير لكلِّ آية من القرآن، ورُتِّب ذلك حسب ترتيب المصحف، مَرْوِيًا بالإسناد إلى رسول الله ﷺ وإلى الصَّحَابَة والتَّابِعين وأتباع التَّابِعين، مع الترجيح أحيانًا فيما يُرْوَى من آراء، واستنباط بعض الأحكام، والإعراب عند الحاجة، كما فَعَلَ ابن جرير الطبري

- **الخطوة الثالثة للتفسير:**

لم يقف التَفْسِير عند هذه الخطوة؛ بل خطى بعدها خطوة أخرى؛ حيث جاء على إثْرِ هؤلاء جماعة من المُفَسِّرين لم يتجاوزوا حدود التَفْسِير بالمأثور، ولكنهم اختصروا الأسانيد، وجمعوا شتات الأقوال دون أن ينسبوها إلى قائليها، وبهذا الْتبس الأمرُ، ولم يتميَّز

الصحيحُ من السقيمِ، ودخل الوضع في التَفْسِير، ونقله كثير من المتأخرين في تفاسيرهم.

- **الخطوة الرابعة للتفسير:**

حيثُ اتَّسعت العلوم، وتم تدوينها، وتشعَّبت فروعِها، وكثُرَ الاختلاف، وأُثيرت مسائل الكلام، وظهر التعصُّب المـذهبي، واختلطـت علـوم الفلـسفة العقليـة بـالعلوم النقليـة، وحرصت الفرق الإسلامية على دعْم مذاهبها، فأصاب التَفْسِير من هذا الجو غباره، وأصبح المفـسرون يعتمـدون في تفـسيرهم على الفهـمِ الشخـصي، ويتَّجهـون اتجاهـات متعـددة، وتحكَّمَت فيهم الاصطلاحات العلمية، والعقائد المذهبية، والثقافة الفلـسفية، واهـتم كُلُّ واحد من المُفَسِّرين بحشوه بما بَرَز فيه من العلوم الأخرى، فصاحب العلوم العقلية يُعْـنى في تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة كفخر الدين الرَّازي، وصاحب الفقه يُعْـنى بـالفروع الفقهية كالجـصاص والقـرطبي، وصـاحب التـاريخ يُعْـنى بالقـصص والأخبـار كالثعْلـبي والخازن، وصاحب البدعة يؤول كلام الله على مذهبه كالجبائي، والزمخشري في بعض أقواله، وصاحب التصوف يستخرج المعاني الإشارية كابن عربي، وهكذا أصبحت كتـب التَفْـسِير تحْمل في طيَّاتِها الغثَّ والثمين، والنافع والضار، والصالح والفاسد، وحَمَّل كُلّ مفـسِّر آيـات القرآن ما لا تتحمله انتصارًا لمذهبه، وردًّا على خصومه، وفَقَدَ التَفْسِير وظيفتـه الأساسـية في الهداية والإرشاد ومعرفة أحكام الدين، وبذلك طَغى التَفْسِير بالرأي على التَفْسِير بالأثر.

وتدرَّج التَفْسِير في العصور المتتابعة على هذا النَّمط، بنقل المتـأخر عـن المتقـدم، مـع الاختصار تارة، والتَعْليق أخرى؛ حتَّى ظهرت أنماط جديـدة في التَفْـسِير المعـاصر؛ حيـث عُنِيَ بعض المُفَسِّرين بحاجات العصر، وتناولوا في تفسيرهم الكشف عما تـضمَّنه القـرآن الكريم من أُسُس الحياة الاجتماعية، ومبادئ التشريع، ونظريات العلوم.

وأخيرًا فقد راجت في عصرنا الحاضر تَفْسِيرات عدة يُريد أهلها من ورائِها أن يحمِّلـوا آيات القرآن كُلّ العلوم، ما ظهر منها وما لم يظْهَرُ، وهذا غُلُوٌّ منهم وإسراف يُخْرِج القرآن عن مقصده الذي أُنْزِل من أجله، ويحيدُ به عن هدفِه الذي يرمي إليه.

ملامح التَفْسِير في هذه المرحلة:

١- اعتماد المُفَسِّرين على الفهم الشخصي، واعتناء كُلُّ واحدٍ منهم على ما بَرَز فيه مـن فروع العلم.

٢- غلبة مسائل الكلام، والتعصُّب المذهبي، وحرصُ كُلٍّ على دعم ما يراه من مذهبه.

٣- غلبة طابع التَفْسِير بالرأي على التَفْسِير بالمأثور، والغُلُـو في تحميـل القـرآن طـابع

العلوم المعاصرة.

وبعد هذه المراحل الثلاثة للتفسير وصولًا إلى عصرنا هذا لابد من التنويه على أن هذا الطغيان العقلي العلمي لم يطغْ على التَفْسِير بالمأثور الطغيان الذي يجعله في عداد التَفْسِير المدثور، فقد وجد من العلماء الربانيين في كُلّ عصر من استطاع أن يقاوم هذا التيار، وظلَّ محافظًا على تفسيره للقرآن تفسيرًا نقليًّا بحتًا، كما فعل السيوطي في الدر المنثور، ابن كثير في تفسير القرآن العظيم، والله أعلى وأعلم.

ثانيا: التعريف بأشْهَرِ التَّفَاسِير والمُفَسِّرين:

وفيه نُبْذة لَطِيفة مُخْتَصرة لخَمْسَةِ كتبٍ هي لأشْهَرِ الأئِمَّة الذين صنَّفوا في عِلْم التَفْسِير، أَعْرِضُ من خلالها للتعريف بالمؤلف، وطريقته في التَفْسِير، وخصائص تفسيره.

١- الإمام الطبري(١):

- **التعريف به:**

هو محُمد بن جرير بن يزيد بن خالد بن كثير أبو جعفر، الطبري، البغدادي، وُلِدَ سنة (٢٢٤ هـ)، وكان عالِمًا زاهدًا ورعًا فاضلًا، قويًا في الحق، فذًّا، فصيحَ اللسان، كثيرَ الرواية، ذا بصيرة بالنقل والترجيح بين الروايات، وله باعٌ طويلٌ في تاريخ الرجال وأخبار الأمم، صَنَّف ابن جرير من الكتب جامع البيان في تفسير القرآن، وتاريخ الأمم والملوك وأخبارهم، والآداب الحميدة والأخلاق النفيسة، وتاريخ الرجال، واختلاف الفقهاء، وتهذيب الآثار، وكتاب البسيط في الفقه، والجامع في القراءات، وكتاب التبصير في الأصول، وكتابه في التَفْسِير «جامع البيان في تفسير القرآن» أَجَلُّ التفاسير وأعظمها، وهو المرجع الأصيل للمفسرين بالأثر، وابن جرير يُورد التَفْسِير مسندًا إلى الصَّحَابَة والتَّابِعين وأتباعهم، ويتعرَّض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض، وقد أجمع العلماء المُعتبرون على أنه لم يُؤَلَّفْ في التَفْسِير مثله، ويمتاز ابن جرير بالاستنباط الرائع، والإشارة إلى ما خفي في الإعراب؛ وبذلك كان تفسيره فوق أقرانه من التفاسير(٢).

- **طريقته في التَفْسِير:**

١- يُفسِّر القرآن الكريم بالمأثور من القرآن الكريم، وسُنة رسول الله ﷺ، وأقوال

(١) **ينظر**: سير أعلام النبلاء: ٢٦٧/١٤، الأعلام: ٦٩/٦.

(٢) **ينظر**: الإتقان في علوم القرآن: ص ٧٨٩، مباحث في علوم القرآن: ص٣٩٤ بتصرف.

الصَّحَابَة والتَّابِعين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

٢- يذكُرُ آراء الصَّحَابَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومن بعدهم في التَفْسِير، واستدلالهم باللُّغة، ويستشْهد لذلك بكلام العرب.

٣- إذا تعدّدت أقوال الصَّحَابَة والتَّابِعين يتعرّض لتوجيه الأقوال.

٤- يَعْرِضُ للقراءات التي توجد في الآيات

٥- يهتم بالمذاهب النحوية، والأحكام الفقهية، وإجماع الأئِمَّة، ويستنْبطُ الأحكام التي تُؤخَذُ من الآية.

▪ **خصائص تفسيره:**

١- أنه تفْسيرٌ بالمأثور؛ لذا نجده يَحْمِلُ بشدة على تفسير الآيات بالاجتهاد والنظر.

٢- ينقِلُ في تفْسيره روايات صحيحة وغير صحيحة بأسانيدها فيخرُجُ بذلك من العهدة.

٣- يُوجِّه للرأي الذي يراه من بين الآراء في تفْسيره، فلا يدع القارئ في حيْرة من أمره، ولا يتجه إلى رأيٍ بعينه من غير دليل له.

وفاته: كانت وفاته في بغداد وقت المغرب عشية يوم الأحد ليومين بقيا من شوال سنة (٣١٠ هـ) وقد تجاوَزَ الثمانين بخمس أو ست سنين[١].

٢- العلامة الزمخشري[٢]:

▪ **التعريف به:**

هو أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزْمِي الزمخْشَري، وُلِد سنة (٤٦٧ هـ) بزمَخْشَر، وهي قرية كبيرة من قرى خوارِزْم، وتلقَّى العِلْم في بلاده، ورحل إلى بُخَارى في طلبِه، وأخذ الأدب عن شيخه منصور أبي مضر، ثم رحل إلى مكة وجاوَرَ بها زمانًا، فقيل له: جار الله، وبها ألَّف كتابه في التَفْسِير «الكشَّاف في حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل»، وهو إمام من أئمة اللُّغة والمعاني والبيان، وكثيرًا ما يجدُ القارئ في كتبِ النحو والبلاغة استشْهادات له من كُتبِه للاحتجاج بها، فيقولون: قال الزمخشري في كشَّافه، أو في

(١) **ينظر:** الواضح في علوم القرآن، تأليف/ د. مصطفى ديب البغا ومحيي الدين مستو: ص٢٤١ وما بعدها بتصرف، ط/ دار الكلم الطيب، دمشق، الثانية، ١٩٩٨م.

(٢) **ينظر:** سير أعلام النبلاء: ١٥١/٢٠، الأعلام: ١٧٨/٧.

أساسِ البلاغة، وهو صاحب رأيٍ وحجة في كثير من مسائل العربية، وليس من هؤلاء النفر الذين ينهَجُون نهْجَ غيرهم فيجْمَعُون وينْقِلُون؛ ولكنه صاحبُ رأيٍ يقتفي غيره أثَره وينقِلُ عنه، وله تصانيف في الحديث والنحو واللُّغة والمعاني والبيان وغير ذلك، منها: الفائق في تفسير الحديث، والمنهاج في الأصول، والمفصل في النحو، وأساس البلاغة في اللُّغة، ورؤوس المسائل الفقهية، وهو حنفي المذهب، معتزلي العقيدة، يُؤوِّل الآيات وفْق مذهبه وعقيدته بلحن لا يُدْرِكُه إلا الخاصة، ويُسمِّي المعتزلة إخوانه في الدين من أفاضل الفئة الناجية العدلية، وكتابه «الكشَّاف» من أشهر كُتبِ المُفَسِّرين بالرأي، الماهرين في اللُّغة، ويَنَقِلُ عنه الألوسي، وأبو السعود، والنسفي، وغيرهم من المُفَسِّرين المبرزين بدون نسبة إليه، وقد ضمَّن تفسيره كثيرًا من عقائد المعتزلة على طريق الإشارة[1].

▪ **طريقته في التَفْسِير:**

يُعَدُّ «الكشَّاف» من كُتب التَفْسِير بالرأي - مع انحراف إلى الاعتزال - ويعتمدُ في تفسيره على لغة العرب وأساليبهم، ويُعْنى عناية خاصة بعلومِ البلاغة، تحقيقًا لوجوه إعجاز القرآن الكريم، ويُؤوِّلُ آيات التوحيد بما يُوافقُ طريقة الاعتزال التي انزلق إليها.

▪ **خصائص تفسيره:**

١- خُلوّه من الحشو والتطويل، وسَلامتُهُ من القصصِ والإسرائيليات الباطلة.

٢- اعتماده في بيان المعاني على لغة العرب وأساليبهم في البيان.

٣- سلوكه فيما يقصِدُ إيضاحه طريق السؤال والجواب.

وفاته: وحين أتمّ إحدى وسبعين سنة، وبعد عودته من مكة المكرمة، تُوفِّي بخوارزم سنة (٥٣٨ هـ)، رحمه الله تعالى، وعفا عنه[2].

٣- الإمام الرَّازي[3]:

▪ **التعريف به:**

هو مُحمد بن عمر بن الحسن، التميمي، البكري، الطبرستاني، الرَّازي، فخر الدين، المعروف بابن الخطيب، الشافعي، الفقيه، وُلِد بالري سنة (٥٤٣ هـ) ودَرَس العلوم الدينية والعلوم العقلية، فتعمَّق في المنطق والفلسفة، وبَرَز في عِلْمِ الكلام، وله في هذا كله الكتب

(١) **ينظر**: مباحث في علوم القرآن: ص٣٩٧ وما بعدها بتصرف.

(٢) **ينظر**: الواضح في علوم القرآن: ص٢٤٤ وما بعدها بتصرف.

(٣) **ينظر**: سير أعلام النبلاء: ٥٠٠/٢١، الأعلام: ٣١٣/٦.

والشروح والتعليقات؛ حتَّى عدُّوه من فلاسفة عصْره، له تصانيف كثيرة، منها: مفاتيح الغيب في تفسير القرآن، وتفسيره أسرار التنزيل وأنوار التأويل، وإحكام الأحكام، والمحصل في أصول الفقه، والبرهان في قراءة القرآن، ودرة التنزيل وغرة التأويل في الآيات المتشابهات، وشرح الإشارات والتنبيهات لابن سينا، وإبطال القياس، وشرح القانون لابن سينا، والبيان والبرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان، وتعجيز الفلاسفة، ورسالة الجوهر، ورسالة الحدوث، وكتاب المِلل والنحل، ومحصِّل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء والمتكلمين في عِلْم الكلام، وشرح المفصل للزمخشري، كان قد رُزق سعادة في مؤلفاته، وسعادة في تلامذته، وكان إذا ركب يمشي حوله نحو ثلاثمائة تلميذ من الفقهاء وغيرهم، وقد أثَّرت العلوم العقلية على الرَّازي في تفسيره، فمزجه بخليطٍ من الطب والمنطق والفلسفة والحكمة، وخرج به عن معاني القرآن وروح آياته، وحمَّل نصوص الكتاب ما لم تنْزلْ له من مسائل العلوم العقلية واصطلاحاتها العلمية، ففَقَدَ كتابُه بهذا روحانية التَفْسِير وهداياته؛ ولذلك بالَغَ بعض العلماء بقوله: «فيه كُلُّ شيء إلا التَفْسِير»[1].

▪ طريقته في التَفْسِير:

يُعدُّ تفسيرُه «مفاتيح الغيب» من أعظم تفاسير الرأي وأوسعها، يُعْنى بربط الآيات والسور بعضها ببعض، ويُعْنى باللُّغة والبيان، ومسائل الفقه، ويميلُ فيها إلى ترجيح مذهب إمامه الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ؛ ولكنْهُ أعْظم عنايتهُ بمسائل الكلام والحكمة، فهو فيها الفارسُ المجلِّي والعَلَمُ الفرد، ويُعْنى أحيانًا بنقل أقوال الصَّحَابَة والتَّابِعين لتفسير الكلمات، وبيان المراد من الآيات.

▪ خصائص تفسيره:

١- العناية بتفسير الصَّحَابَة والتَّابِعين للآيات أحيانًا.

٢- ذكر ما يناسب الآيات من الموضوعات، فيقول: وهاهنا مسائل، ثم يوردها مسألة مسألة، وإن كان ثمَّة اعتراضات أوردها، ثم أجاب عليها.

٣- العناية بعلوم اللُّغة من معاني المفردات والبلاغة بإيجازٍ كافٍ.

٤- الاقتصاد في ذِكْر الإسرائيليات والحشو من التَفْسِير.

٥- العناية بربط الآيات والسور بعضها ببعض، وقد لا يخلو الأمر في هذا من التكلُّف أحيانًا.

---

(١) **ينظر**: مباحث في علوم القرآن: ص ٣٩٦ بتصرف.

وفاته: توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى بمدينة هراة يوم الاثنين يوم عيد الفطر سنة (٦٠٦ هـ). رحمه الله تعالى[١].

٤- الإمام القرطبي[٢]:

▪ **التعريف به**:

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد، الأنصاري، الخزرجي، المالكي، الأندلسي، القرطبي، من كبار المُفَسِّرين، من أهل قرطبة، رحل إلى المشرق، واستقر بمنْية ابن خصيب في شمالي أسيوط بصعيد مصر، وهو إمام متقن متبحِّر في العلم، من عباد الله الصالحين، والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا، المشغولين بما يعنيهم من أمور الآخرة، كان طارح التكلّف، يمشي بثوب واحد وعلى رأسه طاقيّة، أوقاته معمورةٌ ما بين توجُّهٍ وعبادةٍ وتصنيفٍ، له تصانيف مفيدة تدلُّ على إمامتهِ، وكثرة اطلاعه، ووُفورِ فضْله، جمع في تفسير القرآن الكريم كتابه «الجامع لأحكام القرآن والمبيِّنُ لما تضمَّنه من السُّنة وآي الفرقآن» وهو من أجلِّ التفاسير وأعظمِها نفعًا، أسْقط منه القصص والتواريخ، وأثبت عوضًا عنها أحكام القرآن، واستنباط الأدلة، وذِكْر القراءات والإعراب والناسخ والمنسوخ، وله شرح الأسماء الحسنى في كتاب يقع في مجلدين، سمّاه الكتاب الأسْنى في شرح أسماء الله الحسنى، وكتاب التذكار في أفضل الأذكار، وكتاب التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة[٣].

▪ **طريقته في التَفْسِير**:

يُعَدُّ تفْسِيرُه من أجلِّ كتبِ التَفْسِير التي وصلت إلينا وأفضلِها، جمع فيه تفسير القرآن بالقرآن، ثم تفسيره بالسُّنة، ثم أقوال الصَّحَابَة والتَّابِعين، وأقوال العلماء واستنباطِهم لما تدل عليه الآيات، ويعرِضُ لمسائل الفقه ببيان مُشْرِق، ويَنْسِبُ إلى كُلّ فقيه رأيُه، ويَذْكر حُجْته، وقد يُرجِّح رأيًا من آراء من نَقَل عنهم، إلى جانب تَخْريج الأحاديثِ والعنايةِ بالقراءات واللُّغات والإعراب.

▪ **خصائص تفسيره**:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وشَرْطِي في هذا الكتاب إضافة الأقوال إلى قائلِيها، والأحاديث إلى

---

(١) **ينظر**: الواضح في علوم القرآن: ص٢٤٦ وما بعدها بتصرف.

(٢) **ينظر**: الأعلام: ٣٢٢/٥، الدِّيباج المذهَّب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون المالكي (ت ٧٩٩)، تحقيق الدكتور/ محمد الأحمدي أبو النور: ٣٠٨/٢، ط/ دار التراث للطبع والنشر القاهرة.

(٣) **ينظر**: التَفْسِير والمفسرون: ٣٣٦/٢.

مصنِّفِيها، فإنه يُقال: من بَرَكة العلم أن يُضاف القول إلى قائله، وكثيرًا ما يجيءُ الحديث في كتبِ الفقهِ والتَفْسِير مُبْهَمًا لا يَعرِف من أخرجه إلا من اطلع على كتب الحديث، فيبقى من لا خبرة له بذلك حائرًا لا يعرف الصحيح من السقيم، فلا يُقبلُ منه الاحتجاج به ولا الاستدلال؛ حتَّى يُضيفه إلى مَنْ خَرَّجه من الأئِمَّة الأعلام، والثقاتِ المشاهير من علماء الإسلام، وأُضْرِب عن كثيرٍ من قصص المُفَسِّرين وأخبار المؤرخين إلا ما لا بُدَّ منه ولا غنى عنهُ للتبيين، وأعتاض عن ذلك بتبيين آي الأحكام بمسائل تُسْفِرُ عن معناها، وتُرْشِدُ الطالب إلى مقتضاها، فضمَّت كُلّ آية مسائل تبيِّنُ فيها ما تحتوي عليه من أسباب النزول والتَفْسِير للغريب، والحكم، فإن لم تتضمنْ حكمًا ذكرْتُ ما فيها من التَفْسِير والتأويل، وهكذا إلى آخر الكتاب.

وفاته: تُوفِّي ليلة الاثنين التاسع من شوال سنة (٦٧١ هـ)، رحمه الله تعالى[١].

٥- الإمام ابن كثير[٢]:

- **التعريف به:**

هو إسماعيل بن عمرو، القرشي، ابن كثير، البصري، الدمشقي، عماد الدين، أبو الفداء، الحافظ، المحدِّث، الشافعي، وُلِد سنة (٧٠٥ هـ)، وكانت حياتُهُ زاخرةً بالعِلْم، فقد كان فقيهًا متقِنًا، ومحدِّثًا بارعًا، ومؤرِخًا ماهرًا، ومفسِّرًا ضابطًا، أَخَذَ عن ابن تيمية، واتَّبعه في كثيرٍ من آرائه، وشَهِد له العلماءُ بغزارةِ علمه في التَفْسِير والحديث والتاريخ، ومن تصانيفه: البداية والنهاية في التاريخ، وهو من أهم المراجع للمؤرخين، والكواكب الدَّرارِي في التاريخ، انْتخَبه من البداية والنهاية، والاجتهاد في طلبِ الجهاد، وجامع المسانيد، والسنن الهادي لأقوم سنن، والواضح النفيس في مناقب الإمام محمد بن إدريس، سارت تصانيفه في البلاد في حياته، وانتُفِع بها بعد وفاته، وكتابه تفسير القرآن العظيم من أشهر كتب التَفْسِير في العناية بما رُوِى عن مفسري السَّلَف، وبيان معاني الآيات وأحكامها، وتَحَامِي ما أطال به الكثيرون من مباحث الإعراب ونكت فنون البلاغة، أو الاستطراد لعلوم أخرى لا يُحتاج إليها في فهْم القرآن، ولا التَفقُّه فيه، ولا الاتِّعاظ به، ويأتي في المرتبة الثانية بعد كتاب ابن جرير[٣].

---

(١) **ينظر**: الواضح في علوم القرآن: ص٢٤٩.

(٢) **ينظر**: طبقات المُفَسِّرين، تصنيف الحافظ/ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي: ١/١١١، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) **ينظر**: مباحث في علوم القرآن: ص٣٩٥.

▪ **طريقته في التَفْسِير:**

يُفسِّرُ القرآن الكريم بعبارة سهلة وجيزة، ويجمَعُ آيات الموضوع الواحد، وهو يستعين على تفسير القرآن بالقرآن أولًا، وهو أكثر ما عرفنا من كتب التَفْسِير سردًا للآيات المتناسبة في المعنى، ثم يَسْرِدُ الأحاديث المتعلّقة بالآية منسوبةً إلى مُخرِّجيها، وبيان درجة كُلِّ حديث غالبًا - إلا ما كان في الصحيحين فلا يذكر له درجة؛ لأنه صحيح كله - ثم يُورد أقوال الصَّحَابَة، والتَّابِعين ومَن بعدهم من علماء السَّلَف، ومنها تذكيره بما في التَفْسِير المأثور من منكرات الإسرائيليات، وتَحْذِيره منها بالإجمال، وبيانه لبعض منكراتِها بالتعيين.

▪ **خصائص تفسيره:**

١- لا يُعْنَى بتفسير الكلمات مستقلة، كما يفعل الإمام الطبري؛ بل يذكُرُها مفسَّرة أثناء تفسيره.

٢- لا يعرِضُ للقراءات المختلفة أثناء التَفْسِير كذلك.

٣- يُفسِّرُ القرآن بالقرآن، ثم بالسُّنَّة، وأقوال الصَّحَابَة والتَّابِعين، ولا يستعين بأقوال علماء العربية في تفسيره.

٤- ينسِبُ الآيات - أثناء تفسيره - إلى سورها، والأحاديث إلى مخرِّجيها، ويُشيرُ إلى ما كان ضعيفًا أو منكرًا منها.

٥- لا يكاد يعرِضُ للإسرائيليات أثناء تفسيره، فضلًا عن الاستدلال بها، وتلك مِزية له.

٦- يرجِّح بعض الأقوال على بعض أحيانًا، وقد يعرِضُ لبعض الخلافات الفقهية بإيجاز.

وفاته: كُفَّ بَصَرُه آخر عمره، وتُوفِّي بدمشق في خمس من شعبان (٧٧٤هـ)، ودُفِن بمقبرة الصّوفية عند شيخه ابن تيمية، رحمه الله تعالى[(١)].

* * *

(١) **ينظر:** الواضح في علوم القرآن: ص٢٥٤.

الفصل الرابع
الوقفُ والابتداء وارْتباطه بعلمِ التَّفْسِير

المبحث الأول: علاقة الوقف والابتداء بالتَّفْسِير وتبيين المعاني

وفيه تأكيد على الصلةِ الوثيقةِ بين عِلْمِ الوقف والابتداء وسائرِ العلوم الشرعية والعربية، ولا سِيِّما عِلْم التَّفْسِير، فهو من أجلِّ هذه العلوم، وأوثقِها ارتباطًا، وأعظمِها أثرًا؛ إذ الوقف منازل القرآن، به تتبيَّنُ المعاني، وتَظْهُرُ أسرار المثاني، **وفيه مطلبان**:

- **المطلب الأول**: حاجة مَنْ أراد الوقف لمعرفة دلائِل التَّفْسِير.
- **المطلب الثاني**: حاجة مَنْ أراد التَّفْسِير لمعرفة مواضع الوقف.

المبحث الثاني: التَّكامُل بين كُتُبِ الوقف والابتداء وكُتُبِ التَّفْسِير.

وفيه بيان لما تَزْخَرُ به كُتُبُ الوقف والابتداء وكُتُبُ التَفْسِير من التَّكامُل بين معرفة مواضع الوقف ودلائِل التَفْسِير، وارتباط وتعلُّق كُلّ منهما بالآخر، **وفيه مطلبان**:

- **المطلب الأول**: كُتُبُ الوقف والابتداء التي عُنِيَت بالتَّفْسِير.
- **المطلب الثاني**: كُتُبُ التَّفْسِير التي عُنِيَت بالوقف والابتداء.

المبحث الأول

علاقة الوقف والابتداء بالتَّفْسِير وتبيين المعاني

المطلب الأول

حاجة مَنْ أراد الوقف لمعرفة دلائل التَّفْسِير

من مظاهرِ الإعْجاز والبيان في القرآن الكريم مراعاة الفصْل والوصْل، وهذا هو الهدف الأسْمى والمطلب الأعْظم من عِلْمِ الوقف والابتداء، ومَنْ اخْتار وقفًا، فإنه اعْتمد المعنى أولًا، ثم وقف، فالواقِف يفسِّر، ثم يقف، فلا غنى لمَنْ أراد الوقف عن معرفة تفسير معنى ما يقف عليه؛ إذ المعنى هو المقصود بإقامة الوقف والابتداء، **وهذه بعض الأمثلة للدَلالة على ذلك**:

١- قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة:٢٦].

فحاجة مَنْ أراد الوقف في هذه الآية إلى معرفة التَفْسِير ظاهرة؛ لأنه إذا وقف على قوله: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ كان المعنى محرمة عليهم هذه المدة، وإذا وقف على قوله: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ كان المعنى محرمة عليهم أبدًا، وأن التِيه أربعين سَنة، فيرجع في هذا إلى التَفْسِير؛ ليكون الوقف بحسب ذلك، وَقَدِ اخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ هُوَ الْعَامِلُ فِي ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾، وَأَنَّهُمْ مَكَثوا لَا يُدْخِلُونَهَا أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَهُمْ تَائِهُونَ فِي الْبَرِّيَّةِ لَا يَهْتَدُونَ لِمَقْصِدٍ. ونقل ابن كثير اختيار بَعْضُ المُفَسِّرين على قَوْلِهِ: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ قال: وهَذَا وَقْفٌ تَامٌّ، وَقَوْلُهُ: ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ مَنْصُوبٌ بقوله: ﴿يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾[1].

والذي أختاره بَعْدَ النظر، والمقارنة بين الأقوال أن الوقف عند قوله: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: إلى يوم القيامة، وأن التِّيه أربعين سنة.

(١) **ينظر**: تَفْسِير الطبري: ٣٠٧/٨ وما بعدها، تَفْسِير ابن كثير: ١٥٦/٥ وما بعدها.

٢- قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾ [يس:٥٢].

فحاجة من أراد الوقف في هذه الآية إلى معرفة التَفْسِير ظاهرة، فالبعض يَقِفُ على قوله: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا﴾ معللًا ذلك أن المقصود من الآية مناقشة قضية البعث، والأكثر مَنْ يقف على قوله تعالى: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَا﴾؛ لأنه من كلام الكفار، ثم يبتدِئُ بقوله تعالى: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾؛ لأنه من كلام الملائكة، وقيل: من كلام المؤمنين - على أحد قولي المُفَسِّرين - فيتبيّن بذلك تفصيل الكلام، وبيان معانيه، قال الزمخشري: فإذا صيح بأهل القبور قالوا: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا﴾، وأما ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ فكلام الملائكة، وقال ابن كثير: «﴿ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَا﴾؟ يَعْنُونَ: مِنْ قُبُورِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَعْتَقِدُونَ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا أَنَّهُمْ لَا يُبْعَثُونَ مِنْهَا، فَلَمَّا عَايَنُوا مَا كَذَّبُوهُ فِي مَحْشَرِهِمْ ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَا﴾، وَهَذَا لَا يَنْفِي عَذَابَهُمْ فِي قُبُورِهِمْ؛ لِأَنَّهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا بَعْدَهُ فِي الشِّدَّةِ كَالرُّقَادِ، فَإِذَا قَالُوا ذَلِكَ أَجَابَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ: ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾، قَالَهُ غَيْرُ واحد من السَّلَفِ، وَقَالَ الْحَسَنُ: إِنَّمَا يُجِيبُهُمْ بِذَلِكَ الْمَلَائِكَةُ، وَلَا مُنَافَاةَ إِذِ الْجَمْعُ مُمْكِنٌ»(١).

والذي أختاره أن الوقف عند قوله: ﴿ مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَا﴾؛ ليتبين ذلك تفصيل الكلام؛ إذ الوصل يُغَيِّر الدَلالة.

٣- قوله تعالى: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآۚ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴾ [القصص:٣٥].

فحاجة مَنْ أراد الوقف في هذه الآية إلى معرفة التَفْسِير ظاهرة أيضًا.

قال القرطبي: ﴿ فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَا﴾ أي: بِالْأَذَى ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ أَي: تَمْتَنِعَانِ مِنْهُمْ بِآياتِنا، فَيَجُوزُ أَنْ يُوقَفَ عَلَى ﴿إِلَيۡكُمَا﴾ وَيَكُونُ فِي الْكَلَامِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، وَقِيلَ: التَّقْدِيرُ ﴿أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ بآياتنا، قاله الْأَخْفَشُ وَالطَّبَرِيُّ، قَالَ الْمَهْدَوِيُّ: وَفِي هَذَا

(١) **ينظر**: تَفْسِير ابن كثير: ٣٦٨/١، تَفْسِير الزَّمَخْشَرِي: ١٨٢/٥ وما بعدها.

تَقْدِيمُ الصِّلَةِ عَلَى الْمَوْصُولِ، إِلَّا أَنْ يُقَدَّرَ أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ. وَعَنَى بالآيات سائر مُعْجِزاته. قال ابن الجوزي في «زاد المسير»: قَوْلُهُ تَعالى: ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ أيْ: بِقَتْلٍ ولا أذًى، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿بِآيَاتِنَا﴾ ثَلاثَةُ أَقْوالٍ:

أحَدُها: أَنَّ المَعْنى: تَمْتَنِعانِ مِنهم بِآياتِنا وحُجَجِنا، فَلا يَصِلُونَ إلَيْكُما.

والثّانِي: أنَّهُ مُتَعَلِّقٌ بِما بَعْدَهُ، فالمَعْنى: بِآياتِنا أنْتُما ومَنِ اتَّبَعَكُما الغالِبُونَ، أيْ: تَغْلِبُونَ بِآياتِنا.

والثّالِثُ: أنَّ في الكَلامِ تَقْدِيمًا وتَأْخِيرًا، تَقْدِيرُهُ: ونَجْعَلُ لَكُما سُلْطانًا بِآياتِنا، فَلا يَصِلُونَ إلَيْكُما[1].

والذي أختاره من أقوال العلماء هو الوقف على قوله: ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾، ويكون الابتداء بعدها بقوله: ﴿بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾؛ لأن إضَافة الغلبة إلى الآيات أوْلى من إضافة عدم الوصول إليهما؛ لأن المراد بالآيات العصا وصفاتها، وقد غلبوا بها السَّحرة، ولم تمنع عنهم فرعون، والله أعلى وأعلم.

* * *

(١) **ينظر**: تَفْسِير القرطبي: ١٦/٢٨١، تَفْسِير ابن الجوزي المُسَمَّى زاد المسير في علم التَفْسِير، للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن عليّ بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، (ت ٥٩٧هـ): ٦/٢٢١، ط/ المكتب الإسلامي، بيروت، الثالثة ، ١٩٨٤م .

﴿ المطلب الثاني ﴾

حاجة مَنْ أراد التَفْسِير لمعرفة مواضع الوقف

لا يتأتَّى لأحدٍ معرفة معاني القرآن ولا استنباط الأدلَّة الشَّرعية منه إلا بمعرفَةِ الفواصل، فمَنْ لم يعرفْ الوقف لم يعلَمِ القرآن؛ لذلك لا غنى لمَنْ أراد التَفْسِير عن معرفة مواضع الوقف والابتداء للتفريق بين المَعْنيين المْختلفين، والنقِيضَين المُتباينَيْن، والحُكْمَين المُتَغايرَين لحلِّ كثير من الإشْكالات والمُعْضِلات في تفسير وبيان النصِّ القرآني، وبيان مراد الله عَزَّوَجَلَّ من كلامه، وهذه بعض الأمثلة للتدلِيل على ما تقدَّم ذكره:

١- قوله تعالى: ﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٩ - ١٩٠]، فإن الآية في قصة آدم وحواء، كما يُفْهم من السِّياق؛ لكن آخر الآية مُشْكلٌ؛ حيث قد يُوهِم نسبة الإشراك إلى آدم وحواء، وآدم نبيٌّ، والأنبياء معصُومون من الشرك قبل النبوة وبعدها إجماعًا، ومعرفة المُفسِّر بمواضع الوقف والوصل هو سبيل بيان مراد الله من كلامه، والخروج من هذا الإشْكال.

قال ابن كثير: «لَيْسَ الْمُرَادُ مِنْ هَذَا السِّيَاقِ آدَمُ وَحَوَّاءُ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾»، وقال ابن جرير: «إن القول في تأويل قوله: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾، ليس بالذي ظننت، وإنما القول فيه: فتعالى الله عما يشرك به مشركو العرب من عبادة الأوثان، فأما الخبر عن آدم وحواء فقد انقضى عند قوله: ﴿ جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾، ثم استؤنف قوله: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾»(١).

قلت: فبمعرفة الفصل والوصل انْحَلَّت هذه العُقدة، وانْجَلت هذه المُعْضِلة، واتْضح بذلك أن آخر قصة آدم وحواء فيما آتاهما، وأن ما بعده تَخَلُّص إلى قصة العرب وإشراكهم الأصْنام، ويُوضِّح ذلك تغيير الضمير إلى الجمع بعد التثنية، ولو كانت القصة واحدة لقال:

---

(١) **ينظر**: تَفْسِير الطبري: ٦١٧/١٠ وما بعدها، تَفْسِير ابن كثير: ٤٧٩/٦ وما بعدها.

عما يشركان؛ كقوله: ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا﴾، وقوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾، وكذلك الضمائر في قوله : ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا﴾ بعده إلى آخر الآيات، وحُسْن التخلُّص والاستِطْراد من أساليب القرآن.

٢- قوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾[الإنسان:١٥/١٦] .

قال ابن عاشور: «وفِعْلُ ﴿كَانَتْ﴾ هُنا تَشْبِيهٌ بَلِيغٌ، والمَعْنى: إنَّها مِثْلُ القَوارِيرِ في شَفِيفِها، وقَرِينَةُ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿مِن فِضَّةٍ﴾؛ أيْ هي مِن جِنْسِ الفِضَّةِ في لَوْنِ القَوارِيرِ؛ لِأنَّ قَوْلَهُ: ﴿مِن فِضَّةٍ﴾ حَقِيقَةٌ، فَإنَّهُ قالَ قَبْلَهُ: ﴿بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ﴾، ولَفْظُ ﴿قَوَارِيرَا۠﴾ الثّانِي، يَجُوزُ أنْ يَكُونَ تَأْكِيدًا لَفْظِيًّا لِنَظِيرِهِ لِزِيادَةِ تَحْقِيقِ أنَّ لَها رِقَّةَ الزُّجاجِ، فَيَكُونُ الوَقْفُ عَلى ﴿قَوَارِيرَا۠﴾ الأوَّلِ، ويَجُوزُ أنْ يَكُونَ تَكْرِيرًا لِإفادَةِ التَّصْنِيفِ، فَإنَّ حُسْنَ التَّنْسِيقِ في آنِيَةِ الشَّرابِ مِن مُكَمِّلاتِ رَوْنَقِ مَجْلِسِهِ، فَيَكُونُ التَّكْرِيرُ مِثْلَ ما في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر :٢٢]، فَيَكُونُ الوَقْفُ عَلى ﴿قَوَارِيرَا۠﴾ الثّانِي»[1].

قلتُ: ومن هنا يتبيَّن لنا حاجة من أراد التَفْسِير لمعرفة علم الوقف والابتداء، وأنه من العُلوم التي تُفسَّرُ بها وجوهُ المعاني القرآنية، والتعدُّد في الوقف قد يحصُلُ به ما يحصُلُ بتعدُّد وجوه القراءات من تعدُّد المعنى مع اتحاد الكلمات، فإذا وقف على قوله: ﴿قَوَارِيرَا۠﴾ الأول كان ﴿قَوَارِيرَا۠﴾ الثاني تأكيدًا، وإذا وقف على: ﴿قَوَارِيرَا۠﴾ الثاني كان المعنى الترتيب والتصنيف، والله أعلم.

٣- قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ۚ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ ...﴾[الحديد:٢٧].

فقد جَعَلَ الله في قلوب أتباع عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الرأفة والرحمة، أما الرهبانية فلم يجعلها في قلوبهم؛ إنما هم ابتدعوها، فالوقف على قوله: ﴿وَرَحْمَةً﴾، وهنا تمَّ الكلام، ثم الابتداء بعدها ﴿وَرَهْبَانِيَّةً﴾ يفرق بين المعنى الثابت والمعنى المنفي، ولو وَصَلَ القارئ ثم وقفَ على قوله: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً﴾؛ لفسد المعنى، ولأَوْهَمَ الوقف عليها أنها معطوفة على

(١) **ينظر**: تَفْسِير ابن عاشور: ٢٩/٣٩٣.

قوله: ﴿رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗ﴾ وليس الأمر كذلك، **قال القرطبي**: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلۡنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ عَلَى دِينِهِ؛ يَعْنِي الْحَوَارِيِّينَ وَأَتْبَاعَهُمْ ﴿رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗ﴾؛ أَيْ مَوَدَّةً، فَكَانَ يُوَادُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. وَقِيلَ: هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُمْ أُمِرُوا فِي الْإِنْجِيلِ بِالصُّلْحِ وَتَرْكِ إِيذَاءِ النَّاسِ، وَأَلَانَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِذَلِكَ، بِخِلَافِ الْيَهُودِ الَّذِينَ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ، وَحَرَّفُوا الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ. وَالرَّأْفَةُ: اللِّينُ، وَالرَّحْمَةُ: الشَّفَقَةُ، **وَتَمَّ الْكَلَامُ**. ثم قال: ﴿وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا﴾؛ أَيْ مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِهِمْ. وَالْأَحْسَنُ أَنْ تَكُونَ الرَّهْبَانِيَّةُ مَنْصُوبَةً بِإِضْمَارِ فِعْلٍ، قَالَ أَبُو عَلِيٍّ: وَابْتَدَعُوهَا رَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: أَيِ ابْتَدَعُوهَا رَهْبَانِيَّةً، **وقال الألوسي**: ﴿وَرَهۡبَانِيَّةً﴾ مَنصُوبٌ بِفِعْلٍ مُضْمَرٍ يُفَسِّرُهُ الظّاهِرُ؛ أيْ وابْتَدَعُوا رَهْبانِيَّةً، واعْتُرِضَ بِأنَّهُ يُشْتَرَطُ فِيهِ - كَما قالَ ابْنُ الشَّجَرِيِّ وأبُو حَيّانَ - أنْ يَكُونَ الاسْمُ السّابِقُ مُخْتَصًّا يَجُوزُ وُقُوعُهُ مُبْتَدَأً والمَذْكُورُ نَكِرَةٌ لا مُسَوِّغَ لَها مِن مُسَوِّغاتِ الِابْتِداءِ، وحكى عن الزَّمَخْشَرِيُّ أنَّه جَوَّزَ العَطْفَ المَذْكُورَ، وفَسَّرَ الجَعْلَ بِالتَّوْفِيقِ، كَأنَّهُ قِيلَ: وفَّقْناهم لِلتَّراحُمِ بَيْنَهم ولِابْتِداعِ الرَّهْبانِيَّةِ واسْتِحْداثِها بِناءً عَلى مَذْهَبِهِ أنَّ الرَّهْبانِيَّةَ فِعْلُ العَبْدِ المَخْلُوقُ لَهُ بِاخْتِيارِهِ، ولا يَخْفى ما في هَذا التَفْسِيرِ مِنَ العُدُولِ عَنِ الظّاهِرِ؛ لَكِنَّ الإنْصافَ أنَّهُ لا يَحْسُنُ العَطْفُ بِدُونِ هَذا، وتَفْسِيرُ الرَّهْبانِيَّةِ بِما هو مِن أفْعالِ القُلُوبِ؛ كالخَوْفِ المُفْرِطِ المُقْتَضِي لِلْغُلُوِّ في التَّعَبُّدِ، ويُرادُ في جَعَلْنا في قُلُوبِهِمْ رَهْبانِيَّةً الأعْمالَ التَّعَبُّدِيَّةَ الشّاقَّةَ؛ كَرَفْضِ الدُّنْيا وشَهَواتِها مِنَ النِّساءِ وغَيْرِهِنَّ، ولَيْسَ الدّاعِي لِلتَّأْوِيلِ الِاعْتِزالَ؛ بَلْ كَوْنُ الرَّهْبانِيَّةِ بِمَعْنى الأعْمالِ البَدَنِيَّةِ لَيْسَتْ مِمّا تُجْعَلُ في القَلْبِ كالرَّأْفَةِ والرَّحْمَةِ فَتَأمَّلْ (١).

* * *

(١) تَفْسِير القرطبي: ٢٧١/٢٠، تَفْسِير الألوسي: ١٩٠/٢٧.

المبحث الثاني

التكامل بين كُتُب الوقف والابتداء وكتب التَفْسِير

☙ المطلب الأول ❧

كُتُب الوقف والابتداء التي عُنِيت بالتَفْسِير

التَفْسِير هو إحْدى الركائِزِ الأسَاسية لعلمِ الوقف والابتداء، ومن تأمَّل توجيهات علماء الوقف وأقوالهم يُلاحظُ أنها ترجمةٌ لأقوالِ المُفَسِّرين؛ بل تعدُّد مواضع الوقف والابتداء مُرتبِطٌ ارتباط وثيق بتعدُّد آراء المُفَسِّرين في كثير من الحالات، ولمَّا كان للتفسير هذا الشأن الكبير فقدْ أثَّر تأثيرًا واضِحًا في اعتبار أحكام الوقف وتحديد مواضعه؛ لذا فليس من الغريب ما نجِدُه من اعتناء علماء الوقف والابتداء بعِلْمِ التَفْسِير، وإيراد الكثير من آراء المُفَسِّرين في كُتُبِهم، كما سيأتي بيانه.

فمَنْ أَئِمَّة الوقف والابتداء الذين اهتموا بعِلْم التَفْسِير، وأوردوا كثيرًا من الآراء التَفْسِيرية في كتبهم الإمام **السَّجاوندي**، فهو يُورِد في كتبه كثيرًا من آراء المُفَسِّرين منسوبة إلى قائليها أو غير منسوبة، وقد يرجِّح بين هذه الأقوال أحيانًا، وهذا نموذج من المباحث والآراء التفْسِيرية ممَّا أورده في كتابه «الوقف والابتداء» تُوضِّح ما سبق [(١)]:

١- قوله بالوقف على لفظ ﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ﴾ [الأنعام:٣] مُعلِّلًا وجْه الوقف مُرجِحًا إيَّاهُ بالتَفْسِير قال: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ وقفٌ مطلق؛ أي أَنَّهُ الْمَدْعُوُّ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ؛ أَيْ: يَعْبُدُهُ وَيُوَحِّدُهُ وَيُقِرُّ لَهُ بِالْإِلَهِيَّةِ أهل السَّمَوَاتِ وأهل الْأَرْضِ، وَيُسَمُّونَهُ اللَّهَ، وَيَدْعُونَهُ رَغَبًا ورهَبًا، إِلَّا مَنْ كَفَرَ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَهَذِهِ الآيَةُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞ﴾[الزُّخْرُف: ٨٤]؛ أَيْ: هُوَ إِلَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَإِلَهُ مَنْ فِي الْأَرْضِ، وَعَلَى هَذَا فَيَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ﴾ خَبَرًا أَوْ حَالًا، وقيل: إِنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وَقْفٌ تَامٌّ، ثُمَّ اسْتَأْنَفَ الْخَبَرَ فَقَالَ: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ يَعۡلَمُ

(١) **ينظر**: كتاب الوقف والابتداء، للعلَّامة بن طيفور السَّجاوندي: ص ٦١، ٦٢.

سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾، وَهَذَا اخْتِيَارُ ابْنِ جَرِيرٍ. وقيل: لا وقْف؛ ليصير التقدير: وهو يعلَمُ سرَّكم وجهركم في السماوات وفي الأرض، فلا يخفَى عليه شيء. قال النحاس: وهو أحسن ما قيل فيه، وقيل غير هذا.

واختياري: الوقف على قوله: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ ﴾ وهو وقفٌ تامٌّ مراعاة للتنزيه عن قول الْقَائِلِينَ بِأَنَّهُ - تَعَالَى عَنْ قَوْلِهِمْ عُلُوًّا كَبِيرًا- فِي كُلِّ مَكَانٍ؛ لأن لفظ الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾علمًا، فإذا وصلته بالمحلِّ أوْهَمَ أن يكون الباري سبحانه في محلٍّ، كما تقول: زيد في البيت وتعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، والقاعدة تنزيهه عَزَّوَجَلَّ عن الحركة والانتقال وشغل الأمكنة [1].

٢- وقال مُرجِّحًا عدم الوقف على لفظ ﴿عَزِيزٌ﴾من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[التوبة:١٢٨]. قال: ﴿عَزِيزٌ﴾ على تأويل ﴿عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ واستقامة ما أثمتم؛ والمعنى: شديد عليه ما أثمتم، ولا وقْف في الآية، فكان اعتماده في منْع الوقف على هذا الموضع الخلل الذي يؤدي إليه تفسير المعنى بالوقف على ﴿عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾.

قال ابن جُزيِّ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ يعني النبي ﷺ، والخطاب للعرب أو لقريش خاصة؛ أي: من قبيلتكم؛ حيث تعرفون حسبه وصدقه وأمانته، أو لبني آدم كلهم؛ أي من جنسكم، وقرئ من أنفَسِكُم بفتح الفاء[2]؛ أي من أشرفكم ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾؛ أي: يشقُّ عليه عنتكم، **والعنت**: هو ما يضرُّهم في دينهم أو دنياهم، وعزيز صفة للرسول، وما عنتم فاعل بعزيز، وما مصدرية أو ما عنتم مصدر، وعزيز خبر مقدّم، والجملة في موضع الصفة.

وقال الألوسي: ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ﴾ أيْ شَدِيدٌ شاقٌّ مِن عَزَّ عَلَيْهِ بِمَعْنى صَعُبَ وشَقَّ ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ ؛ أيْ:ما يَلْحَقُكم مِنَ المَكْرُوهِ كَسُوءِ العاقِبَةِ والوُقُوعِ في العَذابِ، وقِيلَ: إنَّ ﴿ عَزِيزٌ ﴾ نَعْتٌ حَقِيقِيٌّ لِرَسُولٍ، **وعِنْدَهُ تَمَّ الكَلامُ**، و﴿عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ابْتِداءُ كَلامٍ؛ أيْ

(١) **ينظر**: تَفْسِير القرطبي: ٣٢٣/٨، تَفْسِير ابن عطية: ٣١٣/٣ وما بعدها.
(٢) وهى من القراءات الشاذة لا يُتعبد بتلاوتها ولا تقرأ في الصلاة، ولكن أجاز العلماء الإستدلال بها في الأحكام وتفسير القرآن وفقه اللُّغة، ينظر الواضح في علوم القرآن ص١٨

يُهِمُّهُ ويَشُقُّ عَلَيْهِ عَنَتُكم.

وقال القرطبي: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾؛ أَيْ يَعِزُّ عَلَيْهِ مَشَقَّتُكُمْ. **وَالْعَنَتُ**: الْمَشَقَّةُ(١).

واختياري: هو عدم الوقف على ﴿عَزِيزٌ﴾، ووصلها بـ ﴿عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ بسبب الخلل الذي يؤدي إليه تفسير المعنى بالوقف على جملة ﴿عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ منفردة والله أعلم.

ومن أَئِمَّة الوقف والابتداء الذين اهتموا بعلم التَفْسِير، وأوردوا كثيرًا من الآراء التَفسِيرية في كُتُبِهم العلَّامة **الأشْمُوني**، فهو يُورِد في كتابه كثيرًا من آراء المُفَسِّرين، وقد يرجِّحُ بين هذه الأقوال أحيانًا، وهذا نموذج من المباحث والآراء التَفْسِيرية مما أورده في كتابه «منار الهدى في الوقف والابتدا» تُوضِّح ما سبق:

١- الوقف على ﴿ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾[النساء:١٥٧].

قال الأشْمُوني: الوقف على ﴿ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ وقْف بيان، ويبتدِئُ بقوله: ﴿رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ على أنه منصوب بإضمار أعني؛ لأنهم لم يقرُّوا بأنَّ عيسى ابن مريم رسول الله، فلو وصلنا «عيسى ابن مريم» بقوله: ﴿رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ لذهب فهم السامع إلى أنَّه من تتمة كلام اليهود الذين حكى الله عنهم، وليس الأمر كذلك، وهذا التعليل يرقِّيه إلى التمام؛ لأنَّه أدلُّ على المراد، وهو من باب صَرْف الكلام لما يصلُحُ له، ووصله بما بعده أولى؛ فإنَّ رسول الله عطْف بيان، أو بدل، أو صفة لعيسى كما أنَّ عيسى بدل من المسيح، وأيضًا فإنَّ قولهم: ﴿رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ هو على سبيل الاستهزاء منهم به؛ كقول فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٧]، وهو غاية في بيان هذا الوقف لمَنْ تدبَّرَ(٢).

قال السَّمَرْقندي: وقولهم: أي وبقولهم: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾، هذا قول الله لا قول اليهود وقول اليهود إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم، ثم قال الله تعالى:

---

(١) **ينظر**: تَفْسِير ابن جُزيٍّ المُسَمَّى التسهيل لعلوم التنزيل، للإمام أبي القاسم محمد بن أحمد بن جـزي الكلبي، ضبطه/ محمد سالم هاشم: ٣٧٤/١، ط/ دار الكتـب العربيـة، بـيروت، الأولى ١٩٩٥م، تَفْـسِير الألوسي: ٥٧/١١، تَفْسِير القرطبي: ٤٤٠/١٠.

(٢) **ينظر**: مَنارُ الهُدى: ٢٠٠/١، ٢٠١ .

﴿رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ يعني الذي هو رسول الله [1].

قال ابن عطية: قوله: ﴿رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ إنما هو إخبار من الله تعالى بصفة لعيسى، وهي الرسالة على جهة إظهار ذنب هؤلاء المقرِّين بالقتل ولزمهم الذنب [2].

واختياري: بعد مطالعة عامة أقوال المُفَسِّرين أن الوجهين جائزان كما يلي:

الوجه الأول: أنها من تتمة كلام اليهود على تقدير هَذَا الَّذِي يزعم أنه رسولٌ، ويَدَّعِي لِنَفْسِهِ هَذَا الْمَنْصِبَ قَتَلْنَاهُ منْ بَابِ (التَّهَكُّمِ وَالِاسْتِهْزَاءِ)، وتفاخرًا بما فعلوه، وعلى هذا التقدير لا وقْف حتى يصل الكلام الواحد؛ لِئلا يفصل بين النعت والمنعوت، والبدل والمبدل منه.

والوجه الثاني: احتمال أن تكون من كلام الله مدحًا لعيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وتقريرًا لرسالته، بجعلِ الذِّكْر الحَسُن مكان القبيح الذي كانوا يطلقونه عليه، وهو الموافق لرأي عامة المُفَسِّرين، وعليه فيجوزُ الوقف على ﴿ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ والابتداء بما بعده على تقدير أمدح، أو أعنى عيسى ابن مريم، والله تعالى أعلى وأعلم.

٢- عدم الوقف على لفظ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة:٢٠]؛ لتعلُّق ﴿إِذْ﴾ من قوله: ﴿إِذْ جَعَلَ﴾ بما قبلها، واختلف في الوقف على ﴿مُّلُوكًا﴾ قيل: وقفٌ حَسَنٌ إنْ جَعَلَ ما بعد لأمة محمد ﷺ، وتكون جملة ﴿وَءَاتَىٰكُم﴾ مستأنفة باعتبار انفصال المعنى عمَّا سبق، وقيل: ليس بوقف لمَنْ قال: إن الخطاب لقوم موسى، وتكون جملة ﴿وَءَاتَىٰكُم﴾ في محلّ جرّ معطوفة على جملة ﴿جَعَلَ فِيكُمْ﴾، باعتبار اتصال المعنى بما سبق، وهذا الاختلاف ناتج عن اختلاف المُفَسِّرين في توجيه المقصود بقوله: ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ على ما تقدَّم بيانه [3].

---

(١) **ينظر**: تَفْسِير السَّمَرْقندي المُسَمَّى بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، تحقيق الشيخ/ عليّ محمد معوض وآخرون: ٤٠٢/١، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٩٩٣م.

(٢) **ينظر**: تَفْسِير ابن عطية: ٦٠/٣ وما بعدها.

(٣) **ينظر**: مَنارُ الهُدى: ٢١٢/١.

قال **ابن جرير**: «وأولى التأْوِيلين في ذلك عندي بالصواب، قولُ مَنْ قال: ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، في سياق قوله: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾، ومعطوفٌ عليه. ولا دَلالة في الكلام تدلُّ على أن قوله: ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ مصروف عن خطاب الذين ابتدئَ بخطابهم في أوّل الآية، فإذا كان ذلك كذلك، فأنْ يكون خطابًا لهم، أولى من أن يقال: هو مصروف عنهم إلى غيرهم»[(١)].

وقال **ابن كثير**: «وَالْجُمْهُورُ عَلَى أَنَّهُ خِطَابٌ مَنَّ مُوسَى لِقَوْمِهِ وَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى عَالَمِي زَمَانِهِمْ، كَمَا قَدَّمْنَا، وَقِيلَ: الْمُرَادُ: وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ؛ يَعْنِي بِذَلِكَ: مَا كَانَ تَعَالَى نَزَّلَهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَنِّ وَالسَّلْوَى، وتَظلَّلهم مِنَ الْغَمَامِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، مِمَّا كَانَ تَعَالَى يَخُصُّهُمْ بِهِ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ»[(٢)].

وقال **الشوكاني**: «وَالصَّوَابُ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ جُمْهُورُ المُفَسِّرين مِنْ أَنَّهُ مِنْ كَلَامِ مُوسَى لِقَوْمِهِ، وَخَاطَبَهُمْ بِهَذَا الْخِطَابِ تَوْطِئَةً وَتَمْهِيدًا لِمَا بَعْدَهُ مِنْ أَمْرِهِ لَهُمْ بِدُخُولِ الأرض المقدسة»[(٣)].

واختياري: هو ما ذهب إليه الجمهور أن الكلام يعود على أمة موسى، لعدم العدول عن الظاهر بغير موجب، وبناءً عليه تكون جملة ﴿وَءَاتَىٰكُم...﴾ في محلّ جرّ معطوفة على جملة ﴿جَعَلَ فِيكُمْ﴾ باعتبار اتصال المعنى بما سبق، ويترتَّبُ على ذلك أن الأولى هو عدم الوقف على ﴿مُّلُوكًا﴾ للتعلُّق اللفظي بينها وبين ما بعدها.

ومن أَئِمَّة الوقف والابتداء الذين اهتموا بعلم التَفْسِير، وأوردوا كثيرًا من الآراء التَفْسِيرية في كتبهم العلَّامة **أبو جعفر النَّحاس،** فقد أورد في كتابه كثيرًا من آراء المُفَسِّرين، وقد يرجِّحُ بين هذه الأقوال أحيانًا، وهذا نموذج من المباحث والآراء التَفْسِيرية مما أورده في كتابه «القطع والائتناف» تُوضِّح ما سبق:

١- الوقف على ﴿مَثَلًا﴾ الموضع الثاني من قوله تعالى ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ

---

(١) **ينظر**: تَفْسِير الطبري: ٢٨٣/٨.

(٢) **ينظر**: تَفْسِير ابن كثير: ١٤٨/٥.

(٣) **ينظر**: تَفْسِير الشَّوْكاني الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التَفْسِير، تأليف/ محمد بن عليّ بن محمد الشوكاني (ت١٢٥٠)، اعتنى به/ يوسف الغُوش: ص٣٦٣، ط/ دار المعرفة.بيروت، الرابعة، ٢٠٠٧م.

كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرًاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾[البقرة:٢٦] .

مُرجِّحًا إيَّاهُ بالتَفْسِير أن ما بعده من كلام الله ردًّا على الكافرين، والمعنى يُضِلُّ الله بهذا المثل كثيرًا من أهل النفاق والكفر الذين يكذِّبونه وينكِرُونه، فيزيدهم ضلالًا إلى ضلالهم، ويهدي به كثيرًا من المؤمنين، بأن يوفقهم لمعرفة هذا المثل، فيزيدُهم هدى إلى هداهم [(١)].

قال **الثعالبي**: «واختلف في قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرًا﴾ هل هو من قول الكافرين أم خبر من الله تعالى، ولا خلاف أن قوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ من قول الله تعالى» [(٢)].

وقال **الألوسي**: «وجَوَّزَ بَعْضُهم أنْ يَكُونَ قَوْلُهُ تَعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا﴾ وما بعده في مَوْضِعِ الصِّفَةِ لِمَثَلٍ، فَهو مِن كَلامِ الكَفّارِ، ولَعَلَّهُ مِن بابِ المُماشاةِ مَعَ المُؤْمِنِينَ؛ إذْ هُمْ لَيْسُوا بِمُعْتَرِفِينَ بِأنَّ هَذا المَثَلَ يُضِلُّ اللَّهُ بِهِ كثيرًا ويَهْدِي بِهِ كثيرًا، وأغْرَبُ مِن هَذا تَجْوِيزُ ابْنِ عَطِيَّةَ أنْ يَكُونَ ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا﴾ مِن كَلامِ الكُفّارِ، وما بَعْدَهُ مِن كَلامِ اللَّهِ تَعالى، وهو إلْباسٌ في التَّرْكِيبِ، وعُدُولٌ عَنِ الظّاهِرِ مِن غَيْرِ دَلِيلٍ، وإسْنادُ الإضْلالِ إلَيْهِ تَعالى حَقِيقِيٌّ، وقَدْ تَقَدَّمَ وجْهُهُ فَلا التِفاتَ إلى ما في «الكَشّافِ»؛ لِأنَّهُ نَزْغَةٌ اعْتِزالِيَّةٌ، والضَّمِيرُ في ﴿بِهِۦٓ﴾ لِلْمَثَلِ، أوْ لِضَرْبِهِ في المَوْضِعَيْنِ، وقِيلَ في الأوَّلِ لِلتَّكْذِيبِ، وفي الثّانِي لِلتَّصْدِيقِ» [(٣)].

وقال **النسفي**: «قوله تعالى: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ يوقف عليه؛ إذ لو وصل لصار ما بعده صفة له: وليس كذلك» [(٤)].

---

(١) **ينظر**: القطع والائتناف: ص٤٦.

(٢) **ينظر**: تَفْسِير الثعالبي المُسَمَّى بالجواهر الحسان في تَفْسِير القرآن للإمام/ عبد الحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي المالكي (ت٨٧٥هـ)، حققه الشيخ/ عليّ محمد معوض وآخرون: ٢٠٣/١، ط/ دار إحياء التراث العربي بيروت، الأولى ، ١٩٩٧م.

(٣) **ينظر**: تَفْسِير الألوسي: ٢٠٩/١، ٢١٠.

(٤) **ينظر**: تَفْسِير النسفي: ٤٠/١.

وقال **ابن عثيمين**: «قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا﴾ الجملة استئنافية لبيان الحكمة من ضرب المثل بالشيء الحقير؛ ولهذا ينبغي الوقوف على قوله: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًاۘ﴾؛ وقوله: يضل به أي: بالمثل؛ كثيرًا أي من الناس»[(١)].

واختياري: هو الوقف على قوله تعالى: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًاۘ﴾ تبعًا لقول عامة النُّحاة وعلماء الوقف والتَفْسِير، ولأن الوصل يُغَيِّر الدَلالة، والله أعلم.

٢- جواز وصل ﴿وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ﴾ بما قبلها من قوله: ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [آل عمران:٣٠] إن جعلت ﴿وَمَا﴾ الثانية في موضع نصب عطفًا على ﴿مَّا﴾ الأولى، وتودُّ مستأنفًا، فيكون الوقف على ﴿وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ﴾، والتقدير: يوم تجِدُ كُلُّ نفسٍ ما عمِلتْ من خيرًا محضرًا وما عمِلتْ من سوءٍ كذلك، وعلى هذا الوجه فلا يُوقَفُ على ﴿مُّحۡضَرٗا﴾؛ لِئلا يُفصَلُ بين العطف والمعطوف، أما إنْ جعلتْ ﴿وَمَا﴾ الثانية في موضع رفع على الخبر فالوقف على قوله: ﴿مُّحۡضَرٗا﴾ والتقدير: يوم تجد كل نفس ما عملت محضرًا؛ أي: تجد ثواب ما عملت، لا يغادر منه شيء، واستئناف ما بعد محضرًا، وهو قوله: ﴿وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ﴾ جعلت ﴿وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ﴾ عطفًا على ﴿مَّا﴾ الأولى، وجعلت ﴿تَوَدُّ﴾ في موضع نصْبٍ على الحال فالتمامُ عند قوله: ﴿أَمَدَۢا بَعِيدٗا﴾[(٢)].

قال ابن كثير: «يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْضُرُ لِلْعَبْدِ جَمِيعُ أَعْمَالِهِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرّ، فما رأى من أعماله حسنًا سرَّه ذلك، وما رأى من قبيح ساءه وغاظه، وودَّ لو أنَّه تبرَّأ منه»[(٣)].

وقال ابن عاشور: «أَصْلُ الْكَلَامِ: يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ شَرٍّ مُحْضَرًا، تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَمَدًا بَعِيدًا؛ لِيَكُونَ ضَمِيرُ بَيْنَهُ عَائِدًا إِلَى يَوْمَ أَيْ تَوَدُّ أَنَّهُ

---

(١) **ينظر**: تَفْسِير ابن عثيمين المُسَمَّي تَفْسِير القرآن الكريم، لفضيلة الشيخ/محمد بن صالح العثيمين: ٩٧/١، ط/ دار ابن الجوزي بإشراف مؤسسة ابن عثيمين الخيرية.

(٢) **ينظر**: القطع والائتناف: ص١٢١، ١٢٢.

(٣) **ينظر**: تَفْسِير ابن كثير: ٤٥/٣ - ٤٦.

تَأَخَّرَ وَلَمْ يَحْضُرْ، وَهَذَا أَحْسَنُ الْوُجُوهِ فِي نَظْمِ هَذِهِ الْآيَةِ، وَأَوْمَأَ إِلَيْهِ صاحب الْكَشَّافِ»[1].

واختياري: أن الراجح هو العطف على تقدير: واذكروا يوم تجِدُ كلُّ نفس ما عملت من خير محضرًا، وما عملت من سوءٍ؛ إذ لا معنى لحضور الخير دون الشر. والله أعلى وأعلم.

ومن أَئِمَّة الوقف والابتداء الذين اهتموا بعلْمِ التَفْسِير، وأوردوا كثيرًا من الآراء التَفْسِيرية في كُتُبِهم شيخ الإسلام **زكريا الأنصاري**، وهذا نموذج من المباحث والآراء التَفْسِيرية مما أورده في كتابه «المقصد لتلخيص ما في المرشد» تُوضِّح ما سبق:

١- القول بالوقف على ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ﴾ من قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾[النحل:٥] وقفًا كافيًا باعتبار الاستئناف، ويكون المعنى: هو خلقها، ثم أخبر أنه خَلَقَ لنا فيها منافع، فيذكر أنواع المنافع والنعم التي أنعم بها علينا[2].

قال أبو حيَّان: «وَالْأَظْهَرُ أَنْ يَكُونَ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ اسْتِئْنَافٌ لِذكرِ مَا يُنْتَفَعُ بِهَا مِنْ جِهَتِهَا، وَدِفْءٌ مُبْتَدَأٌ وَخَبَرُهُ لَكُمْ، وَيَتَعَلَّقُ فِيهَا بِمَا فِي لَكُمْ مِنْ مَعْنَى الِاسْتِقْرَارِ»[3].

وقال الشنقيطي: «وَأَظْهَرُ أَوْجُهِ الْإِعْرَابِ فِي قَوْلِهِ: لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ أَنَّ قَوْلَهُ: دِفْءٌ مُبْتَدَأٌ خَبَرُهُ لَكُمْ فِيهَا، وَسَوَّغَ الابْتِدَاءَ بِالنَّكِرَةِ؛ اعْتِمَادُهَا عَلَى الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ قَبْلَهَا، وَهُوَ الْخَبَرُ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ»[4].

وذَكَرَ بعض المُفَسِّرين أن الجملة حالية على تقدير: ما خلقها إلا لكم ولمصالحكم، وعلى ذلك يوقف على قوله: ﴿لَكُمْ﴾، وهو قول البيضاوي والسعدي وغيرهما.

قال البيضاوي: «﴿خَلَقَهَاۗ لَكُمْ﴾ بيان ما خُلِقتْ لأجله، وما بعده تفصيل له ﴿فِيهَا دِفْءٌ﴾ ما يُدْفَأُ به، فيقي البرد. وَمَنافِعُ نسْلها ودرَّها وظهورها، وإنما عبَّر عنها

(١) **ينظر**: تَفْسِير ابن عاشور: ٣/٢٢٣.

(٢) **ينظر**: المَقْصِد: ص١٠٣

(٣) **ينظر**: تَفْسِير أَبِي حيَّان: ٥/٤٦٠.

(٤) **ينظر**: تَفْسِير الشنقيطي المُسَمَّى «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن»، تأليف/الشيخ العلَّامة محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ): ٣ /٢٦٤، ط/ دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع بمكة المكرمة، الأولى، ١٤٢٦هـ.

بالمنافع؛ ليتناول عوضها»[1].

قال السَّعدي: «﴿ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ ﴾ أي: لأجلكم، ولأجل منافعكم ومصالحكم، من جملة منافعها العظيمة أن لكم فِيهَا دِفْءٌ مما تتخذون من أصوافها وأوبارها، وأشعارها»[2].

واختياري: هو القول بجواز الوصل مع أولوية الوقف على ﴿خَلَقَهَا﴾ باعتبار أن جملة ﴿لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ﴾ جملة مستأنفة. والله أعلى وأعلم.

٢- القول بالوقف على ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ ﴾ من قوله: ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ [التحريم:٤] مُرَجِّحًا ذلك بتفسير المولى بمعنى الولي الناصر، وما يترتَّب على ذلك من عطف لفظ ﴿وَجِبۡرِيلُ﴾ على لفظ الجلالة[3].

قال ابن جرير: «قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ يقول: فإن الله هو وليه وناصره،وجبريل أيضًا وليُّه وناصره، وخيارُ المؤمنين أيضًا، وقيل: عني بصالح المؤمنين في هذا الموضع: أبو بكر، وعمر»[4].

قال ابن جُزيّ: «وهذا أظهر وأرجح الوجهين؛ لأن معنى الناصر أليق؛ لما فيه من الكرامة والتشريف للنبي ﷺ، واختار البعض أن ﴿ مَوۡلَىٰهُ ﴾ بمعنى السيد والخالق، ويترتَّبُ عليه استئناف ﴿وَجِبۡرِيلُ﴾ باعتباره مبتدأ، وبذلك يُوقَفُ على ﴿مَوۡلَىٰهُ﴾»[5].

(١) **ينظر**: تَفْسِير البيضاوي المُسَمَّى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل، تأليف/ ناصر الدين أبي الخير عبد الله ابن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت٦٩١هـ)، إعداد وتقديم/ محمد عبد الرحمن المرعشلي: ٢٢٠/٣، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) **ينظر**: تَفْسِير السعدي المُسمَّى تيسير الكريم الرحمن في تَفْسِير كلام المنَّان، تأليف العلامة/ عبد الرحمن بن ناصر السعدي،تقديم د/ عبد الرحمن اللويحق: ص٥٠٥، ط/ دار السلام للنشر والتوزيع السعودية، الثانية،١٤٢٢هـ.

(٣) **ينظر**: المَقْصِد: ص١٧٨.

(٤) **ينظر**: تَفْسِير الطبري: ٩٧/٢٣.

(٥) **ينظر**: تَفْسِير ابن جزي: ٤٦٣/٢.

قَالَ أَبُو حَيَّانَ: «وَالْأَحْسَنُ الْوَقْفُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿مَوْلَىٰهُ﴾ وَيَكُونُ وَجِبْرِيلُ مُبْتَدَأً، وَمَا بَعْدَهُ مَعْطُوفٌ عَلَيْهِ، وَالْخَبَرُ ظَهِيرٌ، فَيَكُونُ ابْتِدَاءُ الْجُمْلَةِ بِجِبْرِيلَ»(١) .

واختياري: بعد استعراض أقوال النحاة والمُفَسِّرين وعلماء الوقف يظهَرُ أن الراجح في معنى مولاه هو (الناصر، والمعين)؛ وبذلك يكون العطف هو الأوْلى، ويترتَّبُ على ذلك عدم الوقف على ﴿مَوْلَىٰهُ﴾ ويوقف على وصالح المؤمنين، والله أعلى وأعلم.

* * *

(١) **ينظر**: تَفْسِير أبي حيَّان: ٨/٢٨٦.

◄ المطلب الثاني ►

كتب التَفْسِير التي عُنيت بالوقف والابتداء

وحيث قد تقرَّر ما للوقف والابتداء من صِلَةٍ وثيقة في فَهْم المعنى وبيان المراد فليس من الغريبِ ما نجِدُه من اعتناء أكثر المُفَسِّرين بعِلْم الوقف والابتداء والإشارة إلى بعض مسائله ومواضعه في كثير من الآيات، وهي تتفاوت قلَّةً وكثرةً، فقَدْ يَقتصرُ بعض المُفَسِّرين بالتَعْلِيق على بعض مواضع الوقف مقتبسًا ذلك من كُتُبِ الوقف والابتداء، وقد يخصُّه البعض ببحثٍ مستقلٍ في تَفْسِيره، وأحيانًا لا يُصَرِّحُون بالوقف؛ بل يُطلِقُون بعض الاصْطِلاحات الأخرى المتقاربة المعاني؛ كالوصل، والقطع، ونحو ذلك ،كما سيأتي بيانه.

فمن المُفَسِّرين الذين اهتموا بالوقف والابتداء في تفاسِيرهم، وأشاروا إلى بعض مسائله ومواضعه في كثير من الآيات **الإمام القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن»**، وقد وقَفْتُ على عشرات المواطن للوقف والابتداء في تفْسيره، وهذا نموذج مما ذكر:

قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح:٢٩] .

قال: فِيهِ خَمْسُ مَسَائِلَ: **الْأُولَى**: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ مُحَمَّدٌ مُبْتَدَأٌ، ورَسُولُ خَبَرُهُ. وَقِيلَ: مُحَمَّدٌ ابتِدَاءٌ، ورَسُولُ اللَّهِ نَعْتُهُ، وَالَّذِينَ مَعَهُ عَطْفٌ عَلَى الْمُبْتَدَأِ، وَالْخَبَرُ فِيمَا بَعْدَهُ، فَلَا يُوقَفُ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ عَلَى ﴿رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾، وَعَلَى الْأَوَّلِ يُوقَفُ عَلَى ﴿رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾؛ لِأَنَّ صِفَاتِهِ ﷺ تَزِيدُ عَلَى مَا وَصَفَ به أصحابه، فيكون محمدٌ ابتداءٌ، ورَسُولُ اللَّهِ الخبر، وَالَّذِينَ مَعَهُ ابتداء ثانٍ، وأَشِدَّاءُ خبره، ورُحَمَاءُ خَبَرٌ ثَانٍ.

وقال في **المسألة الثَّالِثَةُ**: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ﴾ قَالَ الْفَرَّاءُ: فِيهِ وَجْهَانِ، إِنْ شِئْتَ قُلْتَ: الْمَعْنَى ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَفِي الْإِنْجِيلِ أيضًا، كَمَثَلِهِمْ فِي الْقُرْآنِ، فَيَكُونُ الْوَقْفُ عَلَى الْإِنْجِيلِ، وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ: تَمَامُ الكلام ذلك مثلهم في التوراة، ثم ابتداء فَقَالَ: وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ، وَكَذَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ: هُمَا مَثَلَانِ،

أَحَدُهُمَا فِي التَّوْرَاةِ وَالْآخَرُ فِي الْإِنْجِيلِ، فَيُوقَفُ عَلَى هَذَا عَلَى التَّوْراةِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ مَثَلٌ وَاحِدٌ، يَعْنِي أَنَّ هَذِهِ صِفَتُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، فَلَا يُوقَفُ عَلَى التَّوْراةِ عَلَى هَذَا، وَيُوقَفُ عَلَى الْإِنْجِيلِ، وَيَبْتَدِئُ ﴿كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ﴾ عَلَى مَعْنَى وهُمْ كزرعٍ[1].

٢-قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥١ -٥٢].

قال القرطبي في تفسيره فيه أربع مسائل:

وقال في **المسألة الرابعة**: قوله تعالى: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ اختلف في معناه على **أقوال خمسة**:

الأول: أنه ابتداء كلام تنزيه لله تعالى عن هاتين الصفتين، وقد كان الكلام تمَّ في قوله: ﴿فِي كِتَٰبٖ﴾. وكذا قال الزجاج، وأن معنى ﴿لَّا يَضِلُّ﴾ لا يهلك، ﴿وَلَا يَنسَى﴾ شيئًا؛ نزّهه عن الهلاك والنّسيان.

القول الثاني: ﴿لَّا يَضِلُّ﴾ لا يخطئ؛ قاله ابن عباس؛ أي لا يخطئ في التدبير، فمن أنْظَره فلحِكمةٍ أنْظَره، ومن عاجَله فلحِكمةٍ عاجَله.

القول الثالث: ﴿لَّا يَضِلُّ﴾ لا يغيب، قال ابن الأعرابي: أصل الضلال الغَيبوبة؛ يقال: ضلّ الناسِي إذا غاب عنه حفْظ الشيء، قال: ومعنى ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ ؛ أي لا يغيب عنه شيء، ولا يغيب عن شيء.

القول الرابع: قاله الزَّجَّاج أيضًا وهو أشبهها بالمعنى أخبر الله عَزَّوَجَلَّ أنه لا يحتاج إلى كتاب؛ والمعنى: لا يضل عنه علم شيء من الأشياء ولا معرفتها، ولا ينسى ما علِمه منها.

وقول خامس: أن ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ في موضع الصفة لـ ﴿كِتَٰبٖ﴾ أي الكتاب غير ضالٍّ عن الله عَزَّوَجَلَّ؛ أي غير ذاهب عنه ﴿وَلَا يَنسَى﴾؛ أي غير ناسٍ له فهما نعتان لـ ﴿كِتَٰبٖ﴾، وعلى هذا يكون الكلام متصلًا، ولا يُوقَفُ على ﴿كِتَٰبٖ﴾، تقول العرب: ضلَّني الشيء إذا لم أجده، وأضللته أنا إذا تركته في موضع فلم تجده فيه[2].

(١) **ينظر**: تَفْسِير القرطبي: ١٩/٣٤٠ وما بعدها بتصرف.
(٢) **ينظر**: تَفْسِير القرطبي: ١٤/٧٦ وما بعدها بتصرف.

ومن المُفَسِّرين الذين اهتموا بالوقف والابتداء في تفاسِيرهم، وأشاروا إلى بعض مسائله ومواضعه في كثير من الآيات **السَّمِين الحلبي في «الدُّرِ المَصُون»** وقد ذكر عشرات المواطن - أيضًا - للوقف والابتداء في تفْسيره، وهذا نموذج مما ذكر:

١- قوله تعالى: ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ [آل عمران١١٢ - ١١٣]. ٪٪٪٪

قال السَّمِين الحلبي في تفسيره: «قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً﴾: الظاهرُ في هذه الآية أن الوقف على ﴿سَوَآءً﴾ تامٌّ، فإنَّ الواوَ اسمُ ﴿لَيْسُوا۟﴾، و﴿سَوَآءً﴾ خبر، والواو تعودُ على أهل الكتاب المتقدِّم ذكرُهم، والمعنى: أنهم منقسمون إلى مؤمن وكافر، وقال الفراء: إنَّ الوقف لا يَتِمُّ على ﴿سَوَآءً﴾ ، فجعل الواوَ اسمَ ليس و﴿سَوَآءً﴾ خبرها، كما قال الجمهور، و﴿أُمَّةٌ﴾ مرتفعة بـ ﴿سَوَآءً﴾ ارتفاعَ الفاعل، أي: ليس أهلُ الكتاب سواء منهم أمةٌ قائِمَّةٌ موصوفةٌ بما ذُكِر وأمةٌ كافرة، فَحُذِفَتِ الجملةُ المعادِلة لدَلالة القسمِ الأول، والأوجه أن يكون ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً﴾ جملة تامة، وقوله: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ جملة أخرى»[1].

٢- قوله تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر:٤٦] قوله: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ﴾ فيه ثلاثةُ أوجهٍ: **أظهرها**: أنه معمولٌ لقولٍ مضمرٍ؛ وذلك القولُ المضمرُ محكيٌّ به الجملةُ الأمْرِيَّةُ من قوله ﴿أَدْخِلُوٓا۟﴾ والتقدير: ويُقال لهم يومَ تقومُ الساعةُ: أدْخِلوا.

الثاني: أنه منصوبٌ بأدخِلوا أي: أدْخِلوا يومَ تقومُ، وعلى هذين الوجهين فالوقفُ تامٌّ على قوله: ﴿وَعَشِيًّا﴾ .

والثالث: أنه معطوفٌ على الظرفَيْن قبلَه، فيكونُ معمولًا لـ ﴿يُعْرَضُونَ﴾. فالوقفُ على هذا على قولِه: ﴿ٱلسَّاعَةُ﴾. وهذه الآية تدلُّ على عذاب القبر؛ لأنه بيّن ما لهم في الآخرة

(١) **ينظر**: تفسيرالدُّر المصون: ٣/٣٥٤ وما بعدها بتصرف.

ثم قال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟﴾(1).

ومن المتأخرين الذين اهتموا بالوقف والابتداء في تفاسِيرهم، وأشاروا إلى بعض مسائله ومواضعه في كثير من الآيات **الطاهر بن عاشور في «التحرير والتنوير»**، فله تعليقات متكررة ونافعة في مواطن الوقف والابتداء، ولا يخفى إفراده أحد مباحث مقدمة تفسيره الزاكية للوقف والابتداء(2)، وهذا نموذج مما ذكر:

١- قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

قال ابن عاشور: «فَقَدْ يَخْتَلِفُ الْمَعْنَى بِاخْتِلَافِ الْوَقْفِ، كما في قوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾، فَإِذَا وَقَفَ عِنْد كلمة ﴿قَٰتَلَ﴾ وفي رواية (قُتل)(3) كَانَ الْمَعْنَى: أَنَّ أَنْبِيَاءَ كَثِيرِينَ قَتَلَهُمْ قَوْمُهُمْ وَأَعْدَاؤُهُمْ، وَمَعَ الْأَنْبِيَاءِ أَصْحَابُهُمْ، فَمَا تَزَلْزَلُوا لِقَتْلِ أَنْبِيَائِهِمْ، فَكَانَ الْمَقْصُودُ تَأْيِيسَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ وَهَنِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى فَرْضِ قَتْلِ النَّبِي ﷺ فِي غَزْوَتِهِ، وَإِذَا وصل قَوْله: ﴿قَٰتَلَ﴾ عِنْدَ قَوْلِهِ ﴿كَثِيرٌ﴾ كَانَ الْمَعْنَى أَنَّ أَنْبِيَاءَ كَثِيرِينَ قُتِلَ مَعَهُمْ رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ التَّقْوَى، فَمَا وَهَنَ مَنْ بَقِيَ بَعْدَهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، و﴿رِبِّيُّونَ﴾ جمع ربي، وهو المتبع لشريعة الرّبِ، والمراد بهم هنا أتباع الرسل وتلامذة الأنبياء، وجاءت هذ الآية على هذا النظم البديع الصالح لحملِ الكلام على تثبيت المسلمين في حال الهزيمة، وفي حال الإرجاف بقتل النبي ﷺ، وعلى الوجهين في موقع جملة ﴿مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ﴾ يختلف حُسْن الوقف على كلمة ﴿قَٰتَلَ﴾ أو كلمة ﴿كَثِيرٌ﴾»(4).

٢- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦].

وقال ابن عاشور في تفسيره: «قوله: ﴿يَسْتَجِيبُ﴾ بمعنى يُجيب، فالسين والتاء زائدتان

(١) **ينظر**: تفسيرالدُّر المصون: ٤٨٥/٩ بشيء من التصرف.
(٢) **ينظر**: تَفْسِير ابن عاشور، المقدمة الثامنة: ٧٧/١ وما بعدها.
(٣) قرأ نافع والمكي والبصريان ﴿قُتِلَ﴾ بضم القاف وكسر التاء، والباقون ﴿قَاتَل﴾ بفتح القاف التاء وألف بينهما، **ينظر**: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة، تأليف/ عبد الفتاح القاضي: ص٨٧، ط/ الإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية،١٩٩٤م
(٤) **ينظر**: تَفْسِير ابن عاشور: ١١٨/٤ بشيء من التصرُّف.

للتأكيد، ومعنى ﴿يَسۡمَعُونَ﴾ أنهم يفقهون ما يلقى إليهم من الإرشاد؛ لأن الضالين كَمَنْ لا يسمَعُ، فالمقصود سمعٌ خاصٌّ، وهو سمْعُ الاعْتِبار، وأما قوله: ﴿وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ فالوجه أنه مقابل للذين يسمَعُون، ويجوز أن يكونَ البعث استعارة أيضًا للهداية بعد الضلال تبعًا لاستعارة الموت لعدم قبول الهُدى، فيكون على هذا الوجه في الكلام وعدٌ للرسول ﷺ بأنّ بعض هؤلاء الضالّين المكذّبين سيهديهم الله تعالى إلى الإسلام، وهم من لم يسبِقْ في عِلْمِه حرمانهم من الإيمان، فعلى الوجه الأول يكون قوله: ﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾ زيادة في التهديد والوعيد، وعلى الوجه الثاني يكون تحريضًا لهم على الإيمان؛ ليلقوا جزاءهم حين يُرجعون إلى الله، ويجوز أن يكون الوقف عند قوله تعالى: ﴿يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ وتمّ التمثيل هنالك، ويكون قوله: ﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾ استطرادًا تُخلّص به إلى قرْع أسماعهم بإثبات الحشر الذي يقع بعد البعث الحقيقي، فيكون البعث في قوله: ﴿يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ مستعملًا في حقيقته ومجازه(١).

وممَّنْ أفرد الوقف والابتداء وخَصَّه ببحثٍ مُسْتقلٍ في تفسيره **العلامة النَيْسَابوري** في «**غرائب القرآن ورغائب الفرقان**»؛ حيث أكدَّ على أن مدار الوقف والوصل هو المعنى، والتزم هذه الطريقة في عموم تفسيره؛ حيث يذكُرُ الآيات ويُبيِّنُ ما فيها من أوجهِ القراءات، ثم يُبيِّن مواضع الوقوف، بعد ذلك يَنْتقِلُ إلى التَفْسِير، وقد اعتمد وقوف السَّجاوندي، وعرَّف مراتبها، وقال: «ولا مُشاحة في الاصطلاحات بعد رعاية المعنى»(٢) وهذا نموذج مما ذكر:

١- **قوله تعالى**: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [البقرة: ٦ -٧].

قال: فيوقف على ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ ﴿وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡ﴾ ﴿غِشَٰوَةٞ﴾؛ لأن الواو للاستئناف و الجملتين وإن اتفقتا نَظْمًا فالأُولى بيان وصف موجود، والثانية إثبات عذاب موعود، قال: ثم اللَّفْظ يحتمل أن تكون الأسماع داخلة في حكم الختم، وفي حكم التغشية، إلا أن الأَوْلى دخولها في حكم الختم لقوله تعالى: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ﴾

(١) **ينظر**: تَفْسِير ابن عاشور: ٧/ ٢٠٧ ، ٢٠٨ بتصرف واختصار.

(٢) **ينظر**: تَفْسِير النيسابوري: ٤٤/١.

[الجاثية :٢٣]؛ ولهذا يوقف على ﴿سَمْعِهِمْ﴾[1].

٢- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

فيوقف على ﴿بِنَآءً﴾ مع أن قوله: ﴿وَأَنزَلَ﴾ لا يستغني عن سياق الكلام؛ فإن فاعله ضمير يعود إلى الصريح المذكور قبله؛ لكن يُرَخَّص الوقف على قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ لطول الكلام، ولا يلزَمُ الوصل بالعود؛ لأن ما بعده جملة مفهومة [2].

هذا كله مما يُؤكِّدُ على التكامُل بين معرفة مواضع الوقف وتفسير معنى الآية، وسيأتي مزيد من الأمثلة والدَّلائل والفوائد حول هذا الموضوع في الباب الثالث من أبواب هذا البحث بحول الله ومشيئته، والله أعلى وأعلم.

* * *

(١) **ينظر**: تَفْسِير النيسابوري: ١/ ١٥٠، ١٥٣.

(٢) **ينظر**: تَفْسِير النيسابوري: ١/٤٤، ١٧٩.

الفصل الخامس

مُصْطَلحات الوقفِ والتجزئةِ وعلاماتها المشهورةِ بالمصاحفِ

(تحليل وبيان)

المبحث الأول: مصطلحات الوقف ورموزه.

وفيه رصدٌ لتاريخ نَشْأة مصطلحات الوقف ورموزه، وبدء تسمية الوقوف، وبيان أنواعها، وتحديد كُلّ نوعٍ منها بحدٍّ ورمزٍ يخصُّه، والتَّعْريف بما اصْطَلح عليه علماء الوقف والابتداء من الرُّموز والعلَامات لبيان أنواع الوقف الجائز واللازم والممنوع، والتي استقرَّ عليها العمل من اللِّجان المُشْرِفة على طباعة المُصْحَف الشَّريف، **وفيه مطلبان**:

- **المطلب الأول**: نشأة مصطلحات الوقف ورموزه.
- **المطلب الثاني**: أهم علَامات الوقف ورموزه.

المبحث الثاني: مصطلحات التجزئة ورموزها.

وفيه رصدٌ لتاريخ نشأة مصطلحات التجزئة ورموزها، وبدء تحْزيب المُصْحَف وتجزئته، والتَّعْريف بما اصْطَلح عليه علماء الوقف والابتداء من الرُّموز والعلَامات لبيان أجزاء القرآن الكريم وأحْزابه وأرْباعه وأثْمانه، والتي استقرَّ عليها العمل من اللِّجان المُشْرِفة على طباعة المُصْحَف الشَّريف، **وفيه مطلبان**:

- **المطلب الأول**: نشأة مصطلحات التجزئة وعلَاماتها.
- **المطلب الثاني**: أهم علَامات التجزئة ورموزها.

﴿ المبحث الأول ﴾

مصطلحات الوقف ورموزه

﴿ المطلب الأول ﴾

نشأة مصطلحات الوقف ورموزه

الحديث عن مُصْطلحات الوقف ورموزه مَقْـرُونٌ بالرَّصـد التَّـاريخي لهـذه الظَّـاهرة، ومـرتبطٌ أيـضًا بـالاطِّلاع على مـا يمكـن الاطِّـلاع عليـه مـن المـصاحف القديمـة، والمُصَنَّفات الأصِيلة في هذا الفنِّ؛ كي يُثْمِرَ هذا الاستقراء نتائج صحيحة تُفِيدُ الباحثين في هذا المجال، ويَنقسِمُ الكلام عن النشأة هنا إلى قسْمين اثنين:

١- نشأة المصطلحات:

لم يُنْقَلْ عـن رسـول الله ﷺ، ولا عـن أحـدٍ مـن الـصَّحَابة أو التَّـابِعين، أو الأَئِمَّـة المجتهدين تسْمِية الوقوف، وبيان أنواعها، وتحديد كُلِّ نوع منها بحـدٍّ يَخُـصُّه، ويُمَـيِّزه عـن غيره، فإنَّ ذلك كُلّه حدث بَعْدَ الصَّدر الأول؛ ولهذا اختلف العلماء في تسمية الوقوف، وفي أقسامها، فكان لِكُلٍّ منهم اصطلاحٌ خـاصٌّ، وبَـزَغَ نـورُ المـصطلحات مـع إشـعاع جهـود العلماء في التصنيف لهذا العِلْمِ، وكان ذلك في القرن الثَّالـث الهجـري الذي شَـهِدَ شـيوعُ الاعتماد على العلوم اللُّغوية في تفسير النَّصِّ القرآني، وتحديد أنواع الوقـف؛ حيـث أشـار غير واحد من الأَئِمَّة إلى هـذه الظـاهرة، وكان في مقـدمتهم ابـن الأنبـاري (ت٣٢٨ هـ) في كتابه «إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله»، وعَزَّزَ ذلك بما عقده في كتابه من مقدمـةٍ؛ ليُبرز أهمية وارتباط علوم اللُّغةفي تناوُلِ الوقف لبيان المعنى القرآني، وأقام مصطلحاته في الوقف بناءً على الارتباط الوثيق بين اللُّغةوالقرآن، ثم جاء من بعـده أبي جعفـر النحـاس (ت ٣٣٨هـ) الذي أفاض في المباحث التَفْسِيرية والنحوية في ثنايا كتابه «القطع والائتناف»، وتبعه الإمام أبو عمرو الدَّاني (ت ٤٤٤هـ) وهو عَمَدٌ من أعْمِـدَةِ عِلْـمِ القـراءات؛ وذلـك في كتابه «المكتفى في والوقف والابتدا» الذي حَقَّقَ فيه الأقوال، ودَقَّقَ فيه النَّظر، ورجَّـح بـين

المسائل[1]، وهكذا تتابعت التَّصَانِيف وتَعَدَّدَت المُصْطَلحات في التَّقَاسيم والأنواع، وأصْبح الكلام في هذا الباب غيرَ منضبطٍ ولا منحصر لكثرة مصطلحات الأَئِمَّة وتنوُّعِها، كُلٌّ منهم جَنَحَ بحسب ما آل إليه اجتهاده وفكْره، وهو اختلاف تَنَوُّعٍ وتَغَايُرٍ، لا اختلاف تنافُرٍ وتشاجُرٍ؛ إذ المقياس عندهم جميعًا واحدٌ، وهو ربط القرآن بالمعنى الدلالي والإعرابي[2].

٢- نشأة الرموز:

لم يكن علماء الوقف والابتداء الأوائل يُعْنَون بوضع رموز لأنواع الوقفِ بعد ذكر محله على الكلمات، ويظْهر ذلك جَلِيًّا في مؤلفات ابن الأنباري، وأبي جعفر النحاس، وأبي عمرو الدَّاني، وغيرهم من العلماء؛ بل كانوا يُثْبِتُون الوقف باسمه نحو تام، وكافٍ، وحَسَن، وما أشبه ذلك، ثم بدأ تَقْيِيد الرُّمُوز الدَّالة على أنواع الوقوف، وقيل: إن أول الذين استعملوا الرموز لأنواع الوقف في تصانيفهم حسب التسلسل التاريخي هو ابن أوْس المقرئ[3] في كتابه «الوقف والابتداء» ، تبِعه ابن الغزَّال[4] في كتابه «مواضع الوقف» ، واقتفى أثرهما في ذلك ابن طيفور السَّجاوندي في كتابه «الوقف والابتداء» ، وكان في ذلك تمهيدًا لإدخال هذه الرُّمُوز في المصاحف الشَّريفة، وبالاستقراء يبدو أن وقوف السَّجاوندي ورموزه - والتي سيأتي ذكرها - هى التي اشْتُهِرت في تَقْيِيد وقوف المصاحف في هذه الآونة؛ حيث إنه اعْتُمد أصلًا لطباعة كثير من المصاحف في العالم الإسلامي وفق علَامات الوقف والابتداء التي قرَّرها السَّجاوندي، واعتمد النَيْسابوري عليها في تفسيره «غرائب القرآن ورغائب الفرقان»؛ ممَّا يدلُّ على شيوع هذه الوقوف في ذلك الزَّمن[5].

* * *

(١) سبق المزيد من التعريف بهؤلاء الأَئِمَّة الأعلام، وجهودهم في خدمة القرآن، وذلك ضمن مباحث الفصل الثاني من هذا الباب

(٢) **ينظر**: النشر في القراءات العشر: ١٧٨/١، إيضاح الوقف والابتداء: ص ١١١، المكتفى: ص١٨ وما بعدها.

(٣) هو أحمد بن محمد بن أوس أبو عبد الله المقرئ، أَلَّفَ كتابًا في الوقف والابتداء، قسَّم فيه الوقف إلى حَسَنٍ وكافٍ وتامٍّ، وقد أحسن فيه، تُوفِّي في حدود سنة ٣٤١هـ. **ينظر**: غاية النهاية: ٩٩/١.

(٤) هو العلَّامة أحمد بن محمد أبي الحسن النيسابوري المعروف بابن الغزال، له كتاب الوقف والابتداء، تُوفِّي سنة ٥١٦هـ. **ينظر**: غاية النهاية : ٥٢٤/١.

(٥) **ينظر**: الاختلاف في وقوف القرآن الكريم: ص٤٧٢ وما بعدها.

❁ المطلب الثاني ❁

أهم علامات الوقف ورموزه

وفيما يلي تحليل وبيان لأهمِّ علامات الوقف ورموزه في أشهر طبعات المُصْحَف الشَّريف، المُعْتَمدة في العالم الإسلامي، والتي اسْتَقرَّ عليها العمل في العصور المتأخرة وإلى عصرنا هذا.

١- مصحف الأزهر الشَّريف بالدِّيار المصرية «برواية حفص عن عاصم»:

وقد صدر منه طبعات عديدة بأسماءٍ مختلفة ولجانٍ مختلفة كُلها بإشْرَاف مجمع البحوث الإسْلامية بالأزهر الشَّريف؛ لكنهم يُثْبِتون في وقوفها غالبًا هذه العبارة: «وأُخِذَ بيان وقوفه وعلَاماتِها مما قرَّره الشيخ: محمد بن عليّ الحسيني [1] - شيخ المقارئ المصرية سابقا - على حسب ما اقتضته المعاني التي تُرشد إليها أقوال أَئِمَّة التَفْسِير».

وهو المُعْتَمد في جمهورية مصر العربية، واعتمدوا في وقوفه الرموز التالية «**(مـ)** علامة الوقف اللازم- **(لا)** علامة الوقف الممنوع – **(ج)** علامة الوقف الجائز جوازًا مستوي الطرفين – **(صلے)** علامة الوقف الجائز مع كون الوصل أولى- **(قلے)** علامة الوقف الجائز مع كون الوقف أولى - (∴ ∴)علامة تعانق الوقف بحيث إذا وقف على أحد الموضعين لا يصح الوقف على الآخر - **(س)** علامة على السكت » [2].

٢- مصحف المدينة المنورة بالدِّيار الحِجازية «برواية حفص عن عاصم»:

وقد طُبع هذا المُصْحَف بأحجامٍ مختلفة وبصورة كاملة ومجزأة بإشْرَاف لجنة علمية بمُجَمَّع الملك فهد لطباعة المُصْحَف الشَّريف، وهو المُعْتَمد في المملكة العربية السعودية،واعتمدوا في وقوفه على الرموز التالية: (مـ - لا - ج - صلے - قلے - ∴ ∴ - س) أُسوة بما قرره الشيخ الحسيني شيخ المقارئ المصرية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد أُعيد طباعة هذا

(١) هو الشيخ محمد بن عليّ بن خلف الحسيني المعروف بالحدَّاد، عالم مُقدم في التجويد والقراءات، ومن فقهاء المالكية، أخذ القراءات على عمِّه العلامة الشهير الشيخ/حسن بن خلف الحسيني وهو من أبْرَز تلامذة العلَامة المتولي، عُيِّن شيخًا للمقارئ المصرية سنه ١٣٢٣هـ، وتوفي سنة ١٣٥٧هـ الموافق ١٩٣٩م،رَحِمَهُ ٱللَّهُ. **ينظر**: الأعلام: ٦/٣٠٤.

(٢) **ينظر**: خواتيم المصاحف بالدِّيار المصرية.

المُصْحَف سنة ١٤٢١هـ، واعتمدوا في وقوفه على الرموز السابقة سوى رمز (لا)؛ حيث رأت اللجنة حذفه بعد النظر والدِّراسة؛ وذلك لأسباب ثلاثة، وهي - على حسب رأي اللجنة -:

أولًا: أنَّ هذه العلامة لها معنى لُغوي معلوم عند أهل المعاني ووضعها بين سطور النص القرآني قد يُوهِم استعمالها لأحد معانيها كالنفي أو النهي، وهذا لا يجوز، ولا يَرِد هذا الإيهام في باقي رُموز الوقف؛ لأنَّها اصْطلاحية.

ثانيًا: أنَّ مواضع رمز (لا) كثيرةٌ في القرآن بالنَّظر إلى إخلال قارئ القرآن بقواعد الوقف والابتداء، فوضعها في أماكن محددة دون أخرى من نظائرها فيه شيء من التحكم وعدم القياس على المثل.

ثالثًا: أنَّ بعض الكلمات التي وُضِعَ عليها هذا الرمز (لا) يجوز الوقف عليها اختيارِيًا عن بعض الأَئِمَّة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء:٨٢] فالوقف على ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ كافٍ عند الدَّاني. كما درست اللجنة العلمية الوقوف الأخرى، وقامت بتصحيح ما ظهر لها اجتهادًا في العناية والرعاية(١).

٣-مصحف الدِّيار الشَّامية «برواية حفص عن عاصم»:

وقد تَداولت طباعته مطابع ودور نشرٍ عديدة بإشراف إدارة الإفتاء العام والتدريس الديني، ومديرية الرقابة بوزارة الإعلام بسوريا، وتدقيق هيئة عليا من كبار علماء بلاد الشام، وهو المُعْتَمد في الدِّيار الشامية، واعتمدوا في وقوفه على نفس الرُّمُوز السابقة (مـ - لا - ج - صلے - قلے - ∴ ∴ - س)(٢).

وعلى مثله تم طباعة العديد من طبعات المُصْحَف الشَّريف برواية حفص عن عاصم وغيرِها من الرِّوايات المتواترة في كثير من أقطارِ العالم الإسلامي، وقد يَسَّر الله لي الوقوف على بعض هذه المصاحف ومن ذلك:

أ- مصحف إفريقيا:

وقد طُبِع بثلاثِ رواياتٍ مختلفة بإشراف لجنة عِلْمِيةٍ بدار مصحف إفريقيا، وأذنت بطباعته ونشره اللجنة العليا لطباعة ومراقبة المُصْحَف الشَّريف بجمهورية السودان،

(١) **ينظر**: خاتمة المُصْحَف المذكور تقرير اللجنة العلمية لمراجعة مصحف المدينة المنورة: ص٥٥-٥٧، المُكْتَفى: ص١٥٧.

(٢) **ينظر**: خاتمة المُصْحَف المذكور، ط/ الدِّيار الشامية للمعارف بدمشق، مؤسسة الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت.

وحيث أن هذه الطبعة قد اعْتَمَدت على مصحف الدِّيار الشَّامية فقد سارت دار مصحف إفريقيا على طريقتهم، وهي طريقه الخليل بن أحمد وأتباعه من المشارقة، واعتمدوا في وقوفه على نفس الرموز السابقة [1].

ب- مصحف دولة الكويت:

وقد اعْتُمِد في طباعته على مصحف دار إفريقيا وبنفس الرموز السابقة مع زيادة رمز (ع) علامة على موضع الركوع للمُصَلِّ، وهي إشارة إلى تمام المعنى أو القصة ونحوها، ورمز (السُّبع) وهي علامة الأَسْبَاع، وهي إشارة تدل على انتهاء سُبع القرآن لمَنْ يَخْتِمُ في أسبوع وبعض التَعْدِيلات الطَّفِيفة على علامات الضبط[2].

هذه تقريبًا هي أهم طبعات المُصْحَف الشَّريف برواية حفص عن عاصم في الحجاز مَنْزِلِ الوحي، والشام دَوْحة الطباعة، ومصر بلد القُرَّاء، ومَنْ سار على طريقتهم في رُبُوع العالم الإسلامي، وقد رأيْنا الاتفاق فيما بينها على علامات الوقف ورموزِه وطريقة ضبطه، مع الأخذ بعلَامات الخليل بن أحمد وأتباعه من المشارقة بدلًا من علامات الأنْدلسيين والمغاربة، وقد سبق التعريف بعلامات الوقف ورموزه المتقدمة بالتفصيل، وهي موجودة بأمثلتها في خاتمة المصاحف بما يغني عن الإعادة[3].

أما مصاحف دول المغرب العربي والجماهيرية اللِّبيية: فقد رُسِمَتْ على ما يُوافِق علامات الأنْدَلسيين والمغاربة، واعتمدُوا للوقف علامة (صه) بمعنى اسْكت وهي اختيار الإمام الهِبطيِّ[4] في الوقف، وتُكْتُب على رأس آخر حرفٍ من الكلمة المراد الوقوف عندها، وهي تتضمن جميع أنواع الوقف المُصْطَلح عليها عند أهل هذا الفنِّ؛ أي: اللازم، والتام والكاف، والحسن، وليس من بينها الوقف القبيح، وهذا الرمز هو أقدم الرموز في المصاحف المغربية، وعلى اختياره في الوقف عامة مصاحف المغاربة بروايتي قالون وورش عن نافع، وهي القراءة الأكثر شيُوعًا في جميع ربوع تونس والجزائر والمغرب وليبيا ومَنْ سار

(١) وقفت منها على مصحف «دار إفريقيا» برواية الدوري عن أبي عمروٍ البصري.
(٢) **ينظر**: مصحف دولة الكويت، ط/ وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، قطاع المَسَاجِد.
(٣) يرجع إلى أقسام الوقف والابتداء ورمز كُلّ قسم في المُصْحَف الشَّريف في الفصل الثاني.
(٤) هو أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة الهبطي، مصنف كتاب تقييد وقف القرآن الكريم، وعلى اختياره في الوقف عامة مصاحف المغاربة بروايتي ورش وقالون عن نافع، تُوفِّي سنة (٩٣٠هـ). **ينظر**: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، لأحمد بابا التَّنبَكتي، اعتنى به/ د. عبد الحميد الهرَّامة: ص٥٨٥، ط/ دار الكاتب، طرابلس، الثانية، ٢٠٠٠م.

على طريقتهم من دول العالم الإسلامي[1].

وقد يسَّر الله لي الوقوف على بعض هذه المصاحف ومن ذلك:

١- المُصْحَف الشَّريف برواية ورش عن نافع بالخط المغربي ط/ الدار التونسية.

٢- المُصْحَف الحسني المُسبَّع برواية ورش عن نافع ط/ وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية بالمغرب.

٣- مصحف الجماهيرية اللِّيبية برواية قالون عن نافع ط/جمعية الدعوة الاسلامية العالمية.

وقد وقفتُ - زيادة على ما تقدم - من مصاحف المغرب العربي والجماهيرية اللِّيبية على طَبعتين من طبعات المُصْحَف الشَّريف في مُجَمَّع الملك فهد بالمدينة المنورة إحْدَاهما برواية ورش عن نافع والأخرى برواية قالون عن نافع، وقد اعْتَمدت اللَّجنة العلمية المشرفة على إخراجه في وقوفه على رمز المغاربة (صه)، كما جرى العمل به عندهم، واصطلح عليه وعُمِلَ به في مصاحفهم.

أما مصاحف الأتراك وباكستان وشبه القارة الهندية: فعلامات الوقف عندهم مأخوذة من وقوف السَّجاوندي من كتابه الكبير «علل الوقف»، وهي على النحو التالي:

(مـ) علامة الوقف اللَّازم: وهو ما لو وصل طرفاه غُيِّرَ المَرام وشُنِّعَ معنى الكَلام.

(ط) علامة الوقف المُطْلَق: وهو ما يحسن الابتداء بما بعده.

(ج) علامة الوقف الجَائِز: وهو ما يَجُوزُ فيه الوَصْلُ والفَصْلُ لتَجاذبِ المُوجِبَيْنِ من الطَّرَفَينِ.

(ز) علامة الوقف المُجَوَّز لوجه: وهو ما كان فيه وجهان متغايران في الإعراب، وأحدهما أرجح من الآخر، والوقف على الوجه المرجوح[2].

(ص) علامة الوقف المُرَخَّص ضَرُورَة: وهو ما لا يستغني ما بعده عما قبله لكنه يرخص الوقف ضرورة انقطاع النفس لطول الكلام، و لا يلزمه الوصل بالعَوْد، لأن ما بعده جملة مفهومة.

---

(١) **ينظر**: الوقف والابتداء في القرآن الكريم بين القرائن اللفظية والمعاني البلاغية.. دراسة دلالية من خلال وقوف التَّمام، للإمام نافع، والوقوف الهبطية، د/ محمد عبد الحميد محمد جار الله. ط/ دار الصَّحَابة للتراث بطنطا، الأولى، ١٤٣٢هـ.

(٢) لم يبين السجاوندي المراد بالوقف المجوز لوجه وإنما اتضح هذا التَّعْريف من الأمثلة.

(لا) علامة لما لا توقف عليه: للتَّحَرُّز عن الوقف على ما يَقْبُحُ الابتداء بما بعده.

(ع) علامة القطع على موضع التمام: وهي إشارة إلى تمام المعنى أو القصة ونحوها و إلى الركوع للمصلي[1].

وقد يَسَّر الله لي الوقوف على بعض هذه المصاحف، ومن ذلك المُصْحَف الباكستاني برواية حفص عن عاصم ط/ شركة تاج المحدودة «تاج كمبني لميد» راجعه وصدق عليه كُلّ من الحافظ/ عبد الرؤوف بن عبد الواحد، والحافظ القارئ/ محمد أسلم ؛وذلك في عام ١٩٧٤م، واعتمدوا وقوفه السابقة.

وأخيرًا فكُلُّ ما سبق ذِكْره من علَامات الوقف والوصل المَعْمُول بها في هذه المصاحف (جائزة)؛ إذ هي اجتهادات اجتهد فيها علماء أفذاذ، واختلافهم هو اختلاف تغايُر وتنوُّع لا اختلاف تنافُر أو تضاد؛ إذ المقياس عندهم واحد، وهو ربط الوقف بالمعنى الدَّلالي، وقد وَجَدَت هذه العلامات قَبُولًا واسْتِحْسَانًا من عموم الناس وخواصِّهم في البلاد التي طُبِعت بها هذه المصاحف، وعلى هذا فينبغي على القارئ المبتدئ الوقوف على رُموز الوقف المرسُومة في المصاحف والالتزام بها؛ لأن هذه الرُّموز والعلَامات جاءت وفق دراسة لمعاني الآيات ومقتضيات الإعراب لاسيَّما في المصاحف التي أشْرَف على ضبطِها ومراجعتِها لِجان علمية متخصصة، أما القارئ الذي عرض القرآن وطاف بين المشايخ وجال، وقرأ كُتُب الوقف والابتداء، وأدرك فواصل المعاني، فالأمر بين يديه فيما قرأ واختار من الوُقوف؛ إذ إن رُموز الوقف في القرآن مبناها الاجتهاد والاختيار من كُتُب الوقف والابتداء لمَنْ بلغ مبلغَ الاجتهاد والنظر في الوقوف، والله أعلى وأعلم.

* * *

---

(١) ينظر علل الوقف ص ٦٢ وما بعدها ، الوقف والابتداء للسجاوندي ص ١٠٥ وما بعدها.

☙ المبحث الثاني ❧
مصطلحات التجزئة ورموزها

☙ المطلب الأول ❧
نشأة مصطلحات التجزئة وعلاماتها

١- نشأة المصطلحات:

لم تكن المصاحف في الصَّدر الأول مُقَسَّمة إلى أجزاء أو أحزاب أو أرباع؛ بل كان كُتَّاب المصاحف يضعون ثلاث نقاط عند آخر كُلِّ فاصلة من فواصل الآيات إيذانًا بانقضاء الآية، كما كانوا يضعون لفظ (خُمْس) عند انقضاء خمس آيات، ولفظ (عُشْر) عند انتهاء عشر آيات، وهكذا يُعِيدون لفظ خُمْس وعُشْر مع تكرار هذا العدد من الآيات في كُلّ سورة حتى نهاية السورة.

روى الإمام الدَّاني بسنده عن الأوْزاعي قال: سمعت قتادة يقول: «بدأوا فنقطوا، ثم خَمَّسوا، ثم عَشَّروا» [١].

قال الإمام الدَّاني: وهذا يدل على أن الصَّحَابة وأكابر التَّابِعين هم المبتدئُون بالنقط ورسم الخُموس والعُشور؛ لأن حكاية قتادة لا تكون إلا عنهم؛ إذ هو من التَّابِعين، وما دام ذلك كان عن اتفاق بينهم فلا شُكول في صحته ولا حرج في استعماله، وأنهم كانوا يُقَدِّرُون بالآيات، ويأخذونه خَمسًا خَمسًا، وعَشرًا عَشرًا، ويراعون في ذلك تمام المعنى، ونهاية القصة[٢].

(١) **ينظر**: المحكم في نقط المصاحف، للإمام/ أبي عمرو عثمان بن سعيد الدَّاني (ت٤٤٤هـ) ، تحقيق الدكتور/ عزة حسن، باب ما جاء في تعشير المصاحف وتخميسها، ومن كره ذلك ومن أجازه: ص ١٥، ط/ دار الفكر المعاصر، بيروت، الثانية، ١٩٩٧م.
التخميس: وضع علَامة بعْد كُلِّ خمس آيات من القرآن. **والتعشير**: وضع علامة بعد كُلِّ عشر آيات من القرآن. **ينظر**: معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية: ص١٢٦، ١٤٠.

(٢) **ينظر**: نفس المصدر السابق، الوصل والوقف وأثرهما في بيان معاني التنزيل، تأليف د/ أحمد شرشال الجزائري: ص ٤٣، ط/ دار الحرمين بالقاهرة الأولى، ١٤٢٢هـ، ملحق المُصْحَف الشَّريف: ص٥٣٧-٥٣٨، ط/ شركة الشمرلي.

هذا وقد جاء في الخبر أن الصَّحَابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ كانوا يُحَزِّبُون القرآن سبعة أحزاب: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشر، وثلاث عشر، وحزب المُفَصَّل وبيانها كالتالي[1]:

الحزب الأول: ثلاث سور هي: البقرة، وآل عمران، والنساء - أي بعد فاتحة الكتاب.

الحزب الثاني: خمس سور هي: المائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال، وبراءة.

الحزب الثالث: سبع سور هي: يونس، وهود، ويوسف، والرعد، وإبراهيم، والحجر، والنحل.

الحزب الرابع: تسع سور بداية من الإسراء إلى آخر الفرقان.

الحزب الخامس: إحدى عشرة سورة بداية من سورة الشعراء إلى نهاية يس.

الحزب السادس: ثلاث عشرة سورة بداية من سورة الصافات إلى نهاية الحجرات.

الحزب السابع: حزب المفصل وهو من بداية سورة (ق) إلى نهاية الناس.

وقد جمعه بعضهم في قوله «**فمي بشوق**»، فكُلُّ حرفٍ من هاتين الكلمتين هو بداية حزب القرآن الكريم في كُلّ يوم. **فحرف الفاء**: يشير إلى أن الحزب في اليوم الأول يبدأ من سورة الفاتحة، وحرف **الميم**: يشير إلى أن الحزب في اليوم الثاني يبدأ من سورة المائدة، وحرف **الياء**: يشير إلى أن الحزب في اليوم الثالث يبدأ من سورة يونس، وحرف **الباء**: يشير إلى أن الحزب في اليوم الرابع يبدأ من سورة (بني إسرائيل) الإسراء، وحرف **الشين**: يشير إلى أن الحزب في اليوم الخامس يبدأ من سورة الشعراء، وحرف **الواو**: يشير إلى أن الحزب في اليوم السادس يبدأ من سورة والصافات، وحرف **القاف** يشير إلى أن الحزب في اليوم السابع يبدأ من سورة (ق) وذلك حتي نهاية سورة الناس.

٢- نشأة العلامات:

وظَلَّ الأمرُ كذلك في تحزيب القرآن الكريم إلى أن قامت طائفة من العلماء - قيل في زمن الحجاج بن يوسف الثقفي- فقَسَّموا القرآن ثلاثين قسمًا، أطلقوا على كُلِّ قسمٍ منها اسم الجزء، فصار إذا أطلق الجزء من القرآن انصرف الذهن إلى جزء من هذه الأجزاء

(١) الحديث أخرجه أبو داوود في باب تحزيب القرآن: ص٢٤٠ رقم١٣٩٣ من حديث أوس بن حذيفة، وابن ماجه في باب ما جاء في كم يستحب أن يُختم القرآن: ص٢٣٩ رقم١٣٤٥. واحتج به شيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ ابن كثير وغيرهما، وضعَّفه الألباني.

الثلاثين، ثم قسَّموا الجزء - بالمعنى المتقدم- إلى حِزْبين، فَصَار القرآن الكريم سِتين حِزْبًا، يمثل كُلّ حزبين جزءًا من أجزاء القرآن الثلاثين، ثم قسَّموا الحزب إلى أربعة أقسام، كُلُّ قسمٍ منها يسمى رُبعًا، وزاد بعضهم كما في علَامات التجزئة عند المغاربة، فقسَّموا الربع إلى قسمين، كُلُّ قسم منها يسمى ثُمْنًا، وهذه الأجزاء والأحزاب والأرباع والأثمان مشارٌ إليها بوضوح في المُصْحَف الشَّريف، فلا داعي لعدها هنا، وتدل هذه العلامة (*) على بداية الأجزاء والأحزاب وأنصافها وأرباعها وأثمانها، وإذا كان أول الربع أول سورة فلا توضع.

ولقد اطَّلعْتُ على إصْدارين من طبعات المُصْحَف الشَّريف: **إحْداهما** بالمغرب، وهي نسخة من المُصْحَف الشَّريف الحسني المُسَبَّع برواية ورش عن نافع بإشراف لجنة من كبار العلماء والمُحقِقِين بتوجيه من ملك المغرب الحسن الثاني، **والأُخْرى** بدولة الكويت، وهي نسخة من المُصْحَف الشَّريف برواية حفص عن عاصم بإشراف هيئة عليا من كبار علماء بلاد الشام بتوجيه من لجنة مراجعة المصاحف بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت، تمتاز هاتان الطبعتان من المُصْحَف الشَّريف بالجمع بين تحزيب القرآن الكريم على المأثور في زمن الصَّحَابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلى سبعة أحزاب، وبين ما جرى عليه العمل في عصرنا هذا، والله أعلى وأعلم.

* * *

المطلب الثاني

أهم علَامات التجزئة ورموزها

وفيما يلي تحليل وبيان لأهم علَامات التجزئة في أشهر طبعات المُصْحَف الشَّريف المُعْتَمدة في العالم الإسلامي والتي اسْتقر عليها العمل في العصور المتأخرة إلى زمننا هذا.

١- مصحف الأزهر الشَّريف «براوية حفص عن عاصم» بالدِّيار المصرية:

وجَرَى العمل على تجزئة هذا المُصْحَف الشَّريف إلى ثلاثين جزءًا، كُلُّ جزء منها مُقَسَّم إلى حِزْبين، وكل حِزْب مُقَسَّم إلى أربعة أرباع، وعلى مثل هذا التقسيم وتأسِّيًا به جرى العمل على تجزئة المُصْحَف الشَّريف في طباعة مصحف المدينة المنورة «براوية حفص عن عاصم» بالدِّيار السعودية، والمُصْحَف الشَّريف «براوية حفص عن عاصم» بالدِّيار الشامية، ومَنْ سار على طريقتهم في ربوع العالم الإسلامي[١].

٢- مُصْحف المَغْرِب العربي «براويتي ورش وقالون عن نافع»:

وجَرَى العمل على تجزئة هذا المُصْحَف الشَّريف عندهم إلى ثلاثين جزءًا، كُلُّ جزء منها مُقسَّم إلى حزبين، وكلُّ حزب مُقسَّم إلى أربعة أرباع، وكلُّ ربعٍ منها مُقسَّم إلى ثُمْنَين، وعلى مثل هذا التقسيم وتأسِّيًا به جرى العمل على تجزئة المُصْحَف الشَّريف في مصحف الجماهيرية اللِّيبية «براوية قالون عن نافع»، ومَنْ سار على طريقتهم في ربوع العالم الإسلامي[٢].

٣- المُصْحَف الباكستاني «براوية حفص عن عاصم»:

وجَرَى العمل على تجزئة هذا المُصْحَف الشَّريف إلى ثلاثين جزءًا، كُلُّ جزء منها مقسم إلى حزبين، وكلُّ حزب منها مقسم إلى أربعة أرباع إلا أنه تَفَرَّد- زيادة على ما تقدَّم- برسم علَامة تدل على التجزئة والقطع في موضع التَّمام تسمى ركوع، ويُرمَزُ لها برمز (ع) وهو يُعد في هذا الباب إمَامًا يَحْسُن الاقتداء به، وعلى مثل هذا التقسِيم وتأسِّيًا به جرى العمل على تجزئة المُصْحَف الشَّريف في مصاحف الأتراك، وشبه القارة الهندية، ومَنْ سار على طريقتهم في ربوع العالم الإسلامي.

(١) باستثناء المُصْحَف الصادر عن وزارة الشئون الإسلامية بدولة الكويت كما سبق الإشارة-.
(٢) باستثناء ما عليه المُصْحَف الحَسَني المُسَبَّع برواية ورش عن نافع بالمغرب -كما سبق الإشارة-.

وبالجملة فإن هذا التَقْسِيم هو مَحْض اجتهادٍ، وفيه من التَشْويق والترغيب للقارئ في الاستزادة من القراءة؛ لكن يُؤْخذ عليه أن بعض علَامات الأحزاب والأرباع والأثمان الدَّالة على القطع والانصراف رُسِمَت في مواضع لا تُوفِ بالمعنى، ولا ينبغي القطع عندها، ولا الشروع في القراءة بما بعدها؛ بل رُسِمتْ- هذه العلَامات - في بعض المصاحف في مواضع كثيرة في أثناء الآية؛ إذ جرت العادة عند أهل المغرب وإفريقيا في تلاوتِهم القرآن وحفظه أن يُقَسَّم الحزب إلى ثمانية مقاطِع أو مَقارِئ، كُلُّ مَقطع منها يُسَمَّى «ثمن» بمعنى ثُمْن الحزب ينتهي عنده الحفظ، ويَروْن حَتْما عليهم أن يَقطعُوا عنده؛ حتى ولو كان ذلك الموضع في وسط الآية، وما كانت نهايته كذلك رسموا عنده دائرة أو نجمة في وسط الآية، مع التزام الطلاب في الحلقات والكتاتيب بهذه التجزئة، والتي يَرَوْن حَتْمًا الوقوف والقطع عندها- وفيها مواضع يُكْرَهُ الوقف عندها ويُكْرَهُ الابتداء بما بعدها، وعلى مثل ما تقدَّم سار أصحاب المقررات والمناهج في بعض المدارس والجامعات بهذه التجزئة، والتزموها من غير رعاية لمقتضيات المعاني، وهو ما ينبغي تَجَنُّبُهْ، والتَنْبِيه عليه.

روى الإمام أبو عمرو الدَّاني بسنده عن ميمون بن مهران [(١)] قال: إني لأقشَعِرُّ من قراءة أقوام يرى أحدُهم حتمًا عليه ألا يُقْصِرُ عن العُشْر، إنما كان القُرَّاء - أي من الصَّحَابة - تقرأ القصص إن طالت أو قَصُرَت، يقرأ أحدهم اليوم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة:١١]، قال: ويقوم في الركعة الثانية فيقرأ: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾[البقرة:١٢] .

قال الدَّاني: فهذا يُبيِّن أن الصَّحَابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا يتجنبون في قراءتهم القطع على الكلام الذي يتصل بعضه ببعض ويتعلَّق آخره بأوله؛ لأن ميمون بن مهران إنما حكى ذلك عنهم؛ إذ هو من كبار التَّابِعين، ولقد لقي جماعة منهم[(٢)] .

وقال الإمام النووي: ويُستحبُّ للقارئ إذا ابتدأ من وسط السورة أن يبتدئ من أول الكلام المرتبط بعضه ببعض، وكذا إذا وقف أن يقف على المرتبط وعلى انتهاء الكلام، ولا يتقيَّد في الابتداء ولا في الوقف بالأجزاء والأحزاب، فإن كثيرًا منها في وسط الكلام

(١) هو الإمام الحجة، عالم الجزيرة ومُفْتِيها مَيْمُون بن مِهْران أبو أيوب الجزري الرقِّي،كان مولى لامرأة بالكوفة ،وأعتقته، فنشأ فيها، وهو ثقة في الحديث، حدَّث عن: أبي هريرة، وعائشة، وابن عباس، وابن عمر، وغيرهم، وتُوفِّي سنة (١١٧هـ). **ينظر**: سير أعلام النبلاء: ٧١/٥.

(٢) المُكْتَفى: ص١٧، القطع والائتناف: ص ١٥.

المُرْتبط بالكلام الذي قبله والذي بعده[1].

وأخيرًا... وباعتبار ما تقدَّم ذِكْرُه من معالم يتأكَّد لنا مدى ارتباط الوقف والابتداء بعِلْم التَفْسِير وإيضاح مراد الله عَزَّوَجَلَّ من كلامه، بما يحقق المطلب الأساسي من الوقف وهو بيان المعنى وإيضاح الدَّلالة من الكلام، وأن أقسام الوقف والابتداء وعلَاماته بُنِيت على اعتبار المعاني في جميع مواضِعِها دون استثناء ، وأنه من الخطأ العظيم أن يَقِف القارئ عند ما لا ينبغي أن يوقف عنده أو يصل، فيَفْسَدُ بذلك المعنى، وتذهَبُ دلالته، والله أعلى وأعلم.

* * *

(١) **ينظر**: الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار: ص١٥٥.

﴿ الباب الثاني ﴾

إضاءات للأَئِمَّةِ في الوقف والابتداء

تمهيد:

هذا البابُ من أهم أبوابِ البَحْثِ، فما كان قبله فهو تَهْيِئةٌ له، وما سَيَأْتِي بعده فهُو تَتَمَّةٌ له، وهو رِسالة إلى أَئِمَّة المَسَاجِد خاصَّةً، وإلى كُلّ قارئٍ للقرآنِ عامة، ففيه إعانة على تدبُّرِ كلام الله تعالى لقارئه ومُسْتمِعِه، والدَّاعِي له هو ما يُلاحَظُ من خلوِّ قراءةِ كثيرٍ من الأَئِمَّة من الاهتمام بعلم الوقف والابتداء؛ بل والزُّهد فيه أكبر زهدٍ، والقطع على الكلام الذي يَتَّصل بعضه ببعض، ويتعلَّق آخره بأوله، والتقيُّد في الابتداء والوقف ببداية الصفحة أو انْتِصَافِها، أو بعِلَامات الأرْباع والأحْزاب وبعضُها يكون في وسْط الكلام المرتبط بالكلام الذي قبْلَه والذي بعْدَه، والذي يكون الوقف عنده سببًا في نَقصِ المعاني وفَصْلِ الأحكام، والبعض الآخر - هداهم الله - لا يُلْقِي للوقوفِ ومنازِله بالًا؛ بل يقِفُ حيث ساعده النَّفَس، ويُكْمِل من حيث وَقَفَ، ويَتْرُكُ الوقف التَّام والكافي، فلا يقِفُ عنده، ثم يقِفُ وقفًا قبيحًا لا يُفْهَمُ منه معنى لشدةِ تعلُّقه بما بعده، أو يُفْهَم منه معنى غير مقصود، أو قد يُفْسِدُ المعنى ويُوهِم ما لا يلِيقُ بالله عَزَّوَجَلَّ أو رُسُلِه؛ حتي فَقَدَت التِّلاوة جمالها، وفارَقَ الأداء رونقَه وبهاءَه، وقُطِع الكلام المُتْصل، ووُقِف على ما يؤدي معنى قبيحًا، وابتُدئ كذلك، وممَّا تَجدُرُ الإشارة إليه أنني قد تَتَبعْتُ في هذا الباب كُلَّ ما يَهُمُّ الأَئِمَّة من قواعد جامعات، أو مسائل مُهِمَّات، أو تحذيرات وتنبيهات في الوقف والابتداء وأَثَرُه في تفسير القرآن الكريم، وجَمَعْتُ شَتاتِها واحْتويْتُ أطرافها فانْتَظم الحديثُ عنها وعما يَنْدرِجُ تحتها من مباحثَ ومطالبَ في أربعة فُصول(١).

الفصل الأول: أقسام الوقف والابتداء فيما يخصُّ الإمام:

وفيه تَعْرِيف بما ينْبغِي على الإمام الْتِزامه حين القَطعِ قبل الركوع، من أن يكون على رأسِ آية، مُوفٍ بالمعنى، وأن يَتجنَّبَ القطع على الكلام الذي يتصل بعضه ببعض، ويتعلَّق آخره بأوَّلِه؛ بل يقِفُ عند انتهاء الكلام، وأن يُراعي الوقف التَّام والكافي والحسن، عند الوقف أثناء الآية الواحدة، وهو أكثر ما يعنِينا في تقسِيمات العلماء، وأن من لمْ يلتفتْ لهذا، ويقف حيث شاء فقد خَرقَ الإجْماع، وحَاد عن الصَّوابِ، **وفيه مبحثان:**

(١) **ينظر**: إضاءات للأَئِمَّة حول الوقف والابتداء، بحث من إعداد/ عبد الرحمن بن ابراهيم العليان على موقع شبكة الألوكة بإشراف: د/ سعيد بن عبد الله الحميد، ود/ خالد بن عبد الرحمن الجريسي، الوصل والوقف وأثرهما في بيان معاني التنزيل، تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين.

المبحث الأول: الوقف قبل الركوع المُسَمَّى قطع القراءة.

المبحث الثاني: الوقف والابتداء في وسط الآية الواحدة.

الفصل الثاني: **مواضع يَقْبُحُ الوقف عليها والابتداء بما بعدها**:

فمن الآياتِ ما يكون التَعلُّقُ بينها تعلقًا ظاهرًا إلا أن الوقف على الأُولى منها لا يُحِيلُ المعنى، ومنها ما يكون الوقف عليها أو في أثنائها قاطِعًا لاتصال المعاني ببعضها، ويكون الاستئناف بما بعد ذلك لا يُؤدِّي معنى إلا مع ما قبله، ومنها ما يكون تَعلُّقها ببعضها شديدًا يَقْبُحُ الوقف عليها والابتداء بما بعدها مطلقًا، ولا شكَّ أن هذا يتفاوت في لُزُومِ وصْله، وفي قُبْحِ قطْعه والابتداء بما بعده، وَفِقْهُ هذا الأمْرِ يَتطلَّبُ الْتِفَاتَةً إلى تَدبُّرِ المعاني والسِّياقات، واتِّصالِ بعض الكلام ببعض من عَدَمِه، والتَّفْريق بين ما يكون عطفًا وما يكون اسْتئنافًا، **وفيه مبحثان**:

المبحث الأول: في مواضع يَقْبُحُ للإمام الوقف عليها.

المبحث الثاني: في مواضع يَقْبُحُ للإمام الابتداء بها.

الفصل الثالث: **مواضع يَحْسُنُ الوقف عليها والابتداء بما بعدها** :

هناك مواضع يحسُنُ الوقوف عندها لغرض تفسيري، أو بلاغي، أو شدًّا لانتباه السامع، ونحو ذلك، رغبةً في تحصيل تمام البيان، ودفعًا لما قد يُتوهَّم من معانٍ، **وفيه خمسة مباحث**:

المبحث الأول: الوقف عند نهاية جملة يُخشَى من توهُّمٍ أن ما بعدها معطوف عليها.

المبحث الثاني: الوقف بعد جملة الشرط إذا كان جواب الشرط مقدرًا غير مذكور.

المبحث الثالث: الوقف بعد كلام الكفار المحكي عنهم.

المبحث الرابع: الوقف بعد جملة مقول القول التي قد يُفْهَمُ أن ما بعدها تبعٌ لها.

المبحث الخامس: الوقف قبل المنصوب على الاختصاص وفصْله عمَّا سبقه.

الفصل الرابع: **مواضع الوقف على أحرف المعاني والابتداء بها** :

وفيه بيان لما يَسُوغ الابتداء به من هذه الحُروف أوالوقف عليها وما لا يَسُوغ، وما يكْتنِفُ ذلك من معانٍ ودلالاتٍ، **وفيه خمسة مباحث**:

المبحث الأول: مواضع الوقف على (كلا) والابتداء بها.

المبحث الثاني: مواضع الوقف على (نعم) ووصْلها بما بعدها.

المبحث الثالث: مواضع الوقف على (هذا، وذلك، وكذلك) .

المبحث الرابع: مواضع الوقف على ما قبل (لو، وإن) .

المبحث الخامس: مواضع الوقف على (بلى) والابتداء بها.

وفيما يلي الكلام بالتفصيل على كُلِّ فصلٍ من الفصولِ المتقدمةِ، وما توْفيقي إلا باللّٰهِ عليه توكلتُ وإِلَيْه أُنيب.

* * *

﴿ الفصل الأول ﴾

أقسام الوقف والابتداء فيما يخص الإمام

المبحث الأول: الوقف قبل الركوع المُسَمَّى قطع القراءة.

ينبغي على الإمام اختيار القطع المناسب قبل الركوع، وأن يكون على رأْسِ آية، موفٍ بالمعنى، وأن يتجنَّبَ القطع على الكلام الذي يتصِلُ بعضه ببعض، ويَتعلَّق آخره بأوله؛ بل يقِفُ عند انتهاء الكلام، ومَنْ لم يلتفتْ لهذا ويقف حيث شاء فقد خرق الإجماع، وحاد عن إتقان القرآن وتمام التجويد. أليس من الخطأ العظيم أن يقرأ الإمام كتاب الله، فيقطَع على القطع يُفْسِدُ به المعنى، **وفيه ثلاثة مطالب**:

- **المطلب الأول**: القطع على الآية المتعلقة بما بعدها تَعلُّقًا ليس بشديد.
- **المطلب الثاني**: القطع على الآية المتعلقة بما بعدها تَعلُّقا شديدًا، ولا يؤدي معنى فاسدًا.
- **المطلب الثالث**: القطع على الآية التي يكون تَعلُّقها بما بعدها شديدًا يؤدي معنى فاسدًا.

المبحث الثاني: الوقف والابتداء في وسط الآية الواحدة.

وهو أكثر ما يعنينا في تقسيمات العلماء، وهو أيضًا أكثر إهْمَالًا عند كثيرين من سابقه، فنجِد بعض الأَئِمَّة - هداهم الله - لا يلقي للوقوفِ من هذا النوع بالًا، بل يقف حيث ساعده النفس، ويُكَمِّلُ من حيث وَقَفَ، ويترُكُ الوقف التام والكافي، فلا يقف عنده، ثم يقف وقفًا قبيحًا لا يُفْهَمُ منه معنى لشدةِ تعلُّقه بما بعده، أو يُفْهَمُ منه معنى غير مقصود، أو قد يُفْسِدُ المعنى ويُوهِم ما لا يلِيقُ بالله ورسله، **وفيه ثلاثة مطالب**:

- **المطلب الأول**: الوقف على كلام لا يُفْهم منه معنى لشدة تَعلُّقه بما بعده.
- **المطلب الثاني**: الوقف على كلام يُفْهمُ منه معنى غير مقصود لتوقُّف ما بعده عليه.
- **المطلب الثالث**: الوقف على كلام يُفسِدُ المعنى أو يُوهِم ما لا يليق بالله تعالى ورسله.

﴿ المبحث الأول ﴾

الوقف قبل الركوع المُسَمَّى قطع القراءة

﴿ المطلب الأول ﴾

القطع على الآية المتعلقة بما بعدها تعلُّقا ليس بشديد

مثال ذلك القطعُ على:

١- قوله تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾[البقرة: ١٦]، ثم الابتداء في الركعة الثانية بقوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا﴾[البقرة: ١٧]، فنْلحظ أن هناك تعلُّقًا بين الآيتين، فقد تَضمَّنت الثانية ضميرًا يعود على أولئك المنافقين الذين عدلوا عن الهدى إلى الضلال، إلا أنَّه في الآية الثانية بَدْأَ ذِكْرِ صِفَاتِهِمْ بِضرْب مِثالين لهم حين اشترائهم الضلالة بالهدى، وصَيْرُورتِهم بعد البصيرة إلى العمى، فلهذا لا يرجعون إلى ما كانوا عليه من الهداية التي باعوها بالضلالة(١).

٢- قوله تعالى: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ﴾[التوبة:١٢]، ثم الابتداء في الركعة الثانية بقوله تعالى: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [التوبة:١٣]، ففي الآية الأولى يُبيِّن الله عَزَّوَجَلَّ ما يجِبُ على المؤمنين نحْوَ المُشْرِكين؛ إذ لم يستقِم المشركون على الوفاء، وأطْلقُوا ألْسنتهم بقول السُّوء في الإسلام والمسلمين، أو أيديهم بأذى، ومازال الحديث في الآية الثانية موصولًا في التَشْنيع على أكابر مجرمي قريش الذين نعتهم الله بأنهم أَئِمَّة الكفر؛ بل والحث على قتالهم لنكْثِهم العهد وهَمِّهم بإخراج الرسول ﷺ(٢).

---

(١) **ينظر**: تَفْسِير ابن كثير: ٢٩٤/١ وما بعدها.

(٢) **ينظر**: تَفْسِير السُّيوطي المُسَمَّى الدُّرُ المنثور في التَفْسِير بالمأثور لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي: ٢٥١/٧ وما بعدها، ط/ مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، الأولى، ١٤٢٤هـ.

☙ المطلب الثاني ❧

القطع على الآية المتعلقة بما بعدها تعلُّقا شديدًا

ولا يؤدي معنى فاسدًا

مثال ذلك القطع أثناء الآيات من:

١- قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٦-٣٩]، فهذه الآيات تتحدث عن قصة آدم وحواء، وإخراجهما من الجنة، وحين نتأمَّل في سياق الآيات نلاحظ أن قوله: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ...﴾ إنما هو تفسيرٌ لقوله: ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾. ثم إن الآيات سَيقتْ للاعتبار والذكرى، وتحذيرًا لبني آدم أن يفتنهم الشيطان كما أخرج أبويهم من الجنة، وهذا إنَّما يكون بوصْل الآيتين جميعًا (٣٨، ٣٩)، وهما ثلاثة أسطر ليس فيها إطالة على المأمومين. وما بعدهما بداية موضوع آخر وهو تذكير بني إسرائيل بنعمِ الله عليهم: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠][1].

٢- قوله تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٥-١٦] فربما قَطَعَ بعض الأَئِمَّة عند نهاية الآية الخامسة عشرة لانتهاء الوجه

(١) **ينظر**: تَفْسِير ابن كثير: ٣٦٤/١ وما بعدها.

دون أن يتفطَّن لِشِدة تعلُّقِ المعنى، وهو أن قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ليست استئنافًا؛ بـل نعت للذين اتقوا، فتقدير الآية: للذين اتقوا الذين يقولون، فالمعنى: للذين اتقـوا عنـد ربهـم جنات تجري من تحتها الأنهار... القائلين ربنا اغفر ذنوبنا [١].

* * *

(١) **ينظر**: تَفْسِير الرازي: ٢١٤/٧ وما بعدها.

❧ المطلب الثالث ☙

القطع على الآية التي يكون تعلُّقها بما بعدها شديدًا يؤدي معنى فاسدًا

ومثال ذلك القطع على:

١- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾[الحجر: ١٤] فلو وقف الإمام هنا، وقطع القراءة ثم رَكَعَ لكان الكلام لا معنى له لشدة التعلُّق بما بعده؛ لأن الجواب لم يتم، فإن اللام بعدها في قوله تعالى: ﴿لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٥] متعلِّقة بما قبلها [١].

٢- قوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[ص:٨٢] فيَقْبُحُ القطع عليها والابتداء بعدها بقوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[ص:٨٣] لتعلُّقها بما قبلها. فالإمام المُتقن يُراعي حسن الوقوف، واكتمال المعاني، كما يراعي تجويد الحروف وإتقان صفاتها [٢].

ومن ذلك بداية الأجزاء والأرباع المتعلقة بما قبلها في اللفظ والمعنى التي لا يصحُّ القطع عليها، ومن أمثلته:

١- قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۖ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ...﴾ [النساء:٢٤] وهذه الآية بداية الجزء الخامس، فلا ينبغي القطع دونها؛ أي: نهاية الجزء الرابع على قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[النساء:٢٣]، ولا ينبغي الشروع في القراءة من قوله: ﴿وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ﴾؛ لأنه لا يجوز الفَصْل بين المعطوف والمعطوف عليه لاشتراكهما في الفعل ﴿حُرِّمَتْ﴾؛ لكن من الأَئِمَّة مَنْ يقطَعُ على آخر الآية الثالثة والعشرين، ثم يأتي من الغَدِ فيبتدئ بقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾، ولو سَألْته المحصنات من النساء ما شأنها؟ لاستحضر أنها معطوفة على المحرَّماتِ قبلها في الآية السابقة، فلا بد من تلاوتِهما في سِياق واحد، وفي

(١) ينظر: المقصِدُ: ص ٩.

(٢) ينظر: تَفْسِير أَبِي حيَّان: ٣٩٢/٧ وما بعدها، تَفْسِير الخازن: ٤٩/٤.

مثل هذا الموضع يمكن للإمامِ أن يقفَ على آخر الآيةِ الرابعة والعشرين، ثم يبتدئَ بالآية التالية: ﴿وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾(١) [النساء: ٢٥].

٢- قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرًا﴾[الكهف:٧٥] فالشروع في القراءة من بداية هذا الحزب والقطع آنفًا دونه عند قوله تعالى: ﴿قَالَ أَقَتَلۡتَ نَفۡسًا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا﴾ [الكهف:٧٤] فيه تقطيع لمعاني القرآن؛ إذ لا يتحقَّق فهْمُ كلام الله، ولا يتم إدراك معناه في مثل هذا الموضع ونظائره إلا بالوصل إلى التَّمام، فالذي ينبغي هو قراءة القصة بأكْملِها طالت أو قصُرت، وتجنُّب القطع على الكلام الذي يتصل بعضه ببعض ويتعلَّق آخره بأوله(٢). فهذه الآيات ونظائرها يَقْبُحُ القطع على الأولى منها - قبْل الركوع - والابتداء بما بعدها مُطلقًا، ومثال ما تقدم كثير، وهذا يعني ضرورة اختيار الإمام للوقف المناسب قبل الركوع، والابتداء المناسب بعد الفاتحة في الركعة الثانية في نفس اليوم أو من الغد، فلينتبه إلى ذلك رعاية لكتاب الله العزيز وتعظيمًا له(٣).

* * *

(١) **ينظر**: تَفْسِير النيْسابوري: ٣٨٢/٢، تَفْسِير السَمرْقَندِي: ٣٤٣/١.

(٢) **ينظر**: تَفْسِير الثعالبي: ٥٣٦/٣.

(٣) **ينظر**: الوصل والوقف وأثرهما في بيان معاني التنزيل، مبحث بيان عدم جدوى هذه التجزئة: ص٣١ وما بعدها بتصرف.

☙ المبحث الثاني ❧

الوقف والابتداء وسط الآية الواحدة

☙ المطلب الأول ❧

الوقف على كلام لا يُفْهَمُ منه معنى لشدة تعلُّقه بما بعده

ومن أمثلة ذلك الوقف على:

١ - قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾[الكهف:١٦].

فالوقف على قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ وفصْلُه عمَّا بعده لا يتمُّ به كلام، ولا يُفْهَمُ منه معنى إلا بوصله بقوله: ﴿فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ لشدة تعلُّقِه به فلا يَحْسُنُ الفصل دون الفاء؛ لأن هنا جملًا محذوفة دلَّ عليها ما تقدَّم مرتبطة بعضها ببعض، والتقدير فأووا إلى الكهف، فألقى الله عليهم النوم، واستجاب دعاءَهم، كذلك لا يَحْسُن الفصل بين قوله: ﴿فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ وقوله: ﴿يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم...﴾ لأن الطلب لا يكْتَمل دون جوابه[١].

٢- قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:٨٣].

فالوقف على قوله: ﴿وَرَحْمَتُهُۥ﴾ أو قوله: ﴿لَٱتَّبَعْتُمُ﴾ وفصْلُه عمَّا بعْده لا يتمُّ به كلام ولا يُفْهَمُ منه معنى إلا بالوصل حتى نهاية الآية، والمعنى أي: لولا فضْلُه سبحانه عليكم ورحمته بإرشادِكم إلى سبيل الرشاد ونصْرُه ومعونتُه لكم لاتَّبَعْتُم الشيطان فيما يُلقِي إليكم من الوساوس[٢].

* * *

(١) **ينظر**: تَفْسِير الألوسي: ٢٢٠/١٥ وما بعدها، مَنارُ الهُدى: ٤٣٧/١

(٢) **ينظر**: تَفْسِير الألوسي: ٩٥/٥ وما بعدها، مَنارُ الهُدى: ١٨٨/١.

❁ المطلب الثاني ❁

الوقف على كلام يُفْهَم منه معنى غير مقصود لتوقُّف ما بعده عليه

ومن أمثلة ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [البقرة:٢٥].

فالوقف على قوله: ﴿جَنَّٰتٖ تَجۡرِي﴾ في هذا الموضع ونظائره في آي القرآن الكريم[١] لا يصحُّ، فربما تبادَرَ إلى الذهن أن الجناتَ تجري، وهذا من تحريف الكَلِمِ عن مواضعه؛ إذ التي تجري هي الأنهار، فمَنْ لا يُساعدُه النفس فليقف على ﴿... أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ﴾ ثم يعود فيُكْمِل ﴿أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾؛ لأن ﴿مِن تَحۡتِهَا﴾ متعلِّقٌ بـ ﴿تَجۡرِي﴾[٢].

٢- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْ ...﴾ [النساء:٤٣].

فالوقف على قوله: ﴿لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ لا يَصِحُّ؛ لأن المقصود من الآية الكريمة لا يتمُّ إلا إذا انْضَمَ إليه ما بعده من قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ فيُوصِلُ بما بعْده إلى أن يقف على قوله: ﴿حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْ﴾، وهو كافٍ؛ وذلك لما كانت الخمر مباحة؛ حيث أتاهم الإرشاد لإخلاص الصلاة التي هي رأس العبادة من شوائب الخمر وكدرها[٣].

* * *

(١) وَرَدَ قوله تعالى ﴿جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ في سبعةٍ وعشرين موضعًا في القرآن الكريم، والثامن والعشرين في سورة التوبة الآية المائة ﴿لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾.

(٢) **ينظر**: تَفْسِير الدُّرُ المصون: ٢١٤/١، مَنارُ الهُدى: ١٨٢/١، المُكْتَفى: ص٧٤ .

(٣) **ينظر**: تَفْسِير ابن كثير: ٥٩/٤، تَفْسِير الألوسي: ٣٨/٥، مَنارُ الهُدى: ١٨٢/١، المقصِدْ: ص٥٨.

﴿ المطلب الثالث ﴾

الوقف على كلام يُفْسِد المعنى أو يُوهِم ما لا يليقُ بالله تعالى ورسله

ومن أمثلة ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾[البقرة:٢٦].

فالوقف على قوله: ﴿لَا يَسْتَحْيِۦٓ﴾قبيحٌ؛ لأنه يُوهِم معنى فاسدًا ووصفًا لا يليق بالباري سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ بل ولا يصحُّ التفوُّه به، ففيه من سُوءِ الأدب مع الله ما هو ظاهر، وإنَّما يكون الوقف على قوله: ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾وهو كافٍ، فالآية سِيقت لبيان أن ما استنكره الجهلة والسُّفهاء وأهل العِناد والمِراء من الكفار ليس بموضوع للاستنكار والاستغراب، فللهِ أن يضرب أي مثل كان بأي شيء كان صغيرًا أو كبيرًا [١].

٢- قوله تعالى ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد:١٩].

فالوقف على كلمة ﴿إِلَٰهَ﴾قبيحٌ؛ لأنه يُوهِم معنى فاسدًا؛ بل هو كفْرٌ ظاهر لمَنْ قَصَدَه عياذًا بالله، وإنما يكونُ الوقف على كلمة ﴿وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾وهو تام. ففي الآية أمرٌ بالعِلْمِ والعمل؛ أي إذا علمت أن مدار السَّعادة هو التوحيد والطاعة، وأن مناط الشَّقاء هو الإشراك والعصيان، فاثبُتْ على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية والعمل بموجبه [٢].

وفيما يلي مزيد تفصيل فيما يَقْبُحُ للإمام الوقف عليه أو الابتداء به، وما يَحْسُنُ، مما أجْمَلتُه في الصَّفحات المتقدمة؛ وذلك في الفَصْلين التَّاليين، وبالله تعالى التوفيق.

* * *

(١) **ينظر**: تَفْسِير الزَّمَخْشَري: ١ /٢٣٥، تَفْسِير ابن كثير: ٣٢٥/١، مَنارُ الهُدى: ٦٧/١، المكتفى: ص٣٤.

(٢) **ينظر**: تَفْسِير أَبِي السُّعُود: ١٤٦/٥، تَفْسِير الزَّمَخْشَرِي: ٢٣٤/٥، إيضاح الوقف والابتداء: ص٤٧٧.

﴾ الفصل الثاني ﴿

مواضع يَقْبُحُ الوقف عليها والابتداء بما بعدها

المبحث الأول: في مواضع يَقْبُحُ للإمام الوقف عليها.

وفيه بيان لبعض المُتَعلِّقات اللَّفْظِيَّة التي لا يجوز الفصل بينها أثناء القراءة، فكل مبتدأ لابدَّ له من خبرٍ، وكل فعْلٍ لابد له من فاعل سواء كان ظاهرًا أو مقدرًا، وهو ما يسمى بالعلاقة اللَّفْظِيَّة، فلو فصل بين المبتدأ وخبره أو بين الفعل وفاعله؛ لانقطعت العلاقة اللَّفْظِيَّة التي لا يُفهم الكلام بدونها، ومن ذلك التعدي في الوقف والغُلُوِّ في تكلُّفِ المعاني التي لا يدل عليها السِّياق، وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول**: الوقف على ما لم يَكْتَمل معناه من المُتَعلِّقات اللَّفْظِيَّة.
- **المطلب الثاني**: الوقف على أوَّلِ الكلمة من الجملة التالية بما يُوهِم العطف.
- **المطلب الثالث**: الوقف التعسُّفي مما لا يُساعِدُ عليه معنى ولا لغة.

المبحث الثاني: في مواضع يَقْبُحُ للإمام الابتداء بها.

الأصل أنه لا ينبغي الابتداء إلا بكلام مُسْتَقل مُوفٍ بالمقصود، يتوافَقُ مع اللغة،غير مرتبط بما قبْله في اللفظ، ولا يَخِلُّ بالنَّظم القُرآني، خاصة وأن الابتداء لا يكون إلا اختياريًّا، فهو ليس كالوقف الذي قد تدعو إليه ضرورة، ويتفاوَتُ القبح في الابتداء بحسْب إخلاله بالمعنى المقصود أو إيهامه خِلاف مراد الله عَزَّوَجَلَّ، وكُلّ ما يَقْبُحُ الوقف عليه يَقْبُحُ الابتداء بما بعده، وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول**: الابتداء بما فُصِل عمَّا قبْله من المُتَعلِّقات اللَّفْظِيَّة.
- **المطلب الثاني**: الابتداء بآخر كلمة من بعض الآيات ووصْلها بالجملة التالية.
- **المطلب الثالث**: إعادة بعض جملة الاستفهام في الجواب مما يَخِلُّ بالنظم القرآني.

وفي يلي الكلام بالتفصيل على المبحثين المتقدمين، وبالله التوفيق.

❁ المبحث الأول ❁

في مواضع يَقْبُحُ للإمام الوقف عليها

❁ المطلب الأول ❁

الوقف على ما لم يكتمل معناه من المُتعلِّقات اللَّفظِيَّة

فلا يُفْصَلُ بالوقف بين المبتدأ وخبره، ولَا بين الصِّفة والمَوصُوف وإن تعدَّدت، ولَا بين الحال وصاحبه، ولا بين المعطوف والمعطوف عليه، ولَا بين المستثنى والمستثنى منه، ولا بين الشرط وجوابه، ولَا بين التعليل والمعلّل، ولا بين التمني وجوابه، ولَا بين القول ومقوله، ولَا بين المفسَّر والمفسِّر، وهكذا في جميع المُتعلِّقات ويتفاوت القُبْح في الوقف بحسْب إخلاله بالمعنى المقصود أو إيهامه خِلاف مراد الله عَزَّوَجَلَّ.

فيَقْبُحُ الفصل بالوقف بين المبتدأ وخبره، ومن أمثلة ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩]، فكثيرون هم الذين يقفون عند ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾، ثم يُكمِلُون ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، ولم يراعوا أن معنى الآية لا يتمُّ إلا بالوصل، فإن قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ...﴾ هو المبتدأ، وخبره هو قوله: ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾، ولا يجوز الفصل بين المبتدأ وخبره، والمعنى: أن الله تعالى يسْخَر من الذين يسْخَرُون من المُتصدِّقين من المؤمنين، فيجوز للقارئ أن يقف عند ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ لأخذ النفس، ولأنه أدي فائدة يَحْسُنُ الوقف عليها؛ لكن عليه أن يعُودَ، فيَبْتدِئَ بها، ويصلها بما بعدها [(١)].

٢ - قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢] فهذه الآية عبارة عن مبتدأ وخبر؛ فالمبتدأ

---

(١) **ينظر**: منا ر الهدى: ٣١٣/١. قال: فلا يوقف على ﴿فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾، ولا على ﴿جُهْدَهُمْ﴾، ولا على ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾، لأن خبر المبتدأ لم يأت، وهو ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ المُكْتَفى: ص١٢١.

﴿وَٱلَّذِينَ﴾، وخبره الجملة ﴿كَفَّرَعَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾، فربما انْقطع نَفَسُ القارئ عند قوله ﴿وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ﴾، فهنا ينبغي أن يعود فيبتدِئَ بها، ويَصِلَها بما بعدها؛ ليتصل الكلام(١).

ويَقْبُحُ الفصل بالوقف بين الصِّفة والموصوف وإن تعدَّدت، ومن أمثلة ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، فقوله: ﴿ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ...﴾ هذه ثلاث صفات لموصوف واحد وهو قوله: ﴿وَرَسُولِهِ﴾ يعني رسول الله ﷺ، وهذه الثلاث صفات هي: النبي، والأمي، والاسم الموصول ﴿ٱلَّذِي﴾، فلا يَحْسُنُ أن يقولَ ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ﴾، ثم يَكْمُلُ ﴿ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾. فهنا الصفة اسم مفرد، وهي أشد التصاقًا بالمَوْصُوف(٢).

٢ - قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران:١٥٤]، فإن جملة ﴿يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡ﴾ نعتٌ للنعاس، فلا يَحْسُنُ الوقف قبلها والابتداء بها؛ بل يصِلُها بما قبْلها؛ ليتصل الكلام(٣).

ويَقْبُحُ الفصل بالوقف بين الحال وصاحبه؛ سواءً كانت مفردة أو جملة، ومن أمثلته:

١- قوله تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١]، فإن جملة ﴿وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًا﴾ جملة حالية بمعنى: لا تنقضوا الأيمان بعد أن وثَّقتموها والحال أنكم جعلتم الله فيها كفيلًا عليكم(٤).

---

(١) **ينظر**: مَنارُ الهُدى: ٢/٢٧٤. قال: ﴿وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ﴾ ليس بوقف؛ لأن خبر ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ لم يأت، وهو: ﴿كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾ المُكْتَفى: ص٢٣٤.

(٢) **ينظر**: إيضاح الوقف والابتداء: ص ٣٣٢، المقصِدْ: ص٧٩.

(٣) **ينظر**: منارُ الهدى: ١/١٦٢. قال: ﴿طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡ﴾ كافٍ؛ لأن ﴿وَطَآئِفَةٞ﴾ مبتدأ، والخبر ﴿قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ﴾ وسوغ الابتداء بالنكرة التفصيل، المُكْتَفى: ص٦٨.

(٤) **ينظر**: منارُ الهدى: ١/٤١٣، القطع والائتناف: ص٣٧٠، وقال: ﴿وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًا﴾ قطْع كاف.

٢- قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ [الانفال: ٥] فإن جملة ﴿وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ حال؛ أي: كما أخرجك ربك من بيتك بالحق في حال كُرْهٍ من بعض المؤمنين لهذا الخروج (١).

ولا يخفى أن فصْل بعض الأحوال عن أصْحَابها ممَّا يقلِّل من وقْع المعنى وقُوَّتِه وربما جَعَلَ جملة الحال لا معنى لها، كما في قوله: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة:٤٤]. فإن هذا السِّياق للتشْنِيع عليهم، كيف أنهم يأمُرُون الناس بالبِرِّ وينسوْن أنفسهم في حال أنهم تالون للكتاب عالمون بأحكامه، فإن هذا أعظم شناعة ممَّنْ يأمُرُ الناس بالبِرِّ وينسى نفسه في حال كوْنِه لا يقرَأُ الكتاب ولا يدريه، فلو وَقَفَ القارئ عند قوله: ﴿وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ﴾، ثم استأنف ﴿وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ لكان هذا إخبارًا لهم بأنهم يتلون الكتاب، ومجرد الإخبار بذلك لا يُفيد شيئًا، فإنهم يعلمون أنهم يتلون الكتاب، فعُلِمَ ضرورةُ وصْلِ الحال بصاحبها في هذه الآية وأمثالها (٢).

٣- قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُ﴾ [آل عمران:٩٩]، فإن جملة ﴿وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُ﴾ جملة حالية؛ أي: لم تصُدُّون عن سبيل الله مَنْ آمن في حال كوْنِكم شاهدين بأن ما آمنوا به حقٌّ، وتجدونه في كتبكم، فلا يُوقف على ﴿مَنۡ ءَامَنَ﴾ ولا على ﴿عِوَجٗا﴾(٣).

---

(١) **ينظر**: مَنارُ الهُدى: ٢٨٩/١. وقال: ﴿لَكَٰرِهُونَ﴾ كاف، على استئناف ما بعده.

(٢) **ينظر**: مَنارُ الهُدى: ٧١/١. وقال: الوقف على ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ حسن، والكتاب التوراة المُكْتَفى: ص٣٥.

(٣) **ينظر**: منار الهدى: ١٥٢/١، وقال: ﴿مَنۡ ءَامَنَ﴾ ليس بوقف؛ لأن ما بعده جملة حالية، أي: باغين لها عوجًا، ومثله ﴿عِوَجٗا﴾.

ويَقْبُحُ الفصل بالوقف بين المعطوف والمعطوف عليه؛ سواءً كان المعطوف مفردًا أو جملة، ومن أمثلة ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ ...﴾ الآية [الأحزاب:٣٥] فنلحظ كثرة المعطوفات في هذه الآية من ﴿وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ﴾ حتى ﴿وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ كلها معطوفة على ﴿ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ في أول الآية، فهذه لو قَطَعَ بعضها عن بعض لم يترتب عليها فساد في المعنى إلا أن الوصل أولى بلا شك، فإذا وَقَفَ الإمام فيستحب له أن يعود فيبدَأ من حيث وَقَفَ أو من أقرب موضع يَحْسُنُ الابتداء من عنده، ثم يُكمِل الآية إلى آخرها [(١)].

٢- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، ففي هذه الآية أربع جُمَلٍ معطوفة؛ الأولى: ﴿وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾، الثانية ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾، الثالثة: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾، الرابعة: ﴿وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ...﴾، فإذا وَقَفَ القارئ على أحد هذه المعطوفات فيَحْسُن به أن يعود فيبتدَأ بها، ويصلها بما بعدها؛ ليتصل الكلام [(٢)].

٣- قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ [النساء:٨١] وهو في سِياق الكلام على المنافقين، فلو قرأ الإمام ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ﴾، ثم وقَفَ، لما تحقَّق بذلك الذَّم فإن قولهم: ﴿طَاعَةٞ﴾ أمْرٌ مَحْمُود، إنَّما الذَّم في تناقُضهم ونفاقِهم بأنهم يقولون طاعة ما داموا عندك، فإذا خرجوا من عندك

---

(١) **ينظر**: مَنارُ الهُدى: ١٦٤/٢. وقال: ولا وقف من ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ إلى ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ﴾.
(٢) **ينظر**: إيضاح الوقف والابتداء: ص٣٣٢، مَنارُ الهُدى: ٢٧٨/١.

نقضُوا ما قالوه [1].

٤- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوٓا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤]، فإنَّ هذا الكلام المحكي عن المنافقين إنما ذكره الله على سبيل الذمّ لهم بلا شك، وإذا تأملنا قراءة كثير من الأَئِمَّة نجد أنه يقف عند ﴿ءَامَنَّا﴾، فيقرأ ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓا ءَامَنَّا﴾ ثم يقف ويُكمِل ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ﴾ وهذا الوقف يُوهِم غير المعنى المراد، ويُثْبت لهم الإيمان؛ إذ لا يفيد ذمًّا؛ بل قول الإنسان: (آمنت) أمرٌ محمود، إنما الذَّم في أن يقول عند المؤمنين: آمنت، وعند الكفار يقول: لمْ أومن، إذًا الذَّم لا يتحقَّق إلا بالوصل لإيضاح التناقض والنفاق [2].

ومما هو جدير بالتنبيه عليه في العطف التفريق بين (أنَّ) مفتوحة الهمزة، و(إنَّ) مكسورة الهمزة المثقلتين - مشددتي النون - فإن المكسورة تكون بداية جملة فيَحْسُن الوقف عند ما قبلها والابتداء بها ما لم تكن جملة حالية ونحو ذلك، أما المفتوحة فالغالب في القرآن أنه لا يَحْسُن الوقف عند ما قبلها والابتداء بها إذا كان قبلها واو؛ لأنها حينئذ تكون معطوفة. **مثال ذلك:** قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ١٠] وقوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧].

ويَقْبُحُ الفصل بالوقف بين المستثنى والمستثنى منه، ومن أمثلته:

١- قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٤٠].

أي: واحمل أهلك والمؤمنين من غيرهم، ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ، واستثنى من أهله من سبق عليه القول أنه من أهل النار، فَكَانَ مِنْهُمُ ابْنُهُ الَّذِي انْعَزَلَ

(١) **ينظر:** مَنارُ الهُدى: ١/١٨٧، قال: ﴿طَاعَةٌ﴾ ليس بوقف؛ لأن الوقف عليه يُوهِم أن المنافقين موحدون، وليس كذلك، وسياق الكلام في بيان نفاقهم لا يتم إلا بوصله إلى ﴿تَقُولُ﴾.

(٢) **ينظر:** منار الهدى: ١/٦٢. وقال: ليس بوقف، إيضاح الوقف والابتداء: ص٢٤٩.

وَحْدَهُ، وَامْرَأَةُ نُوحٍ وَكَانَتْ كَافِرَةً بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ[(١)].

وفي نظائر ذلك من الآيات كقوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

يستثني من ذلك ما إذا كان الاستثناء منقطعًا بمعنى (لكن)، فيجوز الابتداء به كما في قوله تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النمل: ١٠-١١] أي: لكن ﴿مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا﴾ والاستثناء المنقطع ما كان المستثنى من غير جنْس المستثنى منه، فيبدَأ به ويكون بمعنى (لكن)[(٢)].

ومما يلحق بالاستثناء: الاستدراك بـ (ولكن) فيَحْسُن وصل ما قبلها بما بعدها، وهي كثيرة جدًّا في القرآن كقوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٧]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤].

ومن ينبغي التنبُّه إليه الوقف بعد النفي وقبْل أداة الاستثناء، فإنه يؤدي إلى نفي المعنى مع أن المراد إثْباته، كان يقرأُ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِيٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢]، فقد يقرأ قارئ من أول الآية ويقف عند ﴿وَلَا نَبِيٍّ﴾ فيكون نفيًا لإرْسال أي رسول أو نبي، والمشكلة الأكبر إذا لمْ يَشْعُر الإمامُ بذلك، فأكْمل ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِيٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾[(٣)].

---

(١) **ينظر**: تفسير أبو السعود ٤٤/٣ بتصرف، تفسير الزمخشري: ٣/ ١٩٩ ، مَنارُ الهُدى: ٣٤٧/١، وقال: ﴿ٱلتَّنُّورُ﴾ ليس بوقف؛ لأن ﴿قُلْنَا﴾ جواب ﴿إِذَا﴾، و﴿وَأَهْلَكَ﴾ ليس بوقف؛ لأن الوقف يشعُرُ بأنه حمل جميع أهله، وتعلق الاستثناء أيضًا يوجب عدم الوقف.

(٢) **ينظر**: مَنارُ الهُدى: ١٠٨/٢، وقال: يَحْسُن الوقف على ﴿ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ فـ ﴿إِلَّا﴾ بمعنى لكن، والمعنى: لكن من ظلم من غير المرسلين، بجعل الاستثناء منقطعًا، وهذا مذهب الفراء، والنحويون لا يجيزون ذلك، انتهى كلامه بتصرف.

(٣) **ينظر**: مَنارُ الهُدى: ٥٢/٢، وقال: ﴿وَلَا نَبِيٍّ﴾ ليس بوقف؛ لأن حرف الاستثناء بعده، وهو الذي به يصح معنى الكلام.

ومن نظائره قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ ...﴾ [النحل:٦٤].

عدم الفصل بالوقف بين الشرط وجوابه ومن أمثلة ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [يونس:٩٠].

فالوقف على قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ﴾ قبيحٌ؛ لأنه لم يؤدْ فائدة يَحْسُن الوقف عليها، والابتداء بما بعده أقْبح منه؛ لأنه قد يُوهِم أن فرعون آمن حق الإيمان، وليس هذا بصحيح؛ لأن إيمانه كان حين أدركه الغرق، وتراكمت فوقه الأمواج وغشِيته السكرات، فقال - وهو كذلك - : ﴿ءَامَنتُ﴾ فآمن حيث لا ينفعه الإيمان، فالكلام مشروط بما قبله؛ لذا تعيَّن على القارئ وصْل الشرط بجوابه، وهو قوله: ﴿قَالَ ءَامَنتُ﴾ وعدم فصْل متعلقات الجملة الشرطية بعضها عن بعض [1].

٢- قوله تعالى: ﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا﴾ [الإسراء: ٢٥]، فإن جواب الشرط هو ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا﴾، وللأسف فإنَّ بعض الأئِمَّة، يقرؤها هكذا ﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ﴾ فيقف ثم يكمل ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا﴾، والله سبحانه أعلم بما في نفوسنا صالحين كنا أو دون ذلك؛ ولكن هذا الشرط هو حضٌّ على الأوْبةِ والرجوع إلى الصلاح ﴿إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا﴾ ؛ أي: إن أصلحْتم نيَّاتكم في والديْكم، وأطعتم الله فيما أَمَرَكم به من القيام بحقوقهم بعد هفوةٍ أو زلةٍ في حقِّهم، فإنه كان للأوَّابين بعد زلةٍ أو هفوة غفورًا [2].

(١) **ينظر**: تَفْسِير الرازي: ١٦١/١، تَفْسِير ابن عطية: ٥٢٢/٤، تَفْسِير ابن حيان: ١٨٨/٥، تَفْسِير ابن كثير: ٣٩٥/٧ وما بعدها، مَنارُ الهُدى: ٣٣٧/١.

(٢) **ينظر**: منارُ الهُدى : ٤٢٣/١. وقال: ﴿صَٰلِحِينَ﴾ ليس بوقف؛ لأن جواب الشرط لم يأت بعد.

٣- قوله تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًا﴾[البقرة: ٢٢٨] فإن قوله: ﴿إِنْ أَرَادُوٓاْ﴾ شرط لما قبله، فلا يَحْسُن الوقف قبله ثم البدء به.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، فإن قوله: ﴿إِذَا سَلَّمْتُم﴾ شرط لما قبله، فلا يَحْسُن الوقف قبله ثم البدء به.

عدم الفصل بالوقف بين التعليلِ والمعلَّل ومن أمثلة ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق:١٢]، فإن جملة ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ...﴾ تعليل لما قبلها، فلا يَحْسُن الوقف قبلها والابتداء بها [(١)].

٢- قوله تعالى عن الظالمين: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[الأنعام: ٩٣]، فقوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ...﴾ تعليل لما قبله، وهو قوله: ﴿تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾[(٢)].

وربما كان التعليل بـ (الكاف) كما في قوله تعالى عن أصحاب النار: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [الأعراف: ٥١]، فقوله: ﴿كَمَا نَسُواْ...﴾ تعليل لما قبله [(٣)].

أو بـ (لعلَّ)، وهو كثير جدًّا في القرآن، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣١].

---

(١) **ينظر**: مَنارُ الهُدى: ٣٤٧/٢. وقال: ليس بوقف إن علق بـ ﴿خَلَقَ﴾، ولا يوقف على ﴿بَيْنَهُنَّ﴾ ولا على ﴿قَدِيرٌ﴾.

(٢) **ينظر**: مَنارُ الهُدى: ٢٤٦/١.

(٣) **ينظر**: مَنارُ الهُدى: ٢٦٨/١. وقال: ﴿هَٰذَا﴾ لا وقف؛ لأن ﴿وَمَا كَانُواْ﴾ معطوف على ﴿كَمَا نَسُواْ﴾ أي: فاليوم نتركهم في العذاب، كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا كما كانوا بآياتنا يجحدون.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ [طه: ١٠]، فلا يَحْسُن الوقف على ما قبل (لعلّ) ثم إكمال ما بعدها.

وربما كان التعليل بـ (كي) ، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ [الحشر: ٧]، وللتعليل أدوات كثيرة غير ما ذُكِر.

عدم الفصل بالوقف بين التَّمني وجوابه ومن أمثلة ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٣]، فإن الفاء في ﴿فَأَفُوزَ﴾ واقعة في جواب التَّمني، ولا يُفْصَل بين التمني ﴿يَٰلَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ﴾ وبين جوابه ﴿فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ **فالكلام ما زال متعلِّقًا، فعلى هذا لا يوقف على** ﴿مَعَهُمْ﴾ ، **والفضل: الظفر والغنيمة** (١) **.**

عدم الفصل بالوقف بين القول ومقُوله، ومن أمثلة ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون:٨٣].

فالوقف على قوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾ قبيحٌ؛ لأن قوله: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ من جملة مَقُول الكفار، ويفْصَحُ عن اعتقادهم ومذهبهم، والائتناف به يُوهِم الإقرار أو الموافقة ، فلا يجوز فصل بعض المقول عن بعض، كما لا يخفى ما في الابتداء بقوله: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ من فساد في المعنى (٢) .

٢- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال:٣٢].

فلا يوقف عند ﴿قَالُواْ﴾ ولا عند ﴿ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾؛ لأن ما بعده من مقوله فهو

(١) **ينظر**: منار الهدى: ١٨٦/١، تَفْسِير الطبري: ٥٤٠/٨، دراسة الوقف والابتداء: ص٢٤.
(٢) **ينظر**: تَفْسِير ابن كثير: ١٤٠/١٠، تفْسِير الرازي: ١١٦/٢٣، تفْسِير الزَّمخْشَري: ٢٤٥/٤.

متعلّق به لفظًا ومعنى [1].

٣- قــوله تعــالى: ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ [آل عمران: ١٨١].

فلا يوقف على ﴿قَالُوٓاْ﴾؛ لأن ما بعده مـن مقُـول مـا قبلـه، ولا يُفـصَل بـين القـول ومقوله، والوقف عند ﴿قَالُوٓاْ﴾ في هذا الموضع ونظائره من أبشع صور الوقـف القبـيح، لمـا يترتب عليه من إيهام معنى مُخِلٍّ بالأدب مع الله، فلينتبه[2].

عدم الفصل بالوقف بين المفسَّر والمفسِّر، ومن أمثلة ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ﴾ [البقرة: ٤٩]، فلا يوقف على سوء العذاب؛ لأن ما بعده ﴿يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ﴾ مفسِّرٌ له، ولا يَكْتَمل المعنى إلا بالوصل[3].

٢-قوله تعالى: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ﴾ [الطارق: ٥-٦].

فلا يوقف على ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾[4]؛ لأن ما بعده ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ﴾ مُفسِّرٌ له، ولا يُفْصَلُ بين المفسَّر والمفسِّر بالوقف[5].

هذه بعض الأمثلة على المُتَعلِّقات اللَّفْظِيَّة، وحيث يَضْطر القارئ أو الإمام إلى الوقف على شيءٍ من ذلك باعتبار قطع النفس، أو نحوه من تعليم، أو اختبار جاز الوقف بلا خلاف؛ لكن يعتمد في الابتداء ما تقدَّم الإشارة إليه من العَوْدِ إلى ما قبْل، فيُبْتَدَأُ به.

* * *

(١) **ينظر**: إيضاح الوقف والابتداء: ص٣٤٠، مَنارُ الهُدى: ٢٩٢/١.

(٢) وذلك كما في الآية (٦٨) من سورة النمل، والآية (٣٢) من سورة الأنفـال، والآيـة (٩٧) مـن سـورة الأنبياء، والآية (١٢) من سورة السجدة ونظائر ذلك.

(٣) **ينظر**: مَنارُ الهُدى: ٧٠/١. وقال: ﴿سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾ لـيس بوقـف لِأن ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ تَفْـسِير لــ ﴿يَسُومُونَكُمۡ﴾، ولا يوقف على المفسَّر دون المفسِّر.

(٤) يجوز الوقف على ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ بنية استئناف القراءة باعتبار أنها رأْسُ آية، والوقـوف على رؤوس الآي سُنَّة كما سبق الإشارة، ولا يُقْطَعُ عليها، كما تقدم ذكره.

(٥) **ينظر**: مَنارُ الهُدى: ٤٠٩/٢. وقال: ليس وَقْفًـا إن جُعِـل تَفْـسِيرًا لـلأول؛ إذ لا يُفْـصَلُ بـين المفـسَّر والمفسِّر بالوقف.

❧ المطلب الثاني ☙

الوقف على أول الكلمة من الجملة التالية بما يُوهِم العطف

وهذا الوقف قبيحٌ؛ لأنه يُغَيِّر المعنى، ويُوهِم غير مراد الله، ومنه ما يكون أشد قبحًا يَفْسُدُ به المعنى أو يُوهِم ما لا يليق بالله جَلَّجَلَالُهُ، وفيما يلي بعض الأمثلة التي توضح ما ذُكِر وتُجَلِّيه للحذرِ منه وتفادِيه.

١- الوقف الذي يُغَيِّر المعنى، ويُوهِم غير مراد الله:

كأن يقرأ الإمام قوله تعالى: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا﴾ [الإنسان:٣١]، يقرؤها هكذا: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فهذا يُفْهم أن الظالمين داخلُون في رحمة الله، والصَّحيح الوقف على ﴿فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ وفصْلها عما بعدها، ثم الابتداء ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾، أو أنْ تُوصِلُ الجملة الأولى بالثانية، ويكون الوقف على نهاية الآية(١).

ونحوها قوله تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [الأعراف:٣٠]، فيقول: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا﴾ فهنا يُوهِم العطف، ولو أنَّه وَصَلَ الجميع؛ لتبيَّن المعنى، أو وَقَفَ عند ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾، ثم أكمل؛ لأن المعنى: وأضل فريقًا حق عليهم الضلالة(٢).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ...﴾ [النساء: ١١]، فالذي يَقِفُ على قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ﴾ يُغَيِّر المعنى، ويُبدِّل الأحكام الشرعية التي افترضها الله؛ إذ يجعل الأبوين يَشْتركان مع البنت في النِّصف، وهو أمر مخالف لما جاءت

(١) **ينظر**: مَنارُ الهُدى: ٣٨٤/٢. وقال: ﴿فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ وقْف كاف، ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾ منصوب بمقدر أي: وعذَّب الظالمين، ولا يجوز أن يكون معطوفًا على ﴿مَن﴾ أي: يدخل من يشاء في رحمته ويدخل الظالمين.

(٢) **ينظر**: مَنارُ الهُدى: ٢٦٤/١. وقال: أي تعودون فريقًا مهديًّا، وفريقًا حاقًّا عليه الضلالة.

من أجله الآية، فالصَّحيح الوقف على قوله: ﴿وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ﴾ وفصْلها عما بعدها، ويكون الابتداء بقوله: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ﴾ فتأمل(١).

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾[الطلاق: ٤]، فالذي يَقِفُ على قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ﴾ يُوهِم أن عدةَ أولاتِ الأحمال ثلاثة أشهر كعدة اللائي يئسن من المحيض واللائي لم يحضن، وهو مخالف للحكم الذي اشتملته الآية، فالصَّحيح الوقف على قوله تعالى: ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ﴾ وفصْلها عما بعدها والابتداء بقوله: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ فأَجْلُ كُلّ حامل أن تَضَعَ ما في بطنها، وهو عام في المتوفَّى عنها زوجها والمطلقة، فتدبَّر(٢).

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[فاطر: ٧].

فالوقف على ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يُوهِم دخول المؤمنين مع الكافرين في العذاب الشديد وليس كذلك، فالصحيح الوقف على ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾، وفصْلها عمَّا بعدها، ثم الابتداء ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، أو أن توصل الجملة الأولى بالثانية، ويكون الوقف على نهاية الآية(٣).

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف: ٥٨]، فيقرؤها هكذا ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾،

---

(١) **ينظر**: المُكْتَفى: ص٧٢. وقال: ﴿فَلَهَا ٱلنِّصْفُ﴾ كاف، القطع والائتناف: ص١٦٠. وقال: ﴿فَلَهَا ٱلنِّصْفُ﴾ قطْع صالح، ولا يتم الكلام حتى يقرأ: ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾، النشر في القراءات العشر: ١/١٨١.

(٢) **ينظر**: تَفْسِير الطبري: ٢٣/٥٦ وما بعدها مَنارُ الهُدى: ٢/٣٤٦. وقال: ﴿لَمْ يَحِضْنَ﴾ وقف تام، و﴿حَمْلَهُنَّ﴾ تام أيضًا.

(٣) **ينظر**: تَفْسِير الطبري: ٢٠/٤٤٠، المكتفى: ص٢٠٩.

فهنا لو أُخِذ على ظاهر هذا الوقف لفُهِم أن الذي خبُث يخرُجُ نباتُه بإذن ربه كذلك، وهنا للإمام أن يقف عند ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾؛ إذ قد تمَّت الجملة، وقد وُضِعَ عليها علامة وقْف في المصحف، ثم يستأنف ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾[1].

وقد يقول قائل: إن هذا لا يَرِد على الذهن فمن المعلوم أن البلد الطيب ليس كالبلد الخبيث، فاستشكال هذا الوقف واستقباحه غير وراد، **فيقال في الجواب عن ذلك**: إن كتاب الله ينبغي أن يؤدى على الوجه الأكْمل ما استطاع القارئ إلى ذلك سبيلًا، وأن يُصان عن كُلّ ظن ووهم، وبلا شك أن الأكمل ألا يقف هذا الوقف.

ومن ذلك قول الله تعالى عن الشيطان الرجيم: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الحج: ٤]، فقد سمِعْنا من يقرؤها فيَنْقَطِع به النفس، فيَقِفُ عند قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ﴾، وكيف يكون الشيطان مُضِلاً هاديًا؟! بل هو عدُوٌّ مضلٌ مبين، معاذ الله منه، فهو يُضلُّه، ويهديه إلى عذاب السعير، أما مطلق الهداية فإنها يُفْهم منها الهداية إلى الحق. فإذا غلب القارئَ النفسُ فليقِفْ على قوله: ﴿يُضِلُّهُۥ﴾، ثم يعيد ﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾[2].

ومن الأَئِمَّة من قرأ قوله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى ١٦-١٧]، فوقف عند قوله: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ﴾ فأخطأ بهذا الوقف خطأً فادحًا، فكأن الله عاتَبهم على أنهم يؤثرون الآخرة، والصَّحيح الوقف عند ﴿ٱلدُّنْيَا﴾، ثم الاستئناف ﴿وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾.

ومنهم من قرأ قوله تعالى: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٣]، فوَقَفَ عند قوله: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا ...﴾، ثم سكت، فسبحان الله: فقد جعل بوقفهِ هذا أصحاب الجنة عُمْيًا لا يَروْن، ولو كلَّف نفسه بمراجعة وقفه لَبَانَ له العجب.

---

(١) **ينظر**: المُكْتَفى: ص١٠٧، وقال: الوقف على: ﴿إِلَّا نَكِدًا﴾ وهو كافٍ.

(٢) **ينظر**: مَنارُ الهُدى: ٤٥/٢، المُكْتَفى: ص١٧١. وقال الوقف عند قوله: ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ وهو تام.

وهذا شيخ كبِير في مسجد شهِير، وفي صلاة التهجُّد حيث قرأ الشيخ الفاضل - سامحه الله -: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ﴾ [غافر: ٨٤]، فوَقَفَ عند قوله: ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا﴾، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وهذا أعجب وقْفٍ قبيحٍ قد تسمَّعته أُذُنُك، وهو خبر الإمام الذي قرأ من سورة النور قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور:٢٣]، فابتدأ في تلاوته بعد أن استرجع نَفَسَه ﴿ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وإنا لله وإنا إليه راجعون(١).

٢- الوقف الذي يُفْسِدُ المعنى ويُوهِم ما لا يليق بالله تعالى:

ومن هذه الوقوف ما تكون شديدة القُبْح جدًّا، فتَجِد من عَوامِ الناس من يتأفَّف منها ويتضايَق، ومن الناس مَنْ يكادُ يقْطَعُ الصلاة لقبح الوقف الذي وَقَفَه الإمَام، أُمثّلُ لذلك بما وقف عليه بعضهم في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠]، فقد وَقَفَ عند ﴿وَلِلَّهِ﴾، فتأمل كم يؤدي هذا الوقف من قبيح معنى تعالى الله عنه(٢).

ومثاله أيضًا أن يقرأ قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾[الرعد: ١٤]، فيقرأ هكذا: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ فهذا يؤدي معنى مناقضًا لمعنى الآية - تعالى الله عن ذلك - فإما أن يصل ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ...﴾، أو أن يقف عند الجملة الأولى ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾، ثم يُكْمل، وفي المصحف قد وُضَع عليه علَامة الوقف(٣).

---

(١) هذه بعض مَرْوِيَّات المُصلِّين في منتدى القرآن الكريم وعلومه على موقع ملتقى أهل الحديث بشيءٍ من التصرُّف.

(٢) **ينظر**: مَنارُ الهُدى: ٤٠٨/١، وقال: الوقف على قوله: ﴿مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾ حسن ، المُكْتَفى: ص١٥٣.

(٣) **ينظر**: مَنارُ الهُدى: ٣٧٨/١. وقال: الوقف على ﴿دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ تام لانتهاء جدال الكفار، المُكْتَفى: ص١٤٢.

ومن ذلك أن أحد القُرَّاء قرأ خَواتِيم سورة البقرة من قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، فوَقَفَ عند قول الله تعالى: ﴿كَمَا حَمَلْتَهُۥ﴾ فكأن الضمير في حمْل الإصْرِ يعُود إلى الله عَزَّوَجَلَّ، تعالى الله عن ذلك، وكان من الواجب أن يَسْتَمِر ﴿كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾.

وهذا إمامٌ آخر يقرأ من قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة:٢٢١]، وإذ بالإمام يقف عند قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ﴾! سأترك لكم التعلِيق على هذه الطَّامة. فهل الله عَزَّوَجَلَّ يدعو إلى النار؟؟؟ وكأن الله عَزَّوَجَلَّ يُجِيبه في الجملة التي بعدها ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ﴾.

وهذا أحد الأَئِمَّة ولعله كان ساهيًا يقرأ من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة:٥٤]، وإذ به يَقِفُ عند قوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ﴾ تعالى الله عن ذلك.

وهنا مثال آخر في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

فتوقف هكذا: ﴿...فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَۗ وَٱللَّهُ﴾ والعياذ بالله سبحانه(١).

* * *

(١) هذه بعض مَرْوِيَّات المُصلِّين في منتدى القرآن الكريم وعلومه على موقع ملتقى أهل الحديث بشيءٍ من التصرُّف.

المطلب الثالث

الوقف التعسُّفي مما لا يساعد عليه معنى ولا لغة [(١)]

وفيه إشارةٌ إلى بعض الأوْقاف الشَّاذة التي لا مُبرِّرَ لها إلا مجرد الإغْراب على السَّامعين، والتي لا يهفو إليها إلا المُتكلِّفون مما تَنْبُوا عنها الأساليب القرآنية التي بلغت الذُّروة في البلاغة والبيان، وتَنفِر منها معاني الآيات التي وصلت إلى الغاية في القوة والإعجاز، وما له من أثرٍ على مقاصد الآي وثوابت العقيدة، **وهذه بعض الأمثلة التي تُبيِّن ما تقدم ذكره:**

١- نماذج للوقف التعسفي وأثره على معاني الآي ومقاصدها:

أ- قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: ٩] فيقرأها بعضهم: ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا﴾ ثم يستأنف ﴿تَقْتُلُوهُ﴾ أو يُعيد ﴿لَا تَقْتُلُوهُ...﴾ ومراده بذلك أن امرأة فرعون قالت له: إن هذا الغلام - الذي هو موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قرة عين لي دُونك؛ لأنه سيكون على يديه زوال ملكك، وهذا ليس بصحيح، لأمور منها: أن امرأة فرعون لا عِلْمَ عندها بأنه سيكون على يدي هذا الغلام زوال ملك فرعون، وأن هذا يناقض قولها بعد ذلك ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾، فلو قالت: قرة عين لي، أما لك فلا، لقالت: عسى أن ينفعني أو أتخذه ولدًا، وأن من وقف على ﴿وَلَكَ ۖ لَا﴾ أن ابتدأ ﴿تَقْتُلُوهُ﴾ لكان هذا لغوًا في الكلام، فكيف تُخْبِرُ أنهم يقتلونه، ثم تقول: عسى أن ينفعنا؟! وأيضًا لكان لحنًا نحويًّا، فمقتضى الاستئناف أن يكون الفعل مرفوعًا، فيلزم أن تلحقه نون الرفع، فيكون **(تقتلونه)**، ومن قرأ ﴿وَلَكَ ۖ لَا﴾ ثم أعاد ﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾ لكانت ﴿لَا﴾ تنفي ما قبْلها، وهي نهي للفعل بعدها، وهذا لا يجوز لغة، فضلًا عن كون هذا الصنيع يُوهِم من لا يدري بوجود لامين متجاوِرتين في هذا الموضع وليس الأمر

(١) سبق تفصيل القول في هذا النوع من الوقف في الباب الأول، الفصل الثاني، مبحث تعريف الوقف والابتداء وبيان أقسامه: ص١٠٧ وما بعدها، وهنا أزيد عليها بعض الأمثلة الأخرى.

كذلك[1].

ب- قوله تعالى: ﴿عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا﴾ [الإنسان: ١٨]؛ إذ يقف على لفظ ﴿تُسَمَّىٰ﴾ ثم يستأنف: ﴿سَلۡسَبِيلٗا﴾، مُعتبرًا إيَّاها كلمتين: سلْ سبيلًا. قاصِدًا بِزعمه: اطلب طريقًا أيَّها السَّالك تُوصِّلك إليها، وهي طريق الهدى والاستقامة. ولا يخفى ما في هذا التأويل من تعسُّفٍ.

٢- نماذج للوقف التعسفي وأثره على العقيدة وثوابتها:

ومن أقبح الوقوف التعسُّفية ما أخلَّ بالعقيدة من الوقوفات التي تَسْتغِلها بعض الفرق المخالفة لمنهج أهل السُنَّةِ والجماعة في تحقيق مآربِهِم وأهوائِهِم من أجل إنشاء دَلالة وتأكيد شُبهة يعتقدونَها، **ومن أمثلة ذلك:**

١- قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨]، فهذه الآية من مواضع الوقف التي ترتبط بالعقيدة، والوقف على قوله: ﴿وَيَخۡتَارُ﴾ هو مذهب أهل السُنَّة باعتبار أن ﴿مَا﴾ الثانية نافية، ويكون قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ﴾ نفيًا؛ أي: ليس هذا الاختيار إليهم؛ بل هو للخالق وحده، وهو قول الجُمْهور من المُفَسِّرين والقُرَّاء.

قال القرطبي: الوقف التَّام ﴿وَيَخۡتَارُ﴾، وقال: قال عليّ بن سليمان: هذا وقف التَّمام، ولا يجوز أن تكون ﴿مَا﴾ في موضع نصب بـ ﴿وَيَخۡتَارُ﴾؛ لأنها لو كانت في موضع نصب لم يعد عليها شيء، قال: وفي هذا رد على القدرية.

وقال ابن النحاس: والوقف على ﴿وَيَخۡتَارُ﴾ هو قول أكثر أصحاب التَّمام، وأهل التَفْسِير والقُرَّاء على أنه تام، ثم الابتداء بـ ﴿كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ﴾؛ أي لم تكن لهم الخيرة.

وقال الأشموني: الوقف على ﴿وَيَخۡتَارُ﴾ تام على أن ﴿مَا﴾ التي بعده نافية لنفي اختيار الخلق لا اختيار الحق؛ أي ليس لهم أن يختاروا؛ بل الخيرة لله تعالى، والوقف على ﴿وَيَخۡتَارُ﴾ هو مذهب أهل السنة، وتَرْكُ الوقف عليه مذهب المعتزلة.

(١) **ينظر**: مَنارُ الهُدى: ١٢٠/٢، وقال: ﴿قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ﴾ وقف كاف، ونقل القول باستحباب الوقف على ﴿وَلَكَۖ﴾؛ لِئلا يُتوهَّم أن الوقف على ﴿لَا﴾ جائز.

ومن أهل العلم من أجاز أن تكون ﴿مَا﴾ الثانية موصولة؛ أي: بمعنى الذي كالإمام الطبري والإمام الداني وغيرهم، وعلى رأيهم يكون الوقف على ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾، والراجح الأول[1].

أما مَنْ ينفي من الطوائف - هداهم الله - قدر الله عَزَّوَجَلَّ وعلمه السابق - وهُمْ القدرية - فيقولون بالوقف عنده قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾، ثم يبتدأ ﴿وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾؛ أي أن الله تعالى يختار للعباد الذي لهم فيه الخيرة فقط، وفيه نفي لِمَا ليس لهم فيه خيرة أن يكون من قدْرِ الله عليهم، وإثبات أنه عَزَّوَجَلَّ لا علاقة لمشيئته وقدره بأفعال العباد، وهذا كله باطل - تعالى الله عن ذلك وتنزَّه -، فكما أنه سبحانه هو المنفرد بالخلق فهو المنفرد بالاخْتيار، فليس لأحدٍ أن يَخْلُق ولا أن يَخْتار سواه، إلا أنه سبحانه قد جعل للعبد قُدرة بها يَخْتار ويفعل الخير والشر، فالأفعال الصادرة من العبد صادرة عن تقدير الله لاخْتيار العبد؛ لذا كانت الأجور والأوزار مترتِّبة على اختيار العبد لا على محضِ المشيئة.

٢- قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] وهذه الآية أيضًا محل استدلال لبعض الفرق المُنكِرة لاستواء الله على العرش كالمعطِّلة والجَهْمية؛ حيث يقولون بالوقف على قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، ثم الابتداء بقوله: ﴿ٱسْتَوَىٰ ۞ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ يُرِيدُون بذلك نفْي الاستواء الذي وصف الله به نفسه، وهذا خطأ منهم، فإن الله تعالى قد استوى على العرش بذاته، وهو مذهب أهل السُّنَّةِ والجماعة من غير تَشْبيه ولا تَمْثيل[2].

---

(١) **ينظر**: تَفْسِير الطبري: ٦٠٧/١٩، تَفْسِير القرطبي: ٣٠٥/١٦، القطع والائتناف: ص٣٩٠، مَنارُ: ١٢٨/٢، المكتفى: ص١٩٥.

(٢) ذَكَرَ الإمام الداني عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنه كان يقف على قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ ثم يستأنف بعد ذلك. **ينظر**: المكتفى: ص١٦٤، وهذه الرواية لا تصح نسبتها إلى ابن عباس، قال الألوسي: والرواية عن ابن عباس غير صحيحة، ولعل الذي دعا القائل به إليه الفرار من نسبة الاستواء إليه جَلَّجَلَالُهُ، ووافقه على عدم صِحَّتها السَّمِين الحلبي. **ينظر**: تَفْسِير الألوسي: ١٦١/١٦، تَفْسِير السَّمِين الحلبي: ١٣/٨.

وبذلك يتضح لنا ما للوقف والابتداء من أثرٍ في تقريرِ عقيدة أهل السُّنَّةِ والجماعة المُتمسِّكين بسُنَّة النبي محمد ﷺ، المُجْتمعِين على ما أجمع عليه سَلَفُ الأُمَّة، فجديرٌ بقارئ القرآن عامة، وإمام المسْجد خاصة أن يتجنَّب هذه الوقوف القبيحة ونظائِرَها؛ لما فيها من التعسُّف والتكلُّف الذي قد يُفضِي إلى تحريف الكلمِ عن مواضعه ـ عياذًا بالله ـ مع ذهابه لِحليةِ التلاوة وزِينةِ الأداء والقراءة. والله أعلى وأعلم.

* * *

المبحث الثاني

في مواضع يَقْبُحُ للإمام الابتداء بها

المطلب الأول

الابتداء بما فُصِل عمَّا قبْله من المُتَعلِّقات اللَّفْظِيَّة

فلا يُبْتَدَأُ بالفاعل دون فعله، ولا بالوصفِ دون موصوفه، ولا بالمشارِ دون اسم الإشارة، ولا بالخبر دون المبتدأ، ولا بالحال دون صاحب الحال، ولا بالمعطوف دون المعطوف عليه، ولا بالبدل دون المبدل منه، ولا بالمضاف إليه دون المضاف، ولا بالمستثنى دون المستثنى منه، وهكذا في جميع المُتَعلِّقات، فكُلُّ ما يَقْبُحُ الوقف عليه يَقْبُحُ الابتداء بما بعده، ويتفاوت القبح في الابتداء بحسب إخلاله بالمعنى المقصود أو إيهامه خلاف مراد الله عَزَّوَجَلَّ، **وفيما يلي بعض الأمثلة لإيضاح ما تقدم الإشارة إليه:**

١ - الابتداء بجملة مقول القول دون فعل القول:

فمن ذلك **قوله تعالى:** ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢] فإن وقف القارئ على ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ﴾، ثم استأنف، فابتدأ من لفظ الجلالة كان الابتداء قبيحًا ، وإن ابتدأ من ﴿وَعَدَنَا﴾ كان أقبح منه ، وإن ابتدأ ﴿مَّا وَعَدَنَا﴾ كان أقبح منهما[١].

ومن ذلك الابتداء بالكلام الكُفْري المحْكي عن الكُفَّار في وسْط الآية، كمن يقرأ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [سبأ:٤٣] فيَبْتَدِئُ من عند ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ، وهذا قول للكفار لا يَحْسُن الابتداء به.

أو كمن يقرأ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الانفال: ٣١]، فربما ابتدأ من قوله: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ أو

(١) **ينظر**: النَّشر في القراءات العشر: ١/١٨١.

من قوله: ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾، وكان الأولى به أن يعيد من عند ﴿قَالُوٓاْ ...﴾ إلى آخر الآية، وهذا ليس بعسير لمَنْ انتبه له.

ومن ذلك الابتداء بـ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ﴾ من قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ (1) [آل عمران:181].

ويستثنى من ذلك الابتداء بمقول المؤمنين في دعائهم، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: 74].

فلو قرأ الإمام قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا ﴾ ثم وقف فعاد وقرأ ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ لحَسُن ذلك.

2 - الابتداء بجواب الشرط دون فِعْل الشرط:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة:120] فإن جواب الشرط هو ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ وفِعْل الشرط وهو ﴿ ٱتَّبَعْتَ ﴾، فالابتداء بـ ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ قبيح يُوهِم بأنه قد حُكم على الرسول ﷺ بأنه ليس له من الله ولي ولا نصير، وحاشاه ذلك، فالكلام مشروط باتباعه لأهواء أهل الكتاب تحذيرًا له ولأمته، فتقرأ هكذا بالوصل ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾، فإن اضْطر الإمام إلى الوقف عند ﴿بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ لضيق النفس فعليه أن يعود، فَيَبْدَأ بها مكمِّلًا الآية(2).

ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: 145] فالابتداء بقوله: ﴿ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ قبيح، فالكلام

(1) **ينظر**: مَنارُ الهُدى: 1/167، وقال: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ﴾ ليس بوقف؛ لقبح الابتداء بما بعده.

(2) **ينظر**: مَنارُ الهُدى: 1/86، وقال: ﴿ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ ليس بوقف، ولا يُفْصَلُ بين الشرط وجوابه بالوقف، إيضاح الوقف والابتداء: ص263.

متعلّقٌ بفِعْلِ الشرط ﴿ٱتَّبَعْتَ﴾ كما تقدم بيانه.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾(١) [البقرة: ١٧].

حيث يستأنف بعض الأَئِمَّة - سامحهم الله - القراءة مبتدئين بجواب الشرط ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ﴾ وهذا تقطيع للمعنى الواحد الذي تحْمله الآية.

٣ - الابتداء بالمعطوف دون المعطوف عليه:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣]، فربَّما انتهى نفس القارئ عند ﴿وَإِسْحَٰقَ﴾، أو ﴿إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ فيعيد ﴿وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾، ولا شك في فساد المعنى وقبحه حينئذ(٢).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى...﴾ [الممتحنة: ١].

فقد سَمِعْتُ بأُذُني بعض الأَئِمَّة قد وَقَفَ - وربَّما لضيق نفسه - عند ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ﴾، ولا حَرج في ذلك، إنَّما الحرج والقُبح أنه استأنف القراءة وابتدأ فقال: ﴿وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ﴾، وهو ابتداء ظاهر القبح لفساد المعنى؛ إذ يصير تحذيرًا من الإيمان بالله تعالى، وهذا المَسْجِد يقصده عَشرات الآلاف فأي قراءة هذه؟(٣).

---

(١) **ينظر**: مَنارُ الهُدى: ٦٣/١، وقال: قوله: ﴿نَارًا﴾، وكذا قوله: ﴿مَا حَوْلَهُۥ﴾ ليسا بوقف؛ لأنهما من جملة ما ضربه الله مثلًا للمنافقين بالمستوقد نارًا، والفائدة لا تحصل إلا بجملة المثل.

(٢) **ينظر**: مَنارُ الهُدى:٨٩/١، وقال: قوله: ﴿وَإِسْحَٰقَ﴾ ليس بوقف، **قلت**: وكل ما لم يجز الوقف عليه لم يجز الابتداء به.

(٣) **ينظر**: مَنارُ الهُدى: ٣٣٢/٢، وقال: لا وقف من ﴿تُلْقُونَ﴾ لاتصال الكلام بعضه ببعض، فلا يوقف على ﴿بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ ولا على ﴿مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ ولا على ﴿ٱلرَّسُولَ﴾ ولا على ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾؛ لأنه معطوف على ﴿ٱلرَّسُولَ﴾ انتهى كلامه بتصرف.

ومن ذلك ما اشتُهر الابتداء به من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾ [الأنبياء:١٠١] ولا يخفى شدة تعلُّق هذه الآية بالآيات التي قبلها، ليظْهر للسَّامِع أن المقصود بقوله: ﴿عَنۡهَا﴾؛ أي عن النَّار وليس الجنَّة.

أما الأَئِمَّة الذين يُلْزِمُون أنفسهم عند الابتداء بأوائل الأرباع والأحزاب دون اعتبار المعنى فإنهم يقعون أحيانًا في أقْبح الغلط، حين يقطعون ما ينبغي وصله مما هو متعلِّق بما قبله، مما يؤدي بهم إلى فساد المعنى، وهذا كثير جدًّا - وقد سبق التنبيه عليه - فقد تسمع إمامًا، يبدَأُ قراءته بقوله تعالى: ﴿قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٥٠] دون ما اعتبار للمعنى لا لشيءٍ إلا لأنَّه يلتزم في قراءته بأوائل الأرباع أو الأحزاب.

فتأمل ذلك ، واحذر من البدء بما تقدَّم الإشارة إليه ونظائره؛ لما فيه من الشَّطط وأقْبح الغلط؛ بل وأحيانًا سُوء الأدبِ مع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وإحالةِ المعنى إلى معنى آخر لا يمكن التفوه به مطلقًا، ولا تغترنَّ بكثرة الغافِلين من القُرَّاء والأَئِمَّة الذين لا يراعون هذه الآداب.

* * *

﴾ المطلب الثاني ﴿

الابتداء بآخر كلمة من بعض الآيات ووصْلها بالجملة التَّالية

فكثيرًا ما نَسْمع من بعض الأَئِمَّة - هداهم الله - صورًا من الابتداءِ القبيح الذي يُغَيِّر المعنى، ويُوهِم غير مراد الله، أو ربما أَوْهَم ما لا يليق بذات الله، وفي النمُوذجين التاليين أمثلة من قبيح الابتداء لنتجنَّبها، ونظائرها أثناء التلاوة صيانة لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ.

١ - الابتداء الذي يُغَيِّر المعنى ويُوهِم غير مراد الله:

ومن ذلك قراءة بعض الأَئِمَّة قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:٢٠]، فيقف عند قوله: ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ﴾ ثم يعود فيبتدِئُ ﴿أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فيُوهِم معنى غير مقصود.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ [الطارق:٢-٣]، فلو أعاد فقال: ﴿ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ لكان: ﴿ٱلطَّارِقُ﴾ يعرب خبرًا لمبتدأ ﴿مَا﴾ الاستفهامية، ويعرب مبتدأ لجملة: ﴿ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾، وهذا لا يصحُّ - كما سبق الإشارة - إضافة إلى أن هذه الطريقة قد تُوهم المستمع غير العارفِ أن هذه الآية من سورة الطارق هي هكذا: «الطارق النجم الثاقب»، فتكون كلمة ﴿ٱلطَّارِقُ﴾ وردت في هذه السورة ثلاث مرات حسب ما توهَّمه المُسْتمع، بينما هي لم ترد إلا مرتين.

ومن بعض صور الإعادة التي لا مبرر لها والتي كثيرًا ما نسمعُها:

قوله تعالى: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٥ -١٦].

فيقف أحدُهم على قوله تعالى: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾، ثم يبتدِئُ، فيقول: ﴿ٱلْمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ ، وقد وقع بهذا الابتداء القبيح في جملة أَخْطاء، منها أنه جعل جملة ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ مبتدأ بلا خبر، وهذا تَنقِيص في نَظْمِ القرآن الذي نزل بلسانٍ عربيٍ مبين، ومنها أنه جعل المجيد مبتدأ، وخبره فعال، وهذه مخالفة أخرى لنظم القرآن الذي تحدي الله به البُلغاء، وفي هذا تقطيع للجمل، وخلل في المعنى.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [الأعلى: ١١-١٢]؛ حيث يقرأها هكذا ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى﴾ثم يعود فيقول: ﴿ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩].

فيقف على قوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ثم يعود فيقول: ﴿ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

٢ - الابتداء الذي يفسد المعنى ويُوهِم ما لا يليق بالله:

و من أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد:٢]، حيث يقرؤها البعض هكذا ﴿كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، ثم يعود فيقول: ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾، فكأن المعنى أن الله تعالى يدبِّر الأمر لأجل مُسمًّى، أو إلى غاية أجل مُسمًّى، وهذا ليس مرادًا في هذه الآية؛ بل أن قوله: ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾متعلّق بما قبله، ثم تنتهي الجملة، ثم تبدأُ جملة أخرى ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾.

كذلك من الابتداء القبيح في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠]، الابتداء بـ: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾، أو الابتداء من: ﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ ومثل ذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، فيقبُحُ الابتداء من قوله: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾، وأمثلة ذلك كثيرة جدًّا تعالى الله عمَّا يقول الظالمُون عُلُوًّا كبيرًا.

* * *

۞ المطلب الثالث ۞

إعادة بعض جملة الاستفهام في الجواب بما يخِلُّ بالنَّظْم القرآني

وضابط هذه المسألة أن يكون هناك زيادة في المعنى المفهوم تتولَّد من تكرار المبنى واللفظ المنْطوق؛ وذلك بأن تعمل العبارة أو اللفظة مرتين، وقد وردتْ في نصِّ القرآن مرة واحدة، فمن كَرَّر لفظة لغير ضرورة فقد حمَّل نص القرآن ما ليس منه، وفي الآيات التالية أمثلة لهذا الابتداء القبيح لبيان ما فيه من تكلُّف وإغْراب بما لا يليق مع فصاحةِ القرآن الكريم، ودِقَّةِ أُسْلوبِه وسُمُوِّ معانيه.

١- قوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، فالاستفهام في هذه الآية هو قوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾، ثم أجاب الحقُّ سبحانه: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾، فبعض الأئِمَّة ربما قرأها هكذا: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾، ثم أعاد ﴿ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾، وهذا الفعل غلط من وجوه:

- أن فيه استدراكًا على كلام الله تعالى، فكأن هذا القارئ أراد أن يجمِّل الجواب ويكمِّله بذلك، وما عَلِمَ أن الأبْلغ هو تقدير المبتدأ كما سيتَّضح.
- أن كون الجواب كما ذكر الله ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ أبْلغ وذلك من جهتين: من جهة أن تقدير الكلام المعلوم أوْلى من ذكره عند العرب، ومن جهة أن المقصود في جملة الجواب هو الخبر ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾، وذِكْر المبتدأ قبْله تطويل.
- أن هذا الفعل تبطله اللغة - وهذا هو الأهم - ويخلّ بالنظم القرآني، فإن الكلمة في الجملة من اللغة العربية لا تُعْرَبُ إعرابين اثنين في آن وحد، فلا تكون حالًا وصفة في وقت واحد، ولا تكون مبتدأً وخبرًا في آن واحد، ولكن يجوز أن تحْتمل أحد إعرابين فقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾، ﴿ٱلْمُلْكُ﴾ مبتدأ مؤخَّر لهذه الجملة، فإذا أعاد القارئ، وقال: ﴿ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾، فيلزم أن تكون ﴿ٱلْمُلْكُ﴾ هنا مبتدأ لهذه الجملة، وهذا

لا يصحُّ[١].

٢- قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩] فمن الأَئِمَّة من يقرأها هكذا ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ﴾ فيقف، ثم يبدأ مكررًا لفظ الجلالة فيقول: ﴿اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾[٢].

تتمة:

إن تكرَّر اللَّفْظ في نص القرآن الكريم لغرض يريده الله، فيوقف اختيارًا من أجلِ اجتناب تكريرها تكريرًا من غير فصْل، **ومن أمثلة ذلك:**

١- قوله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[٣] [التوبة:١٠٨].

٢- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[٤] [الأنعام: ١٢٤].

* * *

(١) **ينظر**: المُكْتَفى: ص ٢٢٠، وقال: ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ وقف كاف، ثم يجيب نفسه ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾، مَنارُ الهُدى: ٢/٢٢٥.

(٢) **ينظر**: مَنارُ الهُدى: ١/٢٣٣، وقال نافع: الوقف على ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ ثم يبتدئُ ﴿شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾. المُكْتَفى: ص٩٢.

(٣) **ينظر**: مَنارُ الهُدى: ١/٣١٧، إيضاح الوقف والابتداء: ص ٣٤٧.

(٤) **ينظر**: منار الهدى: ١/٢٥١، المُكْتَفى: ص٩٩، وقال: ﴿رُسُلُ اللَّهِ﴾ وقف كاف.

الفصل الثالث

مواضع يَحْسُن الوقف عليها والابتداء بما بعدها

كُلُّ ما يَحْسُن الوقف عليه يَحْسُن الابتداء بما بعده، باستثناء بعض أنواع الوقف الحسن فقد يلزم العود إلى أقرب موضع صالح للاستئناف، ويتفاوت الوقف أو الابتداء تَمامًا وكِفايةً وحُسْنًا بحسب التَّعَلُّق في المعنى أو اللَّفْظِ وعدمه، كُلُّ ما سأذكره - لاحقًا - مما يَحْسُن الوقف عليه فإنه يَحْسُن الابتداء بما بعده، **وفيه خمسة مباحث:**

المبحث الأول: الوقف عند نهاية جملة يخشى من توهم أن ما بعدها معطوف عليها.

المبحث الثاني: الوقف بعد جملة الشرط إذا كان جواب الشرط مقدرًا غير مذكور.

المبحث الثالث: الوقف بعد كلام الكفار المحكي عنهم.

المبحث الرابع: الوقف بعد جملة مقول القول التي قد يُفْهَمُ أن ما بعدها تبعٌ لها.

المبحث الخامس: الوقف قبْل المنصوب على الاختصاص وفصْله عما سبقه.

وفيما يلي الكلام بالتفصيل على كُلِّ مبحث من المباحث المتقدمةِ، وما توْفيِقي إلا باللهِ عليه توكلتُ وإِلَيْه أُنيب.

᪥ المبحث الأول ᪥

الوقف عند نهاية جملة يَخْشَى مَنْ تَوَهَّمَ أن ما بعدها معطوف عليها

وهو أدعى للتأمل والتدبُّر والفهم، وإن كان لا يدرك ذلك إلا من كان عارفًا بقواعدِ النحو؛ ليفرق بين العطف والاستئناف، وبهذا الوقف يظهر للسامع وجاهة ذلك الوقف كما سيأتي بيانه، **ومن أمثلة ذلك:**

١- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، فإن الجملة الأولى في هذه الآية تنتهي عند ﴿طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾، ثم بداية جملة جديدة تتضمن إخبارًا عن طائفة أخرى قد أهمتهم أنفسهم، فالوصل ربما أَوْهَمَ عطْف الطائفة الثانية على الأولى، وأن الله أنزل نُعاسًا يغشى طائفة منكم ويغشى طائفة أخرى قد أهمتهم أنفسهم، ومن الواضح أن جملة ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾استئنافية لكون قوله: ﴿وَطَآئِفَةٌ﴾ مرفوع، فلا يمكن أن تعطف على المنصوب قبلها ﴿طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾، ثم إن الوقوف على كل جملة أدعى للتأمل والتدبر والفهم(١).

٢- قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

فإن الجملة الأولى في هذه الآية تنتهي عند ﴿كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ﴾، وقوله: ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ هي جملة استئنافية وليست معطوفة على ما قبلها، وهناك فرق في المعنى بين كونها معطوفة وبين كونها استئنافية؛ وذلك أن الله تعالى أخبرنا أنه جعل كلمةَ الذين كفروا السفلى، فعلى العطف يكون المعنى أنه جعل كلمة الذين كفروا السفلى وجعل كلمته تعالى العليا، وليس هذا المراد؛ بل كلمته هي العليا دائمًا أما كلمة الكفار فربما يُظَنُّ أنها عَلَت وانْتَصرت، فَيَمْحَقُها الله تعالى، ويجعلها السُّفْلى؛ لأن

---

(١) **ينظر**: مَنارُ الهُدى: ١/١٦٢. وقال: ﴿طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ وقف كاف؛ لأن ﴿وَطَآئِفَةٌ﴾ مبتدأ، والخبر ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ﴾، وسوغ الابتداء بالنكرة التفصيل.

للباطل جولة ساعة، أما الحق فهو الغالب إلى قيام الساعة، ولا شك أن التعبير بالجملة الاسْمِّية يفيد الثُّبوت والاستمرار، أما التعبير بالجملة الفعلية فإنه يفيد الحدوث، وبذلك يُعلم أنه لا يَحْسُن الظنُّ أن الله تعالى جَعَلَ كلمته هي العليا حين هجرة نبيه ﷺ؛ بل كلمته هي العليا دائمًا، وبهذا يظهر وجاهة الوقف عند قوله: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ﴾ ، ونلاحظ أن عليها في المصحف علامة الوقف (قلے) التي تدل على أن الوقف أولى[1] .

* * *

(١) ينظر: مَنارُ الهُدى: ٣٠٧/١. وقال: الوقف على ﴿ ٱلسُّفۡلَىٰۗ ﴾ تام، لمن قرأ ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ ﴾ بالرفع وبها قرأ العامة هى قراءة القُرَّاء العشرة سوى يعقوب وهى أحسن... ومن قرأ بالنصب عطفًا فيه دَلالَّة على أن «كلمة الله» كانت سفلى فصارت عُليا، وليس كذلك. المُكْتَفى: ص١١٩.

﴾ المبحث الثاني ﴿

الوقف بعد جملة الشرط إذا كان جواب الشرط مقدرًا غير مذكور

فإن هذا الوقف من الضرورةِ بمكان، فهو يدعُو إلى الانتباه والتَّفكُّر، ولِيسِيح البـال في سبيل تقدير هذا الجزاء، **ومن أمثلته:**

١- قـوله تعـالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾[الرعد:٣١].

فنلاحظ أن على ﴿ٱلْمَوْتَىٰ ۗ﴾ في المصحف علامة (قلى)؛ وذلك أن هذه الجملـة ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ ..﴾ جملة شرطية، ومعناها: لو أن قرآنًـا مـن عظمتـه أن تـسيّر بـه الجبال، أو تقطع به الأرض، أو يكلَّمُ به الموتى لكان هذا القرآن، فجواب الشرط هو: لـكان هذا القرآن المنزَّل، وهو مقدر للعلم به، فيَحْسُن الوقف إذن بعد انتهاء جملة الشرط، وقبل قوله: ﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾[1].

٢- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٥].

فالجملة شرطية أيضًا وتنـتهي عنـد ﴿ٱلْجُبِّ﴾ ، والجـواب مقـدر؛ أي: لمـا ذهبـوا بـه وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب فعلوا ذلك وجعلوه فيها. ويكون قـوله: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم....﴾ جملة استئنافية؛ ولذلـك جَعَـلَ في المـصحف على كلمـة ﴿ٱلْجُبِّ﴾ علامـة الوقف الجائز[2].

* * *

(١) **ينظر**: تَفْسِير القرطبي: ٥٧٨/١٢ وما بعدها، مَنارُ الهُدى: ٣٨١/١. وقال: ﴿ٱلْمَوْتَىٰ ۗ﴾ وقف كاف.

(٢) **ينظر**: مَنارُ الهُدى: ٣٦١/١. وقال بتصرف: يَحْسُن الوقف على ﴿ٱلْجُبِّ﴾ على استئناف ﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾؛ وذلك أن الإيحاء كان بعد إلقائه في الجب، فليس مُرتَّبًا على عزمهم على ما يُرِيدُون.

المبحث الثالث

الوقف لبيان وتَمْيِيز بعض الوجوه التي يحتملها الكلام(١)

وبيان ذلك أن في القرآن الكريم كلمات تَعَلَّق ما بعدها بها أو بما قبلها تعلُّقًا لَفْظيًّا ومعنويًّا، وهذا يقتضي منْع الوقف عليها، بمعنى أنها ليْست محلًّا صالحًا للوقف إلا إذا وجد سبب يقتضي الوقف عليها ـ كأن يكون ضربًا من البيان ـ فيُعمل به بيانًا للمعنى المعتبر الذي ربما لا يظهر إلا بالوقف، ويُعرَفُ بـ (وقف التميين)؛ لأنه يميِّز وجهًا من الوجوه التي يحتملها الكلام، فَيُظْهِرُها ويُجَلِّيها، **ومن أمثلة ذلك**:

١- قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢١٧] فقوله تعالى: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ...﴾ من جملة مقول القول، وهو ﴿قُلْ﴾ فيكون بين هذه الجملة وبين ما قبلها ارتباطٌ لفظيٌّ ومعنويٌّ. وهذا يقتضي منْع الوقف ﴿كَبِيرٌ﴾ ووجوب وصْله بما بعده. ولكن لما كان وصلُه بما بعده يُوهِم خلاف المراد، وهو أن يكون قوله :﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ...﴾ معطوفًا على ﴿كَبِيرٌ﴾ فيوقف على ﴿كَبِيرٌ﴾ دفعًا للإيهام، وتقريرًا للحقيقة، وهي أنَّ قوله تعالى: ﴿وَصَدٌّ﴾ مبتدأ و﴿وَكُفْرٌۢ بِهِۦ﴾ معطوفٌ عليه ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ﴾ معطوف عليه أيضًا، وقوله: ﴿أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ خبر عن المبتدأ وما عُطِفَ عليه؛ وذلك أنَّ المشركين لمَّا عيَّروا المسلمين بأنهم قَاتَلُوا في الشهر الحرام؛ ردَّ الله على المشركين بأن القتال في الشهر الحرام كبير؛ ولكن ما ارتكبه المشركون من الصدِّ عن سبيل الله، والكفر به سبحانه وإخراج المُسْلِمين من دِيارهم أكبر عند الله من قتال المسلمين في الشهر الحرام على أنَّ قتال المُسْلِمين في الشهر الحرام كان خطأً غير مقصود(٢).

٢- قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢].

---

(١) سبق تفصيل القول في هذا النوع من الوقف في الباب الأول، الفصل الثاني، مبحث تعريف الوقف والابتداء وبيان أقسامه: ص١٠٦، وهنا أزيد عليها بعض الأمثلة الأخرى.

(٢) **ينظر**: وقف البيان في القرآن الكريم «دراسة مصطلحية» ، : ص١٩٥ ، معالم الاهتداء: ص٤٦.

فقوله: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾ بيان أن قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ ليس ظرفًا لقوله: ﴿لَا تَثْرِيبَ﴾، وإنما هو مُتعلّق بمحذوف أي: ادعوا، ثم استأنف ﴿ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾، بشَرهم بالمغفرة لما اعترفوا بذنبهم وتابوا فتيب عليهم، وقيل: متعلّق بقوله: ﴿لَا تَثْرِيبَ﴾، والوقف على ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ثم ابتدأ يوسف فقال: ﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾فدعا لهم بالمغفرة لما وَقع منهم .قال أبو حيَّان: أما كون ﴿ٱلْيَوْمَ﴾متعلقًا بـ ﴿تَثْرِيبَ﴾؛ فهذا لا يجوز؛ لأنَّ التثريب مصدرٌ، وقد فَصَلَ بينه وبين معموله بقوله: ﴿عَلَيْكُمُ﴾، وعلى كلٍّ فالمعنيان معتبرانِ، وقال بكلٍّ فريقٌ من العلماء، والوقف قبْل تمام القول وقفُ بيان، سواءً على ﴿عَلَيْكُمُ﴾ أو على ﴿ٱلْيَوْمَ﴾؛ لأنَّ الكلام كلَّه متعلِّقٌ من مقول يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[1].

* * *

(١) **ينظر**: تَفْسِير أَبِي حيَّان ٣٣٨/٥، مَنارُ الهُدى: ٣٦٩/١

المبحث الرابع

الوقف قبل جملة مقول القول التي قد يفهم أن ما بعدها تبع لها

من المهم الوقف قبل أي جملة وردت بعد فعل القول؛ لأن وصْلها به يُوهِم أنها مقول القول لهذا الفعل، **ومن أمثلة ذلك**:

١- قال تعالى: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [يس: ٧٦].

ففي المصحف وضع علامة الوقف اللازم على ﴿قَوْلُهُمْ﴾؛ لأن الوصْل ربما أوهم أن قولهم هو: ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بينما قولهم لم يذكر في الآية؛ ليشمل كل تكذيب وافتراء وقول قبيح، أما قوله: ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾، فهو من كلام الله تعالى تسلية لرسول الله ﷺ وأتباعه[1].

ونحو هذه الآية قوله: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يونس: ٦٥].

٢- قوله تعالى: ﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ [آل عمران:٧٢-٧٣] فالآية الأولى من الواضح أنها لا وقف فيها، أما الآية الثانية فإن أول جملة فيها ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ هي تبع لكلام الطائفة التي من أهل الكتاب في الآية الأولى، فإنهم يقولون لبعضهم لا تؤمنوا إلا لمَنْ تبع دينكم. فرد الله عليهم بقوله: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ﴾ وهذا بلا شكَّ هو كلام الله تعالى، أما الجملة الثالثة في هذه الآية ﴿أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ فهي عود لحكاية كلام الطائفة التي من أهل الكتاب، فالشاهد أن القارئ لو قرأ ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن

---

(١) **ينظر**: مَنارُ الهُدى: ٢/١٩٢. وقال – بتصرف -: الوقف على ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ تام لانتهاء كلام الكفار، ولئلا يصير ﴿إِنَّا نَعْلَمُ﴾ مقول الكفار هو الذي يحزن النبي ﷺ.

﴿يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ﴾ لأوهم أن هذا كله من كلام الله الذي رَدَّ به على أهل الكتاب، وفي الحقيقة أن قوله: ﴿أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ...﴾ من كلام أهل الكتاب، ولذا حَسُن الوقف بعد ﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾.

وهذه الجمل الثلاث في الآية الثانية إما أن توصل جميعًا فتقرأ هكذا ﴿وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ﴾ فيكون كلام أهل الكتاب متصلًا وبينه الجملة الاعتراضية التي ردَّ الله بها عليهم وهي: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ أو أن يقف عليها جميعًا، فتكون الجملة الأولى من كلام أهل الكتاب، والثانية ردَّ الله عليهم، والثالثة تتمة كلام أهل الكتاب[1].

* * *

(١) **ينظر**: مَنارُ الهُدى: ١٤٤/١ وما بعدها. وفصَّل في بيان أوجه الوقف المختلفة على اختلاف القُـرَّاء والمعربين، وقد ذكرت ملخصه.

﴿ المبحث الخامس ﴾

الوقف قبل المنصوب على الاختصاص وفصله عما سبقه

لأن الله سبحانه خصه بالمدح، فمن المناسب فَصْلُه عمَّا سبقه، وبخاصة أنه لا يُعْرب معطوفًا على ما سبقه؛ بل يُعْرب منصوبًا بفعل محذوف، **ومن أمثلته:**

١- قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ومعنى الآية - والله أعلم- ولكن البر فعْلُ مَن آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكُتب والأنبياء، ومَنْ آتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين...، ومَنْ أقام الصلاة، ومَنْ آتى الزكاة، والذين يوفون بعهدهم إذا عاهدوا، وأخُص بالمدح الصابرين في البأساء والضراء وحين البأس؛ ولذا وضع قبل ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ علَامة وقف في المصحف؛ لأنها جملة مستأنفة[١].

٢- قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[النساء:١٦٢] فإن ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ منصوب على المدح؛ ولذا فيَحْسُن الوقف قبلها والابتداء بها[٢].

---

(١) **ينظر**: مَنارُ الهُدى: ٩٦/١. وقال – بتصرف -: لا وقف من قوله ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ إلى ﴿وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ لاتصال الكلام بعضه ببعض، ونقل عن أبِي حيَّان قوله في ﴿ وَٱلْمُوفُونَ﴾ ليس بوقف و ﴿إِذَا عَٰهَدُواْ ۖ ﴾ وقف حسن ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ منصوبٌ على المدح.

(٢) **ينظر**: مَنارُ الهُدى: ٢٠٢/١ ، وقال بتصرف: الوقف على ﴿ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ﴾ حسن إن نصب ما بعده على المدح، أي: أمدح المقيمين، وإنما قطعت هذه الصفة عن بقية الصفات؛ لبيان فضل الصلاة على غيرها.

الفصل الرابع

مواضع الوقف على أحرف المعاني والابتداء بها

المبحث الأول: **مواضع الوقف على (كَلَّا) والابتداء بها.** وفيه أربعة مطالب:

- **المطلب الأول**: وهو ما يَحْسُن الوقف فيه على (**كَلَّا**)، ويَحْسُن الابتداء بما بعدها.
- **المطلب الثاني**: ما لا يَحْسُن الوقف فيه على (كَلَّا)؛ ولكن يُبْتَدأ بها.
- **المطلب الثالث**: ما لا يَحْسُن الوقف فيه على (كَلَّا)، ولا يَحْسُن الابتداء بها.
- **المطلب الرابع**: ما يَحْسُن الوقف فيه على (كَلَّا)، ولا يَحْسُن الابتداء بها

المبحث الثاني: **مواضع الوقف على (نعم)، ووصْلها بما بعدها.** وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول**: ما يوقف فيه على نعم)؛ لعدم تَعَلُّقها بما بعدها.
- **المطلب الثاني**: ما لا يوقف فيه على (نعم)؛ بل توصل بما قبلها وما بعدها.

المبحث الثالث: **مواضع الوقف على بعض أسماء الإشارة.** وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول**: مواضع الوقف على (ذلك).
- **المطلب الثاني**: مواضع الوقف على (كذلك).
- **المطلب الثالث**: مواضع الوقف على (هذا).

المبحث الرابع: **مواضع الوقف على ما قبل (لو) و (أن) الشَّرطيَّتين.** وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول**: مواضع الوقف على ما قبْل (لو) الشَّرطيَّة
- **المطلب الثاني**: مواضع الوقف على ما قبْل (إن) الشَّرطيَّة

المبحث الخامس: **مواضع الوقف على (بلى) والابتداء بها.** وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول**:ما يختار فيه الوقف على (بلى) لعدم تعلقها بما بعدها.
- **المطلب الثاني**: ما لا يجوز الوقف فيه على (بلى) لتعلُّقِ ما بعْدها بها وبما قبْلها.
- **المطلب الثالث**: ما يجوز الوقف فيه على (بلى)، والوصْل أرْجح وأقوى.

﴾ المبحث الأول ﴿

مواضع الوقف على (كلَّا) والابتداء بها (١)

اختلف العُلماء في معنى (كَلَّا)، وأكثر الأقوال اطرادًا أنها حرف للرَّدْع والزَّجْر؛ وهو رأيُ الجمهور، أما أَئِمَّة النَّحو فلهم فيها ثلاثة معانٍ أخرى، وهي: أنها تكون بمعنى (حقًّا)، وتكون حرف جواب بمثابة (إي، ونعم)، وتكون أداة استفتاح بمنزلة (ألا) الاستفتاحية، وقد ذَكَر لها الإمام القرطبي في تفسيره معنى رابعًا؛ وهو أنها تكون بمعنى (لا) النافية، وقد تُسْتعمل في بعض المواضع مُحْتملة معنيين أو أكثر من هذه المعاني، والذي يُحدِّدُ معناها إنَّما هو معنى الآية وفَحْواها.

وقد وقعت (كَلَّا) في ثلاثٍ وثلاثين موضعًا في خمس عشرة سورة كلّها في النِّصف الثاني من القرآن، وليس في النِّصف الأول منها شيء، وحكمة ذلك أن النِّصف الثَّاني نزل أكثره بمكة وأكثرها جبابرة ، فتكرَّرت هذه الكلمة على وجه التهديد، وتنقسِمُ (كَلَّا) إلى أربعة أقسام تبعًا للإمام مكي بن أبي طالب (٢)، وهو المَذهَبُ المختار لأكثر القُرَّاء، وعليه رَأْيُ أكثر النَّحويين وأهل المعاني، وهو الراجح عندي (٣)، وفيما يلي تفصيل القول في الوقف على (كَلَّا) والابتداء بها في كل موضع من هذه المواضع، وبيان حكمه وأثره في التَّفْسِير؛ وذلك في **المطالب الأربعة التالية**:

* * *

(١) **ينظر**: الوقف على كَلَّا وبَلَى في القرآن الكريم، للإمام أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ)، تحقيق الدكتور/ حسين نصار: ص١٩ وما بعدها، ط/ مكتبة الثقافة الدينية بمصر، الأولى، ١٤٢٣هـ، مغني اللبيب عن كُتب الأعاريب، تأليف الإمام ابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد: ٢١٢/١، ط/ المكتبة العصرية، بيروت،الأولى، ١٤١١هـ، البرهان في علوم القرآن: ٥٢١/١، جَمال القُرَّاء وكمال الإقراء: ٥٩٧/٢.

(٢) هو الإمام مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار، الأندلسي، القيسي، أبو محمد، مقرئ وعالم بالتَّفْسِير والعربية، له كتب كثيرة منها: الإبانة في القراءات، الرعاية لتجويد التلاوة... وغيرها الكثير، تُوفِّي سنة (٤٣٧هـ). **ينظر**: الأعلام ٢٨٦/٧.

(٣) **ينظر**: الوقف على كَلَّا وبَلَى في القرآن الكريم: ص٥١ وما بعدها، نهاية القول المفيد: ص١٨٠، معالم الاهتداء: ص ١٣٦.

﴾ المطلب الأول ﴿

وهو ما يَحْسُن الوقف فيه على (كَلَّا) على معنى ويَحْسُن الابتداء بما بعدها على معنى آخر وذلك في أحد عشر موضعًا

▪الموضع الأول:

قوله تعالى: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۝٧٨ كَلَّاۚ﴾[مريم: ٧٨-٧٩].

هذا السِّياق نموذجٌ من نماذج تبجُّح الكافرين وتهكُّمهم واستخْفافِهم بالبعث، وهو قول العاص بن وائل: ﴿لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ والقرآن يَعجُبُ من أمره، ويَستنكر ادعاءه ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ فهو يَعرِفُ ما هنالك ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ وهو واثق من تحقُّقه؛ لذلك جاء التعقيب بـ ﴿كَلَّا﴾ أي ليس الأمر كذلك. فليرتدعْ هذا الكافر عن التفوُّه بمثل هذه المقالة الشَّنعاء، فإنه لم يطَّلع الغيب، ولم يتخذ عند الله عهدًا[1]، فيَحْسُن الوقف على ﴿كَلَّا﴾ بمعنى الرَّدْع والزَّجْر والتنبيه على الخطأ، وهو وقفٌ (كافٍ)[2]؛ لأن جملة ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ مستأنفة، قُصِدَ بها تهديد الكافر ووعيده، فحينئذ يكون بينها وبين ما قبلها تعلُّق معنوي لا لفظي، ويَحْسُن الابتداء بقوله: ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ على معنى (ألا) لاستفتاح الكَلَام، أو (حقًّا) لتأكيد ما بعدها؛ أي (ألا) سنكتب ما يقول أو (حقًّا) سنكتب ما يقول[3]

▪الموضع الثاني:

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ۝٨١ كَلَّاۚ﴾[مريم: ٨١-٨٢].

---

(١) **ينظر**: تَفْسِير الظِّلال: ٢٣١٩/٤، تَفْسِير الزَّمَخْشَرِي: ٥١/٤ وما بعدها.

(٢) وقال بعض العلماء (تام). **ينظر**: إيضاح الوقف والابتداء: ص٣٩١، المُكْتَفى: ص١٦٤، مَنارُ الهُدى: ١٤/٢، المقصِدْ: ص١١٤.

(٣) **ينظر**: الوقف على (كلَّا وبَلَى في القرآن).

فهؤلاء الذين يَكفُرون بآيات الله يتخذون من دونه آلهة، يطلِبون عندها العزة والنصر والمنعة، أو أنها تَشْفع لهم عند الله تعالى، أو تدفَعُ عنهم عذابَه يوم القيامة؛ لذلك جاء التعقيب بـ ﴿كَلَّا﴾؛ أي ليس الأمر كما يظنون ويتوهَّمون، فإن هذه الآلهة - ومنهم الملائكة والجن الذين كانوا يعبُدونهم من دون الله- سيكفُرُون بعبادة هؤلاء لهم، وينكِرونها عليهم، ويتبرءون إلى الله منهم ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾[1].

وعلى هذا الوجه يَحْسُن الوقف على ﴿كَلَّا﴾ بمعنى ردْع الكافر وزجْره عن عبادة هذه الآلهة المزعومة، وإنكارًا لتعزُّزهم بها، ويكون الوقف عليها (كافِيًا) [2]؛ لأن جملة ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ في مقام التعليل لما قبلها، فالتعلُّق معنوي لا لفظي، ويَحْسُن الابتداء بقوله: ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ على تقدير (ألا) سيكفرون بعبادتهم أو (حقًّا) سيكفرون بعبادتهم [3].

■ **الموضع الثالث:**

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

إنه مشهد الاحتضار، وإعلان التوبة عند مواجهة الموت، وطلبِ الرجعة إلى الدنيا لتدارُك ما فات، والإصلاح فيما تَرَكَ وراءه من أهلٍ ومالٍ، وكأنما المشهد معروض اللَّحظة للأنْظار، ومشهُود للعيان، فإذا الردُّ على هذا الرجاء المتأخِّر لا يُوجَّه إلى صاحب الرجاء إنما يُعْلَن على رؤوس الأشهاد، فيأتي التعقيب بـ ﴿كَلَّآ﴾ لتُفيد الرَّدْع والزَّجْر على طلبِ الرجوع للدنيا؛ بل هو إنكار واستبعاد لها متضمِّنة معنى النفي لما تمنَّى الكافر؛ أي: لا رجوع إلى الدنيا وليس الأمر كما يظن من أن يُجاب للرجوع إلى الدنيا؛ بل هو كلَّام يَطِيحُ في أدراج الرِّيح، فلقد قُضِيَ الأمر، وانقطعت الصِّلات، وأُغْلِقَت الأبواب، وأُسْدل السِّتار [4].

(١) **ينظر**: تَفْسِير الظِّلال: ٢٣٢٠/٤، تَفْسِير الزَّمخْشَرِي: ٥٣/٤، تَفْسِير القرطبي: ٢٠٢/٦.

(٢) وقال بعض العلماء (تام). **ينظر**: إيضاح الوقف والابتداء: ص٣٩١، المُكْتَفى: ص١٦٤، منارُ الهُدى: ١٥/٢، المقصِدْ: ص١١٤.

(٣) **ينظر**: الوقف على كلَّا وبَلَى في القرآن: ص٥١.

(٤) **ينظر**: تَفْسِير الظِّلال: ٢٤٨٠/٤ وما بعدها، تَفْسِير القرطبي: ٨٥/١٥، تَفْسِير الزَّمخْشَرِي: ٨٥/٤.

فيَحْسُن الوقف على ﴿كَلَّآ﴾ للدَّلالة على الرَّدْع والزَّجْر؛ أي فليرتدعْ هذا الكافر عن طلبِ الرجوع إلى الدنيا، ويكون الوقف عليها (كافيًا)؛ لأن جملة ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ...﴾ استئنافية، قُصِد بها تقرير معنى ﴿كَلَّآ﴾ من عدم الإجابة، فالربطُ بين ﴿تَرَكْتُ﴾ وبين ما بعده معنوي لا لفظي[1]، ويَحْسُن الابتداء على معنى (ألا) إنها كلمة هو قائلها؛ أي: على سبيل التحسُّر والندم، لا يجد لها جدوى، ولا يُبتدأُ بها على معنى (حقًّا)؛ لأنها لو كانت بمعنى حقًّا لفُتِحَت همزتها؛ لأن (إن) تُفْتَح همزتها وجوبًا بعد حقًّا، أو ما كان بمعناها[2].

▪الموضع الرابع:

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [سبأ: ٢٧].

ففي هذا السؤال استنكار واستخفاف ﴿أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾أي: أروني إياهم. من هُمْ؟ وما هُمْ؟ وما قيمتهم، وما صفتهم، وما مكانتهم؟ وبأي شيء استحقوا منكم هذه الدعوى؟ أراد بذلك أن يُرِيهم الخطأ العظيم في إلحاق الشركاء بالله؛ ليأتي الإنكار في ردعٍ وتأنيبٍ بـ ﴿كَلَّا﴾فما هم بشركاء، وما له سبحانه من شركاء[3].

فيَحْسُن الوقف على ﴿كَلَّا﴾ بمعنى الرَّدْع والزَّجْر على زعْمهم بأن الأصْنام شركاء لله ويكون الوقف عليها (كافيًا) للاستئناف بعدها[4].

ويَحْسُن الابتداء على معنى (ألا) ﴿بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ أو (حقًّا) ﴿بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، فمن كانت هذه صفاته لا يكون هؤلاء شركاء له، بل لا يكون له على الإطلاق شريك[5].

---

(١) وقال بعض العلماء أن الوقف (تام) **ينظر**: المُكْتَفى: ص١٧٨، مَنارُ الهُدى: ٦٨/٢، القطع والائتناف: ص٤٦٠.

(٢) **ينظر**: الوقف على كلَّا وبَلَى في القرآن: ص٥٤.

(٣) **ينظر**: تَفْسِير الظِّلال: ٢٩٠٦/٥، تَفْسِير الزَّمَخْشَرِي: ١٢٢/٥، تَفْسِير أَبِي السُّعُود: ٤٥٨/٤، تَفْسِير ابن عاشور: ١٩٦/٢٢.

(٤) وقال بعض العلماء (تام). **ينظر**: المُكْتَفى: ص٢٠٨، المقصِدْ: ص ١٤٣، مَنارُ الهُدى: ١٧٤/٢.

(٥) **ينظر**: الوقف على كلَّا وبَلَى في القرآن: ص٥٥.

▪الموضع الخامس:

قوله تعالى: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ [المعارج: ١١- ١٥].

فما بال المجرم؟ إن الهَوْل يأخُذ بحِسِه، وإن الرُّعب ليذهب بنفْسِه، وإنه يودُّ لو يفتدِي من عذاب يومئذ بأعزِّ الناس ممن كان يفتدِيهم بنفْسِهِ في الحياة، ويُناضِل عنهم، ويعيش لهم... بَنِيه وزوجتِهِ وأخِيه، وعشِيرتِه القرِيبةِ التي تُؤْوِيه وتحْمِيه؛ بل إن لهْفَتَهُ على النجاةِ لتُفْقِده الشعور بغيره على الإطلاق، فيودُّ لو يفتدي بمَنْ في الأرضِ جميعًا، ثم يُنْجِيه، وهَيْهات هَيْهات، وبينما المُجْرِم في هذه الحال يتمنى ذلك المُحَال؛ إذ يأتي التعبير بـ (كلَّا) فيسْمَع ما يُيْئِس ويُقْنِط من كل بارِقةِ أملٍ أو كل حديثٍ خادعٍ من النَّفسِ، نعم يأتي التعقيب بـ ﴿كَلَّآ﴾ للدَّلالة على ردِّ كل تلك الأماني المُسْتحيلة[١].

لذا يَحْسُن الوقف على ﴿كَلَّآ﴾ على معنى لا يُنْجيه أحدٌ ممن في الأرض ولو افتدى به فليرْتدِع هذا المُجرم على تَمنِّيه الفداءَ من العذابِ، وهو وقفٌ (كافٍ) لاستئناف الجملة بعدها[٢].

ويُبتدَأُ بها على معنى (ألا) إنَّها لظى، بجعْلِها افتتاح كلَام، ولا يُبتدأ بها على معنى (حقًّا)؛ لأنه يلزَم فتح (إن) على ما تقدَّم ذِكره[٣].

▪الموضع السادس:

قوله تعالى: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ [المعارج: ٣٨-٣٩].

فلعلَهُم يَحْسبُون أنفسهم شيئًا عظيمًا عند الله، فهم يكفُرون بالله ويؤذُون رسوله، وإذا سمِعُوا القرآن تناجوا بالكيد، فكيف يَطْمَعُون أن يدخلوا جنة نعيم.. أَعَلى الكفرِ

(١) **ينظر**: تَفْسِير الظِّلال: ٣٦٩٧/٦، تَفْسِير القرطبي: ٢٣١/٢١، تَفْسِير أَبِي السُّعُود: ٣٨٩/٥ وما بعدها.

(٢) وقال بعض العلماء: إن الوقف في هذا الموضع (تام). **ينظر**: المُكْتَفى: ص٢٥٩، المقصِد: ص ١٨٠، القطع والائتناف: ص٧٦٠.

(٣) **ينظر**: الوقف على كلَّا وبَلَى في القرآن: ص٥٦.

وسوء الصنيع؟[١].

فيأتي التعبير بـ ﴿كَلَّآ﴾ للدَّلالة على الرَّدْع والنكير؛ أي: لا يدخُلونها. فيَحْسُن الوقف على ﴿كَلَّآ﴾ على معنى ردعِ الكافر وزجره عن الطَّمع في زيادة نعمة الله عليه بدخوله الجنة، ويكون وقفًا (كافيًا)؛ لأن جملة ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ مستأنفة[٢].

ويَحْسُن الابتداء على معنى (ألا) ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ بجعْلِها افتتاح كلَّام وتنبيهًا على قدرة الله جل ذِكْره، ولا يُبتدَأ بها على معنى (حقًّا)؛ لأنه يلزم فتح (إن)؛ وذلك لم يقرأ به أحد[٣].

▪الموضع السابع:

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَٰتِنَا عَنِيدًا﴾ [المدثر: ١٥-١٦].

تُعيِّن الآيات أحد المكذِّبين بصفتِهِ، وتَرسِمُ مَشْهدًا من مشاهد كَيْدِه واغْتِرارِه بما لديه من مالٍ كثيرٍ ممدود، وبنينَ شهود، ونعَمٍ يتَبَطَّرُ بها، ويَخْتال، ويطلب المزيد، فهو لا يَقْنع بما أُوتِي، ولا يشْكُر، ولا يَكْتفي ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾، ولفظ ﴿ثُمَّ﴾ هنا للإنكار والتعجب من جشعه ورغبته في الازدياد من الدنيا، فيأتي الرد بـ ﴿كَلَّآ﴾ وما تحمله من دَلالة على الرَّدْع والتبكيت على هذا الطامِع الذي لم يُقدِّم حسنة ولا طاعة ولا شكرًا لله يرجو بسببه المزيد، فـ ﴿كَلَّآ﴾ هنا قطعًا للرجاء وردًّا على أمنية هذا المذكور في الزيادة، بعدها لم يزلْ في نقصان وإدبار من الدنيا في نفسه ومالِه وولدِه؛ حتى افتقر وهلك وحيدًا[٤].

ويَحْسُن الوقف على ﴿كَلَّآ﴾ ويكون وقفًا (كافيًا)؛ لأن الجملة بعدها استئنافية سِيقت لتعليل الرَّدْع[٥].

---

(١) **ينظر**: تَفْسِير الظِّلال: ٣٧٠٢/٦، تَفْسِير القرطبي: ٢٤٠/٢١ وما بعدها، تَفْسِير أَبِي السُّعُود: ٣٩٣/٥.

(٢) وقال بعض العلماء: إن الوقف في هذا الموضع (تام). **ينظر**: المُكْتَفى: ص٦٢٠، المقصِد: ص ١٨١، القطع والائتناف: ص٧٦٢.

(٣) **ينظر**: الوقف على كلَّا وبَلَى في القرآن: ص٥٦ -٥٧.

(٤) **ينظر**: تَفْسِير الظِّلال: ٣٧٥٦/٦، تَفْسِير ابن عطية: ٤٥٤/٨، تفسير الرازي ١٩٩/٣٠.

(٥) وذَكر بعض أهل العلم أن الوقف في هذا الموضع (تام). **ينظر**: المُكْتَفى: ص٦٢٣، المقصِدْ: ص١٨٢، مَنارُ الهُدى: ٣٥٧/٢.

ويَحْسُن الابتداء على معنى (ألا) ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدٗا﴾ بجعْلها افتتاح كلَّام، ولا يُبتدَأ بها على معنى (حقًّا) كما سبق غير مَرَّة[1].

▪الموضع الثامن:

قوله تعالى: ﴿بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ ۝٥٢ كَلَّاۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ [المدثر: ٥٢-٥٣].

فهو الحسد للنبي ﷺ أن يَختاره الله عَزَّوَجَلَّ ويوحِي إليه، والرَّغبة المُلحَّة أن ينال كلُّ امرئٍ منهم هذه المنزلة، وأن يُؤتَى صُحفًا تُنشَر على الناس وتُعلَن، وهو الكبرياء الذي شقَّ عليهم أن يتخطَّاهُم الوحي إلى محمد بن عبد الله ﷺ فكان الحَنَق الذي يغْلي في الصدور[2].

فيأتي التعبير بـ ﴿كَلَّاۖ﴾ وما تَحْمِله من دَلالة على الرَّدْع والزَّجْر للكافرين على إرَادتِهم أن ينال كلٌّ منهم هذه المنزلة، وأن يُؤْتى صحفًا منشرة؛ أي ليس الأمر كذلك فيَحْسُن الوقف على ﴿كَلَّاۖ﴾، والوقف عليها (كافٍ)؛ لأن جملة ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ استئنافية لبيان سبب التعنُّت والإعراض والجحود بعْدَ قيام الأدلَّة وحصول المعجزات الكثيرة التي كَفَتْ في الدَلالة على صحة النبوة، وهذا السبب هو عدمُ خوْفهم من الآخرة؛ إذ هو الذي ينأى بهم عن التذكرة، ويُنفِرُّهم من الدعوة هذه النفرة[3]، ويَحْسُن الابتداء على معنى (ألا) ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ أو (حقًّا) ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾[4].

▪الموضع التاسع:

قوله تعالى: ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٣ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٣-١٤].

فالاعْتداء والإثْم يقُودان صاحبَهُما إلى التكذيب بيوم الدين، وإلى سوء الأدب مع القرآن الكريم؛ حتى يقول عن آياته حين تتلى عليه ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ لما يَحْوِيه من قصص

---

(١) الوقف على كلَّا وبَلَى في القرآن: ص٥٧.

(٢) **ينظر**: تَفْسِير الظِّلال: ٣٧٦٢/٦ وما بعدها، تَفْسِير الرازي: ٢١٢/٣٠ وما بعدها، تَفْسِير ابن عطية: ٤٦٨/٨.

(٣) وذكر بعض أهل العلم أن الوقف في هذا الموضع (تام). **ينظر**: المُكْتَفى: ص٢٦٤.

(٤) **ينظر**: الوقف على كلَّا وبَلَى في القرآن: ص ٥٨.

الأولين المَسُوقة فيه للعبرة والعظة وبيان سنة الله التي لا تَتَبدَّل وعذابه الذي لا يرد عن القوم الكافرين [1]... وهنا يأتي التعقيب على هذا التطاول والتكذيب بالزَّجْر والرَّدْع ﴿كَلَّا﴾ للدّلالة على عِلَّة هذا التَّطاول، وهذا التَّكذيب، وهذه الغفلة عن الحقِّ الواضح وهذا الانطماس في قلوبهم، فيَحْسُن الوقف على ﴿كَلَّا﴾ على معنى ارتدعْ أيها المُعتدي عن التفوُّه بهذه الجريمة النكراء، ويكون الوقف عليها (كافيًا)؛ إذ إن ما بَعْدَها إضراب انتقالي لبيان سبب هذا الزعم والافتراء[2].

ويُبتدَأ بما بعدها على معنى (ألا) أو (حقًّا) ﴿بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، وكونها بمعنى (حقًّا) أحسن لتوكيد كون غلبة الذنوب والمعاصي على قلوبهم أي: غطَّى على قلوبهم ما كانوا يكسبون من الإثمِ والمعصيةِ، حتى صار كالصَّدأ في المِرْآة، فَحَالَ ذلك بينهم وبين معرفة الحقِّ[3].

▪الموضع العاشر:

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ [الفجر: ١٦-١٧].

فهذا هو تصُّور الإنسان لما يبتلِيه الله به من أحوال، من بسطٍ وقبضٍ، من توْسعةٍ وتقدير، يبتليه بالنعمة والإكرام، بالمال أو المقام، فلا يُدْرِك أنه الابتلاء تمهيدًا للجزاء، إنما يحسب هذا الرزق وهذه المكانة دليلًا على استحقاقه عند الله الإكرام، ويبتلَيه بالتضْييق عليه في الرزق، فيَحْسِبُ الابتلاء كذلك جزاء، ويحسب الاختبار عقوبة، ويرى في ضيق الرزق مهانة من الله، وهو في كلتا الحالتين مُخطئٌ في التصُّور ومخطئٌ في التقدير، فبَسْطُ الرزق أو قبْضُه ابتلاء من الله لعبده[4].

لذلك عقَّب المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على ما تقدَّم بقوله: ﴿كَلَّا﴾؛ أي ليس الأمر كذلك، فليس الإكرامُ بكثرة المالِ ولا الإهانة بِقِلَّتِه، وإنما الإكرام في التوفيق لطاعة الله تعالى وما يقرُب من رضوانه، والإهانة في الخُذلان وما يقرب من عذابه، وعلى هذا المعنى يُوقَف

(١) **ينظر**: تَفْسِير الظِّلال: ٥٧/٦ ٣٨، تَفْسِير ابن عاشور: ١٩٨/٣٠ وما بعدها، تَفْسِير القرطبي: ١٤٢/٢٢.

(٢) وذكر بعض أهل العلم أن الوقف عليها (تام). **ينظر**: القطع والائتناف: ص٧٩٥، المُكْتَفى: ص٢٧١.

(٣) **ينظر**: الوقف على كَلَّا وبَلَى في القرآن: ص٦٣.

(٤) **ينظر**: تَفْسِير الظِّلال: ٣٩٠٥/٦، تَفْسِير ابن عاشور : ٣٢٥/٣٠، تَفْسِير أَبِي السُّعُود: ٥٣١/٥.

على ﴿كَلَّآ﴾ وقفًا (كافيًا)، لما تحمِله من ردعٍ وابطال[1] وفي الوقف عليها دَلالة على أنه ليس في بسْط الرزق دليلًا على الكرامة، ولا في تضْييق الرزق دليلًا على المهانة... ويَحْسُن الابتداء بما بعدها للترقي في الذمِّ بالانتقال من بيان سوء الأقوال إلى بيان سوء الأفعال؛ وذلك على معنى (ألا) ﴿لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ﴾ أو (حقًا) ﴿لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ﴾[2].

▪الموضع الحادي عشر:

قال تعالى: ﴿يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ﴾ [الهمزة: ٣-٤].

تعكس هذه الآيات صورةً من الصور الواقعية والتي تتكرر في كُلِّ زمان ﴿يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ﴾ وهي صورةٌ لئيمة حقيرة من صورِ النفس البشرية حين تَخْلو من المُروءة وتَعْرَى من الإيمان، ومن ثَمَّ ينطلَقُ ذاك الإنسان اللئيم الصغير النفس في هَوَس المالِ يَجْمعه ويعُدُّه ويستلذُّ تِعْداده؛ بل يروح يحسب أنه بهذا المال قادر على كل شيء حتى دفْع الموت وتخليد الحياة[3]، فجاء الرد على ذلك بـ ﴿كَلَّآ﴾ وما تحمِله من الرَّدْع الشديد والتهديد والوعيد، وعلى هذا الوجه يوقف على ﴿كَلَّآ﴾ وقفا (كافيًا)[4].

وفي الوقف عليها دَلالة على الردِّ والإبطال لما توهَّمه هذا الكافر؛ أي لا يُخلَّد ولا يبقَى له مالٌ، ويُبتدَأ بها على معنى (ألا) ﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ﴾ أو (حقًا) ﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ﴾، وفي ذلك ردٌّ من الله تعالى على هذه المحْسبة وإخبارًا مُؤكدًا أنه يُنبذ في الحطمة - أي النار الموقدة - التي تُحطِّم ما فيها وتَلْتَهمه[5].

---

(١) وقال بعض العلماء: بل الوقف عليها (تام). **ينظر**: المُكْتَفى: ص ٢٧٤، القطع والائتناف: ص ٨٠٤.

(٢) **ينظر**: الوقف على كلَّا وبَلَى في القرآن: ص ٦٤.

(٣) **ينظر**: تَفْسِير الظِّلال: ٣٩٧٢/٦، تَفْسِير الرازي: ٩١/٣٢، تَفْسِير ابن عطية: ٦٨٨/٨.

(٤) وقال بعض العلماء بل الوقف (تام). **ينظر**: مَنارُ الهُدى: ٤٣١/٢، المُكْتَفى: ص ٢٧٨.

(٥) **ينظر**: الوقف على كلَّا وبَلَى في القرآن: ص ٦٧.

فهذه أحد عشر موضعًا الاختيار فيها عند أكثرِ القُرَّاء وأهل اللُّغة أن يوقف عليها على معنى النفْي والإنكار لما تُقدَّمها، ذَكرْتُها مفسرةً في مواضعها مع بيان حكم الوقف عليها وأثره في التَفْسِير، وأنه يجوز الابتداء بما بعدها على المعاني التي تقدَّم ذِكْرها. والله أعلى وأعلم.

* * *

﴾ المطلب الثاني ﴿

ما لا يَحْسُن الوقف فيه على (كَلَّا) ولكن يُبْتَدَأ بها
وذلك في ثمانية عشر موضعًا

▪الموضع الأول:

قوله تعالى: ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ۝٣١ كَلَّا وَالْقَمَرِ﴾[المدثر: ٣١-٣٢].

فلا يَحْسُن الوقف على ﴿كَلَّا﴾ في هذه الآية؛ لأنه لو وُقِفَ عليها صارت ردًّا لما قَبْلَها، وما قَبْلَها من حقائق الغيب ومناهج التصوُّر الهادية منها والمُضلِّلة لا يُرَدُّ ولا يُنْكَرُ.

قال الإمام القرطبي: (كَلَّا) صلة للقَسَمِ والتقدير: إي والقمر، وقيل: المعنى: حقًّا والقمر فلا يُوقَفُ على هذين التقديرين على (كَلَّا)(١).

ويُبتَدَأ بها على معنى (ألا) والقمر، و (حقًّا) والقمر، أي: حقًّا ما أقول والقمر تعقيبًا على ربْط حقائق الغيب بظواهر الوجود المشهودة في هذا العالم ومشاهدة المُوحية بذاتِها، وفي الابتداء بها دَلالة بأن وراء هذا التقدير والتدبير قصْدًا وغايةً وحسابًا وجزاءً(٢).

▪الموضع الثاني:

قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ﴾[المدثر: ٥٤].

لا يَحْسُن الوقف على ﴿كَلَّا﴾ في هذه الآية؛ لِئلا يُوهِم الوقف نفْيَ ما حَكاه اللهُ عنهم من عدمِ خوفِهم من الآخرة، وأنه هو الذي نَأَى بهم عن التَّذكرة، ونفَّرهم من الدعوة هذه النفرة؛ حيث كنَّى عن عدمِ الإيمان بالآخرة بعدم الخوف منها؛ لأنهم لو آمنوا بها لخافُوها ويُبتَدَأُ بها على معنى (ألا) الاستفتاحية؛ أي: ألا إنه تذكرة، ولا يجوز الابتداء بها على معنى (حقًّا) إنه تذكرة؛ لأنه يلزَمُ فتْحُ همزة ﴿إِنَّهُۥ﴾ على ما تقدَّم ذِكْره، ولا يجوز فتْحُها إذ لم يَقرأْ بها أحدٌ.

(١) ينظر: تَفْسِير القرطبي: ٣٩٠/٢١ وما بعدها.

(٢) ينظر: تَفْسِير الظِّلال: ٣٧٦٠/٦، الوقف على كَلَّا وبَلَى في القرآن: ص٥٧.

وفي الابتداء بها دَلالة على أن هذا القرآن الذي يُعْرِضون عن سماعه، وينفِرُون كالحُمُر ﴿إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ﴾ فمن شاء فليذكر، ومن لم يشأ فهو وشأْنه، وهو وما يختار لنفسه من طريق ومصير.. من جنةٍ وكرامةٍ، أو من سقرٍ ومهانةٍ[1].

▪الموضع الثالث:

قوله تعالى: ﴿يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ﴾[القيامة: ١٠-١١].

فلا يَحْسُن الوقف على ﴿كَلَّآ﴾؛ لأنك لو وقفْتَ عليها لنفيْتَ ما حكى اللهُ تعالى من أنه - وفي وسْط هذا الذُّعْر والانقلاب، وهذا الارتياع والفزع حين ينفرِطُ ذاك النظام الكوني الدقيق - يتساءل الإنسان المرْعُوب ﴿أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ﴾ وكأنما يجُول بنظره في كُلِّ اتجاه، فإذا هو مسدود دونه.

ويُبتَدَأ بـ ﴿كَلَّآ﴾ على معنى (ألا) وعلى معنى (حقًّا) على ما تقدَّم ذِكْره وكونها بمعنى (حقًّا) أبلغ وأمكن؛ لأنها تكون تأكيدًا لعدمِ الملجأ من الله يوم القيامة إلا إليه.

وفي الابتداء بها دَلالة على أنه لا ملجأَ ولا وقايةَ ولا مفرَّ من قهْرِ الله وأَخْذِه والرجعة إليه، والمستقر عنده، وأن ما كان يرغَبُ فيه الإنسان من المضيِّ في الفجور بلا حساب ولا جزاء لن يكون يومئذ[2].

▪الموضع الرابع:

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ١٩ كَلَّا بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ﴾ [القيامة: ١٩-٢٠].

فلا يَحْسُن الوقف على ﴿كَلَّآ﴾ في هذه الآية الكريمة؛ لأنه إذا وُقِف عليها كانت نفيًا لما ضَمِنَهُ الله لنا من بيان كتابه ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ﴾، فإن الإيحاء الذي تتركه هذه الآية في النفس هو تكفُّل الله المطلق بشأن هذا القرآن وحْيًا وحفْظًا وجمْعًا وبيانًا، ليس للرسول ﷺ من أمره إلا حَمْلهُ وتبليغه.

---

(١) **ينظر**: تَفْسِير ابن عاشور: ٣٣٢/٩ وما بعدها، تَفْسِير الظِّلال: ٣٧٣٦/٦، الوقف على كَلَّا وبَلَى في القرآن: ص٥٨.

- (٢)**ينظر**: تَفْسِير الظِّلال: ٣٧٦٩/٦، تَفْسِير أَبِي السُّعُود: ٤٢٩/٥ وما بعدها، الوقف على كَلَّا وبَلَى في القرآن: ص٥٩.

ويُبتَدَأ بـ ﴿كَلَّا﴾ على معنى (ألا) أو (حقًّا) وكونها بمعنى (حقًّا) أحسن لتوكيد ما أخبر الله عن عباده من محبتِهم للدنيا وزهدِهم في الآخرة؛ وذلك صحيح في كل الخلق إلا مَنْ عَصَمَه الله ووَفَّقَه.

قال الإمام الرازي: ﴿كَلَّا﴾ بمعنى حقًّا ﴿تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ والمعنى أنهم يُحِبُّون الدنيا ويعملون لها ويَتْرُكون الآخرة ويعرضون عنها[1].

وفي الابتداء بها دَلالة على حقيقة النفوس، وما يعْتلج فيها من حُبِّ الدنيا وانشغال، ومن إهمال للآخرة وقِلَّة احْتفال، فضْلًا عن إيحاء اللَّفْظ بقِصَر هذه الحياة وسرعة انقضائِها يُلْحظ ذلك من التعبير القرآني في تسمية الدنيا بالعاجلة في هذا الموضع[2].

▪الموضع الخامس:

قوله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ۝٢٣ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ ۝٢٤ تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ ۝٢٥ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٦].

فالوقف على ﴿كَلَّآ﴾ هنا لا يَحْسُن؛ لأننا بالوقف عليها نَـنْفِي ما حكى اللهُ لنا عن أصحاب الوجوه الناضرة كيف بها، وهي تَنْظُر لا إلى جَمال صُنْع اللهِ؛ ولكن إلى جَمالِ ذات الله، وما لها لا تَنْظُر وهي إلى جَمالِ ربها تَنْظُر، ثم عن أصحاب الوجوه الباسرة الكالحة التعيسة المحجُوبة عن النظَرِ والتَطلُّع بخطايَاها وارتكاسِها، وقد أيقنوا بوقوع العذاب عليهم؛ وذلك حقٌّ لا يجوز نفيه.

ويُبتَدأُ بـ ﴿كَلَّآ﴾ على معنى (ألا) إذا بلغت التراقي أو (حَقًّا) إذا بلغت التراقي، وكونها بمعنى (حقًّا) أفضل؛ إذ إنها حققت ما يعانيه المحْتضِر من الشدائد عند الموت والمنازعة التي كتبها الله على كُلِّ حَيٍّ.

وفي الابتداء بها دَلالة على مشهد الموت الذي يَنْتهِي إليه كُلُّ حيٍّ، والذي لا يدفعه عن نفْسِه ولا عن غَيْرِه حَيٌّ، إنه مشهد الاحتضار ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾، وحين تبلغُ الروح التراقي يكون النزْعُ الأخير، ويكون الكربُ التي تزوغ منه الأبصار[3].

(١) **ينظر**: تَفْسِير الرازي: ٢٢٦/٣٠.
(٢) **ينظر**: تَفْسِير الظِّلال: ٣٧٧٠/٦، الوقف على كلَّا وبَلَى في القرآن: ص٥٩.
(٣) **ينظر**: تَفْسِير الظِّلال: ٣٧٧٢/٦، تَفْسِير ابن عطية: ٤٨٠/٨، الوقف على كلَّا وبَلَى في القرآن: ص٦٠.

▪الموضع السادس:

قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ① عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ② الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ③ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [النبأ: ١-٤].

فلا يَحْسُن الوقف على ﴿كَلَّا﴾ في الآية الكريمة؛ لأن الوقف عليها ينفي ما حكى اللهُ لنا من اختلافِهِم في النَّبأ العظيم، وهو أمْرُ رسول الله ﷺ وما جاء به من القرآن، وما فيه من أمرِ البعث بعد الموت؛ وذلك لا يُنْفى فقد خالف فيه بعضهم بعضًا، فيُصدِّقُ واحدٌ ويُكذِّب آخر؛ حتى صار الناس فيه رَجُلَيْنِ: مُصدِّقٍ، ومُكذِّبٍ.

ويُبتَدَأُ بـ ﴿كَلَّا﴾ على معنى (ألا) سيعلمون أو (حقًّا) سيعلمون، وكونها بمعنى حقًّا أحسن؛ ليؤكِّد بها وقوع العِلْم منهم، ويحقِّق بها لَفْظ التهديد الذي تضمَّنه الخِطاب.

وفي الابتداء بها دَلالة على ردْع المتسائِلين هُزؤًا ووعيدِ الله لهم بأنهم سوف يعلمون أن ما يتساءلون عنه ويضحكون منه حقٌّ؛ لأنه واقع لا ريبَ فيه[1].

▪الموضع السابع:

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ⑧ وَهُوَ يَخْشَىٰ ⑨ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ⑩ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ [عبس: ٨-١١].

لا يَحْسُن الوقف على ﴿كَلَّا﴾؛ لِئلا يُوهِم الوقف نفْيَ ما حكى اللهُ تعالى من أمرِ النبي ﷺ مع ابن أُمِّ مكتوم[2]؛ حيث جاء هذا الرجل الأعمى الفقير إلى رسول الله ﷺ وهو مشْغول بأمرِ نفرٍ من سادة قريش، يدعوهم إلى الإسلام، ويرجو بإسلامهم خيرًا للإسلام في عُسْرتِهِ وشدتِهِ التي كان فيها بمكة، فيُعْرِض رسول الله ﷺ عن الرجل الفقير الذي يعطله عن الأمر الخطير، فيجيء العِتَاب من الله العليِّ الكبير لنبيه الكريم صاحب الخلق العظيم، فكان رسول الله ﷺ بعد هذا الحادث يهشُّ لابن أُمِّ مكتوم، ويرعاه، ويقول له كُلَّما لقِيهُ:

(١) **ينظر**: تَفْسِير القرطبي: ٦/٢٢ وما بعدها، تَفْسِير ابن عطية: ٥١٣/٨، تَفْسِير الزَّمخْشَري: ٢٩٤/٦، تَفْسِير أبي حيَّان: ٤٠٣/٨، الوقف على كلَّا وبَلَى في القرآن: ص٦٠.

(٢) هو عبد الله بن قيس بن زائدة بن الأصم بن رواحة القرشيّ، من السابقين المهاجرين، وكان مؤذنًا لرسول الله ﷺ، وكان ابن أم مكتوم يتمني الجهاد غير أن فقدانه للبصر كان يمنعه، ثم تحقَّق له ما كان يطلب؛ حيث سقط شهيدًا في معركة القادسية، وكان حاملًا للواء المسلمين سنة (١٥هـ). **ينظر**: سير أعلام النبلاء: ٣٦٠/١.

أهلًا بِمَنْ عاتبني فيه ربي، وقد استخلفه مرتين بعد الهجرة على المدينة.

ويُبْتَدَأُ بـ ﴿ كَلَّآ ﴾ على معنى (ألا) إنها تذكرة، ولا يجوز أن تُجْعل في الابتداء بمعنى (حقًّا)؛ لأنه يلزم أن تفتحَ همزة (إن)، ولم يقرأْ به أحدٌ.

وفي الابتداء بها دَلالة على الميزان الذي تُوزَنُ به القِيمُ بما في ذلك اعتبار مصلحة الدعوة، كما يراها الْبَشَر؛ بل كما يراها سيد البشر ﷺ، وبيان حقيقة هذه الدعوة وكرامتِها وعظمتِها ورفعتِها واستغنائِها عن كل أحدٍ وعن كل سندٍ، وعنايتِها فقط بمَنْ يريدها بذاتِها كائنًا من كان وضْعه ووزْنه في موازين الدنيا[1].

▪الموضع الثامن:

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴾ [عبس: ٢٢-٢٣].

فالوقف على ﴿ كَلَّا ﴾ لا يجوز؛ لأنك لو وقفْتَ عليها لكنْتَ تنفي البعث والنَّشور، وفي تعليق الإِنْشار بمشيئته تعالى إيذانٌ بأن وقْته غير متعيَّن؛ بل هو تابعٌ لها.

ويُبْتَدَأُ بـ ﴿ كَلَّا ﴾على معنى (ألا) أو على معنى (حقًّا) كما سبق مرارًا.

وفي الابتداء بها دَلالة على أن الانسان عامة وبأجياله كافة ﴿ لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴾ وإلى آخر لحظة في حياته، وهو الإيحاء الذي يُلقِيه التعبير بلمَّا؛ إذ لا يخلو أحدٌ عن تقصيرٍ ما[2].

▪الموضع التاسع:

قوله تعالى: ﴿ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴾ [الانفطار: ٨-٩].

لا يَحْسُن الوقف على ﴿ كَلَّا ﴾؛ لأنه يُوهِم نفْيَ ما أخبر اللهُ سبحانه وتعالى به من خَلْقِه للإنسان وتصويره له في صورة كاملة بديعة على حسب مشيئتة؛ وذلك حقٌّ لا يُنْفى.

ويُبْتَدَأ بها على معنى (ألا) ﴿ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴾ ، وكونها بمعنى (حقًّا) أحسن ليفيد تأكيد تكذيبهم بالدين، وهو الجزاء والحساب في الآخرة.

---

(١) **ينظر**: تَفْسِير أَبِي حيَّان: ٤١٩/٨، تَفْسِير القرطبي ٧٤/٢٢، تَفْسِير الظِّلال: ٣٨٢٥/٦، الوقف على كلَّا وبَلَى في القرآن: ص٦١-٦٢.

(٢) **ينظر**: تَفْسِير القرطبي: ٨١/٢٢ وما بعدها، تَفْسِير أَبِي السُّعُود: ٤٨٠/٥، تَفْسِير أَبِي حيَّان: ٤٢٠/٨، تَفْسِير الظِّلال: ٣٨٣٠/٦ وما بعدها، الوقف على كلَّا وبَلَى في القرآن: ص٦٢.

وفي الابتداء بها دَلالة على علة هذا الجُحود والإنكار، وهو التكذيب بالدين، وعن هذا التكذيب ينْشأ كُلُّ سوء و جحود، فلا يكذِّب الإنسان بالحساب والجزاء، ثم يستقيم على هدى أو خير أو طاعة؛ بل لن يَحْيا فيه قلب ولن يستيقظ فيه ضمير(١).

▪الموضع العاشر:

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ [المطففين: ٦-٧].

فلا يَحْسُن الوقف على ﴿كَلَّا﴾ في الآية الكريمة؛ لأن الوقف عليها يُوهِم نفْيَ قيام الناس لرب العالمين؛ وذلك لا يُنْفى فهو حقٌّ لا شكَّ فيه.

ويُبتَدَأُ بها على معنى (ألا) إن كتاب الفجار، ولا يُبْتَدَأُ بها على معنى (حقًّا) كما قررنا ذلك غير مرة.

وفي الابتداء بها دَلالة على أن لهم كتابًا تُحْصى فيه أعمالهم، ويحدَّد مَوْضعه زيادة في التوكيد- وأنه في سجين-، وهذا اللَّفْظ يفيد الانحِطاط والسُّفول، ويتوعدهم بالوْيلِ في ذلك اليوم العظيم، يوم يقوم الناس لرب العالمين(٢).

▪الموضع الحادي عشر:

قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

فالوقف على ﴿كَلَّا﴾ لا يَحْسُن؛ لأنه يُوهِم نفْيَ غلبة الذنوب والمعاصي على قلوبهم - المذكور في الآية قبلها- من قوله: ﴿بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ وقد أخبرنا الله بذلك فلا يجوز نفيُه.

ويُبتَدَأُ بها على معنى (ألا) إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون بجعلها افتتاح كلَام، ولا يُبتَدَأُ بها على معنى (حقًّا) كما سبق ذكره.

وفي الابتداء بها دَلالة على النِّهاية الطبيعية والجزاء الوفاق في الآخرة، فكما حَجَبت

(١) **ينظر**: تَفْسِير ابن عاشور: ١٧٨/٣٠، تَفْسِير الظِّلال: ٣٨٥٠/٦ وما بعدها، الوقف على كلَّا وبَلَى في القرآن: ص٦٢.

(٢) **ينظر**: تَفْسِير القرطبي: ١٤٠/٢٢ وما بعدها، تَفْسِير الظِّلال: ٣٨٥٧/٦، الوقف على كلَّا وبَلَى في القرآن: ص٦٢.

قلوبهم المعاصي والآثام - حجبتْها عن الإحساس بربها في الدنيا وطمستْها؛ حتى أظْلمت وعَمِيت في الحياة - فاليوم يَحْرِمُوا النَّظر إلى وجه الله الكريم، ويُحال بينهم وبين هذه السعادة الكبرى التي لا تُتاح إلا لمن شَفَّت رُوحه ورقَّت وصَفَت واستحقَّت أن تُكشف الحُجُب بينها وبين ربها (١).

▪الموضع الثاني: عشر:

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝١٧ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٧-١٨].

لا يَحْسُن الوقف على ﴿كَلَّآ﴾ في هذا الموضع؛ لأن الوقف يُوهِم نفْي ما حكى اللهُ تعالى من أنه يُقال للكافرين يوم القيامة: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾، وهو كائنٌ لا محالةَ، فلا يجُوز نفيُه، فمع الجحِيم التأنيب، وهو أمَرُّ من الجحيم.

ويُبتَدَأُ بها على معنى (ألا) إن كتاب الأبرار، ولا يجوز أن تكون بمعنى (حقًّا) لكسر همزة (أن) بعدها، وفي الابتداء بها دَلالة على الصفحة الأخرى من المشهد يوم القيامة، صفحة الأبرار؛ وذلك على العهد بطريقة القرآن في عرض الصفْحتين متقابِلتين في الغالب؛ لتَتِمَّ المقابلة بين حقِيقتين وحالتَين ونهايتَين، ولفظ ﴿عِلِّيِّينَ﴾ يُوحي بالعلوِّ والارتفاع، فكُتُبهم مرفوعة في علّيين على قدْرِ مرتبتِهم (٢).

▪الموضع الثالث عشر:

قوله تعالى: ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ۝١٩ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝٢٠ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [الفجر: ١٩-٢١].

فلا يَحْسُن الوقف على ﴿كَلَّآ﴾؛ لِئلا يُوهِم الوقف نَفْي ما أخبر الله تعالى به من أنَّهم يَجْمَعُون في أكلِهم بين نصيبِهم من الميراث ونصيبِ غيرهم، فيلمُّون بمالِ غيرهم فيأكلونه؛ وذلك من كثرة حُبِّهم المال وجمعه من حلاله وحرامه، وانكبابهم على الدنيا؛ وذلك لا يُجوز نفيُه.

ويُبتَدَأُ بها على معنى (ألا) أو على معنى (حقًّا) إذا دُكَّت الأرض، وفي الابتداء بها

(١) ينظر: تَفْسِير القرطبي: ١٤٥/٢٢، تَفْسِير الظِّلال: ٣٨٥٨/٦، الوقف على كلَّا وبَلَى في القرآن: ص٦٣.

(٢) ينظر: تَفْسِير القرطبي: ١٤٨/٢٢، تَفْسِير الظِّلال: ٣٨٥٨/٦، الوقف على كلَّا وبَلَى في القرآن: ص٦٤.

دَلالة على مشهد من مشاهد الانْقِلابات الكَوْنيَّة التي تقع يوم القيامة؛ حيث تُدكُّ الأرض، وتتحطَّم معالمها، ويتجلَّى الجبَّارُ المُتكبِّرُ، ويتولى الحكم والفصل، ويقف الملائكةُ صفًّا صفًّا متأهبين لإنفاذِ أمر الله ﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾الذي أَكَلَ المِيراث أكلًا شَرِهًا جشعًا، وأحبَّ المال حُبًا كثيرًا طاغيًا؛ ولكن بعد فوات الأوانِ ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾[1].

▪الموضع الرابع عشر:

قوله تعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ﴾[العلق: ٥-٦].

فلا يَحْسُن الوقف على ﴿كَلَّآ﴾؛ لِئلا يُوهِم الوقف نفْيَ أن الله علَّم رسوله محمدًا ﷺ ما لم يكن يعْلم، ونَفْيُ ذلك لا ينبغي. ويُقَوِّي ذلك أن الوحي انقطع عند ﴿مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ وهو تمام الخمس آيات التي نَزلت على النبي ﷺ أول ما نزل، ثم بعد ذلك بمدة نزل عليه ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ﴾.

ويُبتَدَأ بها على معنى (ألا) إن الانسان ليطغى، ولا يَحْسُن أن تكون بمعنى (حقًّا) لكسر همزة (أن) كما سبق ذكره.

وفي الابتداء بها دَلالة على طبيعة الإنسان في عمومه- إلا من عصمه إيمانه- لا يشكر حين يُعْطى فيرى نفسه ذا مال وثروة؛ بل يطغى ويفْجر، ويبغِي ويتكبْر من حيث كان ينبغي عليه أن يَعْرِف نعمة ربه ويشْكُر[2].

▪الموضع الخامس عشر:

قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ [العلق: ١٤-١٥].

لا يَحْسُن الوقف على ﴿كَلَّا﴾؛ لأن الوقف عليهما يُوهِم نفْيَ رؤية الله لأعمال عباده المتحقِّق في قوله: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾، ونفْيُ ذلك لا يجوز.

ويُبتَدَأ بها على معنى (ألا) لئن لم يَنْتهِ ، أو على معنى (حقًّا) وهو حسن بالغ.

وفي الابتداء بها دَلالة على التَهْديد الحاسم أمام مشهد الطغيان الذي يقف في وجه

(١) **ينظر**: تَفْسِير القرطبي: ٢٧٩/٢٢ وما بعدها، تَفْسِير الظِّلال: ٣٩٠٦/٦، الوقف على كَلَّا وبَلَى في القرآن: ص٦٥.

(٢) **ينظر**: تَفْسِير القرطبي: ٣٨١/٢٢، تَفْسِير الظِّلال: ٣٩٤٢/٦، الوقف على كَلَّا وبَلَى القرآن: ص٦٥.

الدعوة، وفي وجْه الإيمان، وفي وجْـه الطَّاعـة، في صـورة مـستنكرة يُعْجَـبُ منهـا ويُفْظَـعُ وقوعها، حين تضمُّ شناعة إلى شناعة، وتضاف بشاعة إلى بشاعة، فما أعْجبَ هذا ويا وَيْله ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾[1].

▪الموضع السادس عشر:

قوله تعالى: ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: ١٨-١٩].

لا يَحْسُن الوقف على ﴿كَلَّا﴾؛ لأن الوقف قد يُوهِم نَفْيَ ما أخبر اللهُ تعالى به مـن دعاء الزبانية يوم القيامة، وهم أعظم الملائكة خلْقًا وأشدُّهم بطشًا.

ويُبتَدَأُ بها على معنى (ألا) لا تُطِعْه ، أو على معنى (حقًّـا) لا تُطِعْـه، وفي الابتـداء بهـا دَلالة على ذلك التوجيه الرباني لكُلِّ مؤمن طائع لله في الإصْرار والثَّبات على إيمانه وطاعته، وتَوعُّد كُلِّ طاغٍ باغٍ يَخْتَال بقوته ويعْتزُ بأهْلِهِ وعشيرته أن (يـدعو ناديـه) أمـا نحـن فإننـا (سندعو الزبانية) الشِّداد الغِلاظ، والمعركة إذًا معروفة المصير[2].

▪الموضع السابع عشر:

قوله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ١-٣].

لا يَحْسُن الوقف على ﴿كَلَّا﴾؛ لِئلا يُوهِم الوقف نَفْي ما قبلـه مـن الالْتِهـاء والمباهـاة بكثرة المال والعدد عن طاعة الله، ومن الاشْتِغال بمفاخِر الدنيا؛ حتى نزور المقابر، ونَـفْيُ ذلك لا يجوز.

ويُبتَدَأ بها على معنى (ألا) سوف تعلمـون، أو على معـنى (حقًّـا) سـوف تعلمـون، وفي الابتداء بها دَلالة على هوْل مـا ينتظـر اللَّاهُـون المتكاثـرون بـالأموال والأولاد، هَـوْل مـا ينتظِرهم هناك عند المعاينة، إذا نزل بهم الموت وأُدخلوا قبورهم[3].

(١) **ينظر**: تَفْسِير القـرطبي: ٣٨٣/٢٢ ومـا بعـدها، تَفْـسِير الظِّـلال: ٣٩٤٢/٦، الوقـف على كلَّا وبَـلَى في القرآن: ص٦٦.

(٢) **ينظر**: تَفْسِير القرطبي: ٣٨٨/٢٢، تَفْسِير الظِّلال: ٣٩٤٣/٦، الوقف على كلَّا وبَلَى في القرآن: ص٦٦.

(٣) **ينظر**: تَفْسِير القـرطبي: ٤٥٤/٢٢ ومـا بعـدها، تَفْـسِير الظِّـلال: ٣٩٦٢/٦، الوقـف على كلَّا وبَـلَى في القرآن: ص٦٦.

▪الموضع الثامن عشر:

قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾[التكاثر: ٥].

لا يَحْسُن الوقف على ﴿كَلَّا﴾؛ لِئلا يُوهِم الوقف نفْيَ وقوع العِلْمِ منهم بحقائق الأمور في الآخرة- المذكور في الآيات قبلها- وذلك لا يجوز.

ويُبتَدَأ بها على معنى (ألا) لو تعلمون، وعلى معنى (حقًّا) لو تعلمون، وقد تقدم الكلَّام فيها مستوفى.

وفي الابتداء بها دَلالة على انكشاف هذه الحقيقة المطْوِية الرهيبة بعد الموت- لـتَرَوُنَّ الجحيم- هذه الحقيقة التي تجعل المخْمور يفِيق، والغافل ينتبه، والسَّادِر يلتفِت، وتدع القلب مُثْقلًا مشْغُولًا بهمِّ الآخرة عن سَفاسِف الحياة الدنيا وصغائِرِها(١).

فهذه ثمانية عشر موْضعًا، الاختيار فيها عند أكثر القُرَّاء وأهل اللُّغة ألا يوقف على شيء منها، ويجوز للقارئ أن يبتَدِئ بجميعِها على المعاني التي تقدم ذكرِها.

* * *

(١) **ينظر**: تَفْسِير القرطبي: ٤٥٦/٢٢، تَفْسِير الظِّلال: ٣٩٦٢/٦، الوقف على كلَّا وبَلَى في القرآن: ص٦٧.

المطلب الثالث

ما لا يَحْسُن الوقف فيه على (كَلَّا)، ولا يَحْسُن الابتداء بها بل تكون موصولة بما قبْلها من الكَلَّام وبما بعْدها وذلك في موضعين

▪الموضع الأول:

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [النبأ: ٥].

فلا يَحْسُن الوقف على (كَلَّا)؛ لأنك بالوقف عليها تنفي ما مضى- في الآيات قبلها- من التهديد والوعيد الشديد، وتنفي وقوع العِلْم منهم؛ وذلك لا يجوز نفيُه.

قال القرطبي: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ ؛ أي: حقًا ليعلمون صدق ما جاء به محمد ﷺ من القرآن ومما ذَكَرَه لهم من البعث بعد الموت.

ولا يَحْسُن الابتداء بـ (كَلَّا) أيضًا؛ لأنها أتتْ في جملة تابعة لما قبْلها مقترنة بحرف العطف (ثمَّ)، ولا يوقف على حرْف العطف دون المعطوف[1].

▪الموضع الثاني:

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٤].

لا يَحْسُن الوقف على ﴿كَلَّا﴾ في هذا الموضع؛ لأنك بالوقف عليها تنفي ما مضى من التهديد والوعيد، وتنفي وقوع العِلْم منهم بحقائق الأمور في الآخرة؛ وذلك لا يجوز.

قال القرطبي: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾؛ أي: إذا دخلْتُم قبوركم، وجاء مُنكَر ونكير، وحاط بكم هوْل السؤال، وانقطع منكم الجواب.

ولا يَحْسُن الابتداء بـ ﴿كَلَّا﴾ أيضًا؛ لأنها أتت في جملة تابعة لما قبلها مقترنة بحرف

(١) **ينظر**: تَفْسِير القرطبي: ٦/٢٢، الوقف على كَلَّا وبَلَى في القرآن: ص٦١.

العطف ﴿ثُمَّ﴾، ولا يوقف على حرف العطف دون المعطوف[1].

فالاختيار في - الموضعين السابقين - أن تصل ولا تقف، وقد مضى ذكر تفسير ذلك وعلَّته.

* * *

(١) **ينظر**: تَفْسِير القرطبي: ٢٢/٤٥٥، الوقف على كلَّا وبَلَى في القرآن: ص٦٦.

﴿ المطلب الرابع ﴾

ما يَحْسُن الوقف فيه على (كَلَّا)، ولا يَحْسُن الابتداء بها بل توصل بما قبلها؛ وذلك في موضعين أيضًا

▪الموضع الأول:

قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ۝١٤ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: ١٤-١٥].

الوقف على ﴿كَلَّا﴾ حَسَنٌ جَيْدٌ على معنى ليس الأمر كذلك، فلن يصلوا إليك، ولن يقدروا على قتلك.

وفيه دَلالة على طمْأَنة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الذي صَنعه الله على عينه واصطفاه لنفسه - ممَّا يخاف أو يخشى؛ لذلك جاء التأكيد بالحفظ والنصرة ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾، فأي قوة وأي سلطان وأي حماية ورعاية، والله مع أنبيائه وأوليائه يسمع ويرى.

ولا يَحْسُن الابتداء بـ ﴿كَلَّا﴾؛ بل توصل بما قبْلها؛ لأن القول لا يوقف عليه دون المقول البتَّة، لعدمِ تمام المعنى.

ويَحْسُن الابتداء بقوله: ﴿فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ على معنى (ألا) فاذهبا بآياتنا، أو (حقًّا) فاذهبا بآياتنا[1].

▪الموضع الثاني:

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦١-٦٢].

فالوقف على ﴿كَلَّآ﴾ حَسَنٌ على معنى ليس الأمر كما تظنون، فلن نكُونَ مُدركِين، ولن نكُونَ هالكِين، ولن نكُونَ مَفْتونِين، ولن نكُونَ ضائعِين.

(١) **ينظر:** تَفْسِير القرطبي: ١٤/١٦، تَفْسِير الظِّلال: ٥/٢٥٩٠، الوقف على كَلَّا وبَلَى في القرآن: ص٥٥.

وفيه دَلالة على أن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الذي تلقَّى الوحي من ربه لا يشك لحظة، وأن مـلء قلبه الثِّقة بربه، واليقين بعونه، والتأكد من النَّجاة، وإن كان لا يدري كيف تكـون فـهي لا بد كائنة، والله هو الذي يوجهه ويرعاه.

لذلك جاء ردُّ موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ بهذا الجزمِ والتأكيدِ واليقـين تقويةً لنفوسِهم. فذِكْر المعيَّة دَلالة النصر، والتكفُّل بالمعُونة، وذِكْر الهدايـة دَلالـة نجـاتهم وهلاك عدوهم.

ولا يَحْسُن الابتداء بـ ﴿كَلَّآ﴾؛ بل توصل بما قبْلها؛ لأن القول لا يوقـف عليـه دون المقول أبدًا لعدمِ تمام المعنى.

ويَحْسُن الابتداء بقـوله: ﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ على معـنى (ألا) إن مَـعِيَ ربي، ولا يُبتَدَأُ بها على معنى (حقًّا)؛ لأنه يلزم أن تُفْتَحَ همزة (إن) بعْدها على ما تقدَّم ذكره[1].

فالاختيار في الموضعين السابقين أن تقف عليها، ولا تَبْتَدِئ بها؛ بل توصل بمـا قبْلهـا وقد مضى ذَكْرُهُما وعلَّتُهُما.

فهذا جميع ما في كتاب الله من مواضـع ﴿كَلَّآ﴾ ذكرتُهـا مفـسَّرة مـع بيـان حُكْمِهـا ومعناها، وما تحتمله من وجوه، ودَلالة ذلك على المعنى، وأثره في التفْسِير، ويجوز في جميعها أن تصلها بما قبْلها وما بعْدها، ولا تقف عليها ولا تَبْتَدِئُ بها، وما ذكرْتُـه هـو المَـذْهَبُ المُختار لأكثر القُرَّاء، وعليه رأي أكثر النحويين وأهل المعاني، وهو الراجح لدي، والله أعلى وأعلم.

* * *

(١) **ينظر**: تَفْسِير القرطبي: ٣٢/١٦، تَفْسِير الظِّلال: ٢٥٩٩/٥، الوقف على كلَّا وبَلَى في القرآن: ص٥٥.

☙ المبحث الثاني ❧

مواضع الوقف على (نعم) ووصْلها بما بعدها(١)

أما (**نعم**) فهي حرْف جواب يُجاب بها عن كلَّام قبْلها، ويختلف معناها باختلاف ما قبْلها، ولم تستعملْ في القرآن إلا كحرْفٍ يدل على الإعلام؛ أي: إعلام من يستخْبِر ويستفْهِم عن أمرٍ ما بجواب استفهامه، وقد وقعت (**نعم**) في القرآن الكريم في أربعة مواضع يوقف على واحد منها - وهو الموضع الأول - والثلاثة الباقية لا يوقف عليها ولا يُبتَدَأ بها؛ بل توصل بما قبْلها وبما بعْدها، وضابط ما يُختار الوقف عليه أن يقال: إن وقع قبلها (ما) اختير الوقف عليها وإلا فلا، أو يقال إن وقع بعدها (واو) لم يختَرْ الوقف عليها وإلا اختير، وأنت مخير بين أيِّهما شئت.

قال الإمام مكي: والوقف عليها في الأولى من الأعراف حَسَن مُخْتار؛ لأنه لا خِطَابَ بعْدها، والكلَّام تام عليها غير متصل بما بعْده، والثلاثة الباقية يَحْسُن وصْلها بما بعْدها وترْك الوقف عليها؛ لأن بعْدها خِطاب متصل بها وبما قبْلها.

وقال العلامة الزركشي: وأما (نعم) ففي القرآن في أربعة مواضع، والمُخْتَار الوقف عليها في الموضع الأول؛ لأن ما بعْدها ليس متعلقًا بها، ولا بما قَبْلَها - إذ ليس هو من قول أهل النار- وألا يوقف على (نعم) في المواضع الثلاثة لتعلُّقِها بما بعْدها وبما قبْلها لاتصاله بالقول، وفي المطلبين التاليين تفصيل القول في الوقف على (**نعم**)، أو وصْلها بما قبْلها وما بعْدها في كل مَوْضِعٍ من هذه المواضع، وبيان حُكْمه وأَثَرِه في التَفْسِير.

* * *

(١) **ينظر**: الوقف على كلَّا وبَلَى في القرآن: ص٨٩، البرهان في علوم القرآن: ١/٥٢٥، معالِمُ الاهتِداء: ص١٠٢ وما بعدها.

﴿ المطلب الأول ﴾

ما يوقف فيه على (نعم)؛ وذلك في موضع واحد

وهو قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٤٤].

فيوقف على ﴿نَعَمۡ﴾ في هذه الآية؛ لأن قوله تعالى: ﴿قَالُواْ نَعَمۡ﴾ جواب أهل النَّار عن سؤال أهل الجنَّة لهم، وهو قوله تعالى حكاية عنهم: ﴿فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗا﴾، فيكون الكلَّام قد أفاد الفائدة التي يَحْسُن السكوت عليها بذِكْر السؤال وجوابه، ويكون الوقف عليها (كافيًا)؛ لأن ما بعْدها متعلِّق بها وبما قبْلها تعلُّقًا معنويًّا لا لفظيًّا[1].

وفي الوقف عليها تصْوير للمشهد على طريقة القرآن الفريدة التي تَستحْضِر المشْهد حيًّا مُتحرِّكًا، يراه قارئ القرآن وسامعه، ويشهده بكل كينُونته، وفيه دَلالة على انتهاء الجواب وقطع الحوار ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2].

* * *

(١) **ينظر**: إيضاح الوقف والابتداء: ص ٣٢٦، المُكْتَفى: ص ١٠٦، القطع والائتناف: ص ٢٥٢، مَنارُ الهُدى: ٢٢٦/١.

(٢) **ينظر**: تَفْسِير الظِّلال ١٢٩٢/٣.

☙ المطلب الثاني ❧

ما لا يوقف فيه على (نعم) وذلك في الثلاثة المواضع الباقية

قـوله تعـالى: ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ١١٣ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾ [الأعراف: ١١٣-١١٤].

لا يَحْسُن الوقف على (نعم) في هذه الآية؛ بل تُوصل بما بعْدها؛ لأن جملـة ﴿وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾ معطوفة على الجملة التي قامت (نعم) مقامها في الجواب، وأصـل الـكلّام: إن لكم لأجرًا وإنكم لمن المقربين، فحذفت جملة (إن لكم لأجرًا)، ونابت (نعم) عنهـا في الجواب، وكلتا الجملتين من مقول القول، ولا يُفْصَلُ بعض المقول عن بعضه(١).

وفي الآية تَصْوِير لمشهد السحرة بحضرة فرعون قبْل المباراة بين الحق والباطـل أو بـين الإيمان والطغيان، كأنه واقع منظور لا حكاية تُرْوى، يطمئنون على الأجر والمكافأة إن كانوا هم الغالبين، وفيها دَلالة على وعْد فرعون بمـا هـو أكـثر مـن الأجـر ﴿نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾ يَعِدُهم أن يكونوا من المقربين إليه زيادة في الإغراء، وتشجيعًا على بذْل غاية الجهد، فقد تبادَل وإياهم الصفقة: هم يُقِرُّون سـلطانه باسـم الديـن، وهـو يعطـيهم المـال، ويجعلهم من المقربين(٢).

قوله تعـالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ٤١ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٤١-٤٢].

فيقال في هذه الآية كل ما قيل في الآية السابقة، فلا يَحْسُن الوقف على ﴿نَعَمۡ﴾ فيهـا؛ بل توصل بما قبْلها؛ لأن جملـة ﴿وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾ معطوفـة على الجملـة المحذوفـة التي قامت ﴿نَعَمۡ﴾ مقامها في الجواب، فأصل الـكلّام: إن لكـم لأجـرًا وإنكـم إذًا لمـن المقربين، فحذفت جملة (إن لكم لأجرًا) ونابت ﴿نَعَمۡ﴾عنها في الجواب، وكلتا الجملتين من مقول القول، ولا يُفْصَلُ بعض المقول عن بعضه، وكما سبق ففي الآيـة تـصوير لـمشهد

(١) **ينظر**: معالِمُ الاهتِداء: ص١٠٤.

(٢) **ينظر**: تَفْسِير الظِّلال: ١٣٤٩/٣.

السحرة وهم يستوثقون من الجزاء على تعبِهم ولعبِهم وبراعتِهم في الخداع، ودَلالة على تلقيهم الوعد من فرعون بما هو أكثر من الأجر ﴿نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾، فمع الأجر الجزيل القربى من عرشه الكريم، وهو بزعمه الملك والإله، فطمئن السحرة على الأجر، واشرأبت أعناقهم إلى القربى من فرعون[1].

قوله تعالى: ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾ [الصافات: ١٦- ١٨].

فلا يوقف على ﴿نَعَمْ﴾ أيضًا؛ لأن جملة ﴿وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾ مبتدأ وخبر في محل نصب على أنها حال من الفاعل الذي حُذف مع فِعْلِه، وقامت ﴿نَعَمْ﴾ مقامه، وأصل الكَلَام: قل لهم تبعثون والحال أنكم أذلاء صاغرون.

وفي الآية تصْوير لمشهد بعْثِهم في الآخرة ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾؛ أي: نعم ستبعثُون أنتم وآباؤكم الأولون - على زيادة الاستبعاد منهم - ستبعثون وأنتم داخرون مُسْتسلِمون أذِلاء صاغرون، وفيه دَلالة على المهانة والتبكيت والتحقير لهم[2].

* * *

(١) **ينظر**: تَفْسِير الظِّلال: ٢٥٩٤/٥ وما بعدها.

(٢) **ينظر**: تَفْسِير الظِّلال: ٢٩٨٥/٥، تَفْسِير الزَّمَخْشَرِي: ٢٠٤/٥، تَفْسِير أَبِي السُّعُود: ٥٣٠/٤.

﴾ المبحث الثالث ﴿

مواضع الوقف على أسماء الإشارة

(ذلك ، كذلك ، هذا)

تستعمل أسماء الإشارة أحيانًا للفصل بين كَلَامَيْن، كالانتقال من قصّةٍ إلى أُخْرى، أو من غَرضٍ إلى غرضٍ، أو من شَأْنٍ إلى شأنٍ، وحيثُما وردت(ذلك، كذلك، هذا) في القرآن الكريم بهذا الاسْتعمال، فإنه يَصِحُّ الوقف عليها، وفيه ثلاثة مطالب:

﴾ المطلب الأول ﴿

مواضع الوقف على (ذلك)

أما لفْظ (**ذلك**) فأصْلُه مكوّن من (ذا): اسم إشارة، و(اللام): للبعد أو لعُلُوِّ المكانة، و(الكاف): للخِطاب، ويشار بـ (ذلك) للبعيد، وهي بهذا المعنى لا يُوقف عليها إلا إذا أدَّت معنى صحيحًا، وهو في أربعةِ مواضع فقط، ولا يصِحُّ الوقف عليها إلا في هذه المواضع، وضابِطُها أن يكون ما بعْدها مُقترنًا بالواو دائمًا، وتكون الواو هذه استئنافية، والجملة بعْدها جملة مستأنفة، وبذلك لا يكون لما بعْدها علاقة إعرابية بها وبما قبلها، فيكون الوقف عليها وقفًا كافيًا[1].

وفيما يلي المواضع الأربعة التي يُوقَفُ فيها على لفْظ (ذلك):

■ **الموضع الأول:**

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠] يَحْتمِل لفظ ﴿ذَٰلِكَ﴾ في الآية المتقدمة أكثر من وجه من أوجه الإعراب:

(١) **ينظر**: تَفْسِير الألوسي: ١٤٧/١٧، **وقال**: فهذا وأمثاله من أسماء الإشارة يطلق للفصل بين الكلَّامين أو بين وجهي كلَّام واحد، بغية عباد الرحمن: ص١٠١، معالِمُ الاهتِداء: ص١٧٢ وما بعدها.

الأول: أن يكون خَبَرًا لمبتدأ محذوف تقديره: فرضكم ذلك، أو الواجب في حقِّكم (ذلك) الذي بينته لكم من الواجبات مما ورد في الآيات السالفة.

الثاني: أن يكون مبتدأ لخبر محذوف تقديره: ذلك حُكْمُ الله أو أمرُه أو شرعُه.

الثالث: أن يكون مفعولًا لفعلٍ محذوف تقديره: اتبعوا ذلك، أو الزموا ذلك.

وعلى أي وجهٍ من الأوجه الثلاثة المُتقدِّمة يَنْتفي الارتباط اللَّفْظي بين ﴿ذَٰلِكَ﴾ وبين جملة ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾، فهي جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب، وبناءً على ما ذُكِر يكون الوقف على ﴿ذَٰلِكَ﴾ كافيًا[1].

وفي الوقف على ﴿ذَٰلِكَ﴾ في هذا الموضع دَلالة على تعظيم الأمرِ وبُعْدِ منزلته، وإنَّما أخذُ التعظيم وبُعْدُ المنزلة من اللام؛ لأنها موضوعة للدَّلالة على بُعْدِ المشار إليه، إمَّا في الحِسِّ والمكان، وإما في الرُّتبة والمكانة، وتعظيم حرمات الله يكون باتقائِها، والتحرُّج من المساس بها[2].

▪الموضع الثاني:

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

جميع ما قيل في الآية السابقة من الأوجه والأعاريب والتقادير والمعاني يقال في هذه الآية.

والوقف على ﴿ذَٰلِكَ﴾ في هذا الموضع وقفًا (كافيًا) أيضًا، وفيه دَلالة على تعظيم الأمر وبُعْدِ منزلته، كنحو ما تقدَّم في الآية السابقة.

وتعظيم شعائر الله - وهي ذبائح الحج - يكون باسْتِسْمَانِها وغلاء أثمانها[3].

▪الموضع الثالث:

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٠].

---

(١) **ينظر**: مَنارُ الهُدى: ٢/٥٠، المقصِدْ: ص١٢٠، معالِمُ الاهتِداء: ص ١٧٢، بغية عباد الرحمن: ص١٠٢.

(٢) **ينظر**: تَفْسِير الألوسي: ١٧/١٤٧، تَفْسِير الظِّلال: ٤/٢٤٢٢.

(٣) **ينظر**: نفس المصادر السابقة.

فلفْظ ﴿ذَٰلِكَ﴾ في هذا الموضع يَحْتَمِلُ الأوجه الثلاثة المُتقدِّمة.

الأول: أن يكون خبرًا لمبتدأ محذوف تقديره: جزاء المهاجرين المُتقدَّم ذِكْرهم في الآية السابقة ﴿ذَٰلِكَ﴾: أي: الذي أخبرتُكم به، وهو أنه تعالى يرزُقهم رزقًا حسنًا، ويُدخلهم مدخلًا يرضونه.

الثاني: أن يكون مبتدأ لخبر محذوف تقديره: ذلك جزاء المهاجرين.

الثالث: أن يكون مفعولًا لفِعْلٍ محذوف تقديره: افعلوا ذلك.

وعلى أي وجه من الأوجه الثلاثة المتقدمة نجد أنه ليس هناك تعلُّقًا لفْظِيًا بين ﴿ذَٰلِكَ﴾ وبين قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ...﴾ فهى جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب، فحينئذ يكون الوقف على ﴿ذَٰلِكَ﴾ كافيًا(١).

وفي الوقف على ﴿ذَٰلِكَ﴾ في هذا الموضع دَلالة وإشارة إلى النَّصر المدلول عليه بقوله تعالى: ﴿لَيَنصُرَنَّهُ﴾ وما فيه من معنى البُعْد للإيذان بعُلُوِ رُتبتِه، وأن ﴿ذَٰلِكَ﴾ النَّصر كائن لسببِ أن الله تعالى قادر، ومن شأنه ذلك(٢).

▪الموضع الرابع:

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤].

فلفْظ ﴿ذَٰلِكَ﴾ في هذا الموضع يحتمل الأوجه الثلاثة المُتقدَّمة أيضًا:

الأول: أن يكون خبرًا لمبتدأ محذوف تقديره: الأمر في الكفار المُتقدَّم ذِكْرهم في الآية السابقة ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الذي بيَّنته وذَكَرْته لكم من القتْلِ والأَسْرِ، وما بعْدها فيما لم يقتل، فإمَّا أن تمنُّوا عليه بالإطلاق، وإمَّا أن تفدُوه فداء.

الثاني: أن يكون مبتدأ حذف خبره، والتقدير: ذلك جزاء الكافرين.

الثالث: أن يكون مفعولًا لفِعْلٍ محذوف تقديره: افعلوا ذلك ونفذوه.

وعلى جميع الأوجه السابقة يكون الوقف على ﴿ذَٰلِكَ﴾ وقفًا كافيًا لوجود التَعلُّق

(١) **ينظر**: مَنارُ الهُدى: ٥٤/٢، تَفْسِير القرطبي: ٤٣٧/١٤.

(٢) **ينظر**: تَفْسِير الألوسي: ١٩٠/٧، تَفْسِير الظِّلال: ٢٤٣٩/٤.

المعنوي وانتفاء التعلُّق اللَّفْظي؛ لأن قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ﴾ مُسْتَأْنف لا محل له من الإعراب[1].

وفي الوقف عليها في هذا الموضع دَلالة على أن قتالهم ليس طريقًا متعينًا؛ بل لو أراد الله أهلكهم من غير جندٍ؛ لكنه تعالى أراد اختبار المؤمنين، وأن يبلو بعض الناس ببعض[2].

وما عدا هذه المواضع الأربعة المُتقدِّمة لا يصح الوقف فيها على ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ بل تُوصل بما بَعْدَها. والله أعلم.

* * *

(١) **ينظر**: مَنارُ الهُدى: ٢/٢٧٤.

(٢) **ينظر**: تَفْسِير الألوسي: ٢٦/٤٢، تَفْسِير بن عطية: ٧/٦٤١.

المطلب الثاني

مواضِع الوقف على (كذلك)

أما لفْظ (كذلك) فأصْله اللُّغوي مُكوَّن من (الكاف): حرْف تشبيه وجرٍّ، و(ذا): اسم إشارة مجرور بالكاف، و(اللام): للبُعْد أو لِعُلوِّ المنزلة، و(الكاف): للخطاب لا محلَّ لها من الإعراب، لكن الكاف في (كذلك) استعملتْ اسمًا لا حرفًا في أربعة مواضع من القرآن الكريم بمعنى (مِثْل)، فهي إذن معربة، ولا يصحُّ الوقف على (كذلك) إلا في هذه المواضع، وفيما يلي المواضع التي يُوقَفُ فيها على (كذلك)[1].

▪الموضع الأول:

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ۖ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾[الكهف: ٩١].

الكاف من لفْظ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ هنا اسم بمعنى (مثل) تحْتمل أن تكون في موضع رفْع على أنَّها خبرٌ لمبتدأ محذوف تقديره: أمر ذي القرنين كذلك، أو أن تكون في محلِّ نصْب صفة لمصدر محذوف لـ (وَجَدَ) ، أو في محلِّ جرٍّ على أنها صفة قوم، وعلى جميع هذه الأعاريب فالواو من قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا﴾ إما استئنافية، وإما عاطفة، فمَنْ رجَّح الاستئناف أجاز الوقف على كذلك وقفًا كافيًا، ومَنْ رجَّح العطف - وعطف الجمل لا يمنع الوقف - اعتبر الوقف على كذلك وقفًا حَسَنًا[2].

وفي الوقف على ﴿كَذَٰلِكَ﴾ في هذا الموضع دَلالة على عظيمِ أمرِ ذي القرنين وعُلوِّ مكانته وبسطة مُلْكِه، فقد سَلَكَ طريقًا إلى مقصدِه مُمَكنًا له في الأرض ميسَّرةً له الأسباب، فبلغ مغربَ الشمس، وحَكَمَ في أهلها بحُكْم الله، ثم بلغ مطلعها، وحَكَمَ فيهم كذلك[3].

(١) ينظر:معاني القرآن وإعرابه: ٤٢٦/٤، بغية عباد الرحمن: ص١٠٦، معالِمُ الاهتِداء: ص١٧٦ .

(٢) ينظر: إيضاح الوقف والابتداء: ص ٣٨٦، المُكْتَفى: ص ١٦١، المقصِدْ: ص ١١٢، القطع والائتناف: ص ٣٩٢.

(٣) ينظر: تَفْسِير أَبِي حيَّان: ١٥٢/٦-١٥٣، تَفْسِير الزَّمخْشَرِي: ٦١٢/٣ وما بعدها، تَفْسِير الظِّلال: ٢٢٩١/٤.

▪الموضع الثاني:

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾[الشعراء: ٥٩].

الكاف من ﴿كَذَٰلِكَ﴾ هنا اسم بمعنى (مثل) تحْتمل أن تكون في محلِّ رفْع على أنها خبرٌ لمبتدأ محذوف تقديره: أمْرُ فرعون كذلك، أو أن تكون في محلِّ نصْب على أنها صفة لمصدر محذوف تقديره: إخراجًا مثل ذلك، أو في محلّ جرٍّ على أنها صفة لـ ﴿وَمَقَامٖ﴾ أي: مقام كريم مثل ذلك، وعلى جميع ما تقدَّم من الأعاريب فالواو في قوله تعالى: ﴿وَأَوۡرَثۡنَٰهَا﴾إما استئنافية، وأما عاطفة، فمَنْ رجَّح الاستئناف أجاز الوقف على كذلك وقفًا كافيًا، ومَنْ رجَّح العطف فهي عاطفة جملة على أخرى - وعطف الجمل لا يمنع الوقف - وعليه يكون الوقف على كذلك حَسَنًا[(١)].

وفي الوقف على ﴿كَذَٰلِكَ﴾ في هذه الآية دَلالة على أن خَرْجتهُم هذه كانت الأخيرة، وكانت إِخْراجًا لهم من كُلِّ ما هُمْ فيه من المنازل الحسنة والمجالس البَهِيَّة، فلم يعودا بعدها لهذا النعيم، وفيه أيضًا تقرير لحال بني اسرائيل وتثبيته في نفس السامع[(٢)].

▪الموضع الثالث:

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

الكاف من ﴿كَذَٰلِكَ﴾اسم بمعنى (مثل) في محلِّ نصْبٍ صفة لمصدر (مختلف) والتقدير: مختلف اختلافًا مثل ذلك، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ جملة مستأنفة لا علاقة بينها وبين ما قبْلها؛ حيث انقطعت العلاقة الإعرابية بين الطرفين، فمَنْ رجَّح الاستئناف مع بقاء التعلُّق المعنوي اعتبر الوقف كافيًا، ومَنْ قَطَعَ

(١) **ينظر**: القطع والائتناف: ص ٤٩٣، مَنارُ الهُدى: ٩٨/٢، المُكْتَفى: ص ١٧٧، المقصِدُ: ص ١٢٩.
(٢) **ينظر**: تَفْسِير أَبِي حيَّان: ١٨/٧، تَفْسِير الزَّمَخْشَرِي: ٣٩٤/٤، تَفْسِير الظِّلال: ٢٥٩٨/٥.

الربط اللَّفْظي والمعنوي اعتبر الوقف تامًّا[١].

وفي الوقف على ﴿كَذَٰلِكَ﴾ في هذا الموضع دَلالة على ما في كتاب الكون المفتوحِ من صحائفه المعجِبة الرائعة المتنوعة الألوان والأنواع، وفي كل عوالمِها في الثمرات وفي الجبال وفي الناس وفي الدواب والأنعام، وأن العلماء هُمْ الذين يتدبَّرون هذا الكتاب، ويرون فيه يد الله المبدعة للألوان والأصباغ والتكوين والتنسيق، ومن ثَمَّ يعرفون الله حق معرفته، يعرفونه بآثار صنعته، ويدركونه بآثار قدرته، ويستشعرُون حقيقة عظمته برؤية حقيقة إبداعه، ومن ثَمَّ يخْشونه حقًّا، ويتقونه حقًّا ويعبدونه حقًّا[٢].

▪ الموضع الرابع:

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٨].

ففي الكاف من ﴿كَذَٰلِكَ﴾ وجهان، فتحتمل أن تكون في محلِّ رفْعٍ على أنها خبرُ مبتدأ محذوف تقديره: الأمر كذلك، أو أن تكون في محلِّ نصْبٍ على أنها نعتٌ لمصدر محذوف تقديره: إهلاكًا مثل ذلك، أما الواو في قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾ فهي إما استئنافية، وأما عاطفة، فمَنْ رجَّح الاستئناف أجاز الوقف على كذلك وقفًا كافيًا، ومَنْ رجَّح العطف اعتبر الوقف حَسَنًا[٣].

وفي الوقف على ﴿كَذَٰلِكَ﴾ دَلالة على أنهم تركوا الكثير مما كانوا فيه يَرْفُلون من النعيم والسلطان والتمكين في الأرض، والإملاء في الرخاء وغير ذلك، وهانوا على الله، فأهلكهم إهلاكًا، وانتقم منهم انتقامًا؛ حتى نزع هذا كله منهم، وأورثه قومًا آخرين[٤].

وماعدا هذه المواضع الأربعة المُتقدّمة لا يصحُّ الوقف فيها على ﴿كَذَٰلِكَ﴾ . والله أعلى وأعلم.

(١) **ينظر**: المُكْتَفى: ص ٢١٠، مَنارُ الهُدى: ١٨٨/٢ ، إيضاح الوقف والابتداء: ص ٤٤٦، المقصِدْ: ص ١٤٥.

(٢) **ينظر**: تَفْسِير أَبِي حيَّان: ٢٩٦/٧، تَفْسِير الظِّلال: ٢٩٤٢/٥ وما بعدها.

(٣) **ينظر**: المُكْتَفى: ص ٢٢٩، المقصِدْ: ص ١٦١، مَنارُ الهُدى: ٢٦٠/٢.

(٤) **ينظر**: تَفْسِير أَبِي حيَّان: ٣٦/٨، تَفْسِير الظِّلال: ٣٢١٤/٥.

المطلب الثالث

مواضع الوقف على (هذا)

أما لفْظ (**هذا**) فهو أحد أسماء الإشارة، وهو مُكوَّن من (الهاء) للتنبيه، و(ذا) اسم إشارة، ويُشار به إلى القريب، ولا يَصِحّ الوقف عليه إلَّا إذا أدى معنى صحيحًا، ويُستعمل لفظ (**هذا**) أحيانًا في أساليب اللُّغة بمعنى الانتقال من كلَّام إلى كلَّام آخر[1].

وقد وَقَعَ هذا اللَّفْظ في مواضع كثيرة في القرآن الكريم؛ لكنه لم يستعمل بالمعنى الأخير إلا في الموضعين التاليين:

■**الموضع الأول:**

قوله تعالى: ﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٥٥].

يحتمل لفْظ ﴿هَٰذَا﴾ في الآية المُتقدّمة أكثر من وجه من أوجه الإعراب.

الأول: أن يكون خبر لمبتدأ محذوف تقديره: الأمر أو الشأن هذا.

الثاني: أن يكون مبتدأ لخبر محذوف تقديره: هذا - أي الذي تقدَّم ذِكْره - جزاء المؤمنين.

الثالث: أن يكون مفعولًا لفِعْل محذوف تقديره: اعملوا هذا.. وعلى جميع ما تقدَّم من الأعاريب فالواو في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ﴾ إما استئنافية، وإما عاطفة، فمَنْ رجَّح الاستئناف - وهو الأظهر - أجاز الوقف على ﴿هَٰذَا﴾ وقفًا كافيًا، ومَنْ رَجَّح العطف - وعطف الجمل لا يمنع من الوقف - اعتبر الوقف على ﴿هَٰذَا﴾ وقفًا حَسَنًا[2].

وفي الوقف على ﴿هَٰذَا﴾ في الآية المُتقدّمة دَلالة على أمْر عباد الله المتقين، وأن لهم حسن مآب، وأمر الطَّاغِين المكذبين وأن لهم شر مآب، أما الأوَّلون فلهم جنات عدن

(١) **ينظر**: تَفْسِير القرطبي: ٢٤٩/١٩، **وقال**: «وهي كلمة يستعملها الفصيح عند الخروج من كلَّام إلى كلَّام، وهو كما في قوله تعالى: ﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ ، معالِمُ الاهتِداء :١٧٩، بغية عباد الرحمن: ص١٠٤.

(٢) **ينظر**: مَنارُ الهُدى: ٢٠٨/٢، المُكْتَفى: ص ٢١٦، المقصِدْ: ص ١٥٩.

مفتحة لهم الأبواب، لهم فيها راحة الاتكاء ومتعة الطعام والشراب، وعندهم قاصرات الطرف شَواب، وأما الآخرون فلهم مهاد ولكن لا راحة فيه، إنه جهنم فبئس المهاد(١).

▪الموضع الثاني:

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ﴾[ص: ٥٧].

فيحتمل لفْظ ﴿هَٰذَا﴾ في هذه الآية أعاريب كثيرة، والراجح أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره: العذاب هذا، والفاء في قوله تعالى: ﴿فَلۡيَذُوقُوهُ﴾ إما استئنافية، وإما عاطفة، وبهذا يكون الوقف على ﴿هَٰذَا﴾ أما وقفًا كافيًا أو وقفًا حَسَنًا على ما تقَّدم بيانه(٢).

وفي الوقف على ﴿هَٰذَا﴾في الموضع المتقدم متابعة للسِّياق عن مآب المكذبين الطَّاغين إلى العالم الآخر وفي الحياة الباقية، أنها جهنم ﴿فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾وما لهم فيها من شرابٍ حارٍ، فبئس الشراب، وطعام مقيئ فبئس الطعام.. إن طعامهم وشرابهم هو ما يجري ويسيل من صديد أهل النار، وفيه دَلالة وتقرير عن واقع أهل النار، فما أبعد مصيرهم عن مصير المتقين الأبرار، وما أبأس مصيرهم ومآلهم إلى النار.

* * *

(١) **ينظر**: تَفْسِير الرازي: ٢٦/٢٢٠، تَفْسِير الظِّلال: ٥/٣٠٢٣.

-(٢) **ينظر**: ايضاح الوقف والابتداء: ص ٤٥٤، القطع والائتناف: ص ٦٠١.

ꕤ المبحث الرابع ꕤ

مواضع الوقف على ما قبل (لو) و(إن) الشَّرطيَّتين

أسلوب الشَّرط يختص بأداة تربط بين جملتين الأولى شرط للثانية، وتُسَمَّى الأداة أداة الشَّرط، والجملة الأولى جملة الشَّرط، والثانية جملة جواب الشَّرط، ويجوز في لغة العرب حذف جواب الشَّرط إذا دل عليه الكَلَّام، ولمَّا كان القرآن الكريم قد نزل بلسانٍ عَربي مُبين فإنه تضمَّن هذا الأسلوب من حذف جواب الشَّرط لأنه يتضح من السِّياق، وفيما يلي بيان حكم الوقف على ما قبل (لو) و (إن) الشَّرطيَّتين وفيه مطلبان :

ꕤ المطلب الأول ꕤ

مواضع الوقف على ما قبل (لو) الشَّرطيَّة

(لو) حرف امتناع لامتناع، أي امتناع الجواب لامتناع الشَّرط، وهي أداة شرْط غير جازمة للفعل المضارع؛ سواءً كان فِعْل الشَّرط أو جوابه.

والوقف على ما قبل **(لو)** مختلف فيه، فمن العلماء مَنْ يرى جواز الوقف وعلَامته (ج) أو جواز الوقف مع كون الوصل أولى وعلامته (صلے)؛ لِمَا في جملة **(لو)** من ارتباط شديد بما قبلها - على قولهم - وجرى العمل على ذلك في مصاحف الحجاز والشام والمغرب، ومن العلماء مَنْ يرى لِزوم الوقف على ما قبل **(لو)** لاعتبار أن **(لو)** وما دخلت عليه جملة مستأنفة لا علاقة لها بما قبلها لا لفظًا ولا معنى، وأن الوصْل يُخالف الدَّلالة المُرادة من الآية، ويوقع في مفهوم غير مراد من الآية من إيهام تعليق الحكم المذكور قبْل **(لو)** على عِلْمِهم وهو محالٌ، وجرى العمل على ذلك في مصاحف الدِّيار المصرية؛ حيث وُضِعت علَامة الوقف اللازم (مـ) على الكلمة التي قبْل **(لو)** في كثير من مواضعها، وسُجِّلت المصاحف المرتلة لكبار القُرَّاء في الإذاعة المصرية باعتبار ذلك، وتلقينا عن مشايخنا بأسانيدهم المُتَّصلة إلى رسول الله ﷺ بذلك أيضًا، فالقول بلزوم الوقف على ما قبْل **(لو)** وهو الرأي الراجح الذي أراه وأعتمده. والله أعلم[1].

---

(١) **ينظر**: رسالة الوقف على (كلَّا وبَلَى) وبعض الكلمات في القرآن العظيم، للشيخ/ عليّ بن محمد توفيق النحاس: ص٢٦، ط/ دار الصحابة للتراث بطنطا، الأولى، دراسة الوقف والابتداء، للشيخ/ = جمال

وهاك بعض الأمثلة من كتاب الله تعالى كنموذج على ما تقدَّم من لزوم الوقف على ما قبْل **(لو)** الشَّرطيَّة ودلالته على المعنى، وأثره في التفسير.

▪الموضع الأول:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٣].

فالوقف على قوله تعالى: ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ وقف لازم، وفيه دَلالة على أن الخيرية للمثُوبةِ من الله ثابتة؛ سواء علموا ذلك، أو لم يعلموا.

وقوله تعالى: ﴿لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ جوابه محذوف أي: لو علموا ثواب الله، وأنه خير لهم ممَّا هم فيه لما تركوا العمل.

ولو قُرئ بالوصل هكذا ﴿خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ لتغيَّرت الدّلالة وتعلَّقت الخيْرية بعِلْمهم، وتعليق الخيْرية بعِلْمهم محالٌ؛ إذ المراد كما ذكرته[1].

▪الموضع الثاني:

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨١].

فالوقف على قوله تعالى: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ وقفُ لازمٌ، وفيه دَلالة على أن نار جهنم أشد حرًّا وأطول أمدًا عياذا بالله، وأنه كان من الأوْلى بهم أن يتَّقوها بترْك التخلُّف عن غزوة تبوك مع رسول الله ﷺ، وفي الآية اسْتجهال لهم؛ لأن مَنْ اتقى مشَقَّة ساعة فوَقَعَ بسبب ذلك في مَشَقَّة الأبد كان أجْهل من كُلِّ جاهِل.

وقوله تعالى: ﴿لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ﴾ جوابه محذوف؛ أي لو كانوا يفْقَهُون حرارة نار جهنَم لما قالوا: ﴿لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ﴾، ولما تخلَّفوا عن رسول الله ﷺ.

ولو قُرئ بالوصل هكذا ﴿أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ﴾ لتغيَّرت الدَّلالة، وأَوْهَمَ الوصل

= ابن إبراهيم القرش: ص١٨٦، ط/ الدار العالمية للنشر والتوزيع بالإسكندرية، الأولى، ١٤٣٠هـ، بغية عباد الرحمن: ص٨٥-٨٦.

(١) **ينظر**: تَفْسِير الخازن: ٦٧/١، تَفْسِير ابن عطية: ٢٠٦/١، تَفْسِير الرازي: ٢٤١/٣.

أن نار جهنَّم لا تكون أشد حرًّا إن لم يفقهوا ذلك[1].

■ **الموضع الثالث:**

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤١].

فالوقف على قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ وقفٌ لازمٌ، وفيه دَلالة على أن بيْت العنكبوت قد بلغ من الوهنِ حدًّا جعله أوْهن البيوت على الحقيقة، فهو بيتٌ لا يقي حرًّا ولا بردًا ولا ريحًا، ولا يَشْعُر مَنْ بداخله بالأمان، وكذلك فإن عِبادة الأوثان كاتخاذ بيت العنكبوت لا تنفع ولا تُجْدي شيئًا البتة؛ حيث يتساوى ضعْف هذه الأوثان مع ضعْف هذا البيت من العنكبوت.

وقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ جوابه محذوف تقديره: لو كانوا يعلمون أن هذا مَثَلُهُم، وأن أمْر دينهم بالغ من الوهنِ هذه الغاية لأقلعوا عنه، وما اتخذوا الأصْنام آلهة، ولندِمُوا وتابوا، وأنت ترى هنا تمام المعنى بانتهاء جملة ﴿لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾، ولو قُرئ بالوصل هكذا ﴿لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ لتغيَّرت الدَلالة، وأوْهَمَ أن ضعْف هذا البيت من العنكبوت مشروطٌ بعِلْمِهم[2].

هذه بعض الأمثلة التي حُذِف فيها جوابُ الشَّرط ، فكان الوقف قبْلها من قبِيل الوقف اللازم؛ إذ لو وصلت ﴿لَوْ﴾ بما قبْلها صار ما قبْلها جوابًا لها، وليس الأمرُ كذلك، ويُقاسُ على ذلك أمثاله ونظائره في القرآن العظيم[3].

* * *

(١) **ينظر**: علل الوقوف: ٥٥٥/٢، تَفْسِير الزَّمَخْشَرِي: ٧٥/٣، تفسير الظِّلال: ١٦٨٢/٣، تَفْسِير أبِي حيَّان: ٨١/٥.

(٢) **ينظر**: علل الوقوف: ٧٩٢/٣، تَفْسِير أبِي حيَّان: ١٤٩/٧، تَفْسِير الرازي: ٦٨/٢٥ وما بعدها.

(٣) من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَكْبَرُۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر:٢٦] و[القلم: ٣٣]فلا يتوقف كِبر عذاب الآخرة على عِلْمهم. وكذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [نوح: ٤] وقوله تعالى: ﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْأَخِرَةِ أَكْبَرُۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤١]، والله أعلى وأعلم.

﴾ المطلب الثاني ﴿

مواضع الوقف على ما قبل (إن) الشَّرطِيَّة

أما (**إن**) الشَّرطِيَّة فهي تجزم فِعْلين أحدُهما فِعْل الشَّرط، والآخر جواب الشَّرط، ويجوز حذْف جواب الشَّرط كما سيأتي بيانه.

والقول في الوقف على ما قبْل (**إن**) الشَّرطِيَّة كالقول في الوقف على ما قبْل (**لو**) تمامًا في لزوم الوقف، وهو أيضًا المَذْهَب المُخْتار الذي تلقَّينا به عن مشايخنا بأسانيدهم المتصلة إلى رسول الله ﷺ كما تقدَّم بيانه.

وفيما يلي بعض الأمثلة من كتاب الله تعالى على ما تقدَّم ذِكْره من لزوم الوقف على ما قبْل (**إن**) الشَّرطيَّة ودلالته على المعنى.

▪الموضع الأول:

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٨].

فالوقف على قوله: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ وقفٌ لازمٌ، وفيه دلالة على أن الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بيده خزائن كل شيء، وأنه يُجِير مَنْ قَصَدَه، ولا يستطيع أحدٌ أن يردَّ جواره، وأنه يُغِيث مَنْ يشاء ويَمْنَعه ويَحْرُسُه، ولا يُغاثُ أحدٌ ولا يُمْنَع منه.

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ جوابه محذوف ثقة بدَلالة الاستفهام عليه؛ أي: إن كنتم تعلمون شيئًا فأخبروني به، فإن ذلك كافٍ في الجواب، وفيه من المبالغة في وضوح الأمر وفي تجهيلهم والاستهانة بهم ما لا يخفى، ولو قُرئ بالوصل هكذا ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ لتغيَّرت الدَّلالة، ولأَوْهَمَ الوصل أن تلك الصِّفة لله متعلقة بعِلْمِهم، وهو من المحال ، فلا يمكن أن يُعَلِّق الله ذلك على عِلْمِهم؛ لذا وَجَبَ الفصل بين حُكْم الله تعالى وبين عدمِ عِلْمِهم ذلك[1].

---

(١) **ينظر**: تَفْسِير أَبِي السُّعُود: ٨١/٤، تَفْسِير الخازن: ٢٧٥/٣، تَفْسِير القرطبي: ٧٩/١٥ وما بعدها.

▪ الموضع الثاني:

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢٤].

فالوقف على قوله: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآ﴾ وقفٌ لازمٌ، وفيه دَلالة على أظْهَرِ آثار ذاتِ واجب الوجود - سبحانه - ألا وهو هذا العالَم المحْسُوس، وما فيه من مخلوقاته الدَّالة على صِفاته التي لا يشاركه فيها مخلوق.

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ جوابه محذوف تقديره: إن كنتم موقنين بشيء من الأشياء فهذا أولى بالإيقان لظهوره وإنارة دليله، أو إن كنتم تعرفون الأشياء بالدليل فكفى خلْق هذه الأشياء دليلًا.

ولو قُرئ بالوصل هكذا ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ لتغيَّرت الدَّلالة؛ لأن ربوبية الله للسماوات والأرض وما فيهما وما بينهما لا تتوقف على إيقانهم بذلك ثم ﴿إِن﴾ في قوله: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ تُفيد الشَّك في إيقانهم، فكان الوقف على قوله: ﴿وَمَا بَيۡنَهُمَآ﴾ أدلُّ على الدَّلالة المُرادة من الآية، بينما الوصل يُؤدي إلى مخالفة توهُّم غير المراد في الوقف(١).

▪ الموضع الثالث:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩].

فالوقف على قوله: ﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ وقفٌ لازمٌ؛ إذ فيه دَلالة على أن إجابة النداء في يوم الجمعة بالحضور إلى المَساجِد والسَّعي إليها وذِكْر الله فيها خيرٌ لهم من البيع والشراء.

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ جوابه محذوف تقديره: إن كنتم تعلمون - على الحقيقة - ما هو خير لكم وأصلح، وما فيه منفعتكم ومضرتكم.

---

(١) **ينظر**: تَفْسِير الرازي: ١٢٨/٢٤، تَفْسِير أَبِي السُّعُود: ٢٠٨/٤، تَفْسِير القرطبي: ٢١/١٦.

ولو قرئ بالوصل هكذا ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ لتغيَّرت الدَّلالة؛ إذ يُوهِم الوصل أن الخيرية مقيدة بعِلْمِهم، فإن علموا كان ذلك الترْك للبيع والشَّراء خيرٌ لهم، وإن لم يعلموا لم يكن كذلك، فالوصل يخالف الدَلالة ويوقع في وهْمٍ ولبسْ[1]، وهذه بعض الأمثلة ويُقاسُ على ذلك أمثاله ونظائره في القرآن الكريم[2].

* * *

(١) **ينظر**: تَفْسِير الرازي: ٣٠/٩، تَفْسِير الخازن: ٤/٢٩١.

(٢) الأمثلة على ذلك كثيرة منها قوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٨] فلا تتوقف ربوبيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ للمشرق والمغرب وما بينهما على تدبُّرهم بالعقل فهو الرب ؛سواء عقلوا أم لم يعقلوا، وكذلك قوله: ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصف: ١١]؛ إذ إن خيرية الإيمان بالله والجهاد في سبيله لا تتوقف على عِلْمِهم، فهي خير، علموا أم لم يعلموا، والله تعالى أعلى وأعلم.

⊰ المبحث الخامس ⊱

مواضع الوقف على (بَلَى) والابتداء بها [(١)]

أما (بَلَى) فهى حرف جواب يُجاب بها عن كلَّامٍ قبلها، وتَخْتصُ بالنَّفي بمعنى أنها لا تقع إلا بعد كلَّام منفي، فلا تقع بعد كلَّام مُثْبت إلا في النَّزْر اليسِير من الأساليب، وهي تُفِيد إبطال النَّفي قبلها ونقضه، وهي تَحِل محل جملة الجواب، ولم تأتْ في القرآن الكريم إلا بهذا المعنى، وقد وردت في القرآن الكريم في اثنين وعشرين موضعاً في ست عشرة سورة، وهي على ثلاثةِ أقسام على ما ذكره العلَّامة الزركشي وتوافق عليه- في الجملة- أكثر أقوال أهل العلم وهو الراجح عندي، وفيه ثلاثة مطالب :

⊰ المطلب الأول ⊱

ما يُخْتار فيه الوقف على (بَلَ)؛ وذلك في عشرةِ مواضع

وهى في هذه المواضع جواب لِمَا قبْلها غيرَ مُتعلِّقة بما بعْدها لفظًا، فالكلَّام فيها ينتهي عند (بَلَى) ، وما بعْدها جُملة مستأنفة لا محلَّ لها من الإعراب، وهى فيما يلي حَسَبَ ترتيبِها بالمصحف، مع بيان حُكْم الوقف عليها في كل موضعٍ ودلالته على المعنى، وأثره في التفسير

■ **الموضع الأول:**

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ ۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [سورة البقرة: ٨٠-٨١].

ففي الآية الكريمة دَرْبٌ من دُروب الْأَماني التي لا تستقيم مع عدلِ الله، ولا تتفق مع سُنَنِه، ولا تتماشى مع التصوُّرِ الصحيح للعمل والجزاء؛ إذ يحسبون أنهم ناجون من العذاب مهما فعلوا، وأن النَّار لن تمسهم إلا أيامًا معدودات يخرجون بعْدها إلى النَّعيم.

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٥٢٤/١، الوقف على كلَّا وبَلَى في القرآن: ص ٧٢، جمال القرَّاء وكمال الإقراء: ٥٧٤/٢، المُكْتَفى: ص ٣٧، معالِمُ الاهتِداء: ص ١٠٥، دراسة الوقف والابتداء: ص ٣٨٧.

فيَحْسُن الوقف على ﴿بَلَىٰ﴾ ؛ لأنَّها جواب للنَّفْي في قولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾ فالمعنى: بل تمْسَسْكم أكثر من ذلك، والوقف عليها (كافٍ)؛ لأن ما بعْدها، وهو قوله تعالى: ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ جملة مستأنفة لا محلَّ لها من الإعراب، مُتعلِّقة بما قبْلها في المعنى دُونَ اللَّفْظ سِيقت تعليلًا؛ لِمَا أفادته ﴿بَلَىٰ﴾ من ثُبوت مسِّ النار، وفي الوقف على ﴿بَلَىٰ﴾ دَلالة على إبطال قوْل اليهود على وجهٍ أعمّ شامل لهم ولسائر الكفرة بعدمِ مسِّ النار لهم إلا أيامًا معدودة، وإذا انتفى المسُّ أيامًا معدودة ثَبتَ المسُّ دهرًا طويلًا وزمنًا مديدًا؛ لأن مَنْ كَسَبَ سيئةَ الكُفرِ، وأحاطت به خِطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون[1].

▪ الموضع الثاني:

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١١١ بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾[سورة البقرة: ١١١ -١١٢].

وهكذا يمْضِي السِّياق القرآني في تفنيد دعاوى أهلِ الكتاب - اليهود والنصارى - وقولهم: إنَّهم هم المهتدون وحْدهم، وأن الجنَّة وقْفٌ عليهم لا يدخلها سواهم، على حين يرمي كُلُّ فريق منهم الآخر بأنهم ليسوا على شيء، فيُقرِّرُ في ثنايا عرْض هذه الدعاوى العريضة حقيقة الأمر، ويقول كلمة الفصل في العمل والجزاء.

فيَحْسُن الوقف على ﴿بَلَىٰ﴾؛ لأنها جواب للنَّفي في قولهم: (﴿لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ﴾ فالمعنى: بل يدخُلُها غيرهم، والوقف عليها (كافٍ)؛ إذ إن ما بعْدها وهو قوله تعالى: ﴿مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ﴾ جملة استئنافية تعْليلية، لا محلَّ لها من الإعراب مُتعلِّقة بما قبْلها في المعنى دُونَ اللَّفْظ أفادت أن غير اليهود والنصارى سيدخلون الجنَّة.

وفي الوقف على ﴿بَلَىٰ﴾ في هذا الموضع دَلالة على نقضِ قولِ اليهود والنصارى من قَصْرِ دخول الجنة عليهم وحرمان غيرهم من دخولها، وإن انتفى ذلك ثَبَتَ أن غيرهم يدخلون

(١) ينظر: تَفْسِير الظِّلال: ١/٨٥، تَفْسِير الألوسي: ١/٣٠٥ وما بعدها، الوقف على كلَّا وبَلَى في القرآن: ص٧٨، المُكْتَفى: ص ٣٧.

الجنة؛ إذ كُلُّ من استسلم وانقاد لأوامر الله ونواهيه، فأخلص له في ذاته وقصْدِه، ولم يُشرك به شيئًا، وكان محسنًا في جميع أعماله فَلَهُ ثواب عملِه ولا خوْف عليه في الآخرة، ولا يعتريه حزنٌ أو كدرٌ؛ بل هُو في طمأنينة ونعيم[1].

▪الموضع الثالث:

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٥-٧٦].

في هذه الآية يَمْضِي السِّياق القرآني لِيصِف حال أهل الكتاب، ويبيِّن ما في هذه الحال من نقائص، ويُعزِّزُ القيم الصحيحة التي يقوم عليها الإسلام، فيَعرِضُ لنموذجين من نماذج أهل الكتاب في التعامُل والتعاقُد، فمنهم ناس أُمناءُ لا يأْكلون الحقوق مهما كانت ضخمة ومغرية؛ ولكن منهم أيضًا الخَونة الطَّامعين المُماطلين الذين لا يَرُدُّون حقًّا وإن صَغُر إلا بالمطالبة والإلحاح، زاعمين أن لا إثْمَ عليهم في كُتُبهم ولا حَرَجَ، ولا مُؤاخذة فيما أصابوه من مالٍ من ليس من أهلِ الكتاب - يعنون العرب - ويقولون على الله الكذب بادعائهم ذلك.

فيَحْسُن الوقف على ﴿بَلَىٰ﴾؛ لأنها جوابٌ للنَّفْي في قولهم: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ فالمعنى: بل عليكم فيهم السبيل بِكَذِبكم واستحْلالِكم أموالهم.

والوقف عليها (كافٍ)؛ إذ إن ما بعْدها، وهو قوله تعالى: ﴿مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ﴾ جملة استئنافية لا محلَّ لها من الإعراب مُتعلِّقة بما قبْلها في المعنى دُونَ اللَّفْظ أفادت تعظيم شأن الأوْفِياء المتقين والإشادةِ بِذِكْرِهِم، وبحُبِّ الله لهم ورضاه عنهم، ويَفْهَمُ منها ذَمُّ الخائنين الظَّالمين، وغَضِبَ اللهُ عليهم.

وفي الوقف على ﴿بَلَىٰ﴾ دَلالة على إبطال قولِ اليهود بأنه ليس عليهم فيما أصابوه من مالِ العرب إثم ولا حرج، وادعائهم أن ذلك في كِتابهم، وإذا بَطَلَ نفْيُ الإثم والحرج عنهم

(١) ينظر: تَفْسِير الظِّلال: ١٠٣/١، تَفْسِير الألوسي: ٣٥٩/١ وما بعدها، الوقف على كلَّا وبَلَى في القرآن: ص ٧٨ ، المُكْتَفى: ص٤٠.

ثَبَتَ عليهم الذَّم واللَّوم(١).

▪الموضع الرابع:

قــــوله تعـــــالى: ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ ءَالَافٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَافٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٢٤- ١٢٥].

كانت هذه هي كلمات رسول الله ﷺ يوم بدر للقِلَّة المُسْلمة التي خرجت معه، والـتي رأت نَفِير المشركين، وقد خرجت لتلقِّي طائفة الْعِـير المُحمَّلـة بالمتـاجِر، لا لتلَـقِّي طائفـة النفير المدجَّجة بالسلاح، وقد أبلغهم الرسول ﷺ ما بَلَغه يومها من ربِّه لتثبيـت قلـوبهم وأقدامهم، وهُمْ بـشرٌ يحتـاجون إلى العـون في صـورة قريبـة مـن مـشاعرهم وتـصوراتهم ومألوفاتِهم.

فيَحْسُن الوقف على ﴿بَلَىٰٓ﴾؛ لأنها جواب الاستفهام الداخل على النفي في قـوله تعـالى: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ﴾ فالمعنى: بل يكفيكم إمـداد الله، والوقـف عليهـا (كافٍ)؛ لأن ما بعْدها وهو قـوله تعـالى: ﴿إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ جملـة مـستأنفة لا محـلَّ لهـا مـن الإعراب مُنقطَعة عمَّا قبْلها لفْظًا مُتصلة بها معنى، أشارت إلى وعدٍ كريمٍ من المولى عَزَّوَجَلَّ لعباده المؤمنين بزيادة الإمْداد إن صَبَروا على لقاءِ أعـدائِهم، وعلى مـشقة الجهـاد ومَرَارتِـه واتقوا ربهم بتنفِيذ أوامره واتقاء مُخالفتِه.

وفي الوقف على ﴿بَلَىٰٓ﴾ دَلالة على إنكار عَدَمِ كفاية إمداد الله تعالى عباده المـؤمنين بثلاثة آلاف من الملائكة مُنزلِين، فالأمر كُلُّه لله وما نُزول الملائكة إلا بُشرى لقلوبهم، أما النصر فمِنْهُ وحْده ومُتعلِّق بقدرته وإرادته بلا واسطة ولا سببْ ولا وسيلة(٢).

▪الموضع الخامس:

قوله تعـالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ

---

(١) **ينظر**: تَفْسِير الظِّلال: ٤١٧/١، تَفْسِير الزَّمَخْشَرِي: ٥٧١/١، تَفْسِير أَبِي الـسُّعُود: ٥٠٣/١، الوقـف على كلَّا وبَلَى في القرآن: ص ٧٩، المُكْتَفى: ص ٦٣.

(٢) **ينظر**: تَفْسِير الزَّمَخْشَرِي: ٦٢٢/١، تَفْسِير الظِّـلال: ٤٧٠/١، الوقـف على كلَّا وبَـلَى في القـرآن: ص٧٩، المُكْتَفى: ص٦٥.

﴿بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

إنه لمشهدٌ فريد، مشهد الذُّرية المكنونة في عالم الغيب السَّحيق، المُستكنة في ظهور بني آدم قبْل أن تظهر إلى العالم المشهود، وهي تُؤْخَذ في قبضة الخالق العظيم فيسألها ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ فَتعْترِف له - سبحانه - بالربوبية وتُقرُّ له بالعبودية وتشهدُ له بالوحدانية.

فيَحْسُن الوقف على ﴿بَلَىٰ﴾؛ لأنها جواب للاستفهام الداخل على النفي قبْلها، وهو قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ ، والمعنى: بَلَى أنتَ ربنا وإلهنا، وهو وقفٌ (تام)، وعلى هذا القول يكون قوله تعالى: ﴿شَهِدْنَآ﴾ من كلَّامِ الملائكة أو من كلَّام الله تعالى؛ وذلك أن ذرية آدم حين اعترفوا بربوبية الله تعالى قال الله تعالى للملائكة: اشهدوا، فقالوا: شهدنا؛ أي: على اعتراف بني آدم.

وثَمَّ قولٌ آخر في هذا الموضع، وهو أن قوله تعالى: ﴿شَهِدْنَآ﴾من تمام كلَّام بني آدم، والمعنى: شهدنا على أنفسنا بأنك ربنا لا رب لنا غيرك، ولا معبود لنا سِواك. وعلى هذا القول لا يَحْسُن الوقف على ﴿بَلَىٰ﴾؛ إذ لا يصحُّ فصْلُ بعض المقول عن بعضٍ، ويكون الوقف على ﴿شَهِدْنَآ﴾.

قال الإمام أبو عمرو الدَّاني: مَنْ قرأ ﴿أَن تَقُولُوا۟﴾ بالتاء، فَعَلَى قراءته يتمُّ الوقف على ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾؛ لأن ﴿أَن﴾ مُتعلِّقة بما بعد ﴿بَلَىٰ﴾ من قوله: ﴿شَهِدْنَآ﴾، ومَنْ قرأ ﴿أَن تَقُولُوا۟﴾ بالياء فعلى قراءته لم يتم الوقف على ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾؛ لأن ﴿أَن﴾مُتعلِّقة بما قبْل ﴿بَلَىٰ﴾ من قوله: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾، وعلى تقدير أحدِ الوجهين السابق ذِكْرهما في تفسير الآية ووجهي القِراءة في ﴿تَقُولُوا۟﴾ بالتاء أو الياء يكون الوقف(١).

وفي الوقف على ﴿بَلَىٰ﴾ في هذا الموضع دَلالة على أن الاعتراف بربوبية الله تعالى والإقرار له بذلك فِطْرة أودعها الخالق في الكيان البَشَري، وأن التوحيد ميثاق معقود بين فطرة البشرِ وخالِق البشرِ منذ كينُونتهم الأولى وقبْل أن يبرزُوا إلى حيزِ الوجود المعلوم(٢).

---

(١) قرأها أبو عمروٍ بياءِ الغيْب، والباقون بتاءِ الخطاب، ينظر: البُدُور الزَّاهِرة في القراءاتِ العشرِ المتواترة ص١٥٤.

(٢) **ينظر**: تَفْسِير الظِّلال: ١٣٩٢/٣، الوقف على كلَّا وبَلَى في القرآن: ص٨١، المُكْتَفى: ص ١١١، ١١٢، إيضاح الوقف والابتداء: ص ٣٣٣، القطع والائتناف: ص ٢٦٥.

▪الموضع السادس:

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: ٢٨].

يستعْرِض السِّياق القُرْآني مقولات أولئك المُستكبِرين المُنكِرين للوحي والقرآن والبعث والقيامة، المُحَرِّمِين ما لم يُحرِّمْه الله، ويتولَّى الرد على مقولاتهم جميعًا؛ ليَرْسِمَ مَشهدَهم في ساعة الاحْتضار والملائكة تتوفَّاهم ظالمين لأنفسهم بما حرموها من الإيمان واليقين، وبما أوْرَدُوها موارد الهلاك، وبما قادوها في النهاية إلى النار والعذاب، وهو مشهدٌ مُخْزٍ وموقف مهينٌ لأولئك المستكبرين، فيُوقف على قوله تعالى: ﴿مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭ﴾؛ لأنه آخر كلَّام الكفار وما بعْده من كلَّام الله ردٌّ له وإبطال.

ويَحْسُن الوقف على ﴿بَلَىٰٓ﴾؛ لأنها جواب للنفي الذي قبْلها من قولهم: ﴿مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭ﴾ فالمعنى: بلى عملْتُم السُّوء، والوقف عليها (كافٍ)؛ لأن ما بعْدها وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ جملة استئنافية لا محل لها من الإعراب مُتعلِّقة بما قبلها في المعنى دُونَ اللَّفْظ أفادت إحاطة العليم سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بما كان منهم من أعمال في الدنيا، وأنه سيجازيهم عليها، فلا سبيل إلى الكذب أو المغالطة أو التَمْوِيه.

وفي الوقف على ﴿بَلَىٰٓ﴾ دَلالة على ثبوت عملِهم السُّوء في الدنيا، وإبطالًا لكذبهم ومحاولتِهم الاعتصام به، أو لظنِّهم واعتقادهم أن عملَهم غير سيئ، فقد تحقق سوء عملِهم، فسالمُوا وأخبتُوا، وجاءوا بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الشِقاق والكبر(١).

▪الموضع السابع:

قوله تعالى: ﴿أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١].

فيا للبَساطَة، ويا للمَنْطِق، منطق الواقع القريب المنظور، فمَنْ قَدَر على خَلْق السماوات والأرض - مع عِظَمِ شأنها - وما فيهما من المخلوقات العظيمة الغريبة من صرْف العدمِ إلى

---

(١) ينظر: تَفْسِير الظِّلال: ٢١٦٩/٤، تَفْسِير أَبِي حيَّان: ٥/ص٤٧٢، تَفْسِير الزَّمَخْشَرِي: ٤٣٣/٣، الوقف على كلَّا وبَلَى في القرآن: ص٨٢، المُكْتَفى: ص١٥١.

الوجود أقدر، فخَلْق السماوات والأرض أكبرُ من خَلْق أنفسكم فلا تستبعدوه.

فيَحْسُن الوقف على ﴿بَلَىٰ﴾؛ لأنها جواب الاستفهام الداخل على النفي قبْلها، وهو قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ﴾ والمعنى: بَلَى يَقدِرُ على ذلك.

والوقف عليها (كافٍ)؛ لأن قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ جملة مستأنفة مُكوَّنة من مبتدأ وخبر مُتعلِّقة بما قبْلها في المعنى دُونَ اللَّفْظ أفادت أنه - سبحانه - قادر على أن يخلُقَ خَلْقًا بعد خَلْقٍ، وأنه عليم بجميع ما خَلَقَ، وفي ذلك إشارة إلى أنه في القدرة كامل، وفي عِلْمِه شامل.

وفي الوقف على ﴿بَلَىٰ﴾ في هذا الموضع دَلالة على إبطال عدمِ قدرة الله على إعادة الخَلْقِ، وإثبات القدرة المُطْلقة لله على الخَلْقِ والإعادة؛ إذ الاستدلال بخَلْقِ السماوات والأرض يُثْبِتُ إمكانية خَلْق ما دُونِهما، فالبدِيهة قاضية بأن مَنْ خَلَقَ السماوات والأرض هو على خَلْقِ ناسٍ بعد الموت أقْدر، فأين الناس من ذلك الخَلْق الهائل العجيب[1].

▪الموضع الثامن:

قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [غافر: ٥٠].

إنه مَشْهدُ أهلِ النار في إقرارٍ بعْد الاستكبار؛ بل في ذُلٍّ وصِغَارٍ، إنهم يسْتشْفِعُون حرَّاس جهنم؛ ليدعو لهم ربهم؛ لما ضاقت حيلهم، وعَيَت بهم عِللُهم، رجاء أن يُخفِّف عنهم يومًا واحدًا من العذاب يلتقِطُون فيه أنفاسهم ويستريحون؛ ولكن لا استجابة لهذه الضراعة البائسة الذليلة الملهوفة، إنما هو الإهْمال والازدراء للكُبراء والضُعفاء سواء.

فيَحْسُن الوقف على ﴿بَلَىٰ﴾؛ لأنها جواب الاستفهام الداخل على النفي قبْلها، وهو قول الخزنة: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ فالمعنى: قالوا - أي أهلِ النار - بَلَى أتتنا رسلُنا بالبينات، والوقف عليها (كافٍ)؛ لأن قوله تعالى: ﴿قَالُواْ فَٱدْعُواْ﴾ جملة

---

(١) ينظر: تَفْسِير الظِّلال: ٥/٢٩٧٧، تَفْسِير ابن عاشور: ٢٣/٧٨، تَفْسِير الرازي: ٢٦/١١٠ وما بعدها، الوقف على كلَّا وبَلَى في القرآن: ص٨٣، المُكْتَفى في الوقفِ والابتِدا: ص٢١٣.

مستأنفة واقعة جوابًا عن سؤالٍ نشأ من الجملة السابقة، مُرتبِطة بما قبْلها في المعنى دُونَ اللَّفْظ أفادت أن اعتراف أهل النار بإتيان الرُّسل لهم لم يفدهم شيئًا، ولم يدفع عنهم شيئًا من عذاب الله.

وفي الوقف على ﴿بَلَىٰ﴾ في هذا الموضع دَلالة على إقرار أهل النار بإتيان الرُّسل لهم بالبينات، وتحذيرهم من سوء مغبة ما كانوا عليه من الكُفْر والعصيان، واعترافِهم بذلك وندمِهم على ما أضاعُوه في حياتِهم الدنيا من وسائل النجاة من العقاب(١).

■ **الموضع التاسع:**

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣].

هذه لفْتة إلى كتاب الكون المنظور الذي يَشْهد بالقدرة المُبدعة لله رب العالمين، ابتداءً من الخَلْق الهائل- السماوات والأرض- ويُوحِي للحِسِّ البَشَرِي بيسْرِ الإحياء بعْد الموت، وهذا الإحياء هو المقصود، وصياغة القضية في أسلوب الاستفهام والجواب أقوى وآكد في تقرير هذه الحقيقة.

فيَحْسُن الوقف على ﴿بَلَىٰ﴾؛ لأنها جواب الاستفهام الداخل على النفي قبْلها، وهو قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ، والمعنى: بَلَى يقدر على ذلك والوقف عليها (كافٍ)؛ لأن قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ جملة استئنافية لا محلَّ لها من الإعراب مُصدَّرة بـ (إن) المكسورة الهمز، أفادت تقرير قدرة الله المُطلَقة على كل شيء بوجهٍ عام، ومن ذلك إعادة الخَلْق وإحياء الموتى.

وفي الوقف على ﴿بَلَىٰ﴾ في هذا الموضع دَلالة على أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يعجزْ عن خَلْق السماوات والأرض، ولم يتحيَّر فيه ولم يتعب به، فهو على خَلْق الناس بعد الموت أقدر(٢).

---

(١) **ينظر**: تفسير الظِّلال: ٣٠٨٥/٥، تفسير ابن عاشور: ١٦٥/٢٤، تفسير أبي السعود: ٥/ص٢٢، الوقف على كلَّا وبَلَى في القرآن: ص٨٥، المُكْتفى: ص٢٢١.

(٢) **ينظر**: تَفْسِير الظِّلال: ٣٢٧٤/٦ وما بعدها، تَفْسِير الألوسي: ٣٣/٢٦، تَفْسِير الزَّمخْشَرِي: ٥٧/٥، الوقف على كلَّا وبَلَى في القرآن: ص٨٥، المُكْتَفى: ص٢٣٣.

▪ الموضع العاشر:

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾ [الانشقاق: ١٤-١٥].

إنَّها التَّعاسةُ التي ليس بَعْدَها تعاسة، والشَّقاء الذي ليس بَعْدَه شقاء، تعاسة مَنْ قضى حياته في الدنيا وقَطَعَ طريقه إلى ربه كادحًا؛ ولكن في المعصية والإثم والضلال، غافلًا عمَّا وراء اللَّحظة الحاضرة، لاهيًا عمَّا ينتظرهُ في الدار الآخرة، لا يحسَبُ لها حِسابًا، ولا يُقدِّم لها زادًا ظنًّا منه أنه لن يعود إلى ربه، ولن يرجع إلى بارئه.

فيَحْسُن الوقف على ﴿بَلَىٰٓ﴾؛ لأنها جواب للنفي قبْلها، وهو قوله تعالى: ﴿أَن لَّن يَحُورَ﴾ - أي لن يرجع بعْد موته - فالمعنى: بَلَى يحور؛ أي يرجع إلى الآخرة، والوقف عليها (كافٍ)؛ لأن قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾ جملة استئنافية لا محلَّ لها من الإعراب بمثابة التعليل لما أفادته ﴿بَلَىٰٓ﴾ من حَوْرِهِ ورجوعه إلى ربه يوم المعاد لحسابه ومجازاته مُصدَّرة بـ ﴿إِنَّ﴾ مكسورة الهمز وهي ممَّا يُبتَدَأ به، فبين هذه الجملة التعليلية وبين ما قَبْلها تعلُّق في المعنى دون اللَّفْظ، وفي الوقف على ﴿بَلَىٰٓ﴾ في هذا الموضع دَلالة على أن الله تعالى كان مطَّلِعًا على أمره، مُحيطًا بحقيقته عالِمًا بحركاته وخُطواته، عارِفًا بأنه صائِرٌ إليه، وأنه مجازيه بما كان منه، وكذلك كان حين انتهى به المَطاف إلى هذا المَقدور في عِلْم الله والذي لم يكن بدًّا أن يكون[1].

* * *

(١) ينظر: تَفْسِير الظِّلال: ٣٨٦٧/٦ وما بعدها، تَفْسِير الألوسي: ٨١/٣٠، تَفْسِير الزَّمَخْشَرِي: ٣٤٣/٦، الوقف على كلَّا وبَلَى في القرآن: ص ٨٨، ص٢٧٢.

☙ المطلب الثاني ❧

ما لا يجوز الوقف فيه على (بَلَى) لتعلُّق ما بَعْدَها بها وبما قَبْلَها

وذلك في سبعة مواضع، وهي فيما يلي حسبُ ترتيبِها بالمصحف مع بيان علة منْع الوقف في كل موَضِعٍ، ودلالته على المعنى، وأثره في التفسير.

▪ الموضع الأول:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٠].

فهذا مصير الذين قالوا: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ وهذا هو مشْهدُهم البائس المُخْزي المُهِين، وهم مَوْقُفون في حَضْرَة ربهم الذين كذَّبوا بلقائِه لا يَبْرَحُون الموقف، يسألهم عمَّا هم فيه ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ﴾ السؤال الذي يُزلْزِل ويُذيب، فَيُجِيبون إجابة المهين الذليل ﴿بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ فيجبهُون عندئذ بالجزاء الأليم بما كانوا يكفرون.

فلا يجوز الوقف على ﴿بَلَىٰ﴾؛ لأن كلمة ﴿وَرَبِّنَا﴾ من جملة مقول الكفَّار، ولا يجوز فصْل بعض المقُول عن بعض، وكذلك لوجوب وصْلِ المُقْسم به بالمُقْسمِ عليه(١).

▪ الموضع الثاني:

قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٣٨].

إنها الغفْلة عن طبيعة القدرة الإلهية، وأنها لا تُقاس بتصوُّرات البشر وطاقتهم، وأن إيجاد الشيء لا يُكَلِّف تلك القدرة شيئًا، فيكفي أن تتوجَّه إرادة الله إلى كوْنِ الشيء فيكون.

---

(١) **ينظر**: تَفْسِير الظِّلال: ١٠٦٨/٢، المُكْتَفى: ص ٣٨، الوقف على كلَّا وبَلَى في القرآن: ص٨٠.

فلا يجوز الوقف على ﴿بَلَىٰ﴾؛ بل ينبغي وصْلها بقوله: ﴿وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا﴾؛ لأن قوله: تعالى: ﴿وَعۡدًا﴾ مصدر مؤكِد للجملة التي دلَّت ﴿بَلَىٰ﴾ عليها وقامت مقامها، وهي إيجاب بعْثهم، فالمعنى: بل يبعثهم الله، ولا يُفْصَلُ بين التأكيد والمؤكِد[1].

▪الموضع الثالث:

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ: ٣].

فهذا المشهد يحْكِي إنكار الذين كفروا للبعث والحساب لعدمِ إدراكهم لحكمة الله وتقديره؛ إذ كل مَنْ يُدرك حكمة الله في خَلْقه يُدرِك أن الآخرة ضرورية لتحقيق وعْد الله وخبرَه، ليُلاقِي المحسنُ والمسيءُ - على السواء - جزاء عملِه.

فقوله تعالى: ﴿قُلۡ بَلَىٰ﴾ ردٌّ لكلَّام منكري البعث وإثبات لما نَفَوْه على معنى: ليس الأمر إلا إتْيانها، فقوله تعالى: ﴿وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾ تأكيد للإتيان الذي أنكروه وتثبِيت له على أتَمِّ وجهٍ وأكمله بالإتيان بالقسم، فلا يُوقَفُ على ﴿بَلَىٰ﴾ لعدمِ جواز الفصل بين المؤكَّد والمؤكِّد والمُقْسَم به والمُقْسَم عليه[2].

▪الموضع الرابع:

قوله تعالى: ﴿أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٥٨ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[الزمر: ٥٨-٥٩].

فهذا دَربٌ من دُروب الأماني التي لا تُنال، فإذا انتهت الحياة الدنيا فلا كَرَّةً ولا رجعة، فالفرصة ها هي ذي سانحة، ووسائل الهدى ما تزال حاضرة، وباب التوبة ها هو ذا مفتوح، وها أنتم أولاء في دار العمل، وهي فرصة واحدة إذا انقضت فلن تعود.

فلا يُوقَفُ على ﴿بَلَىٰ﴾ في هذا الموضع؛ لأنها ردٌّ على الكافر فيما يدَّعيه من أنه لو أُعيد إلى الدنيا لأَحْسَنَ العمل، وتكون جملة ﴿قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي﴾ مؤكِدة ومقرِّرة للجملة

(١) **ينظر**: تَفْسِير الظِّلال: ٢١٧١/٤، تَفْسِير الألوسي: ١٤٠/١٤، الوقف على كَلَّا وبَلَى في القرآن: ص ٨٢.

(٢) **ينظر**: تَفْسِير الظِّلال: ٢٨٩٢/٥، تَفْسِير الألوسي: ١٠٥/٢، الوقف على كَلَّا وبَلَى في القرآن: ص٨٢-٨٣.

التي دلَّت عليها وسدَّت مسدَّها كلمة ﴿بَلَىٰ﴾، ولا يُفْصَلُ بين المؤكَّد والمؤكِّـد، كمـا سـبق مثله [(١)].

▪الموضع الخامس:

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٤].

هذا موقف من مواقف يوم القيامة ، موقف الذين كفروا يـوم يُعْرضُـون على النـار، فيقِرُّون بما كانوا يُنكِرون، ولكن حيثُ لا مجال لإقرار أو يقين.

فلا يجوز الوقف على ﴿بَلَىٰ﴾؛ لأن كلمة ﴿وَرَبِّنَا﴾ من جُملة مقول الكفـار، ولا يجـوز فصْل المقُول عن بعض، وكذلك لوجوب وصْلِ المُقْسَم به بالمُقْسَمِ عليه [(٢)].

▪الموضع السادس:

قوله تعـالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

فتحكي هذه الآية تكذيب الذين كفروا بالبعث، وتُسَمِّي مقالتهم عن عـدمِ البعـث زعمًا؛ لتقضي بكذبِ هذه المقالة من أوَّل لفظٍ فيها، ثم تُوجِّه الرسول ﷺ إلى توكِيـد أمـرِ البعث بأوثق توكيد، وهو أن يحلف بربه؛ لذا لا يوقف على ﴿بَلَىٰ﴾ في هذا الموضع؛ لأنـه لا يَسُوغ الفصْل بين المؤكَّد والمؤكِّد، ولا فصْل بعض المقُول عن بعض [(٣)].

▪الموضع السابع:

قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة: ٤].

فقد كانت المشكلة الشُّعورية عند المُشْركين وأتْباعهم هي صعوبة تصوُّرهم لجَمْع العظام البالية الذَّاهبة في التراب، المُتفرِّقة في الثَّرى لإعادة بعْثِ الانسان حيًّـا، فيـأتي

(١) **ينظر**: تَفْسِير الظِّلال: ٣٠٥٩/٥، تَفْسِير أَبِي السُّعُود: ٦٢١/٤، الوقوف على كلَّا وبَلَى في القرآن: ص ٨٤.
(٢) **ينظر**: تَفْسِير الظِّلال: ٣٢٦٩/٦، تَفْسِير الألوسي: ٣٤/٢٦، الوقف على كلَّا وبَلَى في القرآن: ص٨٥،٨٦.
(٣) **ينظر**: تَفْسِير الظِّلال: ٣٥٧٨/٦، تَفْسِير الرازي: ٢٣/٣٠، الوقف على كلَّا وبَلَى في القرآن: ص ٨٠.

التأكيد بما هو أرْقَى من مجرد جمْعها، ألا وهو تسوية البنان وتركيبه في موضعه، كما كان مهما صَغُر ودقَّ، فأوجبت ﴿بَلَىٰ﴾ ما بَعْدَ النفي، وهو الجمع، وتقدير الجملة: نجمعها حال كوننا قادرين على أن نسوي بنانه. فقوله تعالى: ﴿قَٰدِرِينَ﴾ حال من الضمير المحذوف؛ لذا لا يُوقَفُ على ﴿بَلَىٰ﴾ لعدمِ صحة الفصل بين الحال وصاحبه وعامله[1].

* * *

(١) **ينظر**: تَفْسِير الظِّلال: ٣٧٦٨/٦، تَفْسِير الرازي: ٢١٧/٣٠، الوقف على كلَّا وبَلَى في القرآن: ص ٨٧.

۞ المطلب الثالث ۞

ما يجوز الوقف فيه على (بَلَى) والوصل أرْجَحُ وأقْوى

وذلك لأن ما بعْدها متصل بها وبما قبْلها؛ وذلك في خمسة مواضع، سأذكرها فيما يلي حسب ترتيبها بالمصحف مع بيان وجهِ اختلافهم فيها وحِكْمَةِ ترجيحهم منْع الوقف عليها، ودلالته على المعنى، وأثره في التفسير.

▪ الموضع الأول:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [سورة البقرة: ٢٦٠].

سأل إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ليتأكّد إيقانه بالعَيان، ويزداد قلبه اطمئنانًا على اطمئنان، وليس طلبًا للبرهان ولا تقويةً للإيمان؛ لذا استجاب الله لهذا الشوق والتطلُّع، وأراه السِّرَّ الإلهي يقع بين يديه ... إنه سِرُّ هبة الحياة.

فالوقف على ﴿بَلَىٰ﴾ جائز باعتبار تمام الكَلَام في الجملة التي قبْلها، فالسؤال قد أَخَذَ جوابه، والفعل قد استوفى فاعله ومفعوله، فالمعنى: بلى آمنت، ولكن الوصل أرجحُ، لأن قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ من جملة قول ابراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ولا ينبغي فصْل بعض القول عن بعض(١).

▪ الموضع الثاني:

قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١].

فهذا رَكْبُ جهنَّم، رَكْبُ المُتكبِّرين، وهُمْ يساقُون إلى جهنَّم بالعنف والإهانة أفواجًا

(١) ينظر: تَفْسِير أَبِي حيَّان: ٣٠٩/٢ وما بعدها، تَفْسِير الظِّلال: ٣٠٢/١، تَفْسِير الزَّمَخْشَرِي: ٣٩٦/١ وما بعدها، الوقف على كلَّا وبَلَى في القرآن: ص٧٨.

بعضها في إثر بعض، وقد فَتَحَت جهنم أبوابها، واستقبلهم خزنتها يُسجِّلون استحقاقهم لها، ويذكِّرونهم بأسباب مجيئهم إليها، فالموقف موقف إذعان وتَسْليم لا موقف مخاصمة ولا مجادلة؛ لذا فهم مُقرُّون مُستسلمون فالوقف على ﴿بَلَىٰ﴾ جائز نظرًا إلى تمام المعنى؛ إذ السؤال قد اسْتوفى جوابه، والفعل قد استكمل فاعله ومفعوله، فالمعنى: بَلَى قد أتانا الرسل وأنذرُونا؛ ولكن الوصْل أرجَح؛ لأن قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾من جملة مقُول الكافرين، ولا يُفرَّق بين بعض القول وبعض[1].

▪ **الموضع الثالث:**

قوله تعالى: ﴿أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠].

في هذه الآية تهديد ووعيد من صاحب القوة والجبروت العليم بما يُسِرُّون وما يَمْكِرُون أن تدبيرهم ومكْرهم في الظلام يقابله عِلْم الله بالسر والنجوى والعاقبة معروفة.

فالوقف على ﴿بَلَىٰ﴾ جائز باعتبار أن الكلَّام قد أفاد الفائدة المطلوبة، فالمعنى: بَلَى نسمع ذلك؛ ولكن الوصل أرجَح؛ لأن الجملة بعْدها وهي قوله تعالى: ﴿وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ﴾ في محلِّ نصْبٍ على الحال، أو معطوفة على الجملة المقدرة الدَّالة عليها ما قبْل ﴿بَلَىٰ﴾؛ أي: بَلَى نسْمَعُ سرَّهم ونجواهم، والحفظة يُحْصون ويكتبون، وكلًّا الوجهين يقتضي وصْل ﴿بَلَىٰ﴾ للتعلُّق اللَّفْظي والمعنوي، فسياق الكلَّام يقتضي الوصل[2].

▪ **الموضع الرابع:**

قوله تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ [الحديد: ١٤].

ففي هذه الآية كشفٌ وفضحٌ للمنافقين وبيان لمصِيرِهم، وما هُمْ فيه من حيْرة وضلال، ومهانة وإهْمال؛ إذ يتعلَّقون بأذيال المؤمنين والمؤمنات يلتمسوا النور، وأنى لهم ذلك، وقد عاشوا في ظلام النفاق.

-(١) **ينظر**: تَفْسِير أَبِي السُّعُود: ٦٢٥/٤، تَفْسِير الظِّلال: ٣٠٦٢/٥، الوقف على كلَّا وبَلَى في القرآن: ص ٨٤.

(٢) **ينظر**: تَفْسِير الظِّلال: ٣٢٠٣/٥، تَفْسِير الزَّمخْشَرِي: ٤٥٨/٥، الوقف على كلَّا وبَلَى في القرآن: ص ٨٥.

فالوقف على ﴿بَلَىٰ﴾ جائز لتمام الكَلَام ،وإفادته فائدة يَحْسُن للسامع السُّكوت عندها، فالمعنى: بَلَى كنتم معنا، ولكن الوصْل أرْجَحُ؛ لأن ﴿بَلَىٰ﴾ وما بعْدها من قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ...﴾من قول المؤمنين للمنافقين، ولا يُفرَّق بين بعض القول وبعض، وقد مضى له نظائر فيما تقدم[١].

▪الموضع الخامس:

قوله تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ [الملك: ٨-٩].

فهذا السؤال في هذا الموضع إنما هو للتأْنِيب والتَوْبِيخ، فهي مشاركة لجهنم في الغيظ والحنق والتعذيب للكافرين، وليس أمَرُّ من التَّوبيخ والتأنيب للضائق المكروب؛ ليأتي الجواب في ذِلَّة وانكسار واعتراف بالحُمْق والغفلة بعد التبجحِ والإنكارِ واتهام الرُّسل بالضلال.

فالوقف على ﴿بَلَىٰ﴾ جائز لتمام الكَلَام وإفادته فائدة يَحْسُن الاكتفاء بمضمونها.

فالمعنى: بَلَى قد أتانا نذير، ولكن الوصْل أرْجَحُ، لأن قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾ من جملة قول الكفار، ولا يُفصَلُ بين المؤكَّد والمؤكِّد، ولا يُفرَّق بين بعض القول وبعض كما سبق مثله[٢].

وللقارئ في جميع ما تقدَّم ألا يقف على ﴿بَلَىٰ﴾، وأن يَصِلَها بما قبْلها وما بعْدها، وتعدِيها إلى كَلَّام تامٍّ آخر بعْدها؛ لكن الاختيار ما تقدَّم من تفصيل، والله تعالى أعلم.

* * *

-(١) **ينظر**: تَفْسِير الظِّلال: ٣٤٨٦/٦، تَفْسِير الألوسي: ١٧٧/٢٧ وما بعدها، الوقف على كَلَّا وبَلَى في القرآن: ص ٨٦.

(٢) **ينظر**: تَفْسِير الرازي: ٦٤/٢، تَفْسِير الظِّلال: ٣٦٣٥/٦، الوقف على كَلَّا وبَلَى في القرآن: ص٨٧.

الباب الثالث

أثر الوقف والابتداء في التفسير

دِّراسة الدَّلاليَّة

تمهيد :

هذا البابُ الذي بين أيْدينا يمثلُ الحلقة الأخيرة من حلقاتِ هذا البحثِ المبارك[١]؛ إذ به يَنْسجِمُ نظْمُه، ويَكْتمِلُ عِقده، فيبلُغُ التَّمام، وبه يكونُ مِسْكُ الخِتام، وفيه فصلان:

الفصل الأول: وفيه بيان حول مَفْهُوم الدَّلالَةِ في القرآن الكريم، وما يَقْتَضِيه هذا اللفظ من الوصول إلى المعنى.

فالكلمة تُعبِّرُ عن معناها، وفهْم المعنى المقصود للكلمة يمثِّلُ معرفة رُوحِ اللَّفْظِ ودلالاته.

الفصل الثاني: ويشْتمِلُ على دراسةٍ دلاليَّة لعِشْرين موضعًا من القرآن الكريم مع الإشارة إلى نظائرها في المواضع الأخرى من السِّورِ[٢] كأنموذج للوقف والابتداء وأثره في تفسير القرآن الكريم ، وكان الانتقاء مبنيًا على استيعاب جميع أنواع الوقوف اللازمة والجائزة والممنوعة، وما يندرج تحتها من ألقابِ الوقوف الأخْرى، وعلى مِثْلِ ما ذكرتُ من الأمثلة يُقاس على نظائِرِهِ في جميعِ القرآن، فليست العبْرةُ بالتطويل؛ ولكنها بفهمِ طُرقِ التعليل، والمُوفَّق تكفيه الإشارة، ولا ينفع الناقد تطويل العبارة.

وكان نَهْجِي في هذه الدِّراسة على النَّحْوِ التَّالي:

١- قراءة ختمة كاملة من أوَّلِ القرآن الكريم إلى آخره بالتدقيق التَّام لمواضع الوقف والابتداء، واستجلاء ما يترتب عليها من أثرٍ في تفسير القرآن وبيان معانيه.

٢- إعْمال الفكر والنَّظر في كل موضعٍ يَسُوغُ الوقف عليه، ويَسُوغُ الابتداء بما بعْده ممَّا لم تُوضَعُ عليه علَامة للوقف.

---

(١) بَرَكتُهُ تأتي من تعلُّقِهِ بكتاب الله «المبارك» والذي يَفِيض من بَركته على كلِ من اشتغل بتلاوتِه ومُدارستِه.

(٢) فزادت المواضع بمجموعِها عن خمسين موضعًا.

٣- ذِكْر ما ورد في الآية من أقوالٍ لعلماء التفسير وأئمة الوقف، والتَرْجِيح بين الأقوال، كما يظْهرُ لي باعتبار المعنى، واعتبار العرض والسَّماع بالإسناد المتصل.

٤- عدم الانشغال بمصطلحاتِ الوقف ورُمُوزِه عن المرادِ الأَسْمى من التأمُّل في بيان المعنى، وتذوُّق الجمال القرآني، والكشف عن أَسْرارِ البلاغة، ودلائِلِ الإعجاز؛ إذ إنَّ علَامات الوقف ورمُوزَه مبناها على الاجتهادِ والاختيارِ والنظرِ في الوقوف.

٥- المُوازنة بين رُمُوزِ الوقف، والتعليل لأوْجُهِ الخِلاف بين اللِّجان المُخْتصة في تحديد مواضعِ الوقفِ ورمُوزِه في أشْهرِ طبعاتِ المصحفِ الشريفِ المُعْتمدةِ في العالمِ الإسلامي.

٦- ذِكْرُ الآياتِ كاملة، مرتبة على ترتيب المصحف الشريف ومُرقَّمة بحسب ورودها في هذا الباب؛ ليكونَ أوضح للمعنى لعدم حاجة من يُطالِعُها للرجوع إلى المُصْحف خلافًا لما جَرى عليه علماء الوقف من ذِكْرِ موضع الوقف اختصارًا.

٧- التَأْصِيل لمبدأ فهْم طُرُق التَعْلِيل فيما يترتب على هذا الوقف أو ذاك الابتداء من معاني ودَلالات، محاولًا بذلك فتْح نافذة لدراساتٍ أخْرى في الموازنة والتوْجِيه لمَنْ يَلِيني من ركْبِ الدَّارسين، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

* * *

الفصل الأول

مَفْهُوم الدَّلالَةِ فِي القرآنِ الكريمِ

وما يقتضيه هذا اللفظ من الوصول إلى المعنى

وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول: تعريف الدَّلالة لغةً واصطلاحًا.**

وفيه تعريف بالدَّلالة في لغة العرب والتي نزل بها القرآن الكريم، كذا في اصطلاح العلماء.

- **المبحث الثاني: مفهوم الدَّلالة في القرآن الكريم.**

وفيه حصرٌ للمواضعِ التي وَرَدَ فيها ذِكْرُ صيغة (دلَّ) بمشتقاتها في القرآن الكريم، والتي تشترك بمجموعها في بيان مفهوم لفْظ الدَّلالة، وما تُرشِدُ إليه من الوصول إلى المعنى.

المبحث الأول

تعريف الدَّلالة لغةً واصطلاحًا

▪الدَّلالة في المُعْجِمِ:

قال **الرَّازِي**: الدَّلالة في اللُّغةِ مصدر (دَلَّهُ) على الطريق، يَدُلُّه بالضَمِّ (دَلالَةً) بفتح الدال وكسرها و (دُلُولَةً) بالضم، والفتحُ أعْلى[1].

وقال ابن منظور: الدَّلِيل: ما يُسْتَدَلُّ به، والدَّلِيل: الدَّالُّ، وقد دَلَّه على الطريق يَدُلُّه دَلالة ودِلالة ودُلولة والفتح أَعْلى، والجمعُ دلائلُ ودلالات[2].

▪الدَّلالة في الاصطلاح:

هو العِلْم الذي يَدْرُس المعنى، أو ذلك الفرع من فروع عِلْم اللغة الذي ينهض على دراسةِ المعنى، وجعله بعضهم مرادفًا لدراسة المعنى، والصحيح التفرقة بين (الدَّلالة) وبين (المعنى)؛ فالدَّلالة هي مجموعُ المعاني اللغوية التي يتضمنُها اللَّفظ، وهي وسيلةُ الوصول إلى المعنى، فبها يُومَأ إلى مفهوم اللَّفظِ؛ لذا تُعَدُّ الدَّلالة أوْسعَ مِن المعْنى وأشْمَل[3].

* * *

(١) **ينظر**: مختار الصحَّاح مادة (دلل): ص٨٨.

(٢) **ينظر**: لسان العرب مادة (دلل): ٢/١٤١٤.

(٣) **ينظر**: علم الدَّلالة (علم المعنى)، تأليف الدكتور/ محمد عليّ الخولي: ص١٢ وما بعدها، ط/ دار الفلاح للنشر والتوزيع بالأردن، الأولى، ٢٠٠١م، علم الدلالة، تأليف الدكتور/ أحمد مختار عمر أستاذ علم اللغة بكلية دار العلوم جامعة القاهرة، ص١٣، ط/ مكتبة عالم الكتب بالقاهرة، الخامسة، ١٩٩٨م.

☙ المبحث الثاني

مَفْهُوم الدَّلالَة في القرآنِ الكريم

أوْرَد القرآن الكريم صِيغة (دَلَّ) بمشْتقَّاتِها في ثمانيةِ مَواضِع، تَشْترك في إبْراز مفْهُوم الصِّيغة، وتَعْني الإشارةَ والإعْلامَ والإرْشاد إلى الشيء أو الذَّات، وأذكر تلك المواضع فيما يلي:

▪ الموضِع الأول:

قوله تعالى: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾ [الأعراف: ٢٢].

قال القرطبي: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ أَوْقَعَهُمَا فِي الْهَلَاكِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: غَرَّهُمَا بِالْيَمِينِ. وَكَانَ يَظُنُّ آدَمُ أَنَّهُ لَا يَحْلِفُ أَحَدٌ بِاللَّهِ كَاذِبًا، فغرَّرهما بِوَسْوَسَتِهِ وَقَسَمِهِ لَهُمَا. وَقَالَ قَتَادَةُ: حَلَفَ بِاللَّهِ لَهُمَا حَتَّى خَدَعَهُمَا. وَقَدْ يُخْدَعُ الْمُؤْمِنُ بِاللَّهِ. **وقال ابن عاشور**: الباءُ لِلْمُلابَسَةِ؛ أيْ: دَلّاهُما مُلابِسًا لِلْغُرُورِ؛ أيْ: لِاسْتِيلاءِ الغُرُورِ عَلَيْهِ؛ إذِ الغُرُورُ هو اعْتِقادُ الشَّيْءِ نافِعًا بِحَسَبِ ظاهِرِ حالِهِ ولا نَفْعَ فِيهِ عِنْدَ تَجْرِبَتِهِ، وعَلى هَذا القِياسِ يُقالُ: دَلّاهُ بِغُرُورٍ إذا أوْقَعَهُ في الطَّمَعِ فِيما لا نَفْعَ فِيهِ[1].

▪ الموضع الثاني:

قوله تعالى: ﴿فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠].

فإشارة الشَّيطان دالٌّ، والمفهُوم الذي استقر في ذهن آدم وزوجه وعَمِل به هو المدلول، فبالرَّمز ومدلوله تمَّت العملية الإبلاغية بين الشيطان من جهة، وآدمَ وزوجه من جهة أخرى.

(١) **ينظر**: تفسير القرطبي: ١٧٨/٩، تفسير ابن عاشور: ٦٠/٨.

قال الشوكاني: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أيْ: أنْهى إلَيْهِ وسْوَسَتَهُ، وجُمْلَةُ ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ﴾ إلى آخِرِهِ إمّا بَدَلٌ مَن وسْوَسَ أوْ مُسْتَأْنَفَةٌ بِتَقْدِيرِ سُؤالٍ كَأنَّهُ قِيلَ: فَماذا قالَ لَهُ في وسْوَسَتِه(١).

▪الموضع الثالث:

قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ [القصص: ١٢].

قال النَّسفي: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ﴾ تَحْرِيمَ مَنعٍ لا تَحْرِيمَ شَرْعٍ؛ أيْ: مَنَعْناهُ أنْ يَرْضَعَ ثَدْيًا غَيْرَ ثَدْيِ أُمِّهِ، وقوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾ مِن قَبْلِ قَصِّها أثَرَهُ أوْ مِن قَبْلِ أنْ نَرُدَّهُ عَلى أُمِّهِ ﴿فَقَالَتْ﴾ أُخْتُهُ، وقَدْ دَخَلَتْ بَيْنَ المَراضِعِ، ورَأتْهُ لا يَقْبَلُ ثَدْيًا ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ أُرْشِدُكم ﴿عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ﴾ أيْ: مُوسى ﴿لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ النُصْحُ: إخْلاصُ العَمَلِ مِن شائِبَةِ الفَسادِ، فانْطَلَقَتْ إلى أُمِّها بِأمْرِهِمْ، فَجاءَتْ بِها والصَبِيُّ عَلى يَدِ فِرْعَوْنَ يُعَلِّلُهُ شَفَقَةً عَلَيْهِ، وهو يَبْكِي يَطْلُبُ الرَضاعَ، فَحِينَ وجَدَ رِيحَها اسْتَأْنَسَ والتَقَمَ ثَدْيَها(٢).

▪الموضع الرابع:

قوله تعالى: ﴿إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ [طه: ٤٠].

فالآية تُشِير إلى وجودِ مَن يَبُثُ رسالة لها دلالة ومعنى، ومُتقبِّلٍ يتلقَّاها ويستوعبها.

قال السَّمرقندي: ﴿إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ﴾ أي: لآل فرعون ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ يعني: أرشدكم عَلى ﴿مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ﴾ ؛ يعني: يَضُمُّه ويحُوطه ويُرضِعه. ﴿فَرَجَعْنَٰكَ﴾ ، يقول:

---

(١) **ينظر:** تفسير الشوكاني: ص٩٢٤.

(٢) **ينظر:** تفسير النسفي: ٨٥٦/٣ بتصرف.

رددناك إِلى أُمِّكَ ﴿ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا﴾ يعني: لتطيب نفسها. ﴿وَلَا تَحۡزَنَ﴾ وأَنْجَزَ اللهُ وعْدَهُ في الرَدِّ، فَعِنْدَها ثَبَتَ واسْتَقَرَّ في عِلْمِها أَنَّهُ سَيَكُونُ نَبِيًّا[1].

▪الموضع الخامس:

قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنٗا ثُمَّ جَعَلۡنَا ٱلشَّمۡسَ عَلَيۡهِ دَلِيلٗا﴾[الفرقان: ٤٥].

فلولا الشَّمسُ ما عُرِف الظِّل؛ فالشَّمس تدلُّ على وجود الظِّل، فكلمة ﴿ دَلِيلٗا ﴾ في الآية الكريمة هي بمعنى دالة؛ لأن الوظيفةَ التي تقوم بها الشَّمس في هذا المقام هي وظيفةُ إظهار الظِّل والإرشاد إليه، وهذه هي الدَّلالة بعينِها.

قال ابن كثير: من هنا شرع تعالى في بَيَانِ الْأَدِلَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى وُجُودِهِ، وَقُدْرَتِهِ التَّامَّةِ عَلَى خَلْقِ الْأَشْيَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ وَالْمُتَضَادَّةِ. **وقال الزَّمخشري**: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ ألمْ تنظر إلى صنع ربك وقدرتِه، ومعنى ﴿مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ أي: جعله يمتدّ وينبسط فينتفع به الناس ﴿وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنٗا﴾ وَلَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً أى: لاصقًا بأصل كل مُظلٍّ من جبلٍ وبناء وشجر، غير مُنبسِطٍ، فلم ينتفع به أحد[2].

▪الموضع السادس:

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ﴾ [سبأ: ١٤].

فالدَّابة وأكلِها العصا دالٌ، وهيئة سليمان وهو ميِّتٌ مَدْلول؛ أي أن الدَّابة قد أرشدت الآخَرين إلى موت سليمان فأظهرت ما كان خافيًا، وبذلك أعلَمَتِ الآخَرين ما لَم يعلموه من قبلُ، حتى صار موت سليمان واضحًا بيِّنًا، **قال القرطبي**: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ

(١) **ينظر**: تفسير السَّمرقندي: ٣٤٠/٢

(٢) **ينظر**: تفسير ابن كثير: ٣١٠/١٠، تفسير الزمخشري: ٣٥٣/٤.

ٱلْمَوْتَ ﴾ أَيْ فَلَمَّا حَكَمْنَا عَلَى سُلَيْمَانَ بِالْمَوْتِ؛ حَتَّى صَارَ كَالْأَمْرِ الْمَفْرُوغِ مِنْهُ، وَوَقَعَ بِهِ الْمَوْتُ ﴿ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ﴾؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ مُتَّكِئًا عَلَى الْمِنْسَأَةِ (وَهِيَ الْعَصَا)، فَمَاتَ كَذَلِكَ وَبَقِيَ خَافِيَ الْحَالِ إِلَى أَنْ سَقَطَ ميتًا لانكسار العصا لأكلِ الأرضة إِيَّاهَا، فَعُلِمَ مَوْتُهُ بِذَلِكَ، فَكَانَتِ الْأَرَضَةُ دَالَّةً عَلَى مَوْتِهِ، أَيْ: سَبَبًا لِظُهُورِ مَوْتِه[1].

■ **الموضع السابع:**

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[سبأ: ٧].

قال الشوكاني: قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ أيْ: قالَ بَعْضٌ لِبَعْضٍ: ﴿ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ ﴾، يَعْنُونَ مُحَمَّدًا؛ أيْ: هَلْ نُرْشِدُكم إلى رَجُلٍ ﴿ يُنَبِّئُكُمْ ﴾ أيْ: يُخْبِرُكم بِأمْرٍ عَجِيبٍ ونَبَأٍ غَرِيبٍ هو أنَّكم ﴿ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾؛ أيْ: فُرِّقْتُمْ كُلَّ تَفْرِيقٍ، وقُطِّعْتُمْ كُلَّ تَقْطِيعٍ، وصِرْتُمْ بَعْدَ مَوْتِكم رُفاتًا وتُرابًا ﴿ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ أيْ: تُخْلَقُونَ خَلْقًا جَدِيدًا، وتُبْعَثُونَ مِن قُبُورِكم أحْياءً، وتَعُودُونَ إلى الصُّوَرِ الَّتِي كُنْتُمْ عَلَيْها، قالَ هَذا القَوْلَ بَعْضُهم لِبَعْضٍ اسْتِهْزاءً بِما وعَدَهُمُ اللَّهُ عَلى لِسانِ رَسُولِهِ مِنَ البَعْثِ[2].

■ **الموضع الثامن:**

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[الصف: ١٠].

قال ابن عاشور: جِيءَ بِفِعْلِ ﴿ أَدُلُّكُمْ ﴾ لِإفادَةِ ما يُذْكَرُ بَعْدَهُ مِنَ الأشْياءِ الَّتِي لا يُهْتَدى إلَيْها بِسُهُولَةٍ،وأُطْلِقَ عَلى العَمَلِ الصّالِحِ لَفْظُ التِّجارَةِ عَلى سَبِيلِ الاسْتِعارَةِ لِمُشابَهَةِ العَمَلِ الصّالِحِ التِّجارَةَ في طَلَبِ النَّفْعِ مِن ذَلِكَ العَمَلِ ومُزاوَلَتِهِ والكَدِّ فِيهِ، ووَصْفُ التِّجارَةِ بِأنَّها تُنْجِي مِن عَذابٍ أليِمٍ، تَجْرِيدٌ لِلاسْتِعارَةِ لِقَصْدِ الصَّراحَةِ بِهَذِهِ الفائِدَةِ لِأهَمِّيَّتِها، ولَيْسَ الإنْجاءُ مِنَ العَذابِ مِن شَأْنِ التِّجارَةِ، فَهو مِن مُناسِباتِ المَعْنى الحَقِيقِيِّ لِلْعَمَلِ الصّالِحِ.

(١) **ينظر**: تفسير القرطبي: ١٧/٢٨٠.

(٢) تفسير الشوكاني: ص١١٨٩.

وجُمْلَةُ ﴿ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ مُسْتَأْنَفَةٌ اسْتِئْنافًا بَيانِيًّا؛ لِأَنَّ ذِكْرَ الدَّلالَةِ مُجْمَلٌ والتَّشْوِيقُ الَّذِي سَبَقَها مِمّا يُثِيرُ في أنْفُسِ السّامِعِينَ التَّساؤُلَ عَنْ هَذا الَّذِي تَدُلُّنا عَلَيْهِ وعَنْ هَذِهِ التِّجارَةِ (١).

هذه هى الآيات التي ورد فيها ذكر لفظ (دَلَّ) بِصِيَغِهِ المُخْتلِفة، وهي تشترك في تعيين الأصْل اللُّغوي لهذا اللَّفظ، وهو بمعنى الإعْلام والإرْشاد والإشارة والرَّمز، والله أعلى وأعلم (٢).

* * *

(١) تفسير ابن عاشور: ١٩٣/٢٨.

(٢) **ينظر**: علم الدلالة أصوله ومباحثه. د/ منقور عبد الجليل، مبحث لفظ الدلالة في القرآن الكريم: ص٢٧، ط/ اتحاد الكُتَّاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م.

الفصل الثاني

دراسة دلاليَّة لبيان أثر الوقف والابتداء

في تفسير القرآن وبيان معانيه

وتَشْتمل هذه الدّراسة:

على عشرين موضعًا من القرآن الكريم، مع الإشارة إلى نظائرها في المواضع الأخرى من السِّورِ، على أن تستوعب الدِّراسة جميع أنواع الوقوف اللَّازمة والجائزة والممنوعة، وما يندرِج تحتها من ألقابِ الوقوف الأخْرى.

وتَقُوم هذه الدِّراسة:

على الجمعِ بين أقوال علماء التفسير، وأئمة الوقف والابتداء، كذا اللِّجان المُخْتصة في تحديد مواضعِ الوقف ورمُوزِه في أشْهرِ طبعاتِ المصحفِ الشريفِ المُعْتمَدةِ في العالمِ الإسلامي؛ وذلك في كل موضع من مواضع الدِّراسة، ثم الموازنة بين هذه الأقوال والتَّعليل لأوجهِ الخِلاف - إن وُجِد - والتَّرجِيح بينها لاستجلاء ما يترتب عليها من أثرٍ في تفسير القرآن وبيان معانيه.

▪ **الموضع الأول:**

قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[البقرة: ٢٥].

فالوقف على قوله: ﴿رِّزۡقٗا﴾ والبدءُ بـ ﴿قَالُواْ﴾ ممنوعٌ؛ لأنه يَقطَعُ ترابُط المعنى في الآية، ويفْصِلُ الشَّرط عن جوابه، وقد اتفقتْ مصاحف مصر والحجاز والشَّام على وضع علَامة الوقف الممنوع (لا) على قوله: ﴿رِّزۡقٗا﴾(١).

▪**أقوال علماء التفسير:**

قال النيْسابوري: لا يُوقف على ﴿رِّزۡقٗا﴾؛ لأن ﴿قَالُواْ﴾ جواب كلَّما، وقوله: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُ﴾ انطوى تحته ذكر ما رُزِقُوه في الدَّارين(٢).

وقال أبو حيَّان: ﴿قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُ﴾ قالُوا: هو العامِلُ في كُلَّما، وهَذا الَّذِي: مُبْتَدَأٌ مَعْمُولٌ لِلْقَوْلِ. فالجُمْلَةُ في مَوْضِعِ مَفْعُولٍ، والمَعْنى: هَذا، مِثْلُ الَّذِي رُزِقْنا، وإنَّما احْتِيجَ إلى هَذا الإضْمارِ؛ لِأنَّ الحاضِرَ بَيْنَ أيْدِيهِمْ في ذَلِكَ الوَقْتِ يَسْتَحِيلُ أنْ يَكُونَ عَيْنُ الَّذِي تَقَدَّمَ أنْ رُزِقُوهُ(٣).

وقال أبو السُّعود: ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُ﴾: صِفَةٌ أُخْرى لِـ «جَنّاتٍ»؛ أُخِّرَتْ عَنِ الأُولى؛ لِأنَّ جَرَيانَ الأنْهارِ مِن تَحْتِها وصْفٌ لَها بِاعْتِبارِ ذاتِها؛ وهَذا وصْفٌ لَها باعْتِبارِ أهْلِها المُتَنَعِّمِينَ بِها؛ أوْ خَبَرُ مُبْتَدَإٍ مَحْذُوفٍ؛ أوْ

(١) يستثنى من ذلك طبعة سنة ١٤٢١ هـ وما بعدها في مصحف الحجاز؛ حيث تم حذف علَامة الوقف الممنوع في جميع مواضِعِها، وقد ذكرتُ ذلك مفصلًا في الفصل الخامس من الباب الأول ص١٨٩.

(٢) **ينظر**: تفسير النيْسابوري: ١/١٩٧ وما بعدها.

(٣) **ينظر**: تفسير أبي حيَّان: ١/٢٥٧.

جُمْلَةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ؛ و﴿كُلَّمَا﴾ نُصِبَ عَلى الظَّرْفِيَّةِ؛ و﴿رِّزْقًا﴾ مَفْعُولٌ بِهِ؛ و«مِن» الأُولى؛ والثَّانِيَةُ؛ لِلِابْتِداءِ [1].

▪أقوال علماء الوقف:

أما علماء الوقف فقد اتفقوا جميعًا على منْع الوقف على ﴿رِّزْقًا﴾، وهذه بعض أقوالهم:

قال السَّجاوندي: الوقف على قوله: ﴿رِّزْقًا﴾ ممنوع؛ لأن ﴿قَالُواْ﴾ جواب كلَّما، وبه قال الأشموني أيضًا [2].

وقال ابن النَّحاس: قوله: ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا﴾ ليس بقطعٍ كافٍ؛ لأنه لم يأت الجواب [3].

وأما ابن الأنباري والدَّاني: فلم يذكرا وقفًا من أيِّ نوعٍ على ﴿رِّزْقًا﴾ وهذا يدل على المنع [4].

▪الرأي الراجح:

والذي أختاره ويُرجِّحُهُ هو ما اتفق عليه علماء الوقف جميعًا، من منْعِ الوقف على قوله: ﴿رِّزْقًا﴾ دون جوابها؛ لأن المعنى لا يتم إلا بذكرِ الجواب ﴿قَالُواْ﴾، وإذا انقطع النَّفَسُ قَبْلَ ذلك عاد القارئ من قوله: ﴿كُلَّمَا﴾ ووَصَلَها بجواب الشَّرط إلى أقرب وقفٍ جائز، وهو قوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾ . والله أعلم.

* * *

(١) **ينظر**: تفسير أبي السُّعود: ١/١٢٠.

(٢) **ينظر**: علل الوقف: ١/١٩٢، منار الهدى: ١/٦٥.

(٣) **ينظر**: القطع والائتناف: ص ٤٦.

(٤) **ينظر**: إيضاح الوقف والابتداء: ص ٢٥٣، المكتفى: ص ٣٣.

- **الموضع الثاني:**

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [البقرة: ١١٦].

فالوقف على قوله: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ لازم، وهو حكاية عن قولِ هؤلاء المشركين تبِعه قوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ وهي ردٌّ من ربِّ العالمين تنزيهًا لله عن ذلك، وقد اتفقتْ مصاحف مصر على وضْع علَامة الوقف اللازم (مـ) على قوله: ﴿وَلَدًا﴾، أما في مصاحف الحجاز والشَّام فهو وقفٌ أولى[(١)] .

- **أقوال علماء التفسير:**

قال أبو حيَّان: ولَمّا كانَتْ هَذِهِ المَقالَةُ مِن أفْسَدِ الأشْياءِ وأوْضَحِها في الِاسْتِحالَةِ، أتى بِاللَّفْظِ الَّذِي يَقْتَضِي التَّنْزِيهَ والبَراءَةَ مِنَ الأشْياءِ الَّتِي لا تَجُوزُ عَلى اللَّهِ تَعالى، قَبْلَ أنْ يَضْرِبَ عَنْ مَقالَتِهِمْ ويَسْتَدِلَّ عَلى بُطْلانِ دَعْواهم. وكانَ ذِكْرُ التَّنْزِيهِ أسْبَقَ؛ لِأنَّ فِيهِ رَدْعًا لِمُدَّعِي ذَلِكَ، وأنَّهُمُ ادَّعَوْا أمْرًا تَنَزَّهَ اللَّهُ عَنْهُ وتَقَدَّسَ[(٢)].

وقال القرطبي: فِيهِ خَمْسُ مَسَائِلَ. ثم قال في المسألة الثَّالِثَةُ: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ مَنْصُوبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ، وَمَعْنَاهُ التَّبْرِئَةُ وَالتَّنْزِيهُ وَالْمُحَاشَاةُ، مِنْ قَوْلِهِمُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا؛ بَلْ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ، أَحَدٌ فِي صِفَاتِهِ، لَمْ يَلِدْ فَيَحْتَاجُ إِلَى صَاحِبَةٍ[(٣)].

وقال الألوسي: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ تَنْزِيهٌ وتَبْرِئَةٌ لَهُ تَعالى عَمّا قالُوا بِأبْلَغِ صِيغَةٍ، ومُتَعَلِّقُ سُبْحانَ مَحْذُوفٌ كَما تَرى لِدِلالَةِ الكَلامِ عَلَيْهِ[(٤)].

---

(١) **ينظر**: مصحف الأزهر الشريف برواية حفص عن عاصم، ط/ شركة الشِّمرلي بمصر، ٢٠٠٠م، مصحف المدينة المنورة برواية حفص عن عاصم، ط/مجمع الملك فهد بالمدينة المنورة، ١٤١٨هـ، المصحف الشريف برواية حفص عن عاصم، ط/ مؤسسة علوم القرآن، دمشق ١٩٧٧م.

(٢) **ينظر**: تفسير أبي حيَّان: ٥٩٢/١.

(٣) **ينظر**: تفسير القرطبي: ٣٣٣/٢.

(٤) **ينظر**: تفسير الألوسي: ٣٦٦/١.

وقال **الزَّمخْشري**: سُبْحانَهُ تنزيهٌ له عن ذلك وتبعيد؛ بَلْ لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ هو خالقه ومالكه، ومن جملته الملائكة وعزير والمسيح، كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ منقادون(١).

▪أقوال علماء الوقف:

قال الأشموني: وقفٌ صالح؛ أي تنزيهًا له عمَّا نَسَبَه إليه المشركون؛ فلذلك صَلُحَ الوقف على ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ ووافقَهُ ابن النَّحاس(٢).

وقال السَّجاوندي: لا يُوقَفُ على ﴿وَلَدًا﴾ وإن جاز الابتداء بقوله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ ولكن يُوصَلُ بقولهم ردًّا له أو تعجيلًا للتنزيه(٣).

▪الراجح من الأقوال:

والذي يترجَّح لي من هذه الأقوال أن الوقف في هذا المَوْضِع لَازِمٌ؛ لأنه يتفق مع تفسير الآية تمامِ التوافق، فالتنزيه لله تعالى عن الولد يقتضي الوقف على قوله: ﴿وَلَدًا﴾ لفصلِ كلامهم وقولهم عن تنزيه المولى سبحانه نفسه عن ذلك؛ ولأن الوصل قد يُوهِمُ المُستمِع أن التنزيه للولد. والله أعلم (٤).

* * *

(١) **ينظر**: تفسير الزَّمَخْشري: ٣١٢/١.

(٢) **ينظر**: منار الهدى: ٨٥/١. والصالح عنده يُعبَّر عنه بالجائز. القطع والائتناف: ص ٧٦.

(٣) **ينظر**: علل الوقف: ٢٣١/١ . وقد أغرب السَّجاوندي في قوله هذا.

(٤) وما قيل في هذه الآية من لزوم الوقف يُقال في نظائرها من قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [يونس: ٦٨]، قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [مريم: ٣٥]، قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٦]؛ ذلك أنه لو وَصَلَ القارئ قوله: ﴿وَلَدًا﴾ بـ ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ لتوهَّم المُستمع أن التنزيه للولد وليس لله تعالى، وقد نصَّتْ على لزوم الوقف هذه المواضع أيضًا مصاحف مصر، أما في مصاحف الحجاز والشَّام فهو وقفٌ أَوْلَى.

- **الموضع الثالث:**

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥].

فالوقف على قوله: ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ ممنوع؛ لأن الوقف يَفْصِلُ بين القسم وجوابه، وأقبحُ منه الابتداء بما بَعْدَه؛ لأنه يجعل وصْفَ النبي ﷺ بالظلم مُطلقًا وهو مشروط باتباع أهوائهم، وقد اتفقت مصاحف مصر والحجاز والشَّام على وضع علَامة الوقف الممنوع (لا) على قوله: ﴿مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ .

- **أقوال علماء التفسير:**

قال النيْسابوري: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ كلام على سبيل الفرضِ والتقدير لقرينة وما أنت بتابع قبلتهم – المتقدمة - والوقف على قوله: ﴿مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ ممنوع؛ لأن ﴿إِنَّكَ﴾ جواب معنى القسم في ﴿وَلَئِنِ﴾ ، فلو فُصِل كان ﴿إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ مُطلقًا(١).

قال القرطبي: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الْخِطَابُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَالْمُرَادُ أُمَّتُهُ مِمَّنْ يَجُوزُ أَنْ يَتَّبِعَ هَوَاهُ، فَيَصِيرَ بِاتِّبَاعِهِ ظَالِمًا، وَلَيْسَ يَجُوزُ أَنْ يَفْعَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَا يَكُونُ بِهِ ظَالِمًا، فَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى إِرَادَةِ أُمَّتِهِ لِعِصْمَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَطَعْنَا أَنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ مِنْهُ، وَخُوطِبَ النَّبِيُّ ﷺ تَعْظِيمًا لِلْأَمْرِ، وَلِأَنَّهُ الْمُنَزَّلُ عَلَيْهِ(٢).

قال ابن عطية: وقَوْلُهُ تَعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ﴾ الآيَةُ، خِطابٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، والمُرادُ أُمَّتُهُ، وما ورَدَ مِن هَذا النَوْعِ الَّذِي يُوهِمُ مِنَ النَبِيِّ ﷺ ظُلْمًا مُتَوَقَّعًا فَهو مَحْمُولٌ عَلى إرادَةِ أُمَّتِهِ، لِعِصْمَةِ النَبِيِّ ﷺ، وقَطَعْنا أنَّ ذَلِكَ لا يَكُونُ مِنهُ فَإنَّما المُرادُ مَن يُمْكِنُ أنْ يَقَعَ ذَلِكَ

(١) **ينظر**: تفسير النيْسابوري: ١/٤١٨، ٤٣٢.

(٢) **ينظر**: تفسير القرطبي: ٢/٤٤٦.

مِنهُ، وخُوطِبَ النَبِيُّ ﷺ تَعْظِيمًا لِلْأَمْر [(١)].

▪أقوال علماء الوقف:

قال السَّجاوندي: الوقف على قوله: ﴿مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ ممنوعٌ؛ لأن ﴿إِنَّكَ﴾ جواب القسم في ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ﴾، فلو فَصَلَ كان وصْفُ الظلم إخبارًا مستأنفًا مُطلقًا، وخطؤه وخطره ظاهر [(٢)].

وقال الأشموني: قوله: ﴿مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ ليس بوقفٍ؛ لأن ﴿إِنَّكَ﴾ جواب القسم، ولا يُفْصَلُ بين القسم وجوابه بالوقف[(٣)].

وأما ابن الأنباري والدَّاني وابن النَّحاس: فلم يذكروا وقفًا من أي نوع على ﴿مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ وهذا يدل على المنع[(٤)].

▪الرأي الراجح:

والذي أختاره ويُرجِّحه هو ما اتفق عليه علماء الوقف جميعًا، وهو منعُ الوقف على قوله ﴿مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ دون جوابها؛ لأن المعنى لا يتم إلا بذِكر الجواب ﴿إِنَّكَ﴾ وإذا انقطع النَّفَسُ قبْلَ ذلك عاد القارئ من قوله: ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ ووَصَلَها بجواب الشَّرط إلى آخر الآية، والله أعلم[(٥)].

---

(١) **ينظر**: تفسير ابن عطية: ٣٧٧/١.

(٢) **ينظر**: علل الوقف: ١٤٨/١، ٢٥١.

(٣) **ينظر**: منار الهدى: ٩١/١.

(٤) **ينظر**: إيضاح الوقف والابتداء: ص٢٦٥، المكتفى: ص٤٤، القطع والائتناف: ص٨٣.

(٥) ونظائر ذلك كثير جدًّا في القرآن الكريم ومن ذلك قوله: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠]، فالوقف على قوله: ﴿بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ قبيح؛ لأنه لم يُؤدِّ فائدة يَحْسُنُ الوقف عليها، وأقبح منه الابتداء بما بعده من قوله: ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾؛ لأن نفْيَ الولاية والنصرة عن رسول الله ﷺ متعلق بشرط اتباع أهوائهم. وقوله: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَـٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[المؤمنون: ٨٣]. فالوقف على قوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾ قبيحٌ؛ لأن قوله: ﴿إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ من جملة مقول الكُفَّار، ولا يجوز فصْلُ بعض المقول عن بعض، كما لا يخفى ما في الابتداء بقوله: ﴿إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ من فساد في المعنى؛ لذا وَجَبَ التحرُّز عن الوقف على ما يَقْبَحُ الابتداء بما بعده أو يُؤثم، وخاصة وأن القارئ قد يسْتسِيغ الوقف هنا لطول التركيب.

▪ الموضع الرابع:

قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

ففي لفظ ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْ﴾ تعانُق وتجاذُب في المعنى؛ لأن الواو إما أن تكون عاطفة، فلا يُوقف على ما قبْلها؛ بل تُوصَلُ بها، وإما أن تكون للاستئناف، ويكون الوقف على ﴿ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ فالقارئ مُخيَّرٌ بين الوقْفين، ولا يَسُوغُ له الوقف عليهما معًا، ولا وصْلِهما؛ لئلا يختل المعنى، وتَذْهب دَلالته، وقد اتفقتْ مصاحف مصر والحجاز والشَّام على وضْع علَامة تَعانُق الوقف (∴ ∴) على الموضِعين السَّابِقين.

▪أقوال علماء التفسير:

قال ابن كثير: وَمَضْمُونُ الْآيَةِ: الأمرُ بِالْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي سَائِرِ وُجُوهِ القُرُبات وَوُجُوهِ الطَّاعَاتِ، وَخَاصَّةً صرْفَ الْأَمْوَالِ فِي قِتَالِ الْأَعْدَاءِ وبذْلها فِيمَا يَقْوَى بِهِ الْمُسْلِمُونَ عَلَى عَدُوِّهِمْ، وَالْإِخْبَارُ عَنْ تَرْكِ فِعْلِ ذَلِكَ بِأَنَّهُ هَلَاكٌ وَدَمَارٌ إِنْ لَزِمَهُ وَاعْتَادَهُ، ثُمَّ عَطَفَ بِالْأَمْرِ بِالْإِحْسَانِ، وَهُوَ أَعْلَى مَقَامَاتِ الطَّاعَةِ، فَقَالَ: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[1].

قال ابن عاشور: قَوْلُهُ: ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ عَطْفُ غَرَضٍ عَلى غَرَضٍ، عُقِّبَ الأمْرُ بِالإنْفاقِ في سَبِيلِ اللَّهِ بِالنَّهْيِ عَنِ الأعْمالِ الَّتِي لَها عَواقِبُ ضارَّةٌ إبْلاغًا لِلنَّصِيحَةِ والإرْشادِ؛ لِئَلّا يَدْفَعَ بِهِمْ يَقِينُهم بِتَأْيِيدِ اللَّهِ إيّاهم إلى التَّفْرِيطِ في وسائِلِ الحَذَرِ مِن غَلَبَةِ العَدُوِّ، فالنَّهْيُ عَنِ الإلْقاءِ بِالنُّفُوسِ إلى التَّهْلُكَةِ يَجْمَعُ مَعْنى الأمْرِ بِالإنْفاقِ وغَيْرِهِ مِن تَصارِيفِ الحَرْبِ وحِفْظِ النُّفُوسِ؛ ولِذَلِكَ فالجُمْلَةُ فِيها مَعْنى التَّذْيِيلِ، وإنَّما عُطِفَتْ ولَمْ تُفْصَلْ بِاعْتِبارِ أنَّها غَرَضٌ آخَرُ مِن أغْراضِ الإرْشادِ[2].

قال السَّعدي: ومن الإلقاء باليد إلى التهلكة الإقامة على معاصي الله، واليأس من التوبة، ومنها ترْك ما أمر الله به من الفرائض، التي في ترْكها هلاك للروح والدين، ولمَّا كانت النفقة في سبيل الله نوعًا من أنواع الإحسان، أمر بالإحسان عمومًا، فقال:

(١) **ينظر**: تفسير ابن كثير: ٢/٢٢١.

(٢) **ينظر**: تفسير ابن عاشور: ٢/٢١٢.

﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ وهذا يشمل جميع أنواع الإحسان؛ لأنه لم يُقيده بشيء دون شيء[١].

▪أقوال علماء الوقف:

قال السَّجاوندي: يجوزُ الوقف وقفًا جائزًا على كلٍ من قوله: ﴿ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ لاختلاف المعنى أي: لا تقتحموا في الحرب فوق ما يُطاق، وقوله: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْ﴾ لاحتمال تقدير الفاء واللام أي: فإن الله ﴿يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ ، أو لأن الله ﴿يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ وعلى هذا يكون الوصل، أما القطع فللابتداء بـ (إن) [٢].

وقال الأشموني: يجوز الوقف على كل من قوله: ﴿ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾وقال: الوقف حَسَنٌ، وقوله ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْ﴾ وقال: الوقف جائز؛ لأن (إن) جواب الأمر فهو منقطع لفظًا متصل معنى[٣].

أما شيخ الإسلام زكريا الأنصاري: فقد اعتبر الوقف على قوله: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْ﴾ وقفًا صالحًا، وتبعه **ابن النَّحاس** قال: الوقف على قوله: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْ﴾ كافٍ، ولم يشيرا إلى الموضع الأول من قوله: ﴿ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ بشيء[٤].

وأما ابن الأنباري والدَّاني: فلم يذكرا وقفًا من أيِّ نوعٍ على كلا الموضعين[٥].

▪الرأي الراجح:

والذي يظهر لي بعد النظر في أقوال العلماء هو جواز الوقف على كلا الموضعين؛ وأن الوقف على جملة ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ يترجَّح على الوقف على ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْ﴾ لأن متعلَّق ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْ﴾ عام، ولا يلزم تخصيصه بالنفقة؛ بل يشمل جميع أنواع الإحسان، والله أعلى وأعلم.

---

(١) **ينظر**: تفسير السَّعدي: ص ٨٨.

(٢) **ينظر**: علل الوقف: ٢٨٣/١ بشيء من التصرف.

(٣) **ينظر**: منار الهدى: ١٠٠/١ بشيء من التصرف.

(٤) **ينظر**: المقصد: ص ٤١، القطع والائتناف: ص ٩٣ بتصرف.

(٥) **ينظر**: إيضاح الوقف والابتداء: ص ٢٦٩، المكتفى: ص٤٧.

الموضع الخامس:

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١].

فالوقف على قوله: ﴿أَوۡلِيَآءَ﴾ لازم، وفيه نهْيٌ من الله عن مُوالاة اليهود والنَّصارى بمعاشرتهم معاشرة المسلمين ومؤاخاتهم والتودد إليهم، وما بعده جملة مستأنفة مسُوقة لتعليل النَّهي، ولو وَصَلَ القارئ لصار النَّهي عن اتخاذهم أولياء يوالي بعضهم بعضًا، وليس الأمر كذلك؛ بل النَّهي عن اتخاذهم أولياء مطلقًا، وقد اتفقتْ مصاحف مصر والحجاز والشَّام على وضع علَامة الوقف اللازم (مـ) على قوله: ﴿أَوۡلِيَآءَ﴾.

- **أقوال علماء التفسير:**

قال النيْسابوري: الوقف على قوله: ﴿أَوۡلِيَآءَ﴾ لازم؛ ليلزم النَّهي عن اتخاذ الأولياء مطلقًا، ثم علَّل النَّهي بقوله: ﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾؛ لأن الجنسية علة الضم[(١)].

وقال الرَّازي: اعْلَمْ أَنَّهُ تَمَّ الكَلامُ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿أَوۡلِيَآءَ﴾ ثُمَّ ابْتَدَأ، فَقالَ: ﴿ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾، ومَعْنى لا تَتَّخِذُوهم أوْلِياءَ: أيْ لا تَعْتَمِدُوا عَلى الِاسْتِنْصارِ بِهِمْ، ولا تَتَوَدَّدُوا إلَيْهِمْ[(٢)].

وقال القرطبي: وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى قَطْعِ الْمُوَالَاةِ شَرْعًا، وَما بعده يَدُلُّ عَلَى إِثْبَاتِ الشَّرْعِ لِلْمُوَالَاةِ فِيمَا بَيْنَهُمْ؛ حَتَّى يتوارث اليهود والنصارى بعضهم من بعض[(٣)].

وقال أبو حيَّان: نَهَى تَعالى المُؤْمِنِينَ عَنْ مُوالاةِ اليَهُودِ والنَّصارى يَنْصُرُونَهم ويَسْتَنْصِرُونَ بِهِمْ، ويُعاشِرُونَهم مُعاشَرَةَ المُؤْمِنِينَ؛ وقوله: ﴿ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾ جُمْلَةٌ

(١) **ينظر**: تفسير النيْسابوري: ٢/٥٩٩ وما بعدها.

(٢) **ينظر**: تفسير الرَّازي: ١٢/١٧.

(٣) **ينظر**: تفسير القرطبي: ٨/٤٧.

مَعْطُوفَةٌ مِنَ النَّهي، مُشْعِرَةٌ بِعِلَّةِ الوِلايَةِ وهو: اجْتِماعُهم في الكُفْرِ والمُمالأَةِ عَلى المُؤْمِنِينَ(١).

وقال الألوسي: قَوْلِهِ تَعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ أيْ: لا يَتَّخِذْ أحَدٌ مِنكم ولِيًّا، بِمَعْنى: لا تُصافُوهم مُصافاةَ الأحْبابِ ولا تَسْتَنْصِرُوهم، وقوله: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ أيْ بَعْضُ اليَهُودِ أوْلِياءُ لِبَعْضٍ مِنهُمْ، وبَعْضُ النَّصارى أوْلِياءُ لِبَعْضٍ مِنهُمْ، والجُمْلَةُ مُسْتَأْنَفَةٌ تَعْلِيلًا لِلنَّهْيِ قَبْلَها، وتَأْكِيدًا لِإيجابِ اجْتِنابِ المَنهِيِّ عَنْهُ(٢).

▪أقوال علماء الوقف:

قال السَّجاوندي: الوقف على قوله: ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ لازم؛ لأنه لو وُصِل صارت الجملة صِفة لأولياء، فيكون النَّهي عن اتخاذ أولياء صفتهم أن بعضهم أولياء بعض، وهو محال، وإنما النَّهي عن اتخاذهم أولياء على الإطلاق(٣).

وقال الأشموني: قوله: ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ ينبغي أن يوقف هنا؛ لأنه لو وُصل صارت الجملة صفة لأولياء، فيكون النَّهي عن اتخاذ أولياء صِفتهم أن بعضهم أولياء بعض، فإذا انتفى هذا الوصف جاز اتخاذهم أولياء؛ وهو محال، وإنما النَّهي عن اتخاذهم أولياء مطلقًا، وتبعه في هذا القول **شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وابن النَّحاس**(٤).

وقال الدَّاني: الوقف على قوله: ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ كافٍ(٥).

قلتُ: وأرى أن تعليل ذلك سببه أن جملة ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ متعلقة بما قَبْلها في المعني لوجود الضمير في ﴿بَعْضُهُمْ﴾ .

(١) **ينظر**: تفسير أبي حيَّان: ٥١٩/٣.
(٢) **ينظر**: تفسير الألوسي: ١٥٦/٦ وما بعدها.
(٣) **ينظر**: علل الوقف ٤٥٧/٢.
(٤) **ينظر**: منار الهدى: ٢١٩/١، المقصد: ص ٦٦، القطع والائتناف: ص٢٠٦.
(٥) **ينظر**: المكتفى: ص٨٨.

وقال **ابن الأنباري**: الوقف على قوله: ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ حَسَنٌ[1].

قلتُ: وأرى أن هذا الحكم غير صحيح؛ لأن جملة ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ لا تتعلق بما قَبْلها من حيث الإعراب.

▪الراجح من الأقوال:

والذي يترجَّح لي - بعد مناقشة الأقوال المُتقدِّمة - هو القول بلزوم الوقف على قوله: ﴿أَوْلِيَآءَ﴾؛ لموافقتهُ للدَّلالة في النَّهي عن اتخاذهم أولياء مُطلقًا، بينما الوصل يغيِّر الدَّلالة المقصودة، ويُخْرِج الكلام عن حدِّه ومعْناه، والله أعلم.

* * *

(١) **ينظر**: إيضاح الوقف والابتداء: ص ٣٠٨.

الموضع السادس:

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٢٠].

فالوقف على قوله: ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ﴾ لازمٌ، والمعنى أن اليهود والنصارى يعرفون النبوة والرسالة كما يعرفون أبناءهم.

والدَّلالة تستلزم الوقف على ﴿أَبْنَآءَهُمُ﴾؛ لأن ما بعدها يُثْبِت قضيةً أخرى؛ وهي أن الخاسرين لا يؤمنون، وقد اتفقتْ مصاحف مصر والحجاز والشَّام على وضْع علَامة الوقف اللازم (مـ) على قوله: ﴿أَبْنَآءَهُمُ﴾.

▪أقوال علماء التفسير:

قال النيْسابوري: قوله: ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ﴾ وقفٌ لازمٌ، وعلَّل ذلك بأن الوصل يُوهِمُ عطْف ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟﴾ على أبناءِهم(١).

وقال الطَّبري: يقول تعالى ذِكْره: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: التوراة والإنجيل، يعرفون أنما هو إله واحد، وأن محمدًا نبيٌّ مبعوث ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ﴾ وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ من نعت ﴿ٱلَّذِينَ﴾ الأولى(٢).

وقال الزَّمخْشري: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ يعني اليهود والنصارى يعرفون رسول الله ﷺ بحليتِه ونعتِه الثابت في الكتابين معرفة خالصة كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمُ بحُلَاهم ونعوتهم لا يخفون عليهم، ولا يلتبسون بغيرهم، ثم قال: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾؛ أي: من

(١) **ينظر**: تفسير النيْسابوري: ٣/٥٥.

(٢) **ينظر**: تفسير الطَّبري: ٩/١٨٦.

المشركين ومن أهل الكتاب الجاحدين فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ [1].

وقال الرَّازي: قَوْلُهُ: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

الأَوَّلُ: أنَّ قَوْلَهُ: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ صِفَةٌ لِلَّذِينِ الأُولى، فَيَكُونُ عامِلُهُما واحِدًا، ويَكُونُ المَقْصُودُ وعِيدَ المُعانِدِينَ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ ويَجْحَدُونَ.

والثّانِي: أنَّ قَوْلَهُ: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ ابْتِداءٌ، وقَوْلَهُ: ﴿فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ خَبَرُهُ [2].

▪ أقوال علماء الوقف:

قال السَّجاوندي: الوقف على ﴿أَبۡنَآءَهُمُۘ﴾ لازمٌ؛ لأنه لو وُصِل لصار ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ﴾ نعتًا لأبناء عبد الله بن سلام وأصحابه المؤمنين[3].

وقال الأشموني: الوقف على ﴿أَبۡنَآءَهُمُۘ﴾ كافٍ، وقيل: تام إنْ جُعِل ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في محلِّ رفعٍ على الابتداء، والخبر ﴿فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[4].

وقال ابن النَّحاس: الوقف على ﴿أَبۡنَآءَهُمُۘ﴾ كافٍ للارتباط في المعنى؛ لأن الخبر مازال متصلًا عن أهل الكتاب، وتبعه في ذلك **الإمام الدَّاني**[5].

▪الراجح من أقوال:

والذي يترجَّح لي من هذه الأقوال أن الوقف في هذا الموضع لازم؛ لأنه يتفق مع تفسير الآية تمام التوافق، وأن جملة ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ﴾ مستأنفة، ولو وصلت بـ ﴿أَبۡنَآءَهُمُۘ﴾ لأَوْهَمَ

---

(١) **ينظر**: تفسير الزَّمَخْشري: ٣٣١/٢.

(٢) **ينظر**: تفسير الرَّازي: ١٨٩/١٢.

(٣) **ينظر**: علل الوقف: ٤٧٥/١.

(٤) **ينظر**: منار الهدى: ٢٣٤/١.

(٥) **ينظر**: القطع والائتناف: ص٢٢١، المكتفى: ص٩٢.

أنها نعت للأبناء، وليس الأمر كذلك، والله أعلم [1].

(١) ومن الآيات التي يتعيَّن الابتداء بها ولا يجوز وصْلها بما قبْلها؛ لأن الوصل يوقع في المحظور، ويخالف الدَّلالة ما يلي:
قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾[البقرة: ١٢١]، **وقوله تعالى**: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]، **وقوله تعالى**: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾[البقرة: ٢٧٥]، **وقوله تعالى**: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ﴾[الانعام: ٢٠]، **وقوله تعالى**: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾[التوبة: ٢٠]، **وقوله تعالى**: ﴿ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٣٤]، **وقوله تعالى**: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافر: ٧].، وإنما وَجَبَ الوقف على ما قبل هذه الموصولات ووَجَبَ الابتداء بها؛ لأن وصْلها بما قبلها يُوهِم كوْنها نعتًا له، وهذا يُنافي المعنى المراد، كما يظهر بالتأمل في الآيات المتقدمة؛ لذا لَزِمَ الوقف وتعين الاستئناف دفعًا لفساد المعنى الناتج عن الوصل، ومن ذلك لفظ ﴿ ٱلَّذِى ﴾ من **قوله تعالى**: ﴿ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس: ٥] فيحسن فيه أن يقف القارئ على الموصوف قبله ﴿ ٱلْخَنَّاسِ ﴾ ويبتدئ بـ ﴿ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ ﴾إنْ جعله على القطع بالرفع والنصب، بخلاف ما إذا جعله صفة، وذَكَرَ بعض أهل العلم، موضعين آخرين: **الأول**: الوقف على﴿ ٱلْبَيْتِ ﴾ من **قوله تعالى**: ﴿ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴾ [قريش: ٣]، ثم يبتدئ ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ ﴾ حتى لا يتوهم أن كون الموصول من صفة ﴿ ٱلْبَيْتِ ﴾ لأنك لو وصلت فقلت: ﴿ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم ﴾ لظن السامع أن ﴿ ٱلَّذِىٓ ﴾ صفة للبيت، وهذا بعيد من المعنى ولا يستقيم به المعنى. **الثاني**: الوقف على ﴿ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ من **قوله تعالى**: ﴿ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الزمر: ٣٢] والابتداء بقوله: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ٣٣]؛ لأن الوصل يُوهِمُ العطف أي: التشريك في الحكم بإدخال الذي جاء بالصدق مع الكافرين؛ وهذا خطأ واضح. **ينظر**: البرهان في علوم القرآن: ٥١٢/١، منار الهدى: ٣٩/١، معالم الاهتداء: ص٩٥، هداية القاري: ٤٠١/١ وما بعدها، تفسير الزَّمخْشري: ٤٦٩/٦، تفسير جزء عمَّ لابن عثيمين: ص٣٢٧، تفسير أبي حيَّان: ٤١١/٧، تفسير الرَّازي: ٢٧٨/٢٦.

▪ الموضع السابع:

قـــوله تعـــالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الأعراف: ١١].

فالوقف على قوله: ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ جائز لإفادته معنى يَحْسُنُ السُّكوت عليه، وهو امتثال الملائكة لأمرِ الله بالسجود لآدم - سجود تحية - إلا إبليس استكبر وأبَى أن يسجُدَ له افتخارًا عليه واحتقارًا له، ولم توضع أي علَامة للوقف على هذا الموضع في عموم مصاحف مصر والحجاز والشَّام.

▪أقوال علماء التفسير:

قال السَّمين الحلبي: قوله تعالى: ﴿فَسَجَدُوٓا۟﴾ الفاءُ للتعقيبِ، والتقديرُ: فسَجدوا له، فَحُذِفَ الجارُّ للعِلْمِ به، وقوله: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾: (إلا) حرفُ استثناءٍ، و(إبليس) نصبٌ على الاستثناء. وقوله: ﴿لَمْ يَكُن﴾ هذه الجملةُ استئنافيةٌ؛ لأنها جواب سؤال مقدر، وهذا كما تقدَّم في قوله في البقرة: (أبى)، وتقدَّم أن الوقف على إبليس. وقيل: فائدة هذه الجملة التوكيدُ لِما أخرجه الاستثناء من نفي سجود إبليس. **وقال أبو البقاء**: «إنها في محلِّ نصبٍ على الحال؛ أي: إلا إبليس حال كونه ممتنعًا من السجود». وهذا كما تقدَّم له في البقرة من أن (أبى) في موضع نصب على الحال[1].

وقال أبو السُّعود: قوله تعالى: ﴿فَسَجَدُوٓا۟﴾؛ أيِ: المَلائِكَةُ عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ بَعْدَ الأمْرِ مِن غَيْرِ تَلَعْثُمٍ، وقوله: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ اسْتِثْناءٌ مُتَّصِلٌ؛ لِما أنَّهُ كانَ جِنِّيًّا مُفْرَدًا، مَغْمُورًا بِأُلُوفٍ مِنَ المَلائِكَةِ، مُتَّصِفًا بِصِفاتِهِمْ، فَغَلَبُوا عَلَيْهِ فِيهِ، فَسَجَدُوا، ثُمَّ اسْتُثْنِيَ اسْتِثْناءً واحِدًا مِنهم، أوْ لِأنَّ مِنَ المَلائِكَةِ جِنسًا يَتَوالَدُونَ يُقالُ لَهُمُ: الجِنُّ، كَما مَرَّ في سُورَةِ البَقَرَةِ، وَقَوْلُهُ تَعالى: ﴿لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾؛ أيْ: مِمَّنْ سَجَدَ لِآدَمَ، كَلامٌ مُسْتَأْنَفٌ مُبَيِّنٌ لِكَيْفِيَّةِ عَدَمِ السُّجُودِ المَفْهُومِ مِنَ الِاسْتِثْناءِ، فَإنَّ عَدَمَ السُّجُودِ قَدْ يَكُونُ لِلتَّأمُّلِ، ثُمَّ يَقَعُ السُّجُودُ، وبِهِ

(١) **ينظر**: تفسير الدُّر المصون: ٢٧١/١ وما بعدها، ٢٦٠/٥.

عُلِمَ أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ قَطُّ. وقِيلَ: مُنْقَطِعٌ؛ فَحِينَئِذٍ يَكُونُ مُتَّصِلًا بِما بَعْدَهُ؛ أيْ: لَكِنَّ إبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السّاجِدِينَ (١).

وقال ابن كثير: يُنَبِّهُ تَعَالَى بَنِي آدَمَ فِي هَذَا الْمَقَامِ عَلَى شَرَفِ أَبِيهِمْ آدَمَ، وَيُبَيِّنُ لَهُمْ عَدَاوَةَ عَدُوِّهِمْ إِبْلِيسَ، وَمَا هُوَ مُنْطَوٍ عَلَيْهِ مِنَ الْحَسَدِ لَهُمْ وَلِأَبِيهِمْ آدَمَ؛ لِيَحْذَرُوهُ، وَلَا يَتَّبِعُوا طَرَائِقَهُ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟﴾؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بِيَدِهِ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ، وَصَوَّرَهُ بَشَرًا سَوِيًّا، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ بِالسُّجُودِ لَهُ تَعْظِيمًا لِشَأْنِ الرَّبِّ تَعَالَى وَجَلَالِهِ، فَسَمِعُوا كُلُّهُمْ وَأَطَاعُوا، إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ(٢).

▪أقوال علماء الوقف:

قال السَّجاوندي: الوقف على قوله: ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ وقفٌ مطلقٌ؛ وذلك لأن جملة: ﴿لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ استئنافية(٣).

قال الأشموني: الوقف على قوله: ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ وقفٌ جائزٌ(٤).

أما الدَّاني والأنصاري وابن الأنباري وابن النَّحاس: فلم يذكروا على هذا الموضع ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ أي نوعٍ من أنواع الوقوف(٥).

▪الرأي الراجح:

الذي أختاره ويرجِّحه هو جواز الوقف على قوله: ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ أو قوله: ﴿فَسَجَدُوٓا۟﴾ وأنه من قبيل الوقف الحسن لأنه كلام تام أدى معنى صحيح يحسن الوقف

(١) **ينظر**: تفسير أبي السُّعود: ٣٢٥/٢.

(٢) **ينظر**: تفسير ابن كثير: ٢٦٤/٦.

(٣) **ينظر**: علل الوقف: ٤٩٦/٢، ٤٩٧ بتصرف.

(٤) **ينظر**: منار الهدى: ٢٦١/١.

(٥) **ينظر**: المكتفى: ص١٠٣، المقصد: ص ٧٥، إيضاح الوقف والابتداء: ص٣٢٤، القطع والائتناف: ص٢٤٨.

عليه، لكن لا يَحْسُنُ الابتداء بما بَعْدَه لشدة تعلُّقِه به؛ بل يعود القارئ لأقرب موضع يَصْلُحُ الابتداء به وهو قوله: ﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾، ويَصِلُهَا بما بعدها حتى نهاية الآية، والله أعلى وأعلم [1].

* * *

(١) وما قيل في هذا الموضع من جواز الوقف وعدم جواز الابتداء يقال في جميع نظائره ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾ [طه: ١١٦].

- **الموضع الثامن:**

قــــوله تعـــالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأعراف: ١٨٤].

فالوقف على قوله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ﴾ جائز، وفيه تقرير يُقَارِنُه توبيخٌ للكفار، والمعنى: أو لم يَتأمَّلوا ويَتدبَّروا في انتفاء هذا الوصف عن رسول الله ﷺ، فإنه منتفٍ عنه لا محالة، ولا يمكن لمَنْ أمْعَن الفكر أن ينسبَ ذلك إليه، ويكون الابتداء بعده بقوله: ﴿مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾، فإن ذلك يُبيِّن أنه ردٌّ لقولِ الكُفَّار واتِّهامهم رسول الله ﷺ بالجنون، وقد وُضِع على قوله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ﴾ علَامة الوقف التام (قلے) في عموم مصاحف مصر والحجاز الشَّام.

- **أقوال علماء التفسير:**

قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ﴾ أَيْ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ. وَالْوَقْفُ عَلَى "﴿يَتَفَكَّرُواْ﴾ حَسَنٌ. ثُمَّ قَالَ: ﴿مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾ رَدٌّ لِقَوْلِهِمْ: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾. وَقِيلَ: نَزَلَتْ بِسَبَبِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ لَيْلَةً عَلَى الصَّفَا يَدْعُو قُرَيْشًا، فَخْذًا فَخْذًا، فَيَقُولُ: (يَا بَنِي فُلَانٍ). يُحَذِّرُهُمْ بَأْسَ اللَّهِ وَعِقَابَهُ. فَقَالَ قَائِلُهُمْ: إِنَّ صَاحِبَهُمْ هَذَا لَمَجْنُونٌ، بَاتَ يُصَوِّتُ حتى الصباح[(١)].

وقال السَّمين الحلبي: الكلامَ تمَّ عَنْدَ قوله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ﴾ ثُم ابتدأَ كلامًا آخر: إمَّا استفهامَ إنكار وإمَّا نفيًا. **وقال الحوفي**: إنَّ ﴿مَا بِصَاحِبِهِم﴾ مُعلَّقةٌ لفِعْلٍ محذوف دَلَّ عليه الكلامُ، والتقدير: أو لم يتفكروا فيعلموا ما بصاحبهم[(٢)].

وقال السَّمرقندي: قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ﴾؛ يعني: أهل مكة فيما يأمرهم محمد ﷺ أن يعبدوا خَالِقَهم، ورَازِقَهم، وكَاشِفَ الضرِّ عنهم، ولا يعبدوا مَنْ لا يقدِرُ على شيء

(١) **ينظر**: تفسير القرطبي: ٣٩٨/٩.

(٢) **ينظر**: تفسير الدر المصون: ٥٢٥/٥.

منه أمِثْل هذا يكون مجنونًا. ويقال: معناه أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا في دلائل النبي ﷺ ومعجزاته؛ ليستدلوا بأنه نبيٌ، وقد تمَّ الكلام، ثم استأنف، فقال: مَا بِصاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ، ويقال: هذا على وجه البناء. ومعناه: أو لم يتفكروا؛ ليعلموا مَا بِصاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ؛ يعني: جنونًا[١].

▪أقوال علماء الوقف:

قال الأشموني: الوقف على قوله: ﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ﴾ أتم للابتداء بعده بالنفي، والمعنى: أو لم يتأمَّلوا ويتدبَّروا في انتفاء هذا الوصف عن رسول الله ﷺ فإنه منتفٍ عنه، لا محالة، ولا يمكن لمَنْ أمعنَ الفكر أن يُنْسبَ ذلك إليه[٢].

وقال الدَّاني وابن النَّحاس والأنصاري وابن الانباري: الوقف على قوله: ﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ﴾ تام، ثم يبتدئ ﴿مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾[٣].

▪الرأي الراجح:

الذي أختاره وأرجِّحه أن الوقف على قوله: ﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ﴾ هو وقفُ التَّمام تبعًا لما ذَكَرَه جمهور القُّراء والمُفسِّرين[٤].

* * *

(١) **ينظر**: تفسير السَّمرقندي: ١/٥٨٦.

(٢) **ينظر**: منار الهدى: ١/٢٨٣.

(٣) **ينظر**: المكتفى: ص ١١٢، القطع والائتناف: ص ٢٦٧، المقصد: ص ٨٠.

(٤) يوقف أيضًا وقفًا تامًّا أو كافيًا على نظائر هذا الموضع، فيُوقِف على قوله: ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾، ثم يُبتدئ بقوله: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾؛ وذلك من قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ [سبأ: ٤٦]، ويُوقف على قوله: ﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِم﴾، ثم يبتدئ بقوله: ﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ﴾، وذلك قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الروم: ٨].

- **الموضع التاسع:**

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[الأنفال: ٣١].

فالوقف على قوله: ﴿لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ قبيحٌ ممنوعٌ، وأقبحُ منه الابتداء بما بعده؛ لأنه من مقول الكُفَّار في شأن القرآن الكريم، وقد اتفقتْ مصاحفُ مصر والحجاز والشَّام على وضْعِ علَامة الوقف الممنوع (لا) على قوله: ﴿لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ .

- **أقوال علماء التفسير:**

قال ابن كثير: يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ كُفْرِ قُرَيْشٍ وعُتُوِّهم وتمرُّدهم وَعِنَادِهِمْ، وَدَعْوَاهُمُ الْبَاطِلَ عِنْدَ سَمَاعِ آيَاتِهِ حِينَ تُتْلَى عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: ﴿قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ وَهَذَا مِنْهُمْ قَوْلٌ لَا فِعْلٌ، وَإِلَّا فَقَدَ تُحُدُّوا غَيْرَ مَا مَرَّةٍ أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ، فَلَا يَجِدُونَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا. وَإِنَّمَا هَذَا قَوْلٌ مِنْهُمْ يَغُرّون بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَمَنِ اتَّبَعَهُمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ[(١)].

وقال ابن عطية: الضَمِيرُ في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ عائِدٌ عَلى الكُفّار، والآياتُ هُنا: آياتُ القُرْآنِ خاصَّةً بِقَرِينَةِ قَوْلِهِ: ﴿تُتْلَىٰ﴾، و﴿قَدْ سَمِعْنَا﴾ يُرِيدُ: وقَدْ سَمِعْنا هَذا المَتْلُوَّ لَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مِثْلَهُ، وقَدْ سَمِعْنا نَظِيرَهُ، عَلى ما رُوِيَ أنَّ النَضْرَ سَمِعَ أحادِيثَ أهْلِ الحِيْرَةِ مِنَ العِبادِ، فَلَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مِثْلَهُ مِنَ القِصَصِ والأنْبِياءِ، فَإنَّ هَذِهِ إنَّما هي أساطِيرُ مَن قَدْ تَقَدَّمَ، أيْ قِصَصُهُمُ المَكْتُوبَةُ المَسْطُورَةُ، وكانَ النَضْرُ مِن مَرَدَةِ قُرَيْشٍ النائِلِينَ مِن رَسُولِ اللهِ ﷺ، ونَزَلَتْ فِيهِ آياتٌ مِن كِتابِ اللهِ، وقَتَلَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَبْرًا يوم بدر[(٢)].

وقال الألوسي: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾ الَّتِي لَوْ أنْزَلْناها عَلى جَبَلٍ لَرَأيْتَهُ خاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِن خَشْيَةِ اللَّهِ ﴿قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ قائِلُهُ النَّضْرُ بْنُ الحارِثِ مِن بَنِي عَبْدِ الدّارِ عَلى ما عَلَيْهِ جُمْهُورُ المُفَسِّرِينَ، وكانَ يَخْتَلِفُ إلى أرْضِ فارِسَ والحِيرَةِ فَيَسْمَعُ أخْبارَهم عَنْ رُسْتُمَ، وإسْفِنْدِيارَ وكِبارِ العَجَمِ، وكانَ يَمُرُّ بِاليَهُودِ والنَّصارى فَيَسْمَعُ مِنهُمُ التَّوْراةَ والإنْجِيلَ، وإسْنادُ القَوْلِ إلى ضَمِيرِ الجَمْعِ مِن إسْنادِ فِعْلِ البَعْضِ إلى

(١) **ينظر:** تفسير ابن كثير: ٦٣/٧.

(٢) **ينظر:** تفسير ابن عطية: ١٧٤/٤.

الكُلِّ؛ لِما أنَّ اللَّعِينَ كانَ رَئِيسَهم وقاضِيَهُمُ الَّذِي يَقُولُونَ بِقَوْلِهِ ويَعْمَلُونَ بِرَأْيِهِ(١).

▪أقوال علماء الوقف:

قال السَّجاوندي: الوقف على قوله: ﴿لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ ممنوعٌ، لأن الابتداء بـ ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ يقبحُ(٢).

وقال الأشموني: الوقف على قوله: ﴿مِثْلَ هَٰذَآ﴾ حَسَنٌ، ولا بشاعة في الابتداء بما بعده؛ لأنه حكاية عن قائلي ذلك(٣).

قلتُ: وقد أغْرب الأشموني في قوله المتقدِّم، وخالَف ما قرَّرهُ جمهور القرَّاء والنَّحويين من عدمِ جواز الفصل بين المتعلَّقات اللَّفْظِية.

وأما ابن الأنباري والدَّاني وابن النَّحاس والأنصاري: فلم يذكروا وقفًا من أي نوعٍ على ﴿لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾، وهذا يدل على المنع(٤).

▪الرأي الراجح:

والذي يظهَرُ لي بَعْدَ النظر في أقوال العلماء هو القول بمنع الوقف على قوله: ﴿لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾؛ لأنه من مقُول الكُفَّار، ولا يجوز فصْلُ بعض المقُول عن بعض، ومنْعُ الابتداء بقوله: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾؛ لما فيه من البشاعة، والله أعلى وأعلم(٥).

(١) **ينظر**: تفسير الألوسي: ١٩٩/٩.
(٢) **ينظر**: علل الوقف ٥٣٥/٢.
(٣) **ينظر**: منار الهدى ٢٩٢/١.
(٤) **ينظر**: إيضاح الوقف والابتداء: ص٣٤٠، المكتفى: ص١١٥، القطع والائتناف: ص٢٧٤، المقصد: ص٨٢.
(٥) وما قيل في هذه الآية من منع الوقف يقال في نظائرها ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[الأنعام: ٧]، وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[الأنعام: ٢٥]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١١٠]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٨٣]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[النمل: ٦٨].

- **الموضع العاشر:**

قوله تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١].

فجملة ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ﴾ صالحة لأن تُضَمَّ مع ما قبْلَها، على أن الواو عاطفة ويوقف على لفظ ﴿ ٱلْمَدِينَةِ ﴾ ، وصالحة لأن يوقف على ما قبلها، وتكون الواو للاستئناف، ويُوصَلُ اللَّفظ بما بعده، والمعنى على الوجه الأول: المنافقون ممَّنْ حولكم ومن أهل المدينة، والمعنى على الوجه الثاني: وبعض أهل المدينة قوم مردوا على النفاق، والقارئ مخيرٌ بين الوقْفين، ولا يسُوغ له الوقف عليهما معًا، ولا وصْلِهما؛ لئلا يختل المعنى، وتَذْهب دلالته، فهذا الوقف من قبيل التَّجاذب أو المُعانقة إلا أنَّه لم تُوضَعْ عليه علَامة تعانُق الوقف (ۛ ۛ) في عمومِ مصاحف مصر والحجاز الشَّام.

- **أقوال علماء التفسير:**

قال الطَّبري: قوله: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ﴾ أي: ومن القوم الذين حول مدينتكم من الأعراب منافقون، ومن أهل مدينتكم أيضًا أمثالهم أقوامٌ منافقون، وقوله: ﴿مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾، يقول: مرَنُوا عليه ودَرِبوا به(١).

قال الألوسي: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ شُرُوعٌ في بَيانِ مُنافِقِي أهْلِ المَدِينَةِ ومَن حَوْلَها مِنَ الأعْرابِ بَعْدَ بَيانِ حالِ أهْلِ البادِيَةِ مِنهم، وقوله: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ﴾ عَطْفٌ عَلى ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم﴾ كَأنَّهُ قِيلَ: المُنافِقُونَ مِن قَوْمٍ حَوْلَكم ومِن أهْلِ المَدِينَةِ، ويَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ جُمْلَةً مُسْتَأْنَفَةً لا مَحَلَّ لَها مِنَ الإعْرابِ مَسُوقَةً لِبَيانِ

---

(١) **ينظر:** تفسير الطَّبري: ١١/٦٤٣.

غُلُوِّهِمْ في النِّفاقِ إِثْرَ بَيانِ اتِّصافِهِمْ بِهِ(١).

قال أبو السُّعود: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ أيْ: مِمَّنْ حَوْلَ بَلْدَتِكم ﴿مُنَٰفِقُونَ﴾، ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ﴾ عَطْفٌ عَلى ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ إمّا جُمْلَةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ لا مَحَلَّ لَها مِنَ الإعْرابِ مَسُوقَةٌ لِبَيانِ غُلُوِّهِمْ في النِّفاقِ إِثْرَ بَيانِ اتِّصافِهِمْ بِهِ، وإمّا صِفَةٌ لِلْمُبْتَدَإِ المَذْكُورِ فُصِلَ بَيْنَها وبَيْنَهُ بِما عُطِفَ عَلى خَبَرِهِ، وإمّا صِفَةٌ لِمَحْذُوفٍ أُقِيمَتْ هي مَقامَهُ، وهو مُبْتَدَأٌ خَبَرُهُ مِن أهْلِ المَدِينَةِ(٢).

▪أقوال علماء الوقف:

قال الأشموني: قوله تعالى: ﴿مُنَٰفِقُونَ﴾ وقفٌ كاف، إنْ جُعِل ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم﴾ خبرًا مقدمًا، و﴿مُنَٰفِقُونَ﴾ مبتدأ مؤخرًا، وقوله: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ﴾ وقفٌ جائزٌ، والأولى وصْلُه بما بعده لتعلُّقه به(٣).

قال ابن النَّحاس: الوقف على قوله ﴿مُنَٰفِقُونَ﴾ كاف إنْ جعلْتَ التقدير: ومن أهل المدينة قوم مردوا على النفاق، وإن جعلَتْ التقدير: وممن حولكم من الأعراب منافقون مردوا على النفاق، ويكون ﴿مَرَدُواْ﴾ نعتًا لـ (منافقين) لم يَحْسُنْ الوقف(٤).

قال الأنصاري: الوقف على قوله: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ﴾ صالحٌ؛ لكن الأولى وصْله بما بعده لتعلُّقه به(٥).

---

(١) **ينظر**: تفسير الألوسي: ٩/١١.

(٢) **ينظر**: تفسير أبي السُّعود: ٥٩٦/٢.

(٣) **ينظر**: منار الهدى: ٣١٦/١.

(٤) **ينظر**: القطع والائتناف: ص٢٩٢.

(٥) **ينظر**: المقصد: ص ٨٧.

أما الدَّاني وابن الأنباري: فلم يذكرا وقفًا في كلا الموضعين(١).

▪ الرأي الراجح:

الذي يظهر لي بعد النَّظر في أقوال العلماء هو الوقف على قوله: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ﴾؛ لأنه حين الوقف على الثاني يصبحُ الوصفُ بالمردود على النفاق خاصًّا بأهل المدينة. والله أعلى وأعلم(٢).

* * *

(١) **ينظر**: المكتفى: ص١٢٢، إيضاح الوقف والابتداء: ص ٣٤٧.

(٢) ومن نظائر وقف التَّجاذُب أو التَّعانُق في القرآن الكريم، والتي لم يُشرْ إليها بوضْع علَامة عليها؛ أي من مصاحف مصر والحجاز والشَّام قوله تعالى: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الممتحنة: ٣]، فقوله: ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ محلّ تعانُق، **الأول**: أنَّ نفْع الأرحام والأولاد غير حاصل، **والثاني**: تقييد ذلك بيوم القيامة. **والراجح**: الوقف عليه؛ لتَحقُّق المعنى؛ إذ النفع ممتنعٌ في يوم القيامة للكافرين. **ينظر**: وقفُ التَّجاذُبِ (المعانقة): ص ٣٠.

- **الموضع الحادي عشر:**

قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [يونس: ٦٥].

فالوقف على قوله: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْۘ﴾ لازمٌ، والمعنى لا يَحْزُنك افتراؤهم وتكذيبُهم لك وتهديدهم وتشاورهم في تدبير هلاكِك وإبطال أمرِك، وقد اتفقتْ مصاحفُ مصر والحجاز والشَّام على وضع علَامة الوقف اللازم (مـ) على قوله: ﴿قَوْلُهُمْۘ﴾.

- **أقوال علماء التفسير:**

قال النيْسابوري: الوقف لازمٌ على قوله: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْۘ﴾؛ لئلا يُوهم الوصل أن قوله: ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ﴾من مقُولِ الكُفَّار[1].

وقال القرطبي: قَوْلُهُ: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْۘ﴾ تمَّ الكلام، أَيْ: لَا يَحْزُنْكَ افْتِرَاؤُهُمْ وَتَكْذِيبُهُمْ لَكَ، ثُمَّ ابْتَدَأَ فَقَالَ: ﴿ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ﴾ أَيْ: الْقُوَّةُ الْكَامِلَةُ وَالْغَلَبَةُ الشَّامِلَةُ وَالْقُدْرَةُ التَّامَّةُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، فَهُوَ نَاصِرُكَ وَمُعِينُكَ وَمَانِعُكَ[2].

وقال الزَّمخْشري: قوله: ﴿ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ﴾ استئناف بمعنى التَعْليل، كأنه قيل: ما لى لا أحزن؟ فقيل: إنّ العزة لله جميعًا؛ أى إنَّ الغلبة والقهر لله جميعًا، لا يملك أحدٌ شيئًا منها لا هُمْ ولا غيرهم، فهو يغلبهم وينصُرك عليهم وقوله: ﴿ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ أي: يسمع ما يقولون، ويعلم ما يدبِّرون ويعزمون عليه، وهو مكافئهم بذلك[3].

---

(١) **ينظر**: تفسير النيْسابوري: ٣/٥٩٤.

(٢) **ينظر**: تفسير القرطبي: ١١/١٩.

(٣) **ينظر**: تفسير الزَّمخْشري: ٣/١٥٨.

وقال الرَّازي: وأمّا قَوْلُهُ تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ فَفِيهِ أَبْحاثٌ: **البَحْثُ الأَوَّلُ**: **قالَ القاضِي**: إنَّ العِزَّةَ بِالأَلِفِ المَكْسُورَةِ، وفي فَتْحِها فَسادٌ يُقارِبُ الكُفْرَ؛ لِأَنَّهُ يُؤَدِّي إلى أَنَّ القَوْمَ كانُوا يَقُولُونَ: ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾- بفتح هَمْزَة إنَّ- وأَنَّ الرَّسُولَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كانَ يُحْزِنُهُ ذَلِكَ. أمّا إذا كَسَرْتَ الأَلِفَ كانَ ذَلِكَ اسْتِئْنافًا، وهَذا يَدُلُّ عَلى فَضِيلَةِ عِلْمِ الإعْرابِ[(١)].

وقال أبو حيَّان: ثُمَّ اسْتَأْنَفَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾، أيْ: لا عِزَّةَ لَهم ولا مَنَعَةَ، فَهم لا يَقْدِرُونَ لَكَ عَلى شَيْءٍ، ولا يُؤْذُونَكَ، إنَّ الغَلَبَةَ والقَهْرَ لِلَّهِ، وهو القادِرُ عَلى الِانْتِقامِ مِنهم، فَلا يُعازُّهُ شَيْءٌ ولا يُغالِبُهُ. وكَأنَّ قائِلًا قالَ: لِمَ لا يُحْزِنْهُ قَوْلُهم وهو مِمّا يُحْزِنُ؟ فَقِيلَ: ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾، لَيْسَ لَهم مِنها شَيْءٌ[(٢)].

وقال الألوسي: ﴿ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ كَلامٌ مُسْتَأْنَفٌ سِيقَ لِتَعْلِيلِ النَّهي، وقِيلَ: جَوابُ سُؤالٍ مُقَدَّرٍ، كَأَنَّهُ قِيلَ: لِمَ لا يُحْزِنُهُ؟ فَقِيلَ: لِأَنَّ الغَلَبَةَ والقَهْرَ لِلَّهِ سُبْحانَهُ، لا يَمْلِكُ أحَدٌ شَيْئًا مِنها أصْلًا، لا هُمْ ولا غَيْرُهم، فَلا يَقْهَرُ ولا يَغْلِبُ أوْلِياءَهُ؛ بَلْ يَقْهَرُهم، ويَغْلِبُهم، ويَعْصِمُكَ مِنهم[(٣)].

▪أقوال علماء الوقف:

تدُور أقوال علماء الوقف في الحكم على هذا الموضع بين اللِّزوم والكِفاية والتَّمام - مع اتفاقهم في الوقف عليه - وذلك بحسب التفصيل التالي:

قال السَّجاوندي: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ وقفٌ لازمٌ؛ لئلا يصير ﴿ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ﴾ مَقُول الكُفَّار[(٤)].

(١) **ينظر**: تفسير الرَّازي: ١٣٦/١٧.
(٢) **ينظر**: تفسير أبي حيَّان: ١٧٤/٥.
(٣) **ينظر**: تفسير الألوسي: ١٥٢/١١.
(٤) **ينظر**: علل الوقف: ٥٧٤/٢.

وقال الأشموني: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ وقفٌ تامٌّ، ثم يبتدئ ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ﴾ وهو مستأنف ليس من مَقُولهم؛ بل هو جواب سؤال مقدَّر، كأن قائلًا قال: لم لا يحزنه قولهم وهو مما يحزن؟ فأجيب بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾، وتبعه في هذا القول شيخ الإسلام زكريا الأنصاري وأبو جعفر النَّحاس[1].

وقال الدَّاني: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ وقفٌ كافٍ؛ لأن الاستئناف بعدها مرتبطٌ بها من جهة المعنى [2].

■ **الراجح من الأقوال:**

والذي يترجَّح لي من هذه الأقوال أن الوقف في هذا الموضع لازمٌ؛ لأنه يتفق مع تفسير الآية تمام التوافق، ويتَّسِق معها، ولأن الوصل يخالف الدَّلالة المرادة من الآية، والله أعلم[3].

* * *

(١) **ينظر**: منار الهدى: ٣٣٣/١، المقصد: ص٩١، القطع والائتناف: ص ٣٠٦.

(٢) **ينظر**: المكتفى: ص١٢٩.

(٣) ومثله لزوم الوقف على: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ من قوله تعالى: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [يس: ٧٦] لانتهاء كلام الكُفَّار عنده، ولئلا يتوهم أن قوله: ﴿إِنَّا نَعْلَمُ﴾ من مَقُولهم، وقد نصَّتْ على لزومه أيضًا مصاحفُ مصر والحجاز والشَّام بالنظر في الدَّلالة المرادة من الآية.

- **الموضع الثاني عشر:**

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

فالوقف في هذه الآية على قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾ جائزٌ، ويكون الابتداء بعده بقوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ مستأنفًا؛ إذ الهَمُّ من يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ منفيٌّ لوجود البرهان، وقد اتفقتْ مصاحفُ مصر والحجاز والشَّام على وضع علَامة الوقف الكافي (صلے)، على قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾.

- **أقوال علماء التفسير:**

قال ابن كثير: اخْتَلَفَتْ أَقْوَالُ النَّاسِ وَعِبَارَاتُهُمْ فِي هَذَا الْمَقَامِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْمُرَادُ بِهَمِّهِ بِهَا هَمّ خَطَرات حَدِيثِ النَّفْسِ. حَكَاهُ الْبَغَوِيُّ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ التَّحْقِيقِ، وَقِيلَ: هَمَّ بِضَرْبِهَا. وَقِيلَ: تَمَنَّاهَا زَوْجَةً، وَقِيلَ: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ أَيْ: فَلَمْ يَهِم بِهَا[1].

قال القرطبي: وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي هَمِّهِ، وَلَا خِلَافَ أَنَّ هَمَّهَا كَانَ الْمَعْصِيَةَ، وأما يوسف فهَمَّ بها ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ وَلَكِنْ لَمَّا رَأَى الْبُرْهَانَ مَا هَمَّ، وَهَذَا لِوُجُوبِ الْعِصْمَةِ لِلْأَنْبِيَاءِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾، فَإِذَا فِي الْكَلَامِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ؛ أَيْ: لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ هَمَّ بِهَا[2].

قال ابن عاشور: وجُمْلَةُ ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾ مُسْتَأْنَفَةٌ اسْتِئْنافًا ابْتِدائِيًّا، والمَقْصُودُ: أنَّها كانَتْ جادَّةً فِيما راوَدَتْهُ لا مُخْتَبِرَةً. والمَقْصُودُ مِن ذِكْرِ هَمِّها بِهِ التَّمْهِيدُ إلى ذِكْرِ انْتِفاءِ هَمِّهِ بِها لِبَيانِ الفَرْقِ بَيْنَ حالَيْهِما في الدِّينِ فَإنَّهُ مَعْصُومٌ. وجُمْلَةُ ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ فالتَّقْدِيرُ: ولَوْلا أنْ رَأى بُرْهانَ رَبِّهِ لَهَمَّ بِها،

(١) **ينظر**: تفسير ابن كثير: ٢٩/٨.

(٢) **ينظر**: تفسير القرطبي: ٣١٠/١١.

فَقَدَّمَ الجَوابَ عَلى شَرْطِهِ لِلاهْتِمامِ بِهِ، فَيَحْسُنُ الوَقْفُ عَلى قَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾ لِيَظْهَرَ مَعْنى الابْتِداءِ بِجُمْلَةِ ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ واضِحًا. وبِذَلِكَ يَظْهَرُ أَنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لَمْ يُخالِطْهُ هَمٌّ بِامْرَأَةِ العَزِيزِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَصَمَهُ مِنَ الهَمِّ بِالمَعْصِيَةِ بِما أَراهُ مِنَ البُرْهانِ[1].

▪أقوال علماء الوقف:

قال الأشموني: الوقف على قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾ كافٍ، وبهذا الوقف يَتخلَّص القارئ من شيء لا يليق بنبي معصوم أن يَهِمَّ بامرأة، ويصير قوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ مستأنفًا؛ إذ الهم من يوسف منفيٌّ لوجود البرهان، ويُوقَفُ على ﴿بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾، ويبتدئ من قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: عِصْمته كذلك، فالهَمُّ الثاني غير الهَمِّ الأول[2].

قال الدَّاني وابن النَّحاس والأنصاري: الوقف على قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾ كافٍ، وقيل: تام، والتقدير: لولا أن رأى برهان ربه لهَمَّ بها، قال أبو حاتم: قال لي أبو عبيدة - وأنا أقرأ عليه كتابه في القرآن -: هو على التقديم والتأخير؛ أي: لولا أن رأى برهان ربه لهَمَّ بها؛ أي لم يّهم[3].

▪الرأي الراجح:

والذي أختاره أن الوقف على قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾ كافٍ، وأن يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يقع منه هَمٌّ بها البتة، وهذا القول موافق لما دلَّ عليه العقل من عِصْمَةِ الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، ومن ثَمَّ فلا حاجة إلى التطويل في تفسير ذلك الهَمِّ كما فَعَلَ بعض المُفسِّرين.

* * *

---

(١) **ينظر**: تفسير ابن عاشور: ١٢/٢٥٣.

(٢) **ينظر**: منار الهدى: ١/٣٦٢.

(٣) **ينظر**: المكتفى: ص ١٣٧، القطع والائتناف: ص ٣٣١، المقصد: ص٩٦.

- **الموضع الثالث عشر:**

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [إبراهيم: ٩].

ففي لفْظِ ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ تعانُق وتجاذُب في المعنى؛ لأن الواو إما أن تكون عاطفة، فلا يُوقَفُ على ما قبْلها بل تُوصَلُ بها، وإما أن تكون للاستئناف ويكون الوقف على ﴿وَثَمُودَ﴾، فالقارئ مخيَّرٌ بين الوقْفين، ولا يَسُوغ له الوقف عليهما معًا، ولا وصْلهما؛ لئلا يختلَّ المعنى، وتَذْهب دلالته، وقد اتفقتْ مصاحفُ مصر والحجاز والشَّام على وضْع علَامة تعانُق الوقف (∴) على الموضعين السابقين.

- **أقوال علماء التفسير:**

قال الطَّبري: يقول تعالى ذكره، مخبرًا عن قِيل موسى لقومه: يا قوم ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾، يقول: خبر الذين من قبْلكم من الأمم التي مضت قبْلكم ﴿قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾، و«عاد» معطوف بها على «قوم نوح»، ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾، يعني من بعد قوم نوح وعاد وثمود ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾، يقول: لا يحصي عَدَدهم، ولا يعلَمُ مبلغهم إلا الله[(١)].

قال الزَّمخْشري: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ جملة من مبتدإٍ وخبر، وقعت اعتراضًا، أو عطْف الذين من بعدهم على قوم نوح، ولا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ اعتراض، والمعنى: أنهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم إلا الله[(٢)].

قال ابن عاشور: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ يَشْمَلُ أَهْلَ مَدْيَنَ وأَصْحابَ الرَّسِّ وقَوْمَ تُبَّعٍ وغَيْرَهم مِن أُمَمٍ انْقَرَضُوا وذَهَبَتْ أَخْبارُهم، فَلا يَعْلَمُهم إلّا اللَّهُ، وجُمْلَةُ ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ وبَيْنَ جُمْلَةِ

(١) **ينظر**: تفسير الطَّبري: ١٣/٦٠٣.

(٢) **ينظر**: تفسير الزَّمخْشري: ٣/٣٦٥.

﴿جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ الواقِعَةُ حالًا مِنَ ﴿وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾، وهو كِنايَةٌ عَنِ الكَثْرَةِ الَّتِي يَسْتَلْزِمُها انْتِفاءُ عِلْمِ النّاسِ بِهِمْ(١).

▪أقوال علماء الوقف:

قال السَّجاوندي: يجوز الوقف وقفًا مطلقًا على كل من قوله: ﴿وَثَمُودَ﴾ لمَنْ رَجَعَ بقوله: ﴿لَا يَعۡلَمُهُمۡ﴾ إلى ﴿وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾، ومَنْ رَجَعَ به إلى الكُلّ فَوَقْفُه على ﴿وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾(٢).

وقال الأشموني: **الوقف** على ﴿وَثَمُودَ﴾ كافٍ إنْ جَعَلَ ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ خبره ﴿لَا يَعۡلَمُهُمۡ﴾، وإنْ جَعَلَ ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ في موضع خفْض عطفًا على ﴿قَوۡمِ نُوحٖ﴾ كان الوقف على ﴿مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ كافيًا(٣).

وقال الأنصاري: الوقف على ﴿وَثَمُودَ﴾ تامٌّ إنْ جَعَلَ ما بعْده مبتدأ، فإنْ جَعَلَ معطوفًا فليس ذلك وقفًا؛ بل الوقف على ﴿مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾، وهو وقفٌ كافٍ(٤).

وقال الدَّاني وابن الانباري: الوقف على ﴿وَثَمُودَ﴾ تامٌّ، ثم تَبْتَدِئُ ﴿وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُ﴾(٥).

▪الرأي الراجح:

والذي يظهر لي بعد النَّظر في أقوال العلماء من جواز الوقف على كلا الموضعين أن الوقف على جملة ﴿وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ يترجَّح على الوقف على ﴿وَثَمُودَ﴾؛ لأن الذين من بعدهم وَرَدَ ذِكْرُهم وذِكْرُ غيرهم في مواضع أُخْري، والله أعلى وأعلم .

* * *

(١) **ينظر**: تفسير ابن عاشور: ١٣/١٦٥.

(٢) **ينظر**: علل الوقف: ٢/٦٢٢.

(٣) **ينظر**: منار الهدى: ١/٣٨٧.

(٤) **ينظر**: المقصد: ص ١٠١.

(٥) **ينظر**: المكتفى: ص ١٤٥، إيضاح الوقف والابتداء: ص ٣٧٢.

▪ **الموضع الرابع عشر:**

قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾[النحل: ٥٧].

فالوقف على قوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ﴾ ممنوع؛ لأن قوله: ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ مفعول قوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ﴾ وقوله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تنزيه معترض، فلو وَقَفَ عليه صار ﴿وَلَهُم﴾ استئناف إثبات ﴿مَّا يَشْتَهُونَ﴾، وقد اتفقتْ مصاحف مصر والحجاز والشَّام على وضْعِ علَامة الوقف الممنوع (لا) على قوله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾.

▪**أقوال علماء التفسير:**

قال القرطبي: قَوْلُهُ : ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ﴾ نَزَلَتْ فِي خُزَاعَةَ وَكِنَانَةَ، فَإِنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ، ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ نَزَّهَ نَفْسَهُ وَعَظَّمَهَا عَمَّا نَسَبُوهُ إِلَيْهِ مِنَ اتِّخَاذِ الْأَوْلَاد، ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ أَيْ يَجْعَلُونَ لِأَنْفُسِهِمُ الْبَنِينَ وَيَأْنَفُونَ مِنَ الْبَنَاتِ. وَمَوْضِعُ ﴿مَّا﴾ رَفْعٌ بِالِابْتِدَاءِ، وَالْخَبَرُ ﴿وَلَهُم﴾ وَتَمَّ الْكَلَامُ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾. وَأَجَازَ الْفَرَّاءُ كَوْنَهَا نَصْبًا، عَلَى تَقْدِيرِ: وَيَجْعَلُونَ لَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ. وَأَنْكَرَهُ الزَّجَّاجُ [١].

وقال ابن عاشور: فَقَوْلُهُ: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ مِثْلُ قَوْلِهِمْ: حاشَ لِلَّهِ، ومَعاذَ اللَّهِ، أيْ تَنْزِيهًا لَهُ عَنْ أنْ يَكُونَ لَهُ ذَلِكَ، وإنَّما قُدِّمَ ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ عَلى قَوْلِهِ: ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾؛ لِيَكُونَ نَصًّا في أنَّ التَّنْزِيهَ عَنْ هَذا الجَعْلِ لِذاتِهِ، وهو نِسْبَةُ البُنُوَّةِ لِلَّهِ، لا عَنْ جَعْلِهِمْ لَهُ خُصُوصَ البَناتِ دُونَ الذُّكُورِ الَّذِي هو أشَدُّ فَظاعَةً، كَما دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعالى: ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ ؛ لِأنَّ ذَلِكَ زِيادَةٌ في التَّفْظِيعِ، فَقَوْلُهُ: ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ جُمْلَةٌ في مَوْضِعِ الحالِ، وتَقْدِيمُ الخَبَرِ في الجُمْلَةِ؛ لِلِاهْتِمامِ بِهِمْ في ذَلِكَ عَلى طَرِيقَةِ التَّهَكُّمِ [٢].

وقال القاسمي: هَذا بَيانٌ لِعَظِيمَةٍ مِن عَظائِمِهِمْ، وهو جَعْلُهُمُ المَلائِكَةَ الَّذِينَ هم عَبّادُ الرَّحْمَنِ بَناتٍ لِلَّهِ، فَنَسَبُوا لَهُ تَعالى ولَدًا ولا ولَدَ لَهُ، واجْتَرَءُوا عَلى التَّفَوُّهِ بِمِثْلِ ذَلِكَ، وعَلى

(١) **ينظر**: تفسير القرطبي: ١٢/٣٣٩.

(٢) **ينظر**: تفسير ابن عاشور: ١٤/١٨٢.

نِسْبَةِ أدْنى القِسْمَيْنِ لَهُ مِنَ الأوْلادِ، وهو البَناتُ، وهم لا يَرْضَوْنَها لِأنْفُسِهِمْ؛ لِأنَّهم يَشْتَهُونَ الذُّكُورَ، أيْ: يَخْتارُونَهم لِأنْفُسِهِمْ ويَأْنَفُونَ مِنَ البَناتِ. وقَدْ نَزَّهَ مَقامَهُ الأقْدَسَ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿سُبْحَانَهُۥ﴾؛ أيْ: عَنْ إفْكِهِمْ وقَوْلِهِمْ. وفِيهِ تَعَجُّبٌ مِن جَراءَتِهِمْ عَلى التَّفَوُّهِ بِهَذا المُنْكَرِ مِنَ القَوْلِ[1].

▪أقوال علماء الوقف:

قال السَّجاوندي: الوقف على ﴿سُبْحَانَهُۥ﴾ ممنوعٌ؛ لأن قوله: ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ مفعول ﴿وَيَجْعَلُونَ﴾ وقوله: ﴿سُبْحَانَهُۥ﴾تنزيه معترض[2].

وقال الأشموني: قوله: ﴿سُبْحَانَهُۥ﴾ تامٌّ على استئناف ما بعْده، وليس بوقفٍ إنْ عَطَفَ ما بعْده على ﴿لِلَّهِ ٱلْبَنَاتِ﴾؛ أي: ويجعلون لهم ما يشتهون، ويصير ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ مفعول ﴿وَيَجْعَلُونَ﴾ ؛ فلا يُوقَفُ على ﴿سُبْحَانَهُۥ﴾[3].

وقال ابن النَّحاس والدَّاني: قوله: ﴿سُبْحَانَهُۥ﴾ تامٌّ، **وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري**: (كافٍ)[4].

▪الرأي الراجح:

والذي يظهر لي بعْدَ النظر في أقوال العلماء هو القول بمنعِ الوقف على قوله: ﴿سُبْحَانَهُۥ﴾ ؛ لأنه تنزيه معترض، ولو وَقَفَ القارئ لأَوْهَمَ أن ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ استئناف إثبات، والله أعلى وأعلم.

* * *

(١) **ينظر**: تفسير القاسمي: ٣٨١٨/١٠.

(٢) **ينظر**: علل الوقف: ٦٤٠/٢.

(٣) **ينظر**: منار الهدى: ٤٠٨/١.

(٤) **ينظر**: القطع والائتناف: ص ٣٦٨، المكتفى: ص ١٥٢، المقصد: ص ١٠٥.

▪ **الموضع الخامس عشر:**

قوله تعـالى: ﴿ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴾ [الكهف: ١٨].

فالوقف في هذه الآية على قوله: ﴿وَهُمۡ رُقُودٞ﴾ جائزٌ، وفيه إشارة إلى أنَّـك لـو رأيـتهم تَحْسَبُهُمْ أيقاظًا؛ لأن أعينَهم مُفتحة وهم نِيام، ويكون الابتداء بقوله: ﴿وَنُقَلِّبُهُمۡ﴾ وهو استئناف لبيان فائدة تقليبهم؛ لئلا تأكل الأرض لحُومهم وتبليهم. وقـد وضـعتْ على هـذا الموضع ﴿وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞ﴾ علَامة الوقف الكافي (ج) في عموم مصاحف مصر والحجاز الشَّام.

▪ **أقوال علماء التفسير:**

قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا﴾؛ أي: لِكَثْرَةِ تَقَلُّـبِهِمْ كَالْمُـسْتَيْقِظِ في مضجعه، و﴿أَيۡقَاظٗا﴾ جَمْعُ يَقِظٍ وَيَقْظَانَ، وَهُوَ الْمُنْتَبِـهُ. ﴿وَهُمۡ رُقُودٞ﴾ كَقَـوْلِهِمْ: وَهُـمْ قَـوْمٌ رُكُوعٌ وَسُجُودٌ وَقُعُودٌ، فَوَصَفَ الْجَمْـعَ بِالْمَـصْدَرِ. ﴿وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لِئَلَّا تَأْكُلَ الْأَرْضُ لُحُومَهُمْ، وَظَاهِرُ كَلَامِ الْمُفَـسِّرِينَ أَنَّ التَّقْلِيـبَ كَانَ مِـنْ فِعْلِ اللَّهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ مَلَكٍ بِأَمْرِ اللَّهِ، فَيُضَافُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى[1].

قال أبو حيَّان: قَـوْلَهُ: ﴿وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا﴾ إخْبـارٌ مُـسْتَأْنَفٌ، ولَـيْسَ عَلى تَقْـدِيرٍ. وقِيلَ: في الكَلامِ حَذْفٌ تَقْدِيرُهُ لَوْ رَأيْتَهم لَحَسِبْتَهم ﴿أَيۡقَاظٗا﴾، و قَوْلَهُ: ﴿وَنُقَلِّبُهُمۡ﴾ خَـبَرٌ مُسْتَأْنَفٌ، وقِيلَ: إنَّما وقَعَ الحُسْبانُ مِن جِهَـةِ تَقَلُّـبِهِمْ، ولا سِـيَّما إذا كانَ مِـنَ اليَمِـينِ إلى الشِّمالِ ومِنَ الشِّمالِ إلى اليَمِينِ[2].

قال السَّعدي: قوله: ﴿وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞ﴾؛ أي: تحسبهم أيها الناظر إليهـم كأنهم أيْقاظ، والحال أنهم نِيام، قال المُفسِّرون: وذلك لأن أعيـنهم مُفتَّحـة؛ لئـلا تَفْـسَد، فالناظر إليهم يحسَبُهم أيقاظًا، وهم رقود، وقـوله: ﴿وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾

(١) **ينظر**: تفسير القرطبي: ١٣/٢٢٩.

(٢) **ينظر**: تفسير أبي حيَّان: ٦/١٠٤ وما بعدها.

وهذا أيضًا من حِفْظه لأبدانهم؛ لأن الأرض من طبيعتها، أكل الأجسام المتصلة بها، فكان من قدرِ الله، أن قلَّبهم على جنوبهم يمينًا وشمالًا، بقدرِ ما لا تُفْسِدُ الأرضُ أجسامَهم، وقوله: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾؛ أي: الكلب الذي كان مع أصحاب الكهف، أصابه ما أصابهم من النَّوم وقْت حراسته، فكان باسطًا ذراعيه بالوصيد، أي: الباب، أو فنائه(١).

▪أقوال علماء الوقف:

قال الأشموني وابن الأنباري: الوقف على قوله: ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾ حَسَنٌ؛ لأن ما بعده يصلح مُسْتأنفًا وحالًا، والوقف على قوله: ﴿وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ حَسَنٌ أيضًا؛ لأن الجملة بعده تصلح مُسْتأنفة وحالًا، والوقف على قوله: ﴿بِالْوَصِيدِ﴾أي: باب الكهف، **قال الأشموني**: كافٍ، **وقال ابن الأنباري**: حَسَنٌ أيضًا(٢).

قال السَّجاوندي: الوقف على قوله: ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾ جائزٌ، والوصل أَوْلَى؛ لأن قوله: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾ يصلح حالًا لهم؛ أي: رقود ونحن نقلبهم، وقوله: ﴿وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾جائزٌ أيضًا، والوصل أحسنُ لاتحاد بيان الحال، والواو تصلح للحال أيضًا أي: نقلبهم باسطًا كلبهم، وقوله: ﴿ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾وقفٌ مطلقٌ(٣).

وقال الدَّاني والأنصاري وابن النَّحاس: الوقف كافٍ على قوله: (وتحسبهم أيقاظا وهم رقود)، وقوله: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾، وقوله: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾(٤).

▪الرأي الراجح:

والذي أختاره أن الوقف على قوله: ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾كافٍ على تقدير أنَّ ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾ مُسْتأنف، وحَسَنٌ على تقدير أنَّ ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾ حالًا لهم؛ أي: رقود ونحن نقلبهم. والله أعلى وأعلم.

---

(١) **ينظر**: تفسير السَّعدي: ص٥٤٩.

(٢) **ينظر**: منار الهدى: ٤٣٧/١، ٤٣٨، إيضاح الوقف والابتداء: ص٣٨٤.

(٣) **ينظر**: علل الوقف: ٦٥٧/٢، ٦٥٨.

(٤) **ينظر**: المكتفى: ص ١٥٩، المقصد: ص ١١٠، القطع والائتناف: ص٣٨٦.

▪ الموضع السادس عشر:

قوله تعالى: ﴿لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٢].

فالوقف في هذه الآية على قوله: ﴿لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ جائزٌ، وفيه دَلالة على سلامتهم من النَّار وبُعْدِهم عنها؛ لأن مَنْ لم يَدْخُلْها، وقَرُبَ منها يسْمَعُ صوْتَها وحرِيقَها في الأجساد -عياذًا بالله-، ويكون الابتداء بقوله: ﴿وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ﴾، مُسْتأنفًا للدَّلالة على أن الله سلَّمهم من المحْذُور المرهوب، وحصَّلَ لهم المطلوب والمحبوب، وقد اتفقتْ عمومُ مصاحف مصر والحجاز والشَّام على وضْعِ علَامة الوقف الكافي (صلے) على قوله: ﴿لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾.

▪أقوال علماء التفسير:

قال الرَّازي: قَوْلُهُ: ﴿لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ والحَسِيسُ الصَّوْتُ الَّذِي يُحَسُّ، والمُرادُ تَأْكِيدُ بُعْدِهِمْ عَنْها؛ لِأنَّ مَن لَمْ يَدْخُلْها وقَرُبَ مِنها قَدْ يَسْمَعُ حَسِيسَها، وقَوْلُهُ: ﴿وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ﴾ والشَّهْوَةُ طَلَبُ النَّفْسِ لِلَذَّةِ؛ يَعْنِي: نَعِيمُها مُؤَبَّدٌ، قالَ العارِفُونَ: لِلنُّفُوسِ شَهْوَةٌ، ولِلْقُلُوبِ شَهْوَةٌ، ولِلْأرْواحِ شَهْوَةٌ، وقالَ الجُنَيْدُ: سَبَقَتِ العِنايَةُ في البِدايَةِ، فَظَهَرَتِ الوِلايَةُ في النِّهايَةِ(١).

قال الألوسي: ﴿لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ أيْ: صَوْتَها الَّذِي يُحَسُّ مِن حَرَكَتِها، وقِيلَ: إنَّ الإبْعادَ يَكُونُ بَعْدَ القُرْبِ فَيُفْهَمُ مِنهُ أنَّهُ أوْرَدَها أوَّلًا، ولَمّا كانَ مَظِنَّةَ التَّأذِّي بِها دُفِعَ بِقَوْلِهِ سُبْحانَهُ: ﴿لَا يَسۡمَعُونَ﴾ فَهي مُسْتَأْنَفَةٌ لِدَفْعِ ذَلِكَ، فَعَلى هَذا يَكُونُ عَدَمُ سَماعِ الحَسِيسِ قَبْلَ الدُّخُولِ إلى الجَنَّةِ، ومَن قالَ بِهِ قالَ: إنَّ ذَلِكَ حِينَ المُرُورِ عَلى الصِّراطِ؛ وذَلِكَ لِأنَّهم عَلى ما ورَدَ في بَعْضِ الآثارِ يَمُرُّونَ عَلَيْها، وهي خامِدَةٌ لا حَرَكَةَ لَها؛ حَتّى أنَّهم يَظُنُّونَ وهم في الجَنَّةِ أنَّهم لَمْ يَمُرُّوا عَلَيْها، وقِيلَ: لا يَسْمَعُونَ ذَلِكَ لِسُرْعَةِ مُرُورِهِمْ، وهو ظاهِرٌ(٢).

---

(١) **ينظر:** تفسير الرَّازي: ٢٢/٢٢٦.

(٢) **ينظر:** تفسير الألوسي: ٩٨/١٧.

قال ابن عاشور: قوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ بيانٌ لِمَعْنى مُبْعَدُونَ؛ أيْ: مُبْعَدُونَ عَنْها بُعْدًا شَدِيدًا بِحَيْثُ لا يَلْفَحُهم حَرُّها، ولا يَرُوعُهم مَنظَرُها، ولا يَسْمَعُونَ صَوْتَها، والصَّوْتُ يَبْلُغُ إلى السَّمْعِ مِن أبْعَدِ ما يَبْلُغُ مِنهُ المَرْئِيُّ. والحَسِيسُ: الصَّوْتُ الَّذِي يَبْلُغُ الحِسَّ، أيِ الصَّوْتُ الَّذِي يُسْمَعُ مِن بَعِيدٍ، أيْ لا يَقْرُبُونَ مِنَ النّارِ ولا تَبْلُغُ أسْماعَهم أصْواتُها، فَهم سالِمُونَ مِنَ الفَزَعِ مِن أصْواتِها فَلا يَقْرَعُ أسْماعَهم ما يُؤْلِمُها. وعَقَّبَ ذَلِكَ بِما هو أخَصُّ مِنَ السَّلامَةِ وهو النَّعِيمُ المُلائِمُ، وجِيءَ فِيهِ بِما يَدُلُّ عَلى العُمُومِ وهو ﴿فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ﴾ وما يَدُلُّ عَلى الدَّوامِ وهو ﴿خَالِدُونَ﴾[(١)].

▪أقوال علماء الوقف:

قال الأشموني: الوقف على قوله: ﴿حَسِيسَهَا﴾ حَسَنٌ؛ لأن ما بَعْدَه مبتدأ خبره ﴿خَالِدُونَ﴾، والمبتدأ في حكم الانفصال عما بعده [(٢)]

قال السَّجاوندي والأنصاري: الوقف على قوله: ﴿حَسِيسَهَا﴾ كافٍ لاحتمال الواو الحال والاستئناف[(٣)].

أما الدَّاني والنَّحاس وابن الأنباري: فلم يذكروا على هذا الموضع ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ وقفًا من أي نوعٍ، وهذا يدل على المنع[(٤)].

▪الرأي الراجح:

والذي أختاره أن الوقف على قوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ وقفٌ كافٍ لتعلُّقه بما بعْده في المعنى، واحتمال كون الواو للحال أو للاستئناف[(٥)].

---

(١) **ينظر**: تفسير ابن عاشور: ١٧/١٥٥.

(٢) **ينظر**: منار الهدى: ٢/٤٣.

(٣) **ينظر**: علل الوقف: ٣/٧١٢، المقصد: ص ١١٨.

(٤) **ينظر**: المكتفى: ص١٧٠، القطع والائتناف: ص ٤٣٤، إيضاح الوقف والابتداء: ص ٣٩٨.

(٥) ومن نظائره الوقف على قوله: ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾ من قوله تعالى: ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [مريم: ٦٢].

- **الموضع السابع عشر:**

قوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾ [الأحزاب: ٣٢].

فقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ﴾ صالحٌ؛ لأن يُوصَلُ بما قَبْلَه، ويُوقَفُ عليه، أو يُوقَفُ على ما قَبْلَه ويُوصَلُ بما بعده، والمعنى على الوقف الأول: لستن كأحد من النساء بشرط التقوى، والمعنى على الوقف الثاني: إن اتقيتن الله فلا تخضعن، والقارئ مخيَّرٌ بين الوقْفين، ولا يسُوغ له الوقف عليهما معًا، ولا وصْلهما؛ لئلا يختلَّ المعنى، وتَذْهب دلالته، فهو من قبيل التَّجاذُب أو المُعانُقة، وُقد وضعتْ علَامة تعانُق الوقف (ۛ) على ﴿ٱتَّقَيۡتُنَّ﴾ في مصاحف الشَّام، ووضعت عليها علَامة الوقف الجائز (ج) في مصاحف مصر، ووضعت علَامة الوقف الجائز (ج) على ﴿ٱلنِّسَآءِ﴾ في مصاحف الحجاز.

- **أقوال علماء التفسير:**

قال أبو حيَّان: أيْ: لَسْتُنَّ مِثْلَهُنَّ إنِ اتَّقَيْتُنَّ اللَّهَ؛ وذَلِكَ لَمّا انْضافَ مَعَ تَقْوى اللَّهِ مِن صُحْبَةِ الرَّسُولِ ﷺ وعَظِيمِ المَحَلِّ مِنهُ، ونُزُولِ القُرْآنِ في بَيْتِهِنَّ وفي حَقِّهِنَّ. **وقالَ الزَّمْخَشري:** ﴿إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ﴾ إنْ أرَدْتُنَّ التَّقْوى، وإنْ كُنَّ مُتَّقِياتٍ ﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ﴾ فَلا تُجِبْنَ بِقَوْلِكُنَّ خاضِعًا ﴿فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ﴾، فَعَلى القَوْلِ الأوَّلِ يَكُونُ ﴿إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ﴾ قَيْدًا في كَوْنِهِنَّ لَسْنَ كَأحَدٍ مِنَ النِّساءِ، ويَكُونُ جَوابُ الشَّرط مَحْذُوفًا، وعَلى ما قالَهُ الزَّمخشري يَكُونُ ﴿إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ﴾ ابْتِداءَ شَرْطٍ، وجَوابُهُ ﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ﴾، وكِلا القَوْلَيْنِ فِيهِما حُمِلَ[1].

قال السَّمين الحلبي: قوله: ﴿إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ﴾ في جوابه وجهان؛ **أحدهما:** أنه محذوفٌ لدلالةِ ما تقدَّم عليه؛ أي: إنْ اتَّقَيْتُنَّ اللَّهَ فَلَسْتُنَّ كأحدٍ. فالشَّرط قيدٌ في نفْي أَنْ يُشَبَّهْنَ بأحدٍ من النساء. **الثاني:** أنَّ جوابَه قولُه: ﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ﴾[2].

---

(١) **ينظر:** تفسير أبي حيَّان: ٢٢١/٧.

(٢) **ينظر:** الدُّر المصون: ١١٧/٩.

قال القرطبي: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ يَعْنِي فِي الْفَضْلِ وَالشَّرَفِ، ثم قال: ﴿إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ﴾؛ أَيْ: خِفْتُنَّ اللَّهَ، فَبَيَّنَ أَنَّ الْفَضِيلَةَ إِنَّمَا تَتِمُّ لَهُنَّ بِشَرْطِ التَّقْوَى، لِمَا مَنَحَهُنَّ اللَّهُ مِنْ صُحْبَةِ الرَّسُولِ وَعَظِيمِ الْمَحَلِّ مِنْهُ، وَنُزُولِ الْقُرْآنِ فِي حَقِّهِنَّ، أما قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ﴾؛ أَيْ: لَا تُلِنَّ الْقَوْلَ، أَمَرَهُنَّ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُنَّ جَزْلًا وَكَلَامُهُنَّ فَصْلًا(١).

▪أقوال علماء الوقف:

قال الأشموني والأنصاري: الوقف على قوله: ﴿إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ﴾ كافٍ، ولم يُشِيرا للموضع الأول(٢).

قال ابن الأنباري: الوقف على ﴿إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ﴾ حَسَنٌ، ولم يُشِر للموضع الأول أيضًا(٣).

أما الدَّاني والسَّجاوندي: فلم يذكرا وقفًا في كلا الموضعين (٤).

▪الرأي الراجح:

والذي يظهر لي بعد النظر في أقوال العلماء هو الوقف على قوله: ﴿مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾، وإن مال إلى غيره الأكثرون؛ لأنه يُفيد أنَّهنَّ لسن كالنساء الأخريات إن اتقين وإن عصين أيضًا، والوقف على ﴿إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ﴾ يُخصِّص المعنى ويَشْتَرِطُ التقوى، ويُقيِّدُ الإطلاق الذي يُؤيِّدُه السِّياق، والله أعلى وأعلم(٥).

(١) **ينظر**: تفسير القرطبي: ١٣٧/١٧.

(٢) **ينظر**: منار الهدى: ١٦٣/٢، المقصد: ص ١٤٢.

(٣) **ينظر**: إيضاح الوقف والابتداء: ص ٤٤١.

(٤) **ينظر**: المكتفى: ص ٢٠٤، علل الوقف: ٨٢٠/٣.

(٥) **ينظر**: وقف التَّجاذب (المعانقة): ص٢٥.

▪ **الموضع الثامن عشر:**

قـــــوله تعـــــالى: ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الصافات: ١٣٧، ١٣٨].

فالوقف على قوله: ﴿مُّصْبِحِينَ﴾ حَسَنٌ؛ لأنه رأْسُ آيةٍ، مع تَعلُّقه بما بعْده مـن جهـة اللَّفظ؛ لأن ما بعْده معطوفًا عليه، والوقف على رؤوس الآية سنَّة توقِيفية عـن رسـول الله ﷺ، والوقف على قـوله: ﴿وَبِٱلَّيْلِ﴾ جـائزٌ؛ أي: تَمُـرون علـيهم في الـصُّبح وباللَّيـل، وقـد وُضعتْ عليه علَامة الوقف الكافي (ج) في مصاحف مصر، وعلَامة الوقف التام (قلـے) في مصاحف الحجاز والشَّام.

▪**أقوال علماء التفسير:**

قال ابن كثير: يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ لُوطٍ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أَنَّهُ بَعَثَهُ إِلَى قَوْمِهِ فَكَذَّبُوهُ، فَنَجَّاهُ اللَّهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ هُوَ وَأَهْلُهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ فَإِنَّهَا هَلَكَتْ مَعَ مَنْ هَلَكَ مِنْ قَوْمِهَا، فَـإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَهْلَكَهُمْ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْعُقُوبَاتِ، وَجَعَلَ مَحِلَّتَهُمْ مِـنَ الْأَرْضِ بُحَـيْرَةً مُنْتِنَـةً قَبِيحَـةَ الْمَنْظَرِ وَالطَّعْمِ وَالرِّيحِ، وَجَعَلَهَا بِسَبِيلٍ مُقِيمٍ يَمُرُّ بِهَا الْمُسَافِرُونَ لَيْلًا وَنَهَـارًا؛ وَلِهَـذَا قَـالَ: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؛ أَيْ: أَفَلَا تَعْتَـبِرُونَ بِهِـمْ كَيْـفَ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَتَعْلَمُونَ أَنَّ لِلْكَافِرِينَ أَمْثَالَهَا؟ (١).

قال الرَّازي: ذَكَرَ الله هَذِهِ القِصَّةَ - قصة لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - لِيَعْتَبِرَ بها مُشْرِكُو العَـرَبِ، فَإِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ هَلَكُوا، والَّذِينَ آمَنُوا نَجَوْا، وقَـدْ نَـبَّهَهم بِقَـوْلِهِ تعـالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ وَبِٱلَّيْلِ﴾؛ وذَلِكَ لِأنَّ القَوْمَ كانُوا يُسافِرُونَ إلى الشَّام، والمُـسافِرُ في أكْثَرِ الأمْرِ إنَّما يَمْشِي في اللَّيْلِ وفي أوَّلِ النَّهارِ؛ فَلِهَذا السَّبَبِ عَيَّنَ تَعالى هَذَيْنِ الوَقْتَيْنِ، ثُمَّ

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير: ١٢/٥٥.

قالَ تَعالى: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾؛ يَعْنِي: أَلَيْسَ فِيكم عُقُولٌ تَعْتَبِرُونَ بِها، واللَّهُ أَعْلَمُ[(١)].

قال ابن عاشور: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ﴾ الخِطابُ لِقُرَيْشٍ الَّذِينَ سِيقَتْ هَذِهِ القَصَصُ لِعِظَتِهِمْ، والمُرُورُ: مُجاوَزَةُ السّائِرِ بِسَيْرِهِ شَيْئًا يَتْرُكُهُ، والمُرادُ هُنا: مُرُورُهم في السَّفَرِ، وكانَ أَهْلُ مَكَّةَ إذا سافَرُوا في تِجارَتِهِمْ إلى الشّام يَمُرُّونَ بِبِلادِ فِلَسْطِينَ فَيَمُرُّونَ بِدِيارِ لُوطٍ بِجانِبِها؛ لِأَنَّ قُراهم غَمَرَها البَحْرُ المَيِّتُ وآثارُها باقِيَةٌ تَحْتَ الماءِ، والمُصْبِحُ: الدّاخِلُ في وقْتِ الصَّباحِ، يَمُرُّونَ عَلى مَنازِلِهِمْ في الصَّباحِ تارَةً وفي اللَّيْلِ تارَةً بِحَسَبِ تَقْدِيرِ السَّيْرِ في أَوَّلِ النَّهارِ وآخِرِهِ، وقوله: ﴿وَبِٱلَّيۡلِ﴾ لِلظَّرْفِيَّةِ، والخَبَرُ الَّذِي في قَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم﴾ مُسْتَعْمَلٌ في الإيقاظِ والِاعْتِبارِ لا في حَقِيقَةِ الإخْبارِ، (والفاءِ) في قوله: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ اسْتِفْهامٌ إنْكارِيٌّ مِن عَدَمِ فِطْنَتِهِمْ لِدَلالَةِ تِلْكَ الآثارِ عَلى ما حَلَّ بِهِمْ مَن سَخَطِ اللَّهِ، وعَلى سَبَبِ ذَلِكَ؛ وهو تَكْذِيبُ رَسُولِ اللَّهِ لُوطٍ[(٢)].

▪أقوال علماء الوقف:

قال السَّجاوندي: الوقف على قوله: ﴿مُّصۡبِحِينَ﴾ وقفٌ ممنوعٌ لمكان العطف، وقوله: ﴿وَبِٱلَّيۡلِ﴾ وقفٌ مطلقٌ[(٣)].

قال الأشموني: الوقف على قوله: ﴿مُّصۡبِحِينَ﴾ جائزٌ ورأس آية، وله تعلُّق بما بعْده من جهة المعنى؛ لأنه معطوف على المعنى؛ أي تَمُرُّون عليهم في الصُّبح وباللَّيل، والوقوف على قوله: ﴿وَبِٱلَّيۡلِ﴾ تام، وعلى قوله: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ أتم؛ لأنه آخر القصة[(٤)].

قال الدَّاني والأنصاري وابن الأنباري وابن النَّحاس: الوقف على قوله: ﴿مُّصۡبِحِينَ﴾

(١) **ينظر**: تفسير الرَّازي: ١٦٢/٢٦.

(٢) تفسير ابن عاشور: ١٧١/٢٣.

(٣) **ينظر**: علل الوقف: ٨٥٩/٣، ٨٦٠.

(٤) **ينظر**: منار الهدى: ٢٠٠/٢.

تامٌّ؛ لأنه رأْسُ آية، وعلى قوله: ﴿وَبِٱلَّيۡلِ﴾ تامٌّ أيضًا، وعلى قوله: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ أتمُّ منه(١).

▪ الرأي الراجح:

الذي أراه أن الوقف على قوله: ﴿مُّصۡبِحِينَ﴾ حَسَنٌ؛ لأنه رأْسُ آية مُتعلِّقٌ بما بعْده من جهة اللَّفظِ، وعلى قوله: ﴿وَبِٱلَّيۡلِ﴾ تامٌّ لتمامِ الكلام وعدمِ تعلُّقِه بما بعْده، وعلى قوله: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ أتمُّ؛ لأنه آخر القصة(٢).

* * *

(١) **ينظر**: المكتفى: ص٢١٤، المقصد: ص ١٤٩، إيضاح الوقف والابتداء: ص ٤٥٢، القطع والائتناف: ص٥٩٢ (بتصرف).

(٢) ومن نظائر هذا الموضع في حكم الوقف عليه والابتداء بما بعده قوله تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ٢١٩ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [البقرة: ٢١٩، ٢٢٠]، الوقف على قوله: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ﴾ حسن لأنه رأس آية مع تَعلُّقه بما بعده من جهة اللَّفْظِ، وعلى قوله: ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ تام لتمامِ الكلام وعدم تعلُّقِه بما بعده والله أعلم.

- **الموضع التاسع عشر:**

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾[ص: ٤٩].

فالوقف على قوله: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾ جائزٌ، للفَصْلِ بين ما سبق ذكره من قصص المُرسلين، وما سيأتي ذكْره ممَّا أعده الله لعباده المتقين من حُسْنِ المرجع، وجزيل المثوبة، والنَّعيم المُقيم، وما أعدَّه للطَّاغين من سُوء المُنقلب والعذابِ المُهين، ويكون الابتداء بقوله: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ مُسْتأنف لبيانِ مآل المتقين والطَّاغين بعد بيان أحوال المُرسلين المتقدمين، وقد اتفقت عمومُ مصاحف مصر والحجاز والشَّام على وضْعِ علَامة الوقف الكافي (ج) على قوله: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾ (١).

- **أقوال علماء التفسير:**

قال الطَّبري: وقوله ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾ ؛ أي: هذا القرآن الذي أنزلناه إليك يا محمد ذِكرٌ لك ولقومِك، ذكرناك وإياهم به، وقوله: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ يقول: وإن للمتقين الذين اتقوا الله، فخافوه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه، لحُسْنَ مَرْجع يرجعون إليه في الآخرة، ومَصِير يصيرون إليه، ثم أخبر تعالى ذِكْره عن ذلك الذي وعده من حُسْن المآب ما هو، فقال: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾(٢).

قال ابن جُزي: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾ الإشارة إلى ما تقدَّم في هذه السورة من ذِكْر الأنبياء، وقيل: الإشارة إلى القرآن بجملته، والأول أظهرُ، وكأن قوله: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾ خِتام للكلام المتقدِّم، ثم شَرَعَ بعْده في كلام آخر، كما يتمُّ المؤلفُ بابًا، ثم يقول: فهذا باب، ثم يَشْرُعُ في آخر(٣).

قال ابن عاشور: قوله: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾ جُمْلَةٌ فَصلَتِ الكَلامَ السّابِقَ عَنِ الكَلامِ الآتِيَ بَعْدَها قَصْدًا لِانْتِقالِ الكَلامِ مِن غَرَضٍ إلى غَرَضٍ مِثْلُ جُمْلَةِ: أمّا بَعْدُ فَكَذا. قالَ في الكَشّافِ: وهو

(١) **ينظر**: معالم الاهتداء: ص٢٢ بتصرف.

(٢) **ينظر**: تفسير الطَّبري: ١٢٠/٢٠ وما بعدها.

(٣) **ينظر**: تفسير ابن جُزي: ٢٥٧/٢.

كَما يَقُولُ الكاتِبُ إذا فَرَغَ مِن فَصْلٍ مِن كِتابِهِ وأرادَ الشُّرُوعَ في آخَرَ: هَذا وقَدْ كانَ كَيْتَ وكَيْتَ، وهَذا الأُسْلُوبُ مِنَ الِانْتِقالِ هو المُسَمّى في عُرْفِ عُلَماءِ الأدَبِ بِالِاقْتِضابِ، وهو طَرِيقَةُ العَرَبِ ومَن يَلِيهِمْ مِنَ المُخَضْرَمِينَ[1].

قال أبو حيَّان: قولَ تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكۡرٌ﴾، كَأنَّهُ فَصَلَ بَيْنَ ما قَبْلَهُ وما بَعْدَهُ. ألا تَرى أنَّهُ لَمّا ذَكَرَ أهْلَ الجَنَّةِ، وأعْقَبَهُ بِذِكْرِ أهْلِ النّارِ قالَ: ﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ﴾، وقالَ ابْنُ عَبّاسٍ: هَذا ذِكْرُ مَن مَضى مِنَ الأنْبِياءِ. وقِيلَ: ﴿هَٰذَا ذِكۡرٌ﴾: أيْ: شَرَفٌ تُذْكَرُونَ بِهِ أبَدًا. وقَرَأ الجُمْهُورُ: ﴿جَنَّٰتِ﴾ بِالنَّصْبِ، وهو بَدَلٌ، فَإنْ كانَ ﴿عَدۡنٍ﴾ عَلَمًا، فَبَدَلُ مَعْرِفَةٍ مِن نَكِرَةٍ؛ وإنْ كانَ نَكِرَةً، فَبَدَلُ نَكِرَةٍ مِن نَكِرَةٍ[2].

▪أقوال علماء الوقف:

قال الأشموني: الوقف على قوله: ﴿هَٰذَا ذِكۡرٌ﴾ كافٍ، وفيه تخلُّصًا من الخُروج من غرضٍ إلى غرضٍ آخر، فلما فَرَغَ الله من ذِكْر الأنبياء عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ انتقل لذِكْرِ الجنة وأهلها، فقال ﴿هَٰذَا ذِكۡرٌ﴾ ، وفَصَلَ به بين ما قبْله وما بعْده، إيذانًا بأن القصة قد تمَّت، وقد وافقه في هذا القول الأنصاري[3].

وقال الدَّاني وابن النَّحاس: الوقف على قوله: ﴿هَٰذَا ذِكۡرٌ﴾ وقفٌ تامٌّ[4].

ولم يذكر ابن الأنباري: وقفًا في هذا الموضع[5].

▪الرأي الراجح:

والذي أراه أن الوقف على قوله: ﴿هَٰذَا ذِكۡرٌ﴾ هو من قبيل الوقف التَّام؛ لأنه ختام للكلام المُتقدِّم، وانتقال بالكلامِ من غرضٍ إلى غرضٍ، و ليس هناك أي ارتباط لفْظي ولا معنوي بين الآيات السَّابقة له والآيات اللَّاحقة.

---

(١) **ينظر**: تفسير ابن عاشور: ٢٣/٢٨٠ وما بعدها.

(٢) **ينظر**: تفسير أبي حيَّان: ٧/٣٨٧.

(٣) **ينظر**: منار الهدى: ٢/٢٠٨ بتصرف، المقصد: ص١٥٠.

(٤) **ينظر**: المكتفى: ص ٢١٦، القطع والائتناف: ص ٦٠٠.

(٥) **ينظر**: إيضاح الوقف والابتداء: ص ٤٥٤.

- **الموضع العشرون:**

قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡۘ يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ﴾ [القمر: ٦].

فالوقف على قوله: ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾ لازمٌ؛ حيث يأمر الله نبيَّه بالتولي عنهم إذا بلَّغَهُم بما عليه من الحكمةِ البالغة التي أُمر بها، ولو وَصَلَ القارئ لأَوْهَمَ أن ﴿يَوۡمَ﴾ مُتعلِّق بـ ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾ وخُطؤه ظاهرٌ، وقد اتفقتْ مصاحفُ مصر والحجاز والشَّام على وضْعِ علَامة الوقف اللازم (مـ) على قوله: ﴿عَنۡهُمۡ﴾ .

- **أقوال علماء التفسير:**

قال النيْسابوري: الوقف على ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾ لازمٌ؛ لأنه لو وَصَلَ لأَوْهَمَ أن الظرف متصل به، وليس كذلك؛ بل هو ظرفُ يخرجون(١).

قال الزَّمخْشري: قوله: ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾ أي: لعلمك أن الإنذار لا يُغنى فيهم. نصب يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ بـ ﴿يَخۡرُجُونَ﴾، أو بإضمار اذكر(٢).

قال القرطبي: ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾؛ أَيْ: أَعْرِضْ عَنْهُمْ، وهُوَ تَمامُ الْكَلَامِ، ثُمَّ قال: ﴿يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ﴾ الْعَامِلُ فِي ﴿يَوۡمَ﴾ ﴿يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ﴾ أَوْ ﴿خُشَّعًا﴾ أَوْ فِعْلٌ مُضْمَرٌ تَقْدِيرُهُ وَاذْكُرْ يَوْم(٣).

قال أبو حيَّان: ثُمَّ سَلّى رَسُولَهُ، ﷺ، فَقالَ: ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾؛ أيْ: أعْرِضْ عَنهم، فَإنَّ الإنْذارَ لا يُجْدِي فِيهِمْ. ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئًا مِن أحْوالِ الآخِرَةِ وما يَؤُولُونَ إلَيْهِ؛ إذْ ذاكَ مُتَعَلِّقٌ بِاقْتِرابِ السّاعَةِ، فَقالَ: ﴿يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ﴾، والنّاصِبُ لِيَوْمٍ اذْكُرْ مُضْمَرَةً، أوْ يَخْرُجُونَ(٤).

---

(١) **ينظر**: تفسير النيْسابوري: ٢١٥/٦.

(٢) **ينظر**: تفسير الزَّمخْشري: ٦٥٥/٥.

(٣) **ينظر**: تفسير القرطبي: ٧٧/٢٠.

(٤) **ينظر**: تفسير أبي حيَّان ١٧٢/٨.

▪أقوال علماء الوقف:

قال السَّجاوندي: الوقف على ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾ لازمٌ؛ لأنه لو وُصل صار ﴿يَوۡمَ يَدۡعُ﴾ ظرفًا للتَّولي عنهم، وليس كذلك؛ بل هو ظرف ﴿يَخۡرُجُونَ﴾ وتقديره يخرجون خُشعًا أبصارهم يوم يدع الداع[١].

وقال الأشموني: الوقف على ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾ تامٌ، ولا يجوز وصْله؛ لأنه لو وُصل بما بعده صار ﴿يَوۡمَ يَدۡعُ﴾ ظرفًا للتَّولي عنهم، وليس كذلك؛ بل هو ظرف ﴿يَخۡرُجُونَ﴾، والمعنى عندهم على التَّقديم والتَّأخير؛ أي: يخرجون من الأجداث يوم يدع الداع[٢].

وقال ابن الأنباري: الوقف على ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾ غيرُ تام، وردَّ عليه الدَّاني بقوله: وليس كما قال؛ لأن جميع أهل التفسير يجعلون العامل في الظرف ﴿يَخۡرُجُونَ﴾، والمعنى عندهم على التَّأخير والتَّقديم، والتَّقدير: يخرجون من الأجداث يوم يدع الداع، فإذا كان كذلك فالتَّمام: ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾؛ لأن الظرفَ لا يَتعلَّقُ بشيء قبْله، وتَبِعه في ذلك شيخ الإسلام زكريا الأنصاري[٣].

▪الراجح من الأقوال:

والذي يترجَّح لي أن الوقف على قوله: ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾ لازمٌ، وبه تمَّ الكلام، والدَّلالة توافقُ ذلك وتتَّفق معه؛ ليتمَّ المراد من الآية، وأن جملة ﴿يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ﴾ مُسْتأنفةٌ، وليست ظرفًا للتَّولي، وفي الوصل إيهام أن التَّولي إنَّما يكون في ذلك اليوم، وليس الأمر كذلك، والله أعلى وأعلم[٤].

* * *

(١) **ينظر**: علل الوقف: ٩٨٠/٣.

(٢) **ينظر**: منار الهدى: ٣٠٦/٢.

(٣) **ينظر**: إيضاح الوقف والابتداء: ص ٤٩٠، المكتفى: ص٢٤٢، المقصد: ص ١٧٠.

(٤) أما ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾ من قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [الصافات: ١٧٤]، وقوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ﴾ [الذاريات: ٥٤]، فلا وقْف فيها؛ بل هي موصولة.

الخاتمة

وبها أهم النَّتائج والتَّوصيَّات

الخاتمة

الحمدُ للهِ الذي بنعْمتِهِ تتمُّ الصَّالِحات، وتُقَال العـثَرَات، وتُنال الـبَركَات، والـصلاةُ والسلام على سيدِنا محمدٍ خيرِ البريَّات، وعلى آله وأصحابه النَّجـومِ النـيِّرات صـلاةً طيْبـة النَّشرِ، عظيمة القدْر، فائِحة العِطْرِ، تُنال بها الدَّرجات، وسلّم تسليمًا كثيرًا ... وبعد:

فبِهذا ينْتهي ما عُنِيتُ بجمْعِهِ من بَحْثِ الوقـفِ والابتـداء وأَثَـرِه في تفـسير القـرآن الكريم، فما كان فيه من صوابٍ ونفعٍ فمن اللهِ عَزَّوَجَلَّ فله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ النِّعمة والفضل، وله الثَّناء الحسن، وإنْ كان قد خالطَهُ سـهوٌ أو خطـأٌ أو نـسيانٌ فمـن نفـسي ومـن الـشيطان، وشَفيعي في ذلك هو عِظم الكلام في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ الذي لا يُحـيطُ بـه عالِـمٌ ولا مُـتعلِّمٌ، واللهَ أسأل أن يكون عملي هذا خالصًا لِذاتِه، وأن يتقبَّل مني أحْسَنه، وأن يغفر لي مـا قـد يكون من زلةٍ فيهِ، وأمَلي في ربيَ تعالى أن يَكْسُو هذا العمل ثوبَ القبـولِ، وأن ينفـع بـه أهل القرآن وحُفَّاظه وكُلَّ مَنْ طَالَعَه أو نَظَرَ فيه، وأن يجعله في ميزان حسناتنا يوم القيامة، إنه سميعٌ مُجيبٌ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت، وإليه أُنيب.

وفيما يلي أُتوِّج هذه الرسالة بأهمِّ النَّتائج والتَّوصيَّات التي توصَّلتُ إليها مـن خـلال هذا البحث، وهي:

أولًا: النتائج ؛ وهي :

١- موضوع الوقف والابتداء من مَهامِ عِلْمِ التفسير، فلا يستغني عن دراسـته كُلُّ مَنْ أراد أن يَفْهَمَ مُرادَ الله من كلامه.

٢- لم يثبتْ مـن وقـوفِ النـبي ﷺ إلا الوقـوف على رؤوس الآي، وماعـدا ذلـك فبحسبِ دلالةِ المعنى من الوقف والابتداء الذي بَعْدَه.

٣- الوقف والابتداء مُتلازِمان، فحيثما يتمُّ الوقفُ يَحْسُن الابتداءُ.

٤- الذي يُحَدِّدُ نوعَ الوقفِ على الكلمةِ القرآنيةِ هو مدى تعلُّق الكلامِ الموقوفِ عليه بما بَعْدَه في اللفْظِ والمعنى.

٥- إذا كان الوصلُ يُغيِّر المعنى لَزِم الوقفُ، وإذا كان الوقفُ يُغَيِّر المعنى لَـزِم الوصـلُ فالوصلُ أو الوقفُ قرينُ المعنى.

٦- رؤوسُ الآي مقاطعُ الوقفِ عليها جائزٌ في جميعِ الأحـوالِ، وإن لـم يَـتم المعـنى بشرْطِ استئناف القراءةِ وعدمِ القطع؛ حتَّى تمامِ المعنى.

٧- اختلافُ العلماءِ في تحديـدِ مواضـعِ الوقـفِ والابتـداءِ راجِـعٌ لاخـتلافِهم في التَّقديراتِ التي ينبني عليها الوقـفُ والابتـداءُ، ومـن ذلـك اخـتلافُ أوجـهِ التفسير، فهو اختلاف تغايُر، وليس اختلافَ تضاد.

٨- اختلافُ علَاماتِ الوقفِ والوصلِ بين طبعاتِ المـصحفِ الـشريفِ في العـالَمِ الإسلامي، أو حتَّى بَيْنَ الطبعاتِ المُتعاقبةِ للَّجنةِ الواحدةِ مَرْجِعُه إلى الاجتهـادِ والاستنباطِ في فَهْمِ معاني القرآنِ.

٩- ينبغي على القارئِ المبتدئِ الوقوف على رمـوزِ الوقـفِ المرسُـومةِ في المـصاحفِ والالتزام بها؛ لأن هذه الرموزَ والعلَاماتِ جاءتْ وِفْـقَ دراسـةٍ لمعـاني الآيـاتِ ومقتضياتِ الإعرابِ لاسِيَّما في المصاحفِ التي أشْرَف على وقوفِها لجانٌ علميةٌ مُتخصصةٌ.

١٠- القارئُ الذي عَرَضَ القرآنَ، وطاف بين المـشايخ وجَـال، وقـرأ كُتُـبَ الوقـفِ والابتداءِ، وأدركَ فواصلَ المعاني فَالأمرُ يكون بَيْنَ يديهِ فيما قرأ واختـار مـن الوقوفِ؛ إذْ إنَّ رموزَ الوقفِ في القرآن مَبْنَاها على الاجتهادِ والاختيارِ من كُتُبِ الوقفِ والابتداءِ لمَنْ بَلَغَ مَبْلَغَ الاجتهادِ والنَّظَرِ في الوقوفِ.

١١- الجاهلُ بالوقفِ جاهلٌ بمعاني القرآنِ، فمَنْ لم يَعْرفْ الوقفَ لم يَعْلَمْ القرآنَ.

١٢- معرفةُ ما ينبغي أن يُوقَفَ عنده وما لا ينبغي يُظْهِر مَـذْهبَ أهـلِ الـسُّنَّةِ مـن مذهب غيرهم من أهلِ البدعِ والأهواءِ الذين يتعسَّفون وقُوفًا تُوافِقُ أهواءَهم.

١٣- معرفةُ الوقفِ يُؤْمَنُ به اللَّبْسُ أو الخطأ في كتابِ اللهِ، ويَظْهـرُ بـه الإعجـازُ، ويَحْصُلُ به القصدُ، ويَتِمُّ به فَهْمُ كلامِ اللهِ تعالى على أكْمـلِ وجـهٍ، وبـذلك تـلذُّ التلاوةُ ويَحْصَلُ الفهمُ، ويَتَضحُ منهاجُ الهدايةِ.

ثانيًا: التوصيات ؛ وهي :

١- أوصي كُلَّ مسئولٍ في مَكانِه بضرورةِ التأكيدِ على اعتبارِ مواضعِ الوقفِ والوصلِ عند التلاوةِ .

٢- صَرْفِ كل ما يلزم من الجهدِ في تعلُّمِها؛ وخاصةً عند مَنْ يَتصدَّرُ إمامةَ الناسِ في الصلاةِ، أو تعليمَ الطلابِ في المدارسِ أو الحلقاتِ، فهو في حَقِّهم أوجبُ؛ إذ لا يتحقَّقُ فهْمُ كلامِ اللهِ تعالى، وإدراكُ معانيه إلا بذلك.

٣- آمُلُ أنْ يكونَ فيما ذَكَرْتُ المزيدَ من الحثِّ للدارسينَ على مُواصَلةِ البحثِ، فذَاكَ بَحْرٌ لَا تُدْرَكُ سَوَاحِلُه، وما زالَ المجالُ فيهِ واسعًا لِإعمالِ الفكرِ والنظرِ، وسيظلُّ كذلكَ ينبوعًا لا يَنْضَبُ، ومَوْرِدًا لا يَكْسَدُ، وَلِمَ لا؟ وهو الكتابُ الخالِدُ؛ حتَّى يَرِثُ اللهُ الأرضَ ومَنْ عليها ، والله أعلى وأعلم.

* * *

الفهارس العامة

وتشتمل على :

[١] فهرس الآيات القرآنية .

[٢] فهرس الأحاديث.

[٣] فهرس الآثار .

[٤] فهرس الأعلام .

[٥] فهرس المصادر والمراجع .

[٦] فهرس الموضوعات .

۞ [١] فهرس الآيات القرآنية ۞

طرف الآية	السورة رقمها	الصفحة
وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُۥ	١٤٦	١٨٢
ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ	١٥٤	٢١٤، ٢٤١
لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟	١٨١	٦٢، ٢٢٢، ٢٢٣
وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ	١٩٥	٦٧
لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟	١٩٦	٦٧
	سورة النساء	
يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ	١١	٢٢٣
حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ	٢٣	٢٠٧
وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ	٢٤	٢٠٧
وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا	٢٥	٢٠٨
فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ	٤١	١٣، ٧٢
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟	٤٣	٨٧، ٢١٠
وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ	٦٤	٨٨
وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ	٧٣	٨٤، ٢٢١
وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟	٨١	٢١٦
وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ	٨٣	١٣٨، ٢٠٩
لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ	١٢٣	٦٨
وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ	١٥٧	١٧١
لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ	١٦٢	٢٤٨
إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ	١٧١	٦٠
	سورة المائدة	
وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ	٢	٦٢

* * *

﴾ [٢] فهرس الأحاديث ﴿

أ – فهرس الأحاديث : وهى مقسمة إلى قولية وفعلية

١- الأحاديث القولية:

٢- الأحاديث الفعلية:

﴿ [٣] فهرس الآثار ﴾

واقتصرت فيه على كلام الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

* * *

﴿ [٤] فهرس الأعلام ﴾

حرف الألف

حرف الباء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف القاف

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

* * *

[٥] فهرس المصادر و المراجع

أولًا: المصاحف الشريفة:

(١) مصحف الأزهر الشريف برواية حفص عن عاصم، ط/ شركة الشمرلي بمصر، ٢٠٠٥م.

(٢) المصحف الباكستاني برواية حفص عن عاصم، ط/ شركة تاج المحدودة «تاج كمبني لميد» باكستان، ١٩٧٤م.

(٣) مصحف الجماهيرية الليبية برواية قالون عن نافع، ط/ جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في طرابلس، ليبيا، ١٣٩٩هـ.

(٤) المصحف الحسيني المسبَّع برواية ورش عن نافع، ط/ وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمملكة المغربية، ١٤١٧هـ.

(٥) المصحف الشريف برواية حفص عن عاصم، ط/ دار القرآن الكريم، بيروت، ١٤٠٤هـ.

(٦) المصحف الشريف برواية حفص عن عاصم، ط/ مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ١٩٧٧م.

(٧) المصحف الشريف برواية ورش عن نافع بالخط المغربي، ط/ الدار التونسية، ١٣٨٩هـ.

(٨) مصحف المدينة المنورة برواية حفص عن عاصم، ط/ مجمع الملك فهد بالمدينة المنورة، ١٤١٨هـ.

(٩) مصحف دار إفريقيا برواية الدَّوري عن أبي عمرو، ط/ دار مصحف إفريقيا بالخرطوم، جمهورية السودان، ٢٠٠١م.

(١٠) مصحف دولة الكويت برواية حفص عن عاصم، ط/ قطاع المساجد، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ١٤٢٩هـ.

ثانيًا: الكتب المطبوعة:

حرف الألف

(١١) **إبراز المعاني بالأداء القرآني**، د/ إبراهيم بن سعيد بن حمد الدوسري، ط/ دار الحضارة للنشر والتوزيع، ١٤٣٣هـ.

(١٢) **الإتقان في علوم القرآن**، للإمام خاتمة الحفاظ جلال الدين عبد الرحمن السُّيوطي (ت ٩١١هـ) تحقيق الشيخ/ شعيب الأرنؤوط، ط/ مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان، الأولى، ١٤٢٩هـ

(١٣) **الاختلاف في وقوف القرآن الكريم**، تأليف/ عادل بن عبد الرحمن بن عبد العزيز السنيد، ط/ جامعة الملك سعود، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ.

(١٤) **الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار**، تأليف/ الإمام الحافظ شيخ الإسلام محيي الدين أبي زكريا يحيي بن شرف الدين الدمشقي الهاشمي (ت ٦٧٦هـ)، ط/ دار الريَّان للتراث، الأولى، ١٩٨٨م.

(١٥) **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، تأليف/ محمد ناصر الدين الألباني، ط/ المكتب الإسلامي، بيروت، الأولى، ١٣٩٩هـ.

(١٦) **أُسْدُ الغَابَة في مَعرفةِ الصحابة**، للإمام عز الدين أبي الحسن علي بن محمد الجذري المعروف بابن الأثير(٦٣٠هـ)، دار ابن حزم، بيروت، الأولى، ٢٠١٢م

(١٧) **أشهر المصطلحات في فن الأداء وعلم القراءات**، تأليف/ أحمد محمود عبد السميع الحفيان، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الأولى، ١٤٢٢ هـ.

(١٨) **الإضاءة في بيان أصول القراءة**، للعلامة/ علي بن محمد الضبَّاع، ط/ المكتبة الأزهرية للتراث خلف الجامع الأزهر.

(١٩) **الإعراب المفصل لكتاب الله المنزَّل**، تأليف/ بهجت عبد الواحد صالح، ط/ دار الفكر للنشر والتوزيع.

(٢٠) **الأعلام**، للأستاذ/ خير الدين الزركلي، ط/ دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة

الخامسة عشر، مايو، ٢٠٠٢ م.

(٢١) **إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل**، للعلامة/ محمد بن القاسم بن بشار الأنباري النحوي (ت ٣٢٨هـ) تحقيق الدكتور/ أحمد عيسى المعصراوي، ط/ دار الإمام الشاطبي للطباعة والنشر بالقاهرة، الأولى.

حرف الباء

(٢٢) **بحوث منهجية في علوم القرآن الكريم**، تأليف/ موسى إبراهيم الإبراهيم، ط/ دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن، الثانية ١٩٩٦م.

(٢٣) **البدور الزَّاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشَّاطبية والدُّرة**، تأليف/ عبد الفتاح القاضي، ط/ الإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية، ١٩٩٤م

(٢٤) **البرهان في علوم القرآن**، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق د/ يوسف بن عبد الرحمن المرعشلي وآخرين، ط/ دار المعرفة بيروت، الأولى، ١٤١٠هـ

(٢٥) **بغية عباد الرحمن لتحقيق تجويد القرآن**، تأليف/ محمد بن شحادة الغول، ط/ دار ابن عفان للنشر والتوزيع خلف الجامع الأزهر، الثامنة، ١٤٢٣هـ.

حرف التاء

(٢٦) **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذَّهبي (ت٧٤٨ هـ)، تحقيق د/ عمر عبد السلام تدمري، ط/ دار الكتاب العربي، بيروت، الثانية.

(٢٧) **تاريخ الخلفاء**، للإمام جلال الدين عبد الرحمن السُّيوطي (ت ٩١١ هـ)، ط/ دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الأولى، ١٤٢٤ هـ= ٢٠٠٣ م.

(٢٨) **التِّبيان في آداب حملة القرآن**، للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النَّووي (ت ٦٧٦هـ) تحقيق/ محمد الحجَّار، ط/ دار ابن حزم، بيروت، الرابعة ١٩٩٦م.

(٢٩) **التَّحبير في علم التفسير**، للإمام السُّيوطي، تحقيق د/ فتحي عبد القادر فريد، ط/ دار

العلم للطباعة والنشر بالرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.

(٣٠) **تذكرة الحُفَّاظ**، للإمام الذَّهبي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٣١) **التَّصوير الفني في القرآن**، للأستاذ/ سيد قطب، ط/ دار الشروق ببيروت، الطبعة السادسة عشرة.

(٣٢) **تفسير ابن الجوزي المُسَمَّى (زاد المسير في علم التفسير)**، للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي (ت ٥٩٧هـ)، ط/ المكتب الإسلامي بيروت، الثالثة، ١٩٨٤م.

(٣٣) **تفسير ابن تيمية المُسَمَّى (الجامع لكلام الإمام ابن تيمية في التفسير)**، جمع وتحقيق/ إياد بن عبد اللطيف القيسي، الطبعة الأولى ١٤٣٢ هـ، ط/ دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع بالسعودية.

(٣٤) **تفسير ابن جُزيِّ المُسَمَّى التسهيل لعلوم التنزيل**، للإمام أبي القاسم محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي، ضبطه/ محمد سالم هاشم، ط/ دار الكتب العربية، بيروت الأولى، ١٩٩٥م.

(٣٥) **تفسير ابن عاشور المُسَمَّى (التَّحرير والتَّنوير)**، تأليف الشيخ العلامة محمد الطاهر ابن عاشور، ط/ الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

(٣٦) **تفسير ابن عثيمين المُسمَّى تفسير القرآن الكريم**، لفضيلة الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين، ط/ دار ابن الجوزي بإشراف مؤسسة ابن عثيمين الخيرية.

(٣٧) **تفسير ابن عطية المُسَمَّى (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)**، للإمام أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، ط/ دار الخير بيروت، لبنان، الثانية، ٢٠٠٧م.

(٣٨) **تفسير ابن كثير المُسَمَّى (تفسير القرآن العظيم)**، للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، ط/ دار مؤسسة قرطبة بالاشتراك مع مكتبة أولاد الشيخ للتراث بمصر.

(٣٩) **تفسير أبي السُّعود المُسَمَّى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)**، لقاضي

القضاة أبي السعود بن محمد العمادي الحنفي (ت ٩٨٢هـ)، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، ط/ مكتبة الرياض الحديثة بالرياض، السعودية.

(٤٠) **تفسير أبِي حيَّان المُسَمَّى (البحر المحيط)**، للإمام محمد بن يوسف الشهير بأبِي حيَّان الأندلسي المتوفي سنة (٧٤٥ هـ)، دراسة وتحقيق الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ/ علي محمد معوض وآخرون، ط/ دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ.

(٤١) **تفسير الألوسي المُسَمَّى (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني)**، للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت ١٢٧٠هـ)، ط/ دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان.

(٤٢) **تفسير البَغَوي المُسَمَّى معالم التنزيل**، للإمام محيي السُّنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ)، ط/ دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض، ١٤٠٩هـ).

(٤٣) **تفسير البيضاوي المُسَمَّى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تأليف/ ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٩١هـ)، إعداد وتقديم/ محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٤٤) **تفسير الثعالبي المُسَمَّى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن**، للإمام/ عبد الحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي المالكي (٧٨٦ - ٨٧٥هـ) حققه الشيخ/ علي محمد معوض وآخرون، ط/ دار إحياء التراث العربي بيروت، الأولى، ١٩٩٧م.

(٤٥) **تفسير الثعلبي المُسَمَّى (الكشف والبيان)**، للإمام أبي إسحاق أحمد الثعلبي (ت ٤٢٧هـ)، تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور، ط/ دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر بيروت، لبنان، الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م

(٤٦) **تفسير الخازن المُسَمَّى (لباب التأويل في معاني التنزيل)**، للإمام علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي الشهير بالخازن (ت ٧٢٥ هـ) ضبط وتصحيح/ عبد السلام محمد علي شاهين، ط/ دار الكتب العلمية بيروت.

(٤٧) **تفسير الزمخْشَرِي المُسَمَّى (الكشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل**

في وجوه التأويل)، للإمام أبي القاسم محمود بن عمر الزمخْشَرِي (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق الشيخ/ عادل عبد الموجود، والشيخ علي محمد، ط/ مكتبة العبيكان الرياض، الأولى، ١٩٩٨م.

(٤٨) **تفسير السَّعدي المُسمَّى تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان**، تأليف العلامة/ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تقديم د/ عبد الرحمن اللويحق، ط/ دار السلام للنشر والتوزيع السعودية، الثانية، ١٤٢٢هـ.

(٤٩) **تفسير السَّمرقندي المُسَمَّى بحر العلوم**، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي تحقيق الشيخ/ علي محمد معوض وآخرون، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٩٩٣م.

(٥٠) **تفسير السَّمين الحلبي المُسَمَّى الدُّر المصون في علوم الكتاب المكنون**، تأليف أحمد بن يوسف المعروف بالسَّمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ)، تحقيق د. أحمد محمد الخراط، ط/ دار القلم دمشق.

(٥١) **تفسير السُّيوطي المُسَمَّى الدُّرُ المنثُور في التفسير بالمأثور للإمام السُّيوطي (ت ٩١١ هـ)**، تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط/ مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، الأولى، ١٤٢٤ هـ

(٥٢) **تفسير الشِّنقيطي المُسَمَّى (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن)**، تأليف/ الشيخ العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الشِّنقيطي (ت ١٣٩٣ هـ)، ط/ دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع بمكة المكرمة، الأولى، ١٤٢٦ هـ.

(٥٣) **تفسير الشَّوكاني الجامع بين فني الرِّواية والدِّراية من علم التفسير**، تأليف/ محمد بن علي بن محمد الشَّوكاني (ت ١٢٥٠)، اعتنى به/ يوسف الغُوش، ط/ دار المعرفة، بيروت، الرابعة ٢٠٠٧م

(٥٤) **تفسير الطبري المُسَمَّى (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)**، للإمام أبي جعفر محمد ابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق الدكتور/ عبد الله بن عبد المحسن التركي ن، ط/ دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، الأولى، ٢٠٠١م.

(٥٥) **تفسير الظِّلال المُسَمَّى في ظلال القرآن**، بقلم/ سيد قطب، ط/ دار الشروق بيروت، الثانية والثلاثون/ ٢٠٠٣م.

(٥٦) **تفسير الفخر الرَّازي المُسَمَّى (التفسير الكبير ومفاتيح الغيب)**، للإمام محمد فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر الرَّازي (ت ٦٠٤ هـ)، ط/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأولى، ١٤٠١ هـ=١٩٨١ م.

(٥٧) **تفسير القاسمي المُسَمَّى (محاسن التأويل)**، للعلامة محمد جمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ دار إحياء الكتب العربية، الأولى، ١٩٥٧م.

(٥٨) **تفسير القرطبي المُسَمَّى (الجامع لأحكام القرآن)**، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد ابن أبي بكر القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر بيروت، الأولى، ٢٠٠٦م.

(٥٩) **تفسير النَّسفي المُسَمَّى (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)**، للإمام أبي البركات عبد الله ابن أحمد بن محمود النسفي (ت ٧٠١هـ)، تحقيق سيد زكريا، ط/ مكتبة نزار مصطفى الباز.

(٦٠) **تفسير النَّيْسابوري المُسَمَّى (غرائب القرآن ورغائب الفرقان)**، للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النَّيْسابوري (ت ٨٥٠هـ) تحقيق الشيخ زكريا عميرات، ط/ دار الكتب العلمية بيروت، الأولى، ١٩٩٦م.

(٦١) **التَّفسير والمفسِّرون**، تأليف الدكتور/ محمد حسين الذَّهبي، ط/ مكتبة وهبة، القاهرة.

(٦٢) **تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين**، تأليف/ أبي الحسن علي بن محمد النوري الصفاقسي، ت ١٤٣٥هـ، نشر وتوزيع مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، تونس.

(٦٣) **تهذيب التَّهذيب**، للحافظ أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢ هـ)، ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت.

حرف الثاء

(٦٤)**ثَبَتُ مؤلفات المُحدِّث محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠)**، جمع وإعداد/ عبد الله ابن محمد الشمراني، ط/ دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، السعودية، الأولى ١٤٢٢هـ

حرف الجيم

(٦٥)**جمال القُرَّاء وكمال الإقْراء**، للإمام علم الدين علي بن محمد السَّخاوي (ت ٦٤٣هـ)، تحقيق د/ علي حسين البواب، مكتبة التراث بمكة المكرمة، الأولى، ١٤٠٨هـ.

حرف الحاء

(٦٦)**حق التِّلاوة**، للشيخ/ حسن شيخ عثمان، ط/ دار جهينة للنشر والتوزيع، الأردن.

(٦٧)حلية الأوْلياء وطبقات الأصْفِياء للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت٤٣٠هـ) ط/ دار الفكر للطباعة و للنشر، بيروت، ١٩٩٦م.

حرف الدال

(٦٨) **دراسة الوقف والابتداء**، للشيخ/ جمال بن إبراهيم القرش، ط/ الدار العالمية للنشر والتوزيع بالإسكندرية، الأولى، ١٤٣٠هـ

(٦٩)**الدِّيباج المذهَّب في معرفة أعيان علماء المذهب**، لابن فرحون المالكي (ت ٧٩٩) تحقيق الدكتور/ محمد الأحمدي أبو النور، ط/ دار التراث للطبع والنشر القاهرة.

حرف الراء

(٧٠) **رسالة في الوقف على (كلا وبلى) وبعض الكلمات في القرآن العظيم**، تأليف الشيخ/ علي ابن محمد توفيق النَّحاس، ط/ دار الصحابة للتراث بطنطا، الأولى.

حرف الزاي

(٧١) **زاد المعاد في هدى خير العباد**، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المشهور بـابن قيِّم الجوزية (ت ٧٥١ هـ)، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت، الأولى، ٢٠٠٩ م.

حرف السين

(٧٢) **سِلسلة الأحاديث الصَّحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، تأليف/ محمد ناصر الدين الألباني، ط/ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع بالرياض، الأولى، ١٤٢٢هـ.

(٧٣) **سِلسلة الأحاديث الضَّعيفة والموضوعة وأثرها السَّيئ في الأمة**، تأليف/ محمد ناصر الدين الألباني، ط/ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع بالرياض، الأولى ١٤١٢هـ..

(٧٤) **سُنن التِّرمذي**، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعبد اللطيف حرز الله، ط/ دار الرسالة العالمية، دمشق، الأولى، ١٤٣٠هـ= ٢٠٠٩م.

(٧٥) **سُنن أبي داود**، للإمام أبي داوود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق الشيخ/ محمد ناصر الدين الألباني، ط/ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع بالرياض.

(٧٦) **سُنن ابن ماجه**، للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني، (ت ٢٧٣هـ)، تحقيق/ عصام موسى هادي، ط/ مؤسسة الريان للطباعة والنشر، الأولى، ٢٠١٠م.

(٧٧) **سُنن النَّسائي**، للإمام أبي عبد الله أحمد بن شعيب بن علي النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق الشيخ الألباني، ط/ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع بالرياض.

(٧٨) **سِير أعلام النبلاء**، للإمام الذَّهبي، تحقيق د/ بشار عواد معروف، ط/ مؤسسة الرِّسالة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦ م.

حرف الشين

(٧٩) **شذرات الذَّهب في أخبار من ذهب**، لابن العماد عبد الحي بن أحمد العكري الحنبلي الدمشقي (ت ١٠٨٩هـ) تحقيق/ عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرنؤوط، ط/ دار ابن كثير، دمشق، الأولى، ١٤٠٦هـ.

(٨٠) **شرح طيبة النَّشر في القراءات العشر**، للإمام شهاب الدين أبي بكر أحمد بن محمد ابن محمد ابن الجزري الدمشقي (ت ٨٣٥ هـ)، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠ م.

(٨١) **شرح عُقُود الجمان في علم المعاني والبيان،** للإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السُّيوطي (ت ٩١١هـ)، ط/ دار الفكر، بيروت.

(٨٢) **شرح مقدمة التَّسهيل لعلوم التَّنزيل،** لابن جُزي، شرحها/ د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيَّار، ط/ دار ابن الجوزي بالدمام، الأولى، ١٤٣١هـ.

حرف الصاد

(٨٣) **صحيح الجامع الصَّغير وزيادته (الفتح الكبير)،** تأليف/ محمد ناصر الدين الألباني، ط/ المكتب الإسلامي، بيروت، الثالثة، ١٤٠٨هـ.

(٨٤) **صحيح** مسلم، للإمام/ مسلم بن الحجَّاج القشيري النَّيْسابوري (٢٦١هـ) بشرح الإمام/ أبي زكريا يحي بن شرف النووي (٦٧٦ هـ)، ط/ المطبعة المصرية بالأزهر، الأولى، ١٣٤٧هـ.

(٨٥) **صفة صلاة النَّبي ﷺ** تأليف/ العلامة محمد ناصر الدين الألباني، ط/ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع بالرياض، الخامسة.

حرف الطاء

(٨٦) **الطِّب النبوي،** لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي الشهير بابن قيِّم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تعليق/ عبد الغني عبد الخالق وآخرون، ط/ دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.

(٨٧) **طبقات المفسِّرين،** تصنيف الحافظ/ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الدَّاوودي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت.

حرف العين

(٨٨) **علل الوقوف،** للإمام أبي عبد الله محمد بن طيفور السَّجاوندي (ت ٥٦٠هـ)، دراسة وتحقيق د/ محمد بن عبد الله العيدي، ط/ مكتبة الرشد، السعودية، الثانية، ١٤٢٧هـ.

(٨٩) **علم الدَّلالة (علم المعنى)،** تأليف الدكتور/ مجمد علي الخولي، ط/ دار الفلاح للنشر والتوزيع بالأردن، الأولى، ٢٠٠١م.

(٩٠) **علم الدَّلالة أصوله ومباحثه،** د/ منقور عبد الجليل، ط/ اتحاد الكُتَّاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م.

(٩١) **علم الدَّلالة،** تأليف الدكتور/ أحمد مختار عمر أستاذ علم اللغة بكلية دار العلوم جامعة القاهرة، ط/ مكتبة عالم الكتب بالقاهرة، الخامسة، ١٩٩٨م.

(٩٢) **عمل اليوم والليلة،** للإمام/ أحمد بن شعيب النَّسائي (ت ٣٠٣هـ)، دراسة وتحقيق الدكتور/ فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة.

(٩٣) **عون الرحمن في حفظ القرآن،** لأبي ذر القلموني، ط/ مكتبة التراث الإسلامي بالقاهرة، الأولى، ١٩٩٢م.

حرف الغين

(٩٤) **غاية المُريد في علم التجويد،** تأليف/ عطية قابل نصر، ط/ دار التقوي للنشر والتوزيع خلف الجامع الأزهر بالقاهرة.

(٩٥) **غاية النِّهاية في طبقات القُرَّاء،** للإمام شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن علي ابن الجزري الدمشقي الشافعي (ت ٨٣٣ هـ)، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت.

(٩٦) **غيث النَّفع في القراءات السَّبع،** لأبي الحسن علي بن سالم بن محمد النوري الصفاقسي (ت ١١١٨هـ)، تحقيق أحمد محمود الحفيان، ط/ دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الأولى، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م.

حرف الفاء

(٩٧) **فتح الباري بشرح صحيح أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري،** للإمام الحافظ/ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) ط/ المكتبة السلفية.

(٩٨) **فتح المجيد شرح كتاب العميد،** للشيخ محمود علي بسة عن، ط/ المكتبة الأزهرية للتراث، خلف الجامع الأزهر، الثانية.

(٩٩) **فقه السُّنة،** تأليف السَّيد سابق، ط/ دار الحديث بالقاهرة، ١٤٢٥هـ= ٢٠٠٤م.

(١٠٠) **فقه قراءة القرآن الكريم**، للشيخ سعيد يوسف، مدرس القرآن الكريم وعلومه بالأزهر الشريف، ط/ مكتبة السنة بالقاهرة، الثانية، ٢٠٠٣م.

(١٠١) **فُنون الأفنان في عيون علوم القرآن**، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق د/ حسن ضياء الدين عتر، ط/ دار البشائر الإسلامية، بيروت، الأولى ١٤٠٨هـ.

حرف القاف

(١٠٢) **القطع والائتناف**، للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النَّحاس (ت ٣٣٨هـ) تحقيق د/ عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، ط/ دار عالم الكتب، السعودية، الأولى، ١٤١٣هـ.

(١٠٣) **قواعد التَّدبُّر الأمثل لكتاب الله عز وجل**، تأليف/ عبد الرحمن حسن حبلكة الميداني، ط/ دار القلم، دمشق، الرابعة، ١٤٣٠ هـ = ٢٠٠٩ م.

حرف الكاف

(١٠٤) **الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها**، للإمام أبي القاسم يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل الهُذلي (ت ٤٦٥هـ)، تحقيق/ جمال السيد رفاعي، ط/ مؤسسة سما للنشر والتوزيع، الأولى، ١٤٢٨ هـ

(١٠٥) **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، للعلَّامة المؤرخ مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليف، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(١٠٦) **كيف تقرأ القرآن في رمضان وغيره من شهور العام**، للدكتور/ سهيل بن محمد قاسم، ط/ دار الخضيري للنشر بالمدينة المنورة، الأولى، ١٤٣٠هـ.

حرف اللام

(١٠٧) **لسان العرب**، لابن منظور، تحقيق الأستاذ/ عبد الله علي الكبير وآخرين، ط/ دار المعارف بالقاهرة.

(١٠٨)**لطائف الإشارات لفنون القراءات**، للإمام أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني (ت ٩٢٣هـ)، ط/ وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف السعودية.

(١٠٩) لمحات **في علوم القرآن واتجاهات التفسير**، تأليف الدكتور/ محمد بن لطفي الصباَّغ، ط/ المكتب الإسلامي، بيروت، الثالثة، ١٩٩٠م.

حرف الميم

(١١٠) **مباحث في علوم القرآن**، د/ مناع خليل القطان، ط/ مكتبة وهبة بالقاهرة، السادسة.

(١١١) **المجموع شرح المهذَّب للشيرازي**، للإمام/ محيي الدين بن شرف النووي، تحقيق/ محمد نجيب المطيعي، ط/ مكتبة الإرشاد، جدة، السعودية.

(١١٢) **المحكم في نقط المصاحف**، للإمام/ أبو عمرو عثمان بن سعيد الدَّاني(ت ٤٤٤هـ)، تحقيق الدكتور/ عزه حسن، ط/ دار الفكر المعاصر، بيروت، الثانية، ١٩٩٧م.

(١١٣)**مختار الصحاَّح**، للإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ط/ مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٦م.

(١١٤)**مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات**، د/ إبراهيم بن سعيد الدوسري، ط/ دار الحضارة للنشر والتوزيع بالرياض، الأولى، ١٤٢٩هـ.

(١١٥)**المدخل لدراسة القرآن الكريم**، د/ محمد محمد أبو شهبة، ط/ دار اللواء للنشر والتوزيع بالرياض، الثالثة، ١٤٠٧ هـ= ١٩٨٧ م.

(١١٦)**مرويات الحافظ ابن الجزري في الوقف والابتداء من كتابي التمهيد والنشر**، دراسة وتحقيق/ فرغلي سيد عرباوي، ط/ مكتبة أولاد الشيخ للتراث بالقاهرة.

(١١٧)**المستدرك على الصَّحيحين**، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النَّيْسابوري، تحقيق/ مصطفى عبد القادر عطا، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، الثانية، ٢٠٠٢م.

(١١٨)**مُسند الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)**، شرحه ووضع فهارسه/ أحمد محمد شاكر، وحمزة أحمد الزين، ط/ دار الحديث بالقاهرة، الأولى، ١٩٩٥م.

(١١٩)**مِشكاة المصابيح**، تأليف/ محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق العلامة/ محمد ناصر الدين الألباني الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ= ١٩٧٩م، ط/ المكتب الإسلامي بيروت، لبنان.

(١٢٠)**معالم الاهتداء إلى معرفة الوقف والابتداء**، للشيخ/ محمود خليل الحصري، ط/ مكتبة السنة بالقاهرة، الأولى، ٢٠٠٢ م.

(١٢١)**معاني القرآن وإعرابه**، للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن السري الزَّجاج (ت ٢١٣ هـ)، شرح وتحقيق د/ عبد الجليل عبده شلبي، ط/ عالم الكتب، الأولى، ١٤٠٨ هـ.

(١٢٢)**مُعجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)**، للعلامة ياقوت الحموي الرومي، تحقيق د/ إحسان عباس، ط/ دار الغرب الإسلامي، بيروت، الأولى، عام ١٩٩٣ م.

(١٢٣)**مُعجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية**، تأليف/ عمر رضا كحالة، ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣ م.

(١٢٤)**المعجم التَّجويدي لأشهر ألفاظ علم التجويد**، د/ عمر خليفة الشايجي، ط/ غراس للنشر والتوزيع، الأولى، ٢٠١٠ م.

(١٢٥)**مُعجم الفروق الدَّلالية في القرآن الكريم**، تأليف الدكتور/ محمد محمد داود، ط/ دار غريب للنشر والتوزيع بالقاهرة، الأولى ٢٠٠٨م.

(١٢٦)**المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (بحاشية المصحف الشريف)**، وضعه/ محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ دار الحديث بالقاهرة.

(١٢٧)**المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم**، تأليف/ صبحي عبد الرؤوف عصر، ط/ دار الفضيلة للنشر والتوزيع بالقاهرة.

(١٢٨) **مُعجم علوم القرآن**، للأستاذ/ ابراهيم محمد الجرمي، ط/ دار الحضارة للنشر والتوزيع بالرياض، الأولى، ١٤٢٩ هـ.

(١٢٩)**مُعجم مصطلحات علم القراءات القرآنية**، د/ عبد العلي المسئول، ط/ دار السلام للنشر والتوزيع بالقاهرة، الأولى، ٢٠٠٧.

(١٣٠)**مُعجم مصطلحات علوم القرآن**، إعداد د/ محمد بن عبد الرحمن الشايع، ط/ دار التدميرية بالرياض، الأولى، ١٤٣٣ هـ= ٢٠١٢ م.

(١٣١)**معرفة القُرَّاء الكبار على الطبقات والأعصار**، للإمام الذَّهبي، تحقيق د/ طيار آلتي قولاج اسطنبول، ١٤١٦ هـ= ١٩٩٥ م.

(١٣٢)**مغني اللبيب عن كُتب الأعاريب**، تأليف الإمام ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط/ المكتبة العصرية بيروت، الأولى، ١٤١١هـ.

(١٣٣) **مفاتح تدبر القرآن والنَّجاح في الحياة**، إعداد د/ خالد بن عبد الكريم اللاحم، ط/ مطبعة سفير بالرياض، الثانية، ١٤٢٨هـ.

(١٣٤) **مفردات ألفاظ القرآن**، تأليف العلَّامة/ الراغب الأصفهاني، تحقيق/ صفوان عدنان داوودي، ط/ دار القلم، دمشق، الرابعة، ٢٠٠٩م.

(١٣٥) **المقدِّمات الأساسية في علوم القرآن**، تأليف/ عبد الله بن يوسف الجُديْع، توزيع مؤسسة الريَّان للنشر والتوزيع، بيروت، الأولى، ٢٠٠١م

(١٣٦) **المَقْصِد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء**، للعلامة/ أبي يحيي زكريا الأنصاري، ط/ المكتبة الأزهرية للتراث بالقاهرة.

(١٣٧) **المكتفى في الوقف والابتدا**، للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ)، ط/ مكتبة أولاد الشيخ للتراث بالقاهرة.

(١٣٨) **منار الهدى في بيان الوقف والابتدا**، للشيخ/ أحمد بن محمد بن عبد الكريم الأشموني، تحقيق الشيخ/ عبد الرحيم الطرهوني، ط/ دار الحديث بالقاهرة.

(١٣٩) **مناهل العِرفان في علوم القرآن**، للشيخ/ محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق/ فوَّاز أحمد زمرلي، ط/ دار الكتاب العربي، بيروت، الأولى ١٩٩٥م.

(١٤٠)**المِنح الفِكرية شرح المقدمة الجزرية**، تأليف ملا علي بن سلطان محمد القاري وبهامشها شرح شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، ط/ مكتبة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي بمصر، الطبعة الأخيرة، ١٣٦٧هـ).

حرف النون

(١٤١)**النَّشر في القراءات العشر**، للإمام/ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري المتوفي سنة (٨٣٣ هـ)، ط/ دار الكتب العلمية بيروت، الثالثة، ٢٠٠٦ م.

(١٤٢)**نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد**، تأليف العلامة الشيخ/ محمد مكي نصر الجريسي ط/ مكتبة الآداب بالقاهرة، الأولى، ٢٠٠١م.

(١٤٣) **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، لأحمد بابا التَّنبَكتي، اعتنى به/ د عبد الحميد الهرَّامة، دار الكاتب، طرابلس، الثانية، ٢٠٠٠م.

حرف الهاء

(١٤٤) **هداية الرواة إلي تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة**، تصنيف/ الحافظ، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، تخريج العلامة/ محمد ناصر الدين الألباني، ط/ دار ابن القيِّم للنشر والتوزيع بالدمام، الأولى، ١٤٢٢هـ.

(١٤٥) **هداية القاري إلى تجويد كلام الباري**، للشيخ/ عبد الفتاح السيد عجمي المرصفي، ط/ دار الفجر للنشر والتوزيع بالمدينة المنورة، الأولى، ١٤٢١ هـ.

حرف الواو

(١٤٦) **الواضح في علوم القرآن**، تأليف/ د مصطفى ديب البغا و محي الدين مستو، ط/ دار الكلم الطيب، دمشق، الثانية، ١٩٩٨م.

(١٤٧) **الوافي في شرح الشَّاطبية في القراءات السَّبع**، تأليف/ عبد الفتاح القاضي، ط/ الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية، ١٩٨٥م.

(١٤٨) **الوصل والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم**، للدكتور/ عبد الكريم عوض صالح، ط/ دار السلام للطباعة والنشر بالقاهرة، الرابعة، ١٤٣٥هـ = ٢٠١٤م.

(١٤٩) **الوصل والوقف وأثرهما في بيان معاني التنزيل**، تأليف د/ أحمد شرشال الجزائري، ط/ دار الحرمين بالقاهرة، الأولى، ١٤٢٢هـ.

(١٥٠) **الوقف اللازم في القرآن الكريم (دراسة دليليه)**، د/ محمود زين العابدين محمد/ مكتبة دار الفجر الإسلامية بالمدينة المنورة.

(١٥١) **الوقف على (كلا وبلى في القرآن الكريم)**، للإمام أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ)، تحقيق الدكتور/ حسين نصار، ط/ مكتبة الثقافة الدينية بمصر، الأولى، ١٤٢٣هـ.

(١٥٢) **الوقف والابتداء في القرآن الكريم بين القرائن اللَّفظية والمعاني البلاغية**، دراسة دلالية من خلال وقوف التمام للإمام نافع والوقوف الهبطية، د/ محمد عبد الحميد محمد جار الله، ط/ دار الصحابة للتراث بطنطا، الأولى، ١٤٣٢هـ.

(١٥٣) **الوقف والابتداء**، ط/ مركز تفسير للدراسات القرآنية الرياض الأولى، ١٤٣٣هـ.

(١٥٤) **الوقف والابتداء**، للعلامة محمد بن طيفور السَّجاوندي (ت ٥٦٠هـ)، تحقيق د/ محسن هاشم درويش، ط/ دار المناهج للنشر والتوزيع بالأردن، الأولى، ٢٠٠١م.

ثالثًا: المجلات والدوريات والبحوث:

(١٥٥) **التقرير العلمي لمصحف المدينة المنورة، عن مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف**، حرره د/ عبد العزيز بن عبد الفتاح القاري.

(١٥٦) **مجلة البحوث والدراسات القرآنية**، العدد الثالث عشر، **وقف البيان في القرآن الكريم (دراسة مصطلحية)**، د/ محمود عبد الجليل روزون.

(١٥٧) **مجلة البحوث والدِّراسات القرآنية**، العدد السابع، **أعمال اللجنة العلمية لمراجعة مصحف المدينة المنورة**، د/ علي بن عبد الرحمن الحذيفي.

(١٥٨) **مجلة الجامعة الإسلامية (فلسطين)**، العدد الثاني، يونيو، ٢٠٠٩ م، **الأدوات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى**، د/ حمدان رضوان أبو عاصي.

(١٥٩) **مجلة الشريعة والقانون**، العدد الرابع والثلاثون، ربيع الثاني ١٤٢٩هـ= ٢٠٠٨م، **الوقف والابتداء في كتاب الله**، للعلامة أبي القاسم يوسف بن علي بن جبارة بن محمد ابن عقيل الهذلي (ت ٤٦٥هـ)، دراسة و تحقيق د/ عمار أمين الددو.

(١٦٠)**مجلة المجتمع الأردنية**، العدد الخامس والثمانون، **الانفتاح الدلالي في وقف المراقبة**، د/ مشهور موسى مشاهرة.

(١٦١)**مجلة جامعة أم القرى**، العدد ٣١، رمضان ١٤٢٥ هـ، **وقف التجاذب (المعانقة) في القرآن الكريم**، د/ عبد العزيز بن علي الحربي.

(١٦٢) **مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها**؛ مقال بالعدد الرابع عام ٢٠١١ م، **مقدمة في الوقف والابتداء (مصطلحاته و علاقته بالنحو)**، د/ يونس علي يونس.

(١٦٣) **مجلة مركز ودود للمخطوطات، التحقيق في وقوف القرآن الكريم**، إعداد/ محمد توفيق حديد.

(١٦٤) **مجلة معهد الإمام الشَّاطبي للدِّراسات الإسلامية**، العدد الرابع، ذو الحجة، ١٤٢٨هـ)، أثر الابتداء بحروف المعاني والوقف عليها في بلاغة المعنى القرآني واتساعه، د/ محمد عبد العليم الدسوقي.

* * *

∞ فهرس الموضوعات ∞